الجزء الثاني

عجايب الآثار

في التراجم والأخبار

عبد الرحمن الجبرتي

عجايب الآثار في التراجم والأخبار (الجزء الثاني)

تأليف
عبد الرحمن الجبرتي

هنداوي

عجايب الآثار في التراجم والأخبار (الجزء الثاني)

عبد الرحمن الجبرتي

رقم إيداع ٢٠١٢ / ١٩٧٥٩
تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧١٩ ١٥٠ ٠

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: هاني ماهر.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2012 Hindawi Foundation for Education and Culture.
All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

فصل عود وانعطاف ٧
فصل في بيت القازدغلية ٣٧
ذكر من مات في هذه الأعوام من أكابر العلماء وأعاظم الأمراء ١١١
وصل في ذكر أخذ العهد بطريق الخلوتية ١٦٣
في ذكر رحلة الأستاذ المترجم إلى بيت المقدس ١٧١
سنة اثنتين وثمانين وماية وألف/١٧٦٨م ١٨٣
سنة ثلاث وثمانين وماية وألف/١٧٦٩م ٢٢٩
سنة أربع وثمانين وماية وألف/١٧٧٠م ٢٥١
سنة خمسة وثمانين وماية وألف/١٧٧١م ٢٧٥
سنة ست وثمانين وماية وألف/١٧٧٢م ٢٨٥
سنة سبع وثمانين وماية وألف/١٧٧٣م ٢٩٣
سنة ثمان وثمانين وماية وألف/١٧٧٤م ٣٠٥
سنة تسع وثمانين وماية وألف/١٧٧٥م ٣٤٣
سنة تسعين وماية وألف/١٧٧٦م ٣٥٣
سنة إحدى وتسعين وماية وألف/١٧٧٧م ٣٦٣

فصل عود وانعطاف

في ذكر حوادث مصر وتراجم أعيانها وولاتها من ابتداء سنة اثنتين وستين ومائة وألف ١٧٤٧م إلى أواخر سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ١٧٥٩م

وذلك بحسب التيسير والإمكان، وما لا يدرك كله لا يترك كله، فنقول: لما عزل الجناب المكرم حضرة محمد باشا راغب في الواقعة التي خرج فيها حسين بك الخشاب ومحمد بك أباظة، ونزل من القلعة إلى بيت ذي عرجان تجاه المظفر كما تقدم، ثم سافر في أواخر سنة إحدى وستين ومائة وألف كما تقدم إلى ثغر رشيد، ووصل حضرة الجناب الأفخم أحمد باشا المعروف بكور وزير، وسبب تلقبه بذلك أنه كان بعينه بعض حول، فطلع إلى ثغر سكندرية ووصلت السعاة ببشاير قدومه فنزلت إليه الملاقاة وأرباب العكاكيز وأصحاب الخدم مثل كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة والترجمان وكاتب الحوالة وغيرهم، وكان الكاشف بالبحيرة إذ ذاك حسن أغا كتخدا بك تابع عمر بك وتوفي هناك، فأرسل عمر بك لكتخداه حسن أغا المذكور بأن يستمر في المنصب عوضا عن مخدومه المتوفى حتى تتم السنة، وخرج عمر بك من مصر واستمر المذكور بالبحيرة إلى أن حضر أحمد باشا المذكور إلى سكندرية، فحضر إليه وتقيد بخدمته وجمع الخيول لركوب أغواته وأتباعه والجمال لحمل أثقاله، وقدم له تقادم وعمل له السماط بالمعدية حكم المعتاد، وعرفه بحاله ووفاة أستاذه وخروج سيدهم من مصر فخاع عليه الباشا صنجقية أستاذه وأعطاه بلاده من غير حلوان، وقال له: «أنت صرت إشراقي» وذلك قبل وصول الملاقاة. ووصل خبر ذلك إلى مصر فأرسل المتكلمون إلى كتخدا الجاويشية يقولون له: إن المذكور رجل ضعيف ولا

يليق بالصنجقية، فقالوا للباشا ذلك فقال: «قبل أن أطلع إلى بلدكم تعارضوني في أحكامي وأنا مثل ما نصبته أكفيه»، واغتاظ وقال: «أنا أرجع من محل ما أتيت»، فسكتوا ووصل إلى رشيد واجتمع هناك براغب باشا وسافر في المركب التي حضر فيها أحمد باشا، وحضر إلى مصر وطلع بالموكب المعتاد إلى القلعة في غرة المحرم سنة اثنتين وستين وماية وألف ١٧٤٨م، وضربوا له المدافع والشناك من أبراج الينكجرية، وعمل الديوان وخلع الخلع على الأمرا والأعيان والمشايخ، وخلصت رياسة مصر وإمارتها إلى إبراهيم جاويش ورضوان كتخدا، وقلد إبراهيم جاويش مملوكه علي أغا، وهو الذي عرف بالغزاوي، صنجقا، وكذاك حسين أغا وهو الذي عرف بكشكش، وكذلك قلد رضوان كتخدا أحمد أغا خازنداره صنجقا، فصار لكل واحد منهما ثلاثة صناجق وهم: عثمان وعلي وحسين الإبراهيمية، وإسماعيل وأحمد ومحمد الرضوانية. ثم إن إبراهيم جاويش عمل كتخدا الوقت ثلاثة أشهر وانفصل عنها، وحضر عبد الرحمن كتخدا القازدغلي من الحجاز وعمل كتخدا الوقت بباب مستحفظان سنتين، وشرع في عمل الخيرات وبناء المساجد وأبطل الخمامير، وسيأتي تتمة ذلك في ترجمته سنة وفاته، وأقام أحمد باشا في ولاية مصر إلى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة وألف ١٧٤٩م، وكان من أرباب الفضائل وله رغبة في العلوم الرياضية، ولما وصل إلى مصر واستقر بالقلعة وقابله

صدور العلماء في ذلك الوقت وهم: الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الجامع الأزهر والشيخ سالم النفراوي والشيخ سليمان المنصوري، فتكلم معهم وناقشهم وباحثهم، ثم تكلم معهم في الرياضيات فأحجموا «وقالوا: لا نعرف هذه العلوم، فتعجب وسكت، وكان الشيخ عبد الله الشبراوي له وظيفة الخطابة بجامع السراية، ويطلع في كل يوم جمعة ويدخل عند الباشا ويتحدث معه ساعة وربما تغدى معه، ثم يخرج إلى المسجد ويأتي إلى الباشا في خواصه، فيخطب الشيخ ويدعو للسلطان وللباشا ويصلي بهم ويرجع الباشا إلى مجلسه وينزل الشيخ إلى داره، فطلع الشيخ على عادته في يوم الجمعة واستأذن ودخل عند الباشا يحادثه، فقال له الباشا: «المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضايل والعلوم، وكنت في غاية الشوق إلى المجي إليها فلما جيتها وجدتها كما قيل: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) فقال له الشيخ: «هي يا مولانا كما سمعتم معدن العلوم والمعارف» فقال: «وأين هي وأنتم أعظم علمائها؟ وقد سألتكم عن مطلوبي من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئًا، وغاية تحصيلكم الفقه المنقول والوسائل، ونبذتم المقاصد»، فقال له: «نحن لسنا أعظم علمائها وإنما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب

الدولة والحكام، وغالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرايض والمواريث كعلم الحساب والعيار»، فقال له: «وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية، بل هو من شروط صحة العبادة كالعلم بدخول الوقت واستقبال القبلة وأوقات الصوم والأهِّلة وغير ذلك»، فقال: «نعم معرفة ذلك من فروض الكفاية، إذ قام به البعض سقط عن الباقين، وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية كرقة الطبيعة وحسن الوضع والخط والرسم والتشكيل والأمور العُطاردية، وأهل الأزهر بخلاف ذلك غالبهم فقراء وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق، فيندر فيهم القابلية لذلك»، فقال: «وأين البعض؟» فقال: «موجودون في بيوتهم يُسعى إليهم»، ثم أخبره عن الشيخ الوالد وعرفه عنه وأطنب في ذكره، فقال: «ألتمس منكم إرساله عندي»، فقال: يا مولانا «إنه عظيم القدر وليس هو تحت أمري»، فقال: «وكيف الطريق إلى حضوره؟» قال: «تكتبون له إرسالية مع بعض خواصكم فلا يسعه الامتناع»، ففعل ذلك وطلع إليه ولبى دعوته وسر برؤياه واغتبط به كثيرًا، وكان يتردد إليه يومين في الجمعة وهما السبت والأربعا، وأدرك منه مأموله وواصله بالبر والإكرام الزائد الكثير، ولازم المطالعة عليه مدة ولايته، وكان يقول: «لو لم أغنم من مصر إلا اجتماعي بهذا الأستاذ لكفاني»، ومما اتفق له لما طالع (ربع الدستور) وأتقنه طالع بعده (وسيلة الطلاب في استخراج الأعمال بالحساب)، وهو مؤلف دقيق للعلامة المارديني، فكان الباشا يختلي بنفسه ويستخرج منه ما يستخرجه بالطرق الحسابية، ثم يستخرجه من التجييب فيجده مطابقا، فاتفق له عدم المطابقة في مسألة من المسائل، فاشتغل ذهنه وتحير فكره إلى أن حضر إليه الأستاذ في الميعاد فأطلعه على ذلك وعن السبب في عدم المطابقة، فكشف له عله ذلك بديها، فلما انجلى وجهها على مرآة عقلة، كاد يطير فرحًا وحلف أن يقبل يده ثم أحضر له فروة من ملبوسه السمور، باعها المرحوم بثمانمائة دينار، ثم اشتغل عليه برسم المزاول والمنحرفات حتى أتقنها، ورسم على اسمه عدة منحرفات على ألواح كبيرة من الرخام صناعة وحفرًا بالأزمير الأزميل كتابة ورسمًا، وعمل له تاريخًا منظوما نقشه عليها وهو هذا.

مـزولـة مـتـقـنـة　　نظيرها لا يوجد
راسمـهـا حـاسـبـهـا　　هذا الوزير الأمجد

تاريخها أتقنها وزير مصر أحمد

ونصب واحدة بالجامع الأزهر في ركن الصحن على يسار الداخل بالركن فوق رواق معمّر، وهي لفضل داير العصر والغروب، وأخرى بسطح جامع الإمام الشافعي وفيها خيط مساترة، وفضل داير، وقسى عصر، وفضل داير الغروب، وأخرى بمشهد السادات الوفائية وهي بشخص واحد للظهر والعصر وغير ذلك، وكان المرحوم الشيخ عبد الله الشبراوي كلما تلاقى مع المرحوم الوافد يقول له: «سترك الله كما سترتنا عند هذا الباشا، فإنه لولا وجودك كنا جميعًا عنده حميرًا»، فرحم الله الجميع.

ووصل الخبر بولاية الشريف عبد الله باشا ووصل إلى سكندرية، ونزل أحمد باشا إلى بيت البير قدار وسافرت الملاقاة للباشا الجديد، ثم وصل إلى مصر في شهر رمضان سنة أربع وستين ومائة وألف ١٧٥٠م وطلع إلى القلعة، فأقام في ولاية مصر إلى سنة ست وستين ومائة وألف، ثم عزل عن مصر وولي حلب فنزل إلى القصر بقبة العزب وهاداه الأمراء، ثم سافر إلى منصبه، ووصل محمد باشا أمين فطلع إلى القلعة وهو منحرف المزاج، فأقام في الولاية شهرين وتوفي في خامس شهر شوال سنة ست وستين ومائة وألف ١٧٥٢م، ودفن بجوار قبة الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه.

وفي هذا التاريخ أحضر بترك الأروام مرسومًا سلطانيًا يمنع طائفة النصارى الشوام من دخولهم كنائس الإفرنج، وإن دخلوا فإنهم يدفعون للدولة ألف كيس، فأرسل إبراهيم كتخدا فأخذ أربعة قسوس من دير الإفرنج، وحبسهم وأخذ منهم مبلغًا عظيمًا من المال، واستمر نصارى الشوام يدخلون كنائس الإفرنج ولعلها من تحيلات إبراهيم كتخدا.

ومن الحوادث أيضًا في نحو هذا التاريخ أن نصارى الأقباط قصدوا الحج إلى بيت المقدس، وكان كبيرهم إذ ذاك نوروز كاتب رضوان كتخدا، فكلم الشيخ عبد الله الشبراوي في ذلك وقدم له هدية وألف دينار، فكتب له فتوى وجوابًا ملخصه أن أهل الذمة لا يمنعون من دياناتهم وزياراتهم، فلما تم لهم ما أرادوا شرعوا في قضاء اشغالهم وتشهيل أغراضهم وخرجوا في هيئة وأبهة وأحمال ومواهي، وتختروانات فيها نساؤهم وأولادهم ومعهم طبول وزمور ونصبوا لهم عرضيا عند قبة العزب، وأحضروا العربان ليسيروا في خفارتهم وأعطوهم أموالا وخلعا وكساوى وإنعامات، وشاع أمر هذه القضية في البلد واستنكرها الناس، فحضر الشيخ عبد الله الشبراوي إلى بيت الشيخ البكري كعادته، وكان علي أفندي أخو سيدي بكري متمرضًا، فدخل إليه يعوده فقال له: «أي شيء هذا الحال يا شيخ الإسلام؟» على سبيل التبكيت «كيف ترضى وتفتي النصارى وتأذن لهم

بهذه الأفعال لكونهم أرشوك وهادوك؟» فقال: «لم يكن ذلك» قال: «بل أرشوك بألف دينار وهدية، وعلى هذا تصير لهم سُنة، ويخرجون في العام القابل بأزيد من ذلك، ويصنعون لهم محملًا ويقال: حج النصارى وحج المسلمين وتصير سُنة عليك وزرها إلى يوم القيامة»، فقام الشيخ وخرج من عنده مغتاظًا وأذن للعامة في الخروج عليهم ونهب ما معهم، وخرج كذلك معهم طايفة من مجاوري الأزهر، فاجتمعوا عليهم ورجموهم وضربوهم بالعصي والمسارق، ونهبوا ما معهم وجرسوهم ونهبوا أيضًا الكنيسة القريبة من دمرداش، وانعكس النصارى في هذه الحادثة عكسة بليغة، وراحت عليهم وذهب ما صرفوه وأنفقوه في الهباء.

(وحضر مصطفى باشا) وطلع إلى القلعة ثالث عشر ربيع الأول سنة سبع وستين ومائة وألف ١٧٥٣م، واستمر واليا على مصر إلى أن ورد الخبر بعزله في أوائل شهر ربيع الأول سنة تسع وستين ومائة وألف، وولاية حضرة الوزير المكرم علي باشا حكيم أوغلى وهي ولايته الثانية، وطلع إلى سكندرية ونزلت إليه الملاقاة وأرباب المناصب والعكاكيز، ثم حضر إلى مصر وطلع إلى القلعة يوم الإثنين غرة شهر جمادي الأولى من السنة المذكورة، وسار في مصر سيرته المعهودة وسلك طريقته المشكورة المحمودة، فأحيا مكارم الأخلاق، وأدر على رعيته الأرزاق، بحلم وبشر ربي عليهما فكانا له طبعًا وصدر رحب لا يضيق بنازلة ذرعًا كما قيل.

خلق كماء المزن طيب مذاقه والروضة الغناء طيب نسيم
كالغيث إلا أن جود يمينه أبدًا وجود الغيث غير مقيم
كالدهر لكن فيه حلم واسع عمن جنى والدهر غير حليم
كالسيف إلا أنه ذو رحمة والسيف قاسي القلب غيررحيم

واستمر في ولاية مصر إلى شهر رجب سنة إحدى وسبعين وماية وألف ١٧٥٧م.

ذكر من مات في هذه الأعوام من العلما والأعيان

مات الإمام العلامة شيخ المشايخ شمس الدين الشيخ/محمد القليني الأزهري، وكان له كرامات مشهورة ومآثر مذكورة منها أنه كان ينفق من الغيب؛ لأنه لم يكن له إيراد ولا ملك ولا وظيفة ولا يتناول من أحد شيئًا وينفق أنفاق من لا يخشى الفقر، وإذا مشى في

السوق تعلق به الفقراء فيعطيهم الذهب والفضة، وإذا دخل الحمام دفع الأجرة عن كل من فيه. توفي سنة أربع وستين ومائة وألف.

ومات الشيخ الإمام الفقيه المحدث المسند/محمد بن أحمد بن يحيى بن حجازي العشماوي الشافعي الأزهري، تفقه على الشيخ عبده الديوي والشهاب أحمد بن عمر الديربي، وسمع الحديث علي الزرقاني، وبعد وفاته أخذ الكتب السنة عن تلميذه الشهاب أحمد بن عبد اللطيف المنزلي وانفرد بعلو الإسناد. وأخذ عنه غالب فضلاء العصر. توفي يوم الأربعاء ثاني عشرين جمادي الأولى سنة سبع وستين ومائة وألف ودفن بتربة المجاورين، وقال بعض شعراء الوقت وهو السيد حسين الإدكوي قصيدة، فأنشدت وقت الصلاة عليه على الدكة مطلعها:

ما بين حرقة أدمعي وتولهي ... نار يؤججها لهيب تولهي
وحشاشة ذابت وقلب كلما ... وجهته للصبر لم يتوجه
يا حسرتي والبين صال ومقلتي ... في حَنْدس الغفلات لم تنتبه
حتى أباد القطب شمس الدين من ... من بعده العلماء لم تتفوه
يا أمة الاسلام يا أهل الهدى ... علماءه من مبتدي أو منتهي
قد مات عشماويكم تبًّا لمن ... بالمجد عن ثوب التأسف ينتهي
يا حزن دم يا دهر سم رتب التقى ... من بعده وافعل بها ما تشتهي
يا أرض مدي يا سماء تشققي ... يا شمس نوحى يا نجوم تأوهي
يا أعين الفضلاء في روض له ... من بعده بالله لا تتنزهي
من بعده للترمذي ومسلم ... أو للبخاري الصحاح الأوجه
مات التقي والزهد معه قد انطوى ... في قبره من رامه لم يشبه
يارب عوض فيه ملة أحمد ... خيرًا به يا من إليه توجهي
فالشافعي نادى ليوم مصابه ... أواه ضاع مذهبي وتفقهي
يا روحه في جنة الفردوس من ... نعم الإله تنعمي وتفكهي
في روضة أرخته بجواره ... لمحمد مهما أحب ويشتهي

ولما بلغت هذه المرثية الشيخ أحمد الجوهري، أنكر هذا الإطراء البالغ، وشدد على قوله: (من بعده العلماء لم تتفوه)، وقال: «هو رفيقنا ونعرف ما عنده من البضاعة»،

وكأنه حصل له في نفسه مثل ما يحصل للمعاصر في معاصره، والله تعالى يعفوعن الجميع بإحسانه.

ومات الشيخ الإمام العلامة/سالم بن محمد النفراوي المالكي الأزهري المفتي الضرير، أخذ عن الشيخ العمدة أحمد النفراوي الفقه، وأخذ الحديث عن الشيخ محمد الزرقاني والشيخ محمد بن علاء الدين البابلي ببيته بالأزبكية والشبراملسي وغيرهم، وكان مشهورًا بمعرفة فروع المذهب واستحضار الفروع الفقهية، وكانت حلقة درسه أعظم الحلق وعليه مهابة وجلالة. توفي الخميس سادس عشرين شهر صفر سنة ثمان وستين وماية وألف.

ومات الشيخ الفقيه المفتي العلامة/سليمان بن مصطفى بن عمر ابن الولي العارف الشيخ محمد المنير المنصوري الحنفي أحد الصدور المشار اليهم، ولد سنة سبع وثمانين وألف بالنقيطة إحدى قرى المنصورة، وقدم الأزهر فأخذ عن شيوخ المذهب كشاهين الأرمناوي وعبد الحي بن عبد الحق الشرنبلالي وأبي الحسن علي بن محمد العقدي وعمر الزهري وعثمان النحريري وفايد الإبياري شارح الكنز، فأتقن الأصول ومهر في الفروع ودارت عليه مشيخة الحنفية، ورغب الناس في فتاويه، وكان جليل القدر عالي الذكر مسموع الكلمة مقبول الشفاعة، توفي سنة تسع وستين ومائة وألف.

ومات الشيخ الإمام الفاضل الصالح الشاعر الأديب/عمر بن محمد بن عبد الله الحسيني الشنواني من ولد القطب شهاب الدين العراقي دفين شنوان، قرأ على أفاضل عصره وتكمل في الفنون وألقى دروسًا بالأزهر، وتوفي في رجب سنة سبع وستين ومائة وألف.

ومات الأجل المكرم الحاج/صالح الفلاح، وهو أستاذ الأمراء المعروفين بمصر المشهورين بجماعة الفلاح وينسبون إلى القازغلية، وكان متمولًا ذا ثروة عظيمة وشح، وأصله غلام يتيم فلاح من قرية من قرى المنوفية يقال لها: الراهب، وكان والده خادمًا لبعض أولاد شيخ البلد فانكسر عليه المال فرهن ولده عند الملتزم وهو علي كتخدا الجلفي ومعه صالح هذا، وهما غلامان صغيران فأقاما ببيت علي كتخدا حتى غلق أبوه ما عليه من المال واستلم ابنه؛ ليرجع به إلى بلده فامتنع صالح وقال: «أنا لا أرجع إلى البلد»، وألف المقام بيت الملتزم واستمر به يخدم مع صبيان الحريم، وكان نبيها خفيف الروح والحركة، ولم يزل يتنقل في الأطوار حتى صار من أرباب الأموال، واشترى المماليك والعبيد والجواري ويزوجهم من بعضهم، ويشتري لهم الدور والإيراد ويدخلهم

في الوجاقات والبلكات بالمصانعات والرشوات لأرباب الحل والعقد والمتكلمين، وتنقلوا حتى تلبسوا بالمناصب الجليلة كتخدايات واختيارية وأمراء طبلخانات وجاويشية وأوده باشية وغير ذلك، حتى صار من مماليكه ومماليكهم من يركب في العذرات فقط نحو المائة، وصار لهم بيوت وأتباع وشهرة عظيمة بمصر وكامة نافذة وعزوة كبيرة، وكان يركب حمارًا ويعتم عمة لطيفة على طربوش وخلفه خادمه، ومات في سن السبعين ولم يبق في فمه سن، وكان يقال له: صالح چلبي والحاج صالح، وبالجملة فكان من نوادر الزمن، وكان يقرض إبراهيم كتخدا وأمراء بالمائة كيس وأكثر وكذلك غيرهم ويخرج الأموال بالربا والزيادة، وبذلك انمحقت دولتهم وزالت نعمهم في أقرب وقت، وآل أمرهم لإلي البوار هم وأولادهم وبواقيهم لذهاب ما في أيدهم، وصاروا أتباعًا وأعوانًا للأمراء المتأخرين.

ومات الأمير إبراهيم كتخدا تابع سليمان كتخدا القازغلي، وسليمان هذا تابع مصطفى كتخدا الكبير القازغلي، وخشداش حسن جاويش أستاذ عثمان كتخدا والد عبد الرحمن كتخدا المشهور، لبس الضلمة في سنة ثمان وأربعين وماية وألف وعمل جاويشًا وطلع سردار قطار في الحج في إمارة عثمان بك ذي الفقار سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، وفي تلك السنة استوحش منه عثمان بك باطنًا؛ لأنه كان شديد المراس قوي الشكيمة، وبعد رجوعه من الحج في سنة اثنتين وخمسين وماية وألف نما ذكره وانتشر صيته، ولم يزل من حينئذ ينمو أمره وتزيد صولته وتنفذ كلمته، وكان ذا دهاء ومكر وتحيل ولين وقسوة وسماحة وسعة صدر وتؤدة وحزم وإقدام ونظر في العواقب، ولم يزل يدبر على عثمان بك، وضم إليه كتخداه أحمد السكري ورضوان كتخدا الجلفي وخليل بك قطامش وعمر بك بسبب منافسة معه على بلاد هوارة كما تقدم حتى أوقع به على حين غفلة، وخرج عثمان بك من مصر على الصورة المتقدمة، فعند ذلك عظم شأنه وزادت سطوته واستكثر من شراء المماليك وقلد عثمان مملوكه الذي كان أغات متفرقة صنجقًا وهو أول صناجقه، وهو الذي عرف بالجرجاوي، ولما قتل خليل بك قطامش وعمر بك بلاط وعلي بك الدمياطي ومحمد بك في أيام راغب باشا بمخامرة حسين بك الخشاب، ثم حصلت أيضًا كاينة الخشاب وخروجه ومن معه من مصر وزالت دولة القطامشة والدمايطة والخشابية، وعزلوا راغب باشا في أثناء ذلك كما تقدم، فعند ذلك انتهت رياسة مصر وسيادتها للمترجم وقسيمه رضوان كتخدا الجلفي، ونفذت كلمتهما وعلت سطوتهما على باقي الأمراء والاختيارية الموجودين بمصر، وتقلد المترجم

كتخدائية باب مستحفظان ثلاثة أشهر ثم انفصل عنها، وذلك كما يقال: لأجل حرمة الوجاق، وقلد مملوكيه عليًّا وحسينًا صنجقين وكذلك رضون كتخدا كما سبق، وصار لكل واحد منهما ثلاثة صناجق، واشتغل المترجم بالأحكام وقبض الأموال الميرية وصرفها في جهاتها، وكذلك العقوبات وغلال الأنبار ومهمات الحج والخزينة ولوازم الدولة والولاة، وقسيمه رضوان كتخدا مشتغل بلذاته ومنهمك على خلاعاته، ولا يتداخل في شيء مما ذكر، والمترجم يرسل له الأموال ويوالي بر الجميع، ويراعي خواطرهم وينفذ أغراضهم، وعبد الرحمن كتخدا مشتغل بالعمائر وفعل الخيرات وبناء المساجد، واستكثر المترجم من شراء المماليك وقلدهم الإمريات والمناصب، وقلد إمارة الحج لمملوكه علي بك الكبير وطلع بالحج ورجع سنة سبع وستين ومائة وألف، وفي تلك السنة نزل على الحجاج سيل عظيم بمنزلة ظهر حمار، فأخذ معظم الحجاج بجمالهم وأحمالهم إلى البحر ولم يرجع من الحجاج إلا القليل.

ومما يحكى عنه أنه رأى في منامه أن يديه مملوءتان عقارب، فقصها على الشيخ الشبراوي فقال: «هؤلاء مماليك يكونون مثل العقارب، ويسري شرهم وفسادهم لجميع الناس فإن العقرب لدغت النبي ﷺ في الصلاة فقال ﷺ: (لعن الله العقرب لا تدع نبيًّا ولا غيره إلا لدغته) وكذا يكون مماليكك» وكان الأمر كذلك، وليس للمترجم مآثر أخروية ولا أفعل خيرية يدخرها في معياده، ويخفف عنه بها ظلم خلقه وعباده، بل كان معظم اجتهاده الحرص على الرياسة والإمارة، وعمر داره التي بخط قوصون بجوار رضوان كتخدا، والدار التي بباب الخرق وهي دار زوجته بنت البارودي والقصر المنسوب إليها أيضًا بمصر القديمة والقصر الذي عند سبيل قيماز بالعادلية، وزوج الكثير من مماليكه نساء الأمراء الذين ماتوا وقتلوا وأسكنهم في بيوتهم، وعمل وليمة لمصطفى باشا وعزمه في بيته بحارة قوصون في سنة ست وستين ومائة وألف وقدم له تقادم وهدايا، وأدرك المترجم من العز والعظمة ونفاذ الكلمة حسن السياسة واستقرار الأمور ما لم يدركه غيره بمصر، ولم يزل في سيادته حتى مات على فراشه في شهر صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف.

ومات بعده رضوان كتخدا الجلفي وهو مملوك علي كتخدا الجلفي تلقد كتخدائية باب عزبان بعد قتل أستاذه بعناية عثمان بك ذي الفقار كما تقدم، ولم يزل يراعي لعثمان بك حقه وجميلته حتى أوقع بينهما إبراهيم كتخدا كما تقدم، ولما استقرت الأمور له ولقسيمة ترك له الرياسة في الأحكام، واعتكف المترجم على لذاته وفسوقه وخلاعاته

ونزهاته، وأنشأ عدة قصور وأماكن بالغ في زخرفتها وتأنيقها وخصوصًا داره التي أنشأها على بركة الأزبكية، وأصلها بيت الدادة الشرايبي وهي التي على بابها العامودان الملتفان المعروفة عند أولاد البلد (بثلاثة وليه). وعقد على مجالسها العالية قبابًا عجيبة الصنعة منقوشة بالذهب المحلول واللازورد والزجاج الملون والألوان المفرحة والصنايع الدقيقة، ووسع قطعة الخليج بظاهر قنطرة الدكة، بحيث جعلها بركة عظيمة وبنى عليها قصرًا مطلًّا عليها وعلى الخليج الناصري من الجهة الأخرى. وكذلك أنشأ في صدر البركة مجلسًا خارجًا بعضه على عدة قناطر لطفية، وبعضه داخل الغيط المعروف بغيط المعدية، بوسطه بحيرة تمتلىء بالماء من أعلى وينصب منها إلى حوض من أسفل ويجري إلى البستان لسقي الأشجار، وبنى قصرًا آخر بداخل البستان مطلًّا على الخليج وعلى الأملاق من ظاهره، فكان يتنقل في تلك القصور وخصوصًا في أيام النيل، ويتجاهر بالمعاصي والراح والوجوه الملاح وتبرج النساء ومخاليع أولاد البلد. وخرجوا عن الحد في تلك الأيام، ومنع أصحاب الشرطة من التعرض للناس في أفاعيلهم، فكانت مصر في تلك الأيام مراتع غزلان ومواطن حور وولدان، كأنما أهلها خلصوا من الحساب، ورفع عنهم التكليف والخطاب، وهو الذي عمر باب القلعة الذي بالرميلة المعروف بباب العزب، وعمل حوله هاتين البدنتين العظيمتين والزلاقة على هذه الصورة الموجودة الآن، وقصدته الشعراء ومدحوه بالقصايد والمقامات والتواشيح، وأعطاهم الجوايز السنية وداعب بعضهم بعضًا، فكان يغري هذا ويضحك منهم ويباسطهم، واتخذ له جلساء وندماء منهم الشيخ علي جبريل والسيد سليمان والسيد حمودة السديدي والشيخ معروف والشيخ مصطفى اللقيمي الدمياطي صاحب «المدامة الأرجوانية في المدايح الرضوانية ومحمد أفندي المدني، وامتدحه العلامة الشيخ يوسف الحفني بقصائد طنانة، وللشيخ عمار القروي فيه مقامة مدحا في المترجم ومداعبة للسيد حمودة السديدي المحلاوي، وأجابه بأبلغ منها مقامة وقصيدة من رويها أديب العصر الشيخ قاسم بن عطاء الله الأديب المصري، والأديب الفاضل الشيخ عبد الله الإدكاوي والعلامة السيد قاسم التونسي، وألف فيه السيخ عبد الله المذكور كتابًا سماه الفوايح الجنائية في المدايح الرضوانية، جمع فيه ما مدح به الأمير رضوان كتخدا من قصايد ولطايف وتواشيح (فمن ذلك) مزدوجة الأديب قاسم، ولندرتها ورقتها أوردتها في هذا المجموع، وهى:

أحمد مولًى مستحق الحمد　　مفتتحًا كتابه بالحمد

وحيا على تكرار ميم الحمد   فهو الذي حاز لواء الحمد
وسيلتي مدحي له وحمدي

بكرت يومًا والهوى مطيعي   أرض الربا في زمن الربيع
أذابها في زخرف بديع   تزهو بثوب سندس وسيع
في حسن وصفهما استمع ما أبدي

بكت بدمع الطل عين النرجس   فأضحكت ثغر الأقاح الألعس
والورد يزهو باحمرار الملبس   مفتحًا أطواقه بالمجلس
قد أرج الروض بنشر الند

روض به ماء الحياة جاري   خضر النبات منه بالجوار
فيه خيال الورد باحمرار   يرى له في الماء زندواري
وعجب في الماء قدح الزند

حديقة بها السرور محدق   جدولها مسلسل منطلق
في جوه نجم الزهور مشرق   والبان ظله غدا يسترق
ومن وجنه الماء احمرار الورد

ظل لطاف قضبها يا قاري   كأنه الأقلام جلَّ الباري
كتب في طرس الغدير الساري   ما حفظته من غنا الأطيار
نقطها الطل بدر العقد

أما ترى الدرَّ بدا للحَدَق   كلل تيجان رءوس الورق
وقد حكى النهر بظل الزنبق   خد السما موردًا بالشفق
كلاهما بالورد زاهي الخد

لما حكى الغدير للسماء   لاح به السماك في ضياء
من فوقه صارت يد الهواء   تنصب للصيد شباك الماء
برقة لم تستطعها الأيدي

شباك در ولجين تُنسجُ   لجوهر الألباب فيها فرج
بها شعاع الشمس حين يهج   بعسجد ترى اللجين يمزج
ليخطف الأبصار عند النقد

تجانب السحب بجند الودق   أرسلها الغرب لحرب الشرق
لنحوه تراسلت بالسبق   وكلما سلت سيوف البرق

يصهل في الملك جواد الرعد
يجول في الملك بأمر الملك   وكأنه الفلك ببحر الفلك
قسطل الشبور للمعترك   محتبك من تحت ذات الحبك
والقطر موصول المدى بالمد
وحوصرت شمس الضحى بالأفق   بعسكر سد جميع الطرق
وبالدما غط قميص الشفق   وانفلقت هام الدجى بالفلق
ومنه حل عقدها ببند
وابتهج الشرق على الظلماء   بالصبح صاحب اليد البيضاء
أخرجها من حلة الدجاء   من غير سوء قد بدت للرائي
لسحر آية الدجي المسوَّد
وقد بدا الصبح وللجو صَعَد   وأصبحت قضب الرياض في ميد
ممتطيات البرد من در البرد   وكل يابس غدا رطب الجسد
وفتحت عين الزهور الرمد
باكر صبوح روضة الزهور   فأبرك الأشباء في البكور
ورد على اللذات والسرور   واترك هوى وساوس الصدور
فمنهل اللذات عذب الورد
ما حسن الصبوح في الصباح   والسكر في روض الربا يا صاح
على خدود الورد والتفاح   والريح تدني مبسم الأقاح
للثم هاتيك الخدود الوُرْد
والورق مذغنت على العيدان   بلين قد ماس غصن البان
والآس فوق وجنة النعمان   من ذا رأى الجنات في النيران
عجبت للتأليف بين الضدِّ
وانظر إلى تلهب الشقيقي   غيظًا على لينوفر غريق
يومي لبنت الكرم بالتعنيق   وبل إلى الرمان بالتحقيق
تراه في صدر الربا كالنهد
أكرم ببنت الكرم والدوالي   من الهموم غرسها دوا لي
بها يطوف مخجل الغزال   كالشمس تجلى في يد الهلال
تقارنا في أفق خان السعد

يرى من الساقي ومنها عجب   إذا بدت في كاسها تلتهب
كأنها من خده تنسكب   وإن يكن لكل خمر حبب
فعرق الجبين درًّا بيدي
لله ما أبهى وما أسناها   في كاسها كالشمس في مرآها
يسعى بها البدر وقد أدناها   من شفتيه اللعس ما أحلاها
إذا مزجت من ريقه بالشهد
شعاعها سطا على الندمان   ساوى شجاع العقل بالجبان
وجالت الحمراء في الميدان   بين صفوف صحبة القناني
كأنها من الدما في برد
مليكة لطيفة المزاج   تختال في برد من الديباج
على جواد أشهب الزجاج   ببهجة احمرارها الوهاج
تحكي خدود قاتلي بالصد
غصين بان خده نزيه   فريد حسن ماله شبيه
يميس في روض البها يتيه   ظبي النقا مستيقظ نبيه
بالمقلة النعسا لصيد الأسد
من دعجة الحور سباها الحور   في مهجتي بها أصاب القدر
طلبت حين لم يفدني الحذر   منهم أمانًا في الهوى لي غدروا
مع أنني عن غيرهم في زهد
لا تنكروا بعد الحجا جنوني   تهتكي في ذلك المصون
وحدثوا أن تصفوا شجوني   به عن البحر وعن عيوني
بدمعها لم تطف نار وجدي
نقيطة خاله سحيق المسك   من فوق خد للهيب يحكي
للقلب حتما يدعي بالملك   واستعبدتني عين ذاك التركي
لما غزاني جفنها بهندي
أبحته قلبي وجفني سكنا   لما أراني منه وجهًا حسنا
وطرفه الساحر لما أن رنا   بسحره كليم قلبي فتنا
ولم يجد عن طوعه من بد
كوكب حسن مشرق لم يأفل   ألحاظه قد جردت سيفَ علي

مهفهف من غيره القلب خلي والسر في السكان لا في المنزل
فأينما كنت حبيبي عندي
مطلب خده بعيد الطلب في كتب الحسن أتى بالعجب
مصباحه يتلو شذور الذهب والعقد في حلية ثغر أشنب
عقيانه لاحت كنجم السعد
أنعم بلون خده المنير مشرب عنه روى الحريري
وباهتزاز عطفه النضير يسكرني النسيم بالعبير
لذاك أعشق الصبا والنجدي
البارق النجدي الذي تبسم من ثغر قد ذكر المتيم
من كحل الجفن له من نظم لو تم سعدي في الهوى واستحكم
كان الزمان ما قضى ببعد
بخده وقده المران عرَّفني ظبى النقا والبان
قاني البها رب الخديد القاني ليس لعطفه الفريد ثاني
يميل ميلات الغصون الملد
روض زها بمشرق الأزهار وأستبدل الدرهم بالدينار
سقته ماء المزن في الأسحار من درها فأنبت الدراري
تبارك الله المعيد المبدي
جاء الربيع والزمان اعتدلا وألبس الغصن من الزهر حلا
والطير ضمنت غناها مثلا إنشادها مولي لقد حاز علا
للكتخدا رضوان رب المجد
أمير مجد أوحد الزمان يفوق معنى كامل المعاني
لو شام برق سيفه اليماني عنتر في ألف من الشجعان
قال اللقا في الحشر: يا ابن وُدِّي
بحر الندى قد ألف المزيدا أضحى سريع جوده مديدا
خليفة الوقت غدا فريدا ولم يزل موفقا ورشيدا
في كل رأى للصواب مهدى
صاعدا أهل المجد رفقا فرقا والأسد ولَّت من سطاه فرقًا
مجمعًا من دهره ما فرقًا أصبح شملُ حاسديه فرقًا

والـنـاس بـيـن رفـقـه والـرفـد

تـراه لـلأحـبـاب فـاق الـوالـدا　　ولـلـعـدا مـجـادلًا مـجـالـدا
أرجوه يحيا في السرور خالدا　　في الجود أعني طارفًا وتالدا

وكـل مـنـسـوب لـه فـي الـودِّ

روع الـعـدى لـلأصدقا يـراعـي　　يـراعـه لـلـعَـضْـب والـيـراع
همـتـه لـلـسـبـع فـي ارتـفـاع　　دع عنك سبع القاع بالبقاع
عـالـي الذرى أعداؤه في الدرك　　إذا سـطـا فـمـا الـحـياة دركي
ليث الشرى في الحرب مثل الشرك　　يرى الملا في اللطف لطف الملك

لـحـسـن وجـهـه بـروحـي أفـدي

دع عـلـة الـتـعـلـيـل بـالأمـانـي　　وأقصد حمى الموصوف بالأمان
وانـف لـبـاس الـبـؤس والأحـزان　　واسأل عن النعيم من رضوان

قـل مـا تـريـد لا تـخـف مـن ردِّ

لذ بأبي الفوز من المخاف　　ومـن بـجـوده يـعـانـي الـعـافـي
تـفـوز بـالأمـن وبـالإسـعـاف　　عـزيـز مـصـر كـامـل الأوصـاف

بيت القصيد بالغًا للقصد

حـليكنا جلت لنا أوصاوفه　　لم يبد في غير العطا إسرافه
ضـيـاؤه قـرت بـه أضـيـافـه　　تفعل في جيش العدا أسيافه

ما يفعل الصرصر يوم الحصد

همام عصر غيث جود هامي　　نـامـي الـعـطـا لـسـائـر الأنـام
مـواصـل الـنـعـيـم بالإنـعـام　　بـقـيـة الـدهـر مـن الـكـرام

أحيا وجود الجود بعد الفقد

ساد الورى عدلًا له روحي الفدا　　فـكـم بـه مـن شـاهـد لـلـكـتـخـدا
روحي الفدا للكتخدا بحر الندا　　ومـن غـدا عـلـى الـكـرام سـيـدًا

فـي عـصـره ومـا لـه مـن ضـد

عفيف أخلاق عن الجاني عفا　　تـخـافـه الأسـد ومـا فـيـه خـفـا
خفيف روح كالنسيم ما هفا　　ألـذ لـلـعـشـاق مـن تـرك الـجـفـا

ومـن وفـاء الـوعـد بـعـد الـبـعـد

كـوكـب مـجـد نـورًا مـشـرقًـا　　يزهو بأفق العز في طول البقا

روض النقا فلا يزال مورقا   لا بالقلا تراه في يوم اللقا
طلق المحيا والحمى والأيدي
أدامه الله برغم الشاني   عزيزَ جاه وعليَّ الشان
جمعًا بمن يحب في أمان   متابعًا للحسن بالإحسان
رضوانه مؤيد بالخلد
يا جنة الفنون والأفنان   محفوظة من طارق وجاني
نسيمها بالروح والريحان   يهدي الشذا للملك الرضوان
بهجة نَد ما لها من نِدِّ
مجلس أنس دام في إشراقه   تبدو شموس الحسن في آفاقه
روض تروض الورق في أوراقه   قد حفظ الحفظ على طباقه
وقد حوى كلَّ مجيد مجدي
معروفه عم جميع الخلق   والجبر لي منه قبول صدق
كأنها يا مالكًا للرقِّ   شمس ولكن لم تزل بالشرق
برهانها قال: النجوم جندي
خريدة فريدة في الآن   شبابها يهزأ بالشيبان
فهاكها في ملبس التهاني   واذكر بها هرون وابن هاني
واعجب لها من ازدواج الفرد
شاهدة للمقري بالفضل   والطل منسوب لجود الوبل
قد تفعل العصاة فعل النصل   والجزء أدنى من فوات الكل
كم حسن سبك أذهب التعدي
حديقة السرور والأسرار   نضيرة الزهور كالنضار
جاءت وليس الشعر من شعاري   تقول للزجاج: لا تماري
ماذا تقول يا بعيد بعدي
تمت معانيها بحسن أكمل   مثل الزهور في الرياض تنجلي
قد بشرت بصفو عيش مقبل   مذ أرخت زاكي حفظ لعلي
أحمد مول مستحق الحمد

وله فيه توشيح عارض به لسان الدين بن الخطيب الأندلسي رحمه الله ومطلعه:

ترك الهجر ووافى كرما ... بعدما كان لعهدي قد نسي
أهيف القد كغصن عَلما ... من نسيم الروض في الميس
مفرد في الحسن ثنى معجبا ... ألف القد بشكل حسن
غصن بان هزَّه ريح صبا ... خده يزهو على الورد الجني
ساحر الجفن أرانا عجبا ... أسره للأسد حال الوسن
قمر في أفق الحسن سما ... لاح من أطواق أسنى الملبس
بدر تم زاد حسنا ونما ... بهجة من فوق قطب الأطلس
جعل الوصل على الحب جزا ... وجلا بالأمن قلبًا وجلا
لحظه الغزال بالسحر غزا ... كم سبا قلبًا وعقلًا عقلا
واهتزاز العطف بالغصن هزَا ... ومن الغيرة أسلى الأسلا
وجهه فاق على بدر السما ... وبنار نوره لم يمس
أطلق الحسن عليه علما ... وزهت وجنته بالقبس
حرس الورد بخال سُبج ... وعليه الآس حرسًا نبتا
وسطت مقلته بالدعج ... مقبلًا يجرحُ أو ملتفتا
عابث القد بحب المهج ... شفتاه لفؤادي شفتا
رَفع القطع ووصلا جَزما ... بانشراح ما بنا من عبس
وتعاهدنا على رشف اللمَّا ... إن ودي عنده لا ينتسي
نصب الهدب لصيدي شركا ... لحظه المرسل في فترته
وبسيف الجفن لما فتكا ... فطر القلب على فطرته
علم العشاق ترك الشركا ... وحذر النار من وجنته
معجز الواصف أبدي حكما ... مذ بدا بالحسن جمعًا مكتسي
فتح الورد بخديه كما ... لين الصلد من القلب القسي
شرف المنزل والوقت صفا ... أهيفٌ حار له من وصفا
تستعير الغيد منه وطفا ... عادني من جار ناري وطفا
جاء طبا لجراحي وشفا ... حين قلبت خدودًا وشفا
كعبة الحسن لكأسي زمزمًا ... وازدري عقد ثغور الأكؤس

قلت: لبيك حبيبي عندما	طاف يسعى بحياة الأنفس
لبست حلة ضوء الشهب	أرجوانية لون وضحا
وبدت في درتاج الحبب	تتهادى في مقامي فرحا
ليلة الوصل لها واعجبي	جمعت لي البدر مع شمس الضحى
وحلالي ثغرُه ملتثما	في عفاف عرضنا لم يدنس
واتخذنا جنة الروض حمى	وهو بالرضوان فيها مؤنسي
كتخدا رضوان كنز الفقرا	بهجة العمر وشمس الزمن
عنده حطت رحال الشعرا	وصفوه كل وصف حسن
فهو مولاهم ومولى الأمرا	وفريد ليس بالمقترن
كفه الغيث على الناس هَمَى	فأعاد الخصب بعد اليبس
صبح الدهر به مبتسمًا	وهو في فيه محل اللعس

ومنه:

في رقاع الحرب للأعدا رمى	سطوة الرخ وفرز الحرس
ضحك السيف وأبكاهم دما	وتخطى شاههم بالفرس

ومن موشحاته أيضًا في المشار إليه من عراق:

عبير الزهر قد نسم	ولاح الورد في أفنان
وساق المزن قد نظم	ثنايا الورد في المرجان
وغصن البانة الأقوم	تحلى سندس الريحان
فما أبهى وما أنعم	عذار الآس في النعمان

(دور)

حبيبي بالذي ورد   شقائق خدك التبري
وثنى قدك المفرد   بخمرة ثغرك الدري
ومنك الجفن قد سود   على هاروت بالسحر
أدر كأس الطلا واغنم   زمان الفوز بالرضوان

(دور)

مليكٌ أوحد العصر   وفيٌّ صادق الوعد
بدا في طلعة البدر   وهيبة طلعة الأسد
صديق العز والنصر   حليف الجود والمجد
لهذا ترجم الأعجم   بمدح الكتخدا رضوان

وقال في نيرز عجم:

نظم الطل عقودا   حول أجياد الغصون
وتمايس قدودا   في حلا زهر الغصون
واجتلي الورد خدودا   نرجسٌ غصن العيون
وشدا الطير غريدًا   هاج بلبال الشجون

(دور)

لبس الورد احمرارا   في حمى روض النعيم
وعلى الأغصان دارا   ساقي القطر العميم
كلما مالت سكارى   علها صرف النسيم
عانقت جيدًا وجيدًا   واشتفت رمد الجفون

(دور)

كتخدا رضوان ذخرى صاحب الوجه المنير
وغنائي عند فقري جابرًا قلبي الكسير
ما احتيالي غير شعري وامتداحي للأمير
في الورى أمسى فريدًا صاحب العز المتين

وقال في رصد:

ريم فلا حين جلا لي كاس طلا شمس وبدر كملا
كف ملا لي وملا سلسال عقد لآل بالحسن اكتسى حللا
خشف حلا غالي يجلي لي فاق على الشمس جلا

(دور)

بدر علا حين تلا لا واكتملا غصن تهادى ثملا
معتدلًا فيه جلا
يختال ذا الميال منه الغصن قد حجلا
زان حلا سالي عذالي بدر على الغصن علا

(خانة أولى)

كم فتتنا حسن سناه حين رنا كالبدر يعلو غصنًا
لاح لنا قاني من أعياني
بالهجران مكحول الأجفان زادني شجنا باللحظ الوسنان
غصن البان الفتان

(خانة ثانية)

وردجنا عزجناه قد حسنا إذ حاز وجهًا حسنا
زاد سنا قاني من أسباني بالعقيان في الثغر المرجان
لو إليَّ دنا منه خمر الحان بالرضوان سعدي آن

(دور المديح)

متصلًا مدح علا من زاد ولا طه إمام الفضلا والنبلا
خير ملا والآل ذي الإجلال في فضل الكريم ولا منه إلى جالي
أهـــو إلـــى ألـــف ســـلام وصـــلا

وقال في حجاز:

يا قوام البان عنك صبري بان
فقت بالفتن عادل الأغصان
والخديد القان كل حسن فان
ذاك عن وسين سله لي يا فان

(خانه)

ذوسنا افتنا مذ رنا وانثنى قامة الغصن وجنة النعمان
القنا للقنا ماثتي عن سنا شكلك الحسن راجي الإحسان

(سلسلة)

أنت مسبي الوالدان والغزلان بالأجفان يا منصان
هــــات بــيـــــن الأفـــنـــــان
خـمـر الـحـان بـالألـحـان فـي الـبـسـتـان

(دولاب)

حسنك الفتان مفرد في الآن
مـــا لـــه مـــن ثـــان
بــدر بــان أم إنــســـان
آن وصلى آن فاترك الهجران
لــيـتــه مــا كـــان
وارحــم فــان بــالأشــجــان

(خانه)

من عنا منعنا راعنا وارعنا أن تعذبني فيك بالحرمان
فاتنا أفتنا هل دنا قربنا سائر الفتن لحظك الوسنان؟

(سلسلة)

فـاشـف قـلـب الـولـهـان
الظمآن من أدنان الندمان
أنت عين الأعيان في الأزمان
رغـم الـشـان يـا ذا الـشـان

(دولاب)

زر أخا شجني في هواك ضني
لا تـطـل هـجـرانـي قـانـي
غاية المنن أن تزر وطني
بـالـجـفـا انـسـانـي قـانـي

(خانه)

ما صغت أذني من يعنفني
فيك أو يلحاني جاني
عنك غيرني لا ولا أنساني
بهجة الزمن غالي الثمن
ثغرك المرجاني حاني
لـسـت عـنـبـه غـنـي
مـطـلـب الـعـقـيـان

(خانه)

ها أنا للضني، كي أنال المنى
ناحل بدني فاقد السلوان
كن لنا محسنًا فالهنا قد دنا
حبي بشرني منك بالرضوان

(المديح)

ذو العطا الهتان والسلطان
في الميدان للشجعان
حسبه ذو التبيان بالقرآن
والبرهان من عدنان

وغير ذلك كثير وستذكر بعضها في تراجمهم.

ولم يزل رضوان كتخدا وقسيمه على إمارة مصر ورياستها، حتى مات إبراهيم كتخدا كما تقدم فتداعى بموته ركن المترجم ورفعت النيام روسها، وتحركت حفايظها ونفوسها، وظهر شأن عبد الرحمن كتخدا القازدغلي وراج سوق نفاقه، وأخذ يعضد مماليك إبراهيم كتخدا ويغريهم ويحرضهم على الجلفيه لكونهم مواليه. فيخلص له بهم ملك مصر ويظن أنهم يراعون حق ولائه وسيادة جده، فكان الأمر عليه بخلاف ذلك كما ستراه، وهم كذلك يظهرون له الانقياد ويرجعون إلى رأيه ومشورته ليتم لهم به المراد، وكل من أمراء إبراهيم كتخدا متطلع للرياسة أيضًا، وبالبلدة أيضًا من الأكابر والاختيارية وأصحاب الوجاهة مثل: حسن كتخدا أبي شنب وعلي كتخدا الخربطلي وحسن كتخدا الشعراوي قرا حسن كتخدا وإسماعيل كتخدا التبانه وعثمان أغا الوكيل وإبرهيم كتخدا مناو وعلي أغا توكلي وعمر أغا متفرقة وعمر أفندي محرم اختيار جاويشان وخليل جاويش حيضان مصلى وخليل جاويش القازدغلي وبيت الهياتم وإبراهيم أغا ابن الساعي وبيت درب الشمس وعمر جاويش الداودية ومصطفى أفندي الشريف، اختيار متفرقة وبيت بلفيه وبيت قصبة رضوان وبيت الفلاح، وهم كثيرون اختيارية وأوده باشيه، ومنهم أحمد كتخدا وإسماعيل كتخدا وعلي كتخدا وذو الفقار جاويش وإسماعيل جاويش وغيرهم، فأخذ أتباع إبراهيم كتخدا يدبرون في اغتيال رضوان كتخدا وإزالته، وسعت فيهم عقارب الفتن، فتنبه رضوان كتخدا لذلك، فاتفق مع أغراضه أتباعه وملك القلعة والأبواب والمحمودية وجامع السلطان حسن، وجمع إليه جمع كثير من أمراه وغيرهم ومن انضم إليهم وكاد يتم له الأمر، فسعى عبد الرحمن كتخدا والاختيارية في إجرا الصلح وطلع بعضهم إلى رضوان كتخدا وقالوا له: «هولا أولاد أخيك وقد مات وتركهم في كنفك مثل الأيتام وأنت أولى بهم من كل أحد، وليس من المروة والرأي أن تناظرهم أو

تخاصمهم، فإنك صرت كبير القوم وهم في قبضتك أي وقت فلا تسمع كلام المنافقين»، فلم يزالوا به حتى انخدع لكلامهم وصدقهم واعتقد نصحهم؛ لأنه كان سليم الصدر، ففرق الجمع ونزل إلى بيته الذي بقوصون، فاغتنموا عند ذلك الفرصة وبيتوا أمرهم ليلًا وملكوا القلعة والأبواب والجهات والمترجم في غفلته آمن في بيته مطمئن من قبلهم ولا يدري ما خُبئ له. فلم يشعر إلا وهم يضربون عليه بالمدافع، وكان المزين يحلق له رأسه فسقطت على داره الجلل فأمر بالاستعداد وطلب من يركن إليهم، فلم يجد أحدًا ووجدهم قد أخذوا حوله الطرق والنواحي، فحارب فيهم إلى قريب الظهر وخامر عليه أتباعه فضربه مملوكه صالح الصغير برصاصة من خلف الباب الموصل لبيت الراحة، فأصابته في ساقه وهرب مملوكه إلى الأخصام وكانوا وعدوه بأمرية إن هو قتل سيده، فلما حضر إليهم وأخبرهم بما فعل أمر علي بك بقتله وقال: «هذا خاين وليس فيه خير»، فشفعوا فيه وأمروا بنفيه.

وعندما أصيب المترجم طلب الخيول وركب في خاصته، وخرج من نقب نقبه في ظهر البيت وتألم من الضربة؛ لأنها كسرت عظم ساقه، فسار إلى جهة البساتين وهو لا يصدق بالنجاة فلم يتبعه أحد ونهبوا داره، ثم ركب وسار إلى جهة الصعيد، فمات بشرق أولاد يحيي ودفن هناك.

فكانت مدته بعد قسيمه قريبًا من ستة أشهر، ولما مات تفرقت صناجقه ومماليكه في البلاد، وسافر بعضهم إلى الحجاز من ناحية القصير، ثم ذهبوا من الحجاز إلى بغداد واستوطنوها وتناسلوا وماتوا وانقضت دولتهما، فكانت مدتهما نحو سبع سنوات، ومصر في تلك المدة هادية من الفتن والشرور، والإقليم البحري والقبلي أمن وأمان والأسعار رخيصة والأحوال مرضية، واللحم الضاني المجروم المشفي من عظمة رطله بنصفين، والجاموسي بنصف والسمن البقري عشرته بأربعين نصف فضة واللبن الحليب عشرته بأربعة أنصاف، والرطل الصابون بخمسة أنصاف، والسكر المنعاد كذلك، والمكرر قنطاره بألف نصف والعسل القطر قنطاره بماية وعشرين نصفًا وأقل، والرطل البن القهوة باثني عشر نصفا والتمر يجلب من الصعيد في المراكب الكبار، ويصب على ساحل بولاق مثل عرم الغلال ويباع بالكيل والأرادب، والأرز إردبه بأربعماية نصف، والعسل النحل قنطاره بخمساية نصف، وشمع العسل رطلة بخمسة وعشرين نصفًا، وشمع الدهن بأربعة أنصاف، والفحم قنطاره بأربعين نصفًا، والبصل قنطاره بسبعة أنصاف، وقس على ذلك.

(يقول جامعة): إني أدركت بقايا تلك الأيام وذلك أن مولدي كان في سنة سبع وستين وماية وألف، ولما صرت في سن التمييز رأيت الأشيا على ما ذكر إلا قليلًا، وكنت أسمع الناس يقولون الشيء الفلاني: زاد سعره عما كان في سنة كذا، وذلك في مبادئ دولة إبراهيم كتخدا وحدوث الاختلال في الأمور. وكانت مصر إذ ذاك محاسنها باهرة، وفضائلها ظاهرة، ولأعداها قاهرة، يعيش رغدًا بها الفقير، وتتسع للجليل والحقير، وكان لأهل مصر سنن وطرايق في مكارم الأخلاق لا توجد في غيرها، (منها) أن في كل بيت من بيوت جميع الأعيان مطبخين: أحدهما أسفل رجالي، والثاني في الحريم فيوضع في بيوت الأعيان السماط في وقتي العشا والغدا مستطيلًا في المكان الخارج مبذولًا للناس، ويجلس بصدره أمير المجلس وحول الضيفان، ومن دونهم مماليكه وأتباعه ويقف الفراشون في وسطه يفرقون على الجالسين، ويقربون إليهم ما بعد عنهم من القلايا والمحمرات، ولا يمنعون في وقت الطعام من يريد الدخول أصلًا ويرون أن ذلك من المعايب، حتى إن بعض ذوي الحاجات عند الأمرا إذا حجبهم الخدام انتظروا وقت الطعام، ودخلوا فلا يمنعهم الخدم في ذلك الوقت، فيدخل صاحب الحاجة ويأكل وينال غرضه من مخاطبة الأمير؛ لأنه إذا نظر على سماطه شخصًا لم يكن رآه قبل ذلك، ولم يذهب بعد الطعام عرف أن له حاجة فيطلبه ويسأله عن حاجته فيقضيها له، وإن كان محتاجًا واساه بشيء، ولهم عادات وصدقات في أيام المواسم مثل أيام أول رجب والمعراج ونصف شعبان وليالي رمضان والأعياد وعاشورا والمولد الشريف، يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة ويملئون من ذلك قصاعًا كثيرة ويفرقون منها على من يعرفونه من المحتاجين، ويجتمع في كل بيت الكثير من الفقراء فيفرقون عليهم الخبز، ويأكلون حتى يشبعوا من ذلك اللبن والزرده، ويعطونهم بعد ذلك دارهم ولهم غير ذلك صدقات وصلات لمن يلوذ بهم ويعرفون منه الاحتياج، وذلك خلاف ما يعمل ويفرق من الكعك المحشو بالسكر والعجمية والشريك على المدافن والترب في الجمع والمواسم، وكذلك أهل القرى والأرياف فيهم من مكارم الأخلاق ما لا يوجد في غيرهم من أهل قرى الأقاليم، فإن أقل ما فيهم إذا نزل به ضيف ولم يعرفه اجتهد وبادر بقراه في الحال، وبذل وسعه في إكرامه وذبح له ذبيحة في العشاء، وذلك ما عدا مشايخ البلاد والمشاهير من كبار العرب والمقادم، فإن لهم مضايف واستعدادات للضيوف ومن ينزل عليهم من السفار والأجناد، ولهم مساميح وأطيان في نظير ذلك خلفًا عن سلف، إلى غير ذلك مما يطول شرحه ويعسر استقصاؤه.

وبموت رضوان كتخدا لم يقم لوجاق العزب صولة.

ومات الأجل المكرم والملاذ المفخم الخواجا الحاج/أحمد بن محمد الشرايبي، وكان من أعيان التجار المشتهرين كأسلافه، وبيتهم المشهور بالأزبكية بيت المجد والفخر والعز ومماليكهم من أعيان مصر جربجية وأمرا ومنهم يوسف بك الشرايبي، وكانوا في غاية من الغنى والرفاهية والنظام ومكارم الأخلاق والإحسان للخاص والعام، ويتردد إلى منزلهم العلما والفضلا، ومجالسهم مشحونة بكتب العلم النفيسة للإعارة والتغيير وانتفاع الطلبة، ولا يكتبون عليها وقفية ولا يدخلونها في موارثيهم، ويرغبون فيها ويشترونها بأغلى ثمن ويضعونها على الرفوف والخزاين والخورنقات وفي مجالسهم جميعًا، فكل من دخل إلى بيتهم من أهل العلم إلى أي مكان بقصد الإعارة أو المراجعة، وجد بغيته ومطلوبه في أي علم كان من العلوم ولو لم يكن الطالب معروفًا، ولا يمنعون من يأخذ الكتاب بتمامه، فإن رده في مكانه رده وإن لم يرده واختص به أو باعه لا يسأل عنه، وربما بيع الكتاب عليهم واشتروه مرارًا ويعتذرون عن الجاني بضرورة الاحتياج.

وخبزهم وطعاهم مشهورة بغاية الجودة والإتقان والكثرة، وهو مبذول للقاصي والداني مع السعة والاستعداد، وجميعهم مالكيو المذهب على طريقة أسلافهم، وأخلاقهم جميلة وأوضاعهم منزهة عن كل نقص ورذيلة، ومن أوضاعهم وطرايفهم أنهم لا يتزوجون إلا من بعضهم البعض، ولا تخرج من بيتهم إمرأة إلا للمقبرة، فإذا عملوا عرسًا ولموا الولايم وأطعموا الفقرا والقراء على نسق اعتادوه، وتنزل العروس من حريم أبيها إلى مكان زوجها بالنسا الخلص والمغاني والجنك تزفها ليلًا بالشموع وباب البيت مغلوق عليهن، وذلك عندما يكون الرجال في صلاة العشاء بالمسجد الأزبكي المقابل لسكنهم، وبيتهم على أثنى عشر مسكنًا كل مسكن بيت متسع على حدته، وكان الأمرا بمصر يترددون إليهم كثيرًا من غير سبق دعوة، وكان رضوان كتخدا يتفسح عند المترجم في كثير من الأوقات مع الكمال والاحتشام، ولا يصحبه في ذلك المجلس إلا اللطفا من ندماه، وإذا قصده الشعرا بمدح لا يأتونه في الغالب إلا في مجلسه؛ لينالوا فضيلتين ويحرزوا جائزتين.

وكان من سننهم أنهم يجعلون عليهم كبيرًا منهم وتحت يده الكاتب والمستوفي والجابي، فيجمع لديه جميع الإيراد من الالتزام والعقار والجامكية، ويسدد الميري ويصرف لكل إنسان راتبه على قدر حاله وقانون استحقاقه، وكذلك لوازم الكساوي للرجال والنساء في الشتاء والصيف ومصروف الجيب في كل شهر، وعند تمام السنة

يعمل الحساب ويجمع ما فضل عنده من المال ويقسمه على كل فرد بقدر استحقاقه وطبقته، واستمروا على هذا الرسم والترتيب مدة مديدة، فلما مات كبارهم وقع بينهم الاختلاف، واقتسموا الإيراد واختص كل فرد منهم بنصيبه يفعل به ما يشتهي، وتفرق الجمع وقلت البركة وانعزل المحبون وصار كل حزب بما لديهم فرحون، وكان مسك ختامهم صديقًا وأخا في الله اللوذعي الأريب، والنادرة المفرد النجيب، سيدي إبراهيم بن محمد بن الداده الشرايبي الغزالي، كان رحمه الله تعالى ملكي الصفات بسام العشيات، عذب المورد، رحيب النادي، واسع الصدر للحاضر والبادي، قطعنا معه أوقاتًا كانت لعين الدهر قرة، وعلى مكتوب العمر عنوان المسرة، وكان لسان حاله يقول:

إذا مضى يوم ولم أصطنع يدًا ولم أقتبس علمًا فما ذاك من عمري

وما زال متاع الحياة بجوهر عمره النفيس، مواظبًا على مذاكرة العلم وحضور التدريس، حتى كدر الموت ورده، وبدد الدهر الحسود بنوايبه عقده، كما يأتي تتمه ذلك في سنة وفاته، وانمحت بموته من بيتهم المآثر، وتبدد بقية عقدهم المتناثر.

ومات أحمد جلبي ابن الأمير علي والأمير عثمان ولم يبق منهم إلا كما قال القائل:

ذهب الذين يعاش في أكناف وبقيت في خلف كجلد الأجرب

وتزوج مماليك القازعلية نساءهم وسكنوا في بيتهم ومنهم سليمان أغا صالح، وتقلد الزعامة وصار بيتهم الوالي، ووقف ببابه الأعوان والزبانية، ويحبس به أرباب الجرائم فيعذبون ويعاقبون، لا يسأل عما يفعل، وكثيرًا ما أتذكر بذكرهم قول القايل:

سقي الله عيشًا في ظلال ربوعهم حلا ذكره في الذوق وهو مدام
ليال لنا في مصر وصل كأنها على وجنه الدهر الممنع شام
يحين حمامي من حنيني ولوعتي إذا ناح فوق الأيكتين حمام

توفي المترجم في سنة إحدى وسبعين وماية وألف.

ومات سلطان الزمان السلطان محمود خان العثماني، وكانت مدته نيفًا وعشرين سنة، وهو آخر بني عثمان في حسن السيرة والشهامة والحرمة واستقامة الأحوال والمآثر الحسنة، توفي ثامن عشر صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف.

وتولى السلطان عثمان بن أحمد أصلح الله شأنه.

ومات النبيه النبيل والفقيه الجليل والسيد الأصيل السيد محمد المدعو حموده السديدي أحد ندماء الأمير رضوان كتخدا، ولد بالمحلة الكبرى وبها نشأ وحفظ القرآن، واشتغل بطلب العلم فحصل مأموله في الفقه والمعقول والمعاني والبيان والعروض، وعانى نظم الشعر وكان جيد القريحة حسن السليقة في النظم والنثر والإنشاء، وحضر إلى مصر وأخذ عن علمائها، واجتمع بالأمير رضوان كتخدا عزبان الجلفي المشار إليه وصار من خاصة ندمائه، وامتدحه بقصايد كثيرة طنانة وموشحات ومزدوجة بديعة، والمقامة التي داعب بها الشيخ عمار القروي وأردفها بقصيدة رائية بليغة في هجو المذكور سامحهما الله، وكل ذلك مذكور في الفوايح الجنانيه لجامعة الشيخ عبد الله الإدكاوي، حج رحمه الله ومات وهو آيب بأجرود سنة ثلاث وستين وماية وألف، ورثاه الشيخ عبد الله الإدكاوي بقصيدة طويلة أولها:

من نصيري على الفراق الأشق   أو من الدهر آخذ لي بحقي

وبيت تاريخها:

ولـه الـحـور بـالـدعـاء تـؤرخ   جود رحما ترب السديدي يسقي

ومات الأجل المكرم محمد جلبي بن إبراهيم جربجي الصابونجي مقتولًا، وخبره أنه لما توفي أبوه وأخذ بلاده وبيتهم تجاه العتبة الزرقا على بركة الأزبكية، فتوفي أيضًا عثمان جربجي الصابونجي بمنفلوط وذلك سنة سبع وأربعين وماية وألف، ومات غيره كذلك من معاتيقهم، وكان محمد جربجي مثل والده بالباب، ويلتجى إلى يوسف كتخدا البركاوي، فلما مات البركاوي خاف من علي كتخدا الجلفي فالتجأ إلى عبد الله كتخدا القازدغلي وعمل ينكجري، فأراد أن يقلده أوده باشه ويلبسه الضلمة، فقصد السفر إلى الوجه القبلي وذلك في سنة أربع وخمسين، فسافر واستولى على بلاد عثمان جربجي ومعاتيقه وقام هناك وكان رذلًا بخيلًا طماعًا شرها في الدنيا، وكان مماليكه يهربون منه، وكانت أخته زوجًا لعمر أغا خازندار أبيه ولم يفتقدها بشيء.

واتفق أن رجلًا من كبار هوارة بحري توفي فأرسل المترجم الي وكيله أحمد أوده باشه، فأخذ له بلاد المتوفى بالمحلول ودفع حلوانها الي الباشا، فأرسل أولاد المتوفى الي

هوارة قبلي عرفوهم أن بلاد أسلافهم أخذها ابن الصابونجي ونازل يتصرف فيها، وطلبوا منهم معونة حتى يرسلوا إلى إبراهيم كتخدا القازدغلي، ويدفعوا الذي دفعه في الحلوان ويخلص لهم بلادهم، فأرسلوا لهم هوارة وعبيدًا وسيمانية فحاربوه وغلبوه، فعدى إلى البر الغربي فوقفوا في مقابلته فخاف منهم أن يعدوا خلفه، فنزل إلى المراكب وأخذ معه صندوق الأوراق والتقاسيط، وحضر إلى مصر ودخل إلى داره بالأزبكية، ثم إن هوارة أرسلت إلى إبراهيم كتخدا فأحضره وتكلم معه وترجى عنده فلم يمتثل، واستمر على عناده فلم يزل ابن السكري يلاطفه فلم يتحول عن ذلك، فأرسل إبراهيم كتخدا وأخذ فرمانًا بنفيه إلى الحجاز، فأخذوه إلى السويس، ومن شدة حرصه أخذ صحبته صندوق الأوراق والتقاسيط والحجج والتذاكر، فلما وصل إلى السويس أرسل خلفه إبراهيم كتخدا فرمانًا صحبه جاويش بقتله، فقتلوه وأحضروا الصندوق إلى إبراهيم كتخدا. وترك ثلاث بنات زوج بنتًا منهن إلى خازنداره وسكن في بيت بحارة الصبية عند سوق أمير الجيوش، وأخذ بيت الأزبكية إبراهيم كتخدا وزوج زوجته إلى خازنداره محمود أغا فأقام معها أيامًا ومات، فزوجها إلى حسين أغا وولاة كشوفية المنصورة، وبعد تمام السنة عمله أمين الشون وأعطاه رضوان كتخدا ولاية البحر وعمله كتخداه مدة أيام، ثم تقلد الإمارة والصجقية بعد موت أستاذه وهو حسين بك المقتول الآتي ذكره.

فصل في بيت القازدغلية

ولما مات إبراهيم كتخدا القازغلي ورضوان كتخدا الجلفي بدأ أمر أتباع إبراهيم كتخدا في الظهور، وكان المتعين بالإمارة منهم عثمان بك الجرجاوي وعلي بك الذي عرف بالغزاوي وحسين بك الذي عرف بكشكش، وهؤلاء الثلاثة تقلدوا الصنجقية والإمارة في حياة أستاذهم، والذي تقلد الإمارة منهم بعد موته حسين بك الذي عرف بالصابونجي وعلي بك بلوط قبان علي بك الكبير وخليل بك الكبير، وأما من تأمر منهم بعد قتل حسين بك الصابونجي فهم حسن بك جوجه وإسماعيل بك أبو مدفع، وأما من تأمر بعد ذلك بعناية علي بك بلوط قبان عندما ظهر أمره فهو إسماعيل بك الأخير الذي تزوج ببنت أستاذه وكان خازنداره، وعلي بك السروجي، فلما استقر أمرهم بعد خروج رضوان كتخدا وزوال دولة الجلفية، تعين بالرياسة منهم على أقرانه عثمان بك الجرجاوي، فسار سيرًا عنيفًا من غير تدبر، وناكد زوجة سيده بنت البارودي وصادرها في بعض تعلقاتها، فشكت أمرها إلى كبار الاختيارية فخاطبوه في شأنها، وكلمه حسن كتخدا أبو شنب فرد عليه ردًّا قبيحًا، فتحزبوا عليه ونزعوه من الرياسة وقدموا حسين بك الصابونجي وجعلوه شيخ البلد، ولم يزل حتى حقد عليه خشداشينه وقتلوه.

وخبر موت حسين بك المذكور أنه لما مات إبراهيم كتخدا قلدوا المذكورة إمارة الحج وطلع سنة ١١٦٩ وسنة ١١٧٠، ثم تعين بالرياسة، وصار هو كبير القوم والمشار إليه، وكان كريمًا جوادًا وجيهًا، وكان يميل بطبعه إلى نصف حرام؛ لأن أصله من مماليك الصابونجي، فهرب من بيته وهو صغير وذهب إلى إبراهيم جاويش فاشتراه من الصابونجي ورباه ورقاه، ثم زوجه بزوجة محمد جربجي بن إبراهيم الصابونجي وسكن بيتهم وعمره ووسعه وأنشأ فيه قاعة عظيمة؛ فلذلك اشتهر بالصابونجي، ولما رجع من الحجاز قلد عبد الرحمن أغا أغاوية مستحفظان، وهو عبد الرحمن أغا المشهور

في شهر شعبان من السنة المذكورة وهي سنة ١١٧٠، وطلع بالحج في تلك السنة، محمد بك ابن الدالي ورجع في سنة إحدى وسبعين، ثم إن المترجم أخرج خشداشه علي بك الكبير المعروف ببلوط قبان ونفاه إلى بلده النوسات، وأخرج خشداشه أيضًا عثمان بك الجرجاوي منفيًّا إلى أسيوط، وأراد نفي علي بك الغزاوي وأخرجه إلى جهة العادلية، فسعى فيه الإختيارية بواسطة نسبيه علي كتخدا الخربطلي وحسن كتخدا أبي شنب، فألزمه أن يقيم بمنزل صهره علي كتخدا المذكور ببركة الرطلي، ولا يخرج من البيت ولايحتك بأحد من أقرانه، وأرسل إلى خشداشه حسين بك المعروف بكشكش فأحضره من جرجا وكان حاكما بالولاية، فأمره بالإقامة في قصر العيني ولا يدخل إلى المدينة، ثم أرسل إليه يأمره بالسفر إلى جهة البحيرة، وأحضروا إليه المراكب التي يسافر فيها ويريد بذلك تفرق خشداشينه في الجهات، ثم يرسل إليهم ويقتلهم لينفرد بالأمر والرياسة ويستقل بملك مصر، ويظهر دولة نصف حرام وهو غرضه الباطني، وضم إليه جماعة من خشداشينه وتوافقوا معه على مقصده ظاهرًا، وهم حسن كاشف جوجه وقاسم كاشف وخليل كاشف جربجي وعلي أغا المنجي وإسماعيل كاشف أبو مدفع وآخر يسمى حسن كاشف وكانوا من أخصايه وملازميه، فاشتغل معهم حسين بك كشكش واستمالهم سرًّا واتفق معهم على اغتياله فحضروا عنده في يوم الجمعة على جري عادتهم، وركبوا صحبته إلى القافلة فزاروا ضريح الإمام الشافعي، ثم رجع صحبتهم إلى مصر القديمة فنزلوا بقصر الوكيل وباتوا صحبته في أنس وضحك، وفي الصباح حضر إليهم الفطور فأكلوه وشربوا القهوة وخرج المماليك ليأكلوا الفطور مع بعضهم، وبقى هو مع الجماعة وحده وكانوا طلبوا منه إنعاما فكتب إلى كل واحد منهم وصولًا بألف ريال وألف إردب قمح وغلال، ووضعوا الأوراق في جيوبهم ثم سحبوا عليه السلاح وقتلوه وقطعوه قطعًا، ونزلوا من القصر وأغلقوه على المماليك والطايفة من خارج، وركب حسن كاشف جوجه ركوبة حسين بك وكان موعدهم مع حسين بك كشكش عند المجرأة مجرى العيون، فإنه لما أحضروا له مراكب السفر تلكأ في النزول، وكلما أرسل إليه حسين بك يستعجله بالسفر يحتج بسكون الريح أو ينزل بالمراكب ويعدي إلى البر الآخر ويوهم أنه مسافر، ثم يرجع ليلًا ويتعلل بقضاء أشغاله، واستمر على ذلك الحال ثلاثة أيام حتى تمم أغراضه وشغله مع الجماعة ووعدهم بالإمريات، واتفق معهم أنه ينتظرهم عند المجراة وهم يركبون مع حسين بك، ويقتلونه في الطريق إن لم يتمكنوا من قتله بالقصر، فقدر الله أنهم قتلوه وركبوا حتى وصلوا إلى حسين بك كشكش فأخبروه بتمام الأمر، فركب

معهم ودخلوا إلى مصر وذهب كَشْكَشْ إلى بيت حسين بك بالداودية وملكه بما فيه وأرسل بإحضار خشداشينه المنفيين، وعندما وصل الخبر إلى علي بك الغزاوي ببركة الرطلي ركب في الحال مع القاتلين، وطلعوا إلى القلعة وأخذوا في طريقهم أكابر الوجاقلية ومنهم حسن كتخدا أبو شنب وهو من أغراض حسين بك المقتول وكان مريضًا بالأكله في فمه وقالوا لبعضهم: إن لم يركب معنا أو أنه اعترض على فعلنا قتلناه، فلما دخلوا إليه وطلبوه نزل إليهم من الحريم، فأخبروه بقتلهم حسين بك فلم يجبهم إلا بقوله: «هو أخوكم وفيكم الخلف والبركة»، فطلبوه للركوب معهم فاعتذر بالمرض فلم يقبلوا عذره، فتطيلس وركب معهم إلى القلعة، وولوا علي بك الكبير البلد عوضًا عن حسين بك المقتول، وكان قتله في شهر صفر سنة إحدى وسبعين، ثم إن مماليكه وضعوا أعضاءه في خرج وحملوه على هجين ودخلوا به إلى المدينة، فأدخلوه إلى بيت الشيخ الشبراوي بالرويعي فغسلوه وكفنوه ودفنوه بالقرافة، وسكن علي بك المذكور بيت حسين بك الصابونجي الذي بالأزبكية، وأحضروا علي بك من النوسات، وعثمان بك الجرجاوي من أسيوط، وقلدوا خليل كاشف صنجقية وإسماعيل أبو مدفع كذلك، وقاسم كاشف قلدوه الزعامة ثم قلدوا بعد أشهر حسن كاشف المعروف بجوجه صنجقية أيضًا، وكان ذلك في ولاية علي باشا ابن الحكيم الثانية، فكان حال حسين بك المقتول مع قاتليه كما قال الشاعر:

وإخوان اتخذتهموه دروعًا ... فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهمو سهامًا صائبات ... فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا: قد صفت منَّا قلوب ... لقد صدقوا ولكن من ودادي
وقالوا: قد سعينا كل يوم ... لقد صدقوا ولكن في فسادي

ولأبي إسحق التلمساني:

الغدر في الناس شيمة سلفت
قد طال بين الورى تصرفها
ما كل من قد سرت له نعمٌ
منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما أعقب الجزاء بها
مضرة عزَّ عنك مصرفها

أما ترى الشمس كيف تعطف بالنور على البدر وهو يكسفها

وأما من مات في هذا التاريخ من الأعيان، خلاف حسين بك المذكور، فالشيخ الإمام الفقيه المحدث الأصولي المتكلم الماهر الشاعر الأديب/عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبراوي الشافعي، ولد تقريبًا في سنة اثنتين وتسعين وألف، وهو من بيت العلم والجلالة، فجده عامر بن شرف الدين ترجمه الأميني في الخلاصة ووصفه بالحفظ والذكاه، فأول من شملته إجازته سيدي محمد بن عبد الله الخرشي وعمره إذ ذاك نحو ثمان سنوات، وذلك في سنة ألف وماية، وتوفي الشيخ الخرشي المالكي في سابع عشرين الحجة سنة واحد وماية وألف، وتولى بعده مشيخة الأزهر الشيخ محمد النشرتي المالكي، وتوفي في ثامن عشرين الحجة سنة عشرين وماية وألف، ووقع بعد موته فتنة بالجامع الأزهر بسبب المشيخة والتدريس بالآقبغاوية، وافترق المجاورون فرقتين: فرقة تريد الشيخ أحمد النفراوي والأخرى تريد الشيخ عبد الباقي القليني، ولم يكن حاضرًا بمصر فتعصب له جماعة النشرتي وأرسلوا يستعجلونه للحضور، فقبل حضوره تصدر الشيخ أحمد النفراوي وحضر للتدريس بالأقبغاوية، فمنعه القاطنون بها وحضر القليني فانضم إليه جماعة النشرتي وتعصبوا له، فحضر جماعة النفراوي إلى الجامع ليلًا ومعهم بنادق وأسلحة، وضربوا بالبنادق في الجامع وأخرجوا جماعة القليني وكسروا باب الأقبغاوية وأجلسوا النفراوي مكان النشرتي، فاجتمعت جماعة القليني في يومها بعد العصر وكبسوا الجامع وقفلوا أبوابه، وتضاربوا مع جماعة النفراوي فقتلوا منهم نحو العشرة أنفار وانجرح بينهم جرحي كثيرة، وانتهبت الخزاين وتكسرت القناديل، وحضر الوالي فأخرج القتلى وتفرق المجاورون ولم يبق بالجامع أحد، ولم يصل فيه ذلك اليوم، وفي ثاني يوم طلع الشيخ أحمد النفراوي إلى الديوان ومعه حجة الكشف على المقتولين، فلم يلتفت الباشا إلى دعواه لعلمه بتعديه وأمره بلزوم بيته وأمر بنفي الشيخ محمد شنن إلى بلده الجدية، وقبضوا على من كان بصحبته وحبسوهم في العرقانة وكانوا اثني عشر رجلًا. وتطاول حسن أفندي نقيب الأشراف على الشيخ النفراوي والشيخ شنن في الديوان بحضرة الباشا ومن جملة ما قال له: «جماعتك المفاسيد الذين هم عاملون طلبة علم يصعدون على المنارة، ويقولون في محل الأذان: يا آل حرام ويضربون بالرصاص في المسجد!!؟» واستقر القليني في المشيخة والتدريس، ولما مات تقلد بعده الشيخ محمد شنن، وكان النفراوي قد مات، ولما مات الشيخ شنن تقلد المشيخة الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي المالكي.

ولما مات في سنة سبع وثلاثين انتقلت المشيخة إلى الشافعية، فتولاها الشيخ عبد الله الشبراوي المترجم المذكور في حياة كبار العلماء، بعد أن تمكن وحضر الأشياخ كالشيخ خليل بن إبراهيم اللقاني والشهاب الخليفي والشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني والشيخ أحمد النفراوي والشيخ منصور المنوفي والشيخ صالح الحنبلي والشيخ محمد المغربي الصغير والشيخ عيد الترمسي، وسمع الأولية وأوايل الكتب من الشيخ عبد الله بن سالم البصري أيام حجه، ولم يزل يترقى في الأحوال والأطوار ويفيد ويملي ويدرس حتى صار أعظم الأعاظم، ذا جاه ومنزلة عند رجال الدولة والأمراء ونفذت كلمته وقبلت شفاعته، وصار لأهل العلم ما عندهم، وعمر دارًا عظيمة على بركة الأزبكية بالقرب من الرويعي وكذلك ولده سيدي عامر عمر دارًا تجاه أبيه وصرف عليها أموالًا جمة، وكان يقتني الظرايف والتحايف من كل شيء، والكتب المكلفة النفيسة بالخط الحسن، وكان راتب مطبخ ولده سيدي عامر في كل يوم من اللحم الضاني رأسين من الغنم السمان يذبحان في بيته، وكان طلبة العلم في أيام مشيخة الشيخ عبد الله الشبراوي في غاية الأدب والاحترام، ومن آثاره كتاب مفايح الألطاف في مدايح الأشراف، وشرح الصدر في غزوة بدر، ألفها بإشارة علي باشا ابن الحكيم، وذكر في آخرها نبذة من التاريخ وولاة مصر إلى وقت صاحب الإشارة، وله ديوان يحتوي على غزليات وأشعار ومقاطيع مشهور بأيدي الناس وغير ذلك كثير، وأوردت في هذا المجموع كثيرًا من كلامه بحسب المناسبات، توفي في صبيحة يوم الخميس سادس ذي الحجة ختام سنة إحدى وسبعين وماية وألف، وصلى عليه بالأزهر في مشهد حافل عن ثمانين سنة تقريبًا.

ومات الشيخ الإمام الأحق بالتقديم الفقيه المحدث الورع الشيخ/حسن بن علي بن أحمد بن عبد الله الشافعي الأزهري المنطاوي الشهير بالمدابغي، أخذ العلوم عن الشيخ منصور المنوفي وعمر بن عبد السلام التطاوني والشيخ عيد النمرسي والشيخ محمد بن أحمد الوزازي ومحمد بن سعيد التنبكتي وغيرهم، خدم العلم ودرس بالجامع الأزهر وأفتى وألف وأجاد، منها حاشيته على شرح الخطيب على أبي شجاع نافعة للطلبة، وثلاثة شروح على الأجرومية وشرح الصيغة الأحمدية وشرح الدلايل وشرح على حزب البحر، وشرح حزب النووي شرحًا لطيفًا واختصر شرح الحزب الكبير للبناني ورسالة في القراءات العشر وأخرى في فضايل ليلة القدر وأخرى في المولد الشريف، وحاشيته على جمع الجوامع المشهورة، وحاشيته على شرح الأربعين لابن حجر، واختصر سيرة ابن الميت وحاشية التحرير وحاشية علي الأشموني، وشرح قصيدة المقري التي أولها سبحان

من قسم الخظوظ وحاشية على الشيخ خالد وغير ذلك، ومن إملائه أو لبعض مشايخه في أقسام الجملة الحالية:

ولزم الواو مضارعًا بقد   وانفرد الضمير في سبع تُعد
ماض تلا إلا ومتلوّ بأو   كذا مضارع بما أولا نفوا
أو مثبت أو أكدت جملة أو   معطوفة والباقي مطلقًا رووا

توفي في عشرين شهر صفر سنة سبعين وماية وألف، ورثاه الشيخ عبد الله الإدكاوي بقصيدتين، لإحداهما غينية مطلعها:

مضى عالم العصر الإمام لربه   حميد المساعي فاندبنه وبالغ

وبيت تاريخها:

ولما قضى ذاك المهذب نحبَه   وآب برضوان من الله سابغ
دعوت أحبائي وقلت لهم قفوا   معي عند ذا التاريخ نبكي المدابغي

والثانية نونية مطلعها:

صبرًا فذا الدهر من عاداته المحن   وفي تلونه قد حارت الفطن

وبيت تاريخها:

والحور جاءتك بالبشرى مؤرخةً   حليت من حلل الأبرار يا حسن

ومات العلامة القدوة شمس الدين/محمد بن الطيب بن محمد الشرفي الفاسي، ولد بفاس سنة عشر وماية وألف واستجاز له والده من أبي الأسرار حسن بن علي العجمي من مكة المشرفة وعمره إذ ذاك ثلاث سنوات، فدخل في عموم إجازته وتوفي بالمدينة المنورة سنة سبعين وماية وألف وتاريخه مغلق عن ستين عامًا، رحمه الله تعالى.

ومات الشيخ/داود بن سليمان بن أحمد بن محمد بن عمر بن عامر بن خضر الشرنوبي البرهاني المالكي الخربتاوي، ولد سنة ثمانين وألف وحضر على كبار أهل العصر

كالشيخ محمد الزرقاني والخرشي وطبقتهما، وعاش حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وكان شيخًا معمرًا مسندًا له عناية بالحديث، توفي في جمادى الثانية سنة سبعين وماية وألف.

ومات الشيخ القطب العارف الواصل الشيخ/محمد بن علي الجزائي القاسمية الشهير بكشك، ورد مصر صغيرًا وبها نشأ وحج وأخذ الطريقة عن سيدي أحمد السوسي تلميذ سيدي قاسم، وجعله خليفة القاسمية بمصر، فلوحظ بالأنوار والأسرار، ثم دخل المغرب ليزور شيخه فوجده قد مات قبل وصوله بثلاثة أيام، وأخبره تلامذة الشيخ أن الشيخ أخبر بوصول المترجم، وأودع له أمانة فأخذها ورجع إلى مصر وجلس للإرشاد وأخذ العهود، ويقال: إنه تولى القطبانية، توفي سنة سبعين وماية وألف.

ومات الشيخ الفقيه الفاضل العلامة/محمد بن أحمد الحنفي الأزهري الشهير بالصايم، تفقه على سيدي علي العقدي والشيخ سليمان المنصوري والسيد محمد أبي السعود وغيرهم، وبرع في معرفة فروع المذهب، ودرس بالأزهر وبمشهد الحنفي ومسجد محرم في أنواع الفنون، ولازم الشيخ العفيفي كثيرًا ثم اجتمع بالشيخ أحمد العريان وتجرد للذكر والسلوك وترك علايق الدينا وليس زي الفقراء، ثم باع ما ملكت يداه وتوجه إلى السويس فركب في سفينة فانكسرت فخرج مجردًا بساتر العورة، ومال إلى بعض خباء الأعراب فأكرمته امرأة منهم وجلس عندها مدة يخدمها، ثم وصل إلى الينبع على هيئة رثة وأوى إلى جامعها، واتفق له أنه صعد ليلة من الليالي على المنارة وسبح على طريقة المصريين، فسمعه الوزير إذ كان منزله قريبًا من هناك، فلما أصبح طلبه وسأله فلم يظهر حاله سوى أنه من الفقراء، فأنعم عليه ببعض ملابس وأمره أن يحضر إلى داره كل يوم للطعام، ومضت على ذلك برهة إلى أن اتفق موت بعض مشايخ العربان وتشاجر أولاده بسبب قسمة التركة فأتوا إلى الينبع يستفتون، فلم يكن هناك من يفك المشكل، فرأى الوزير أن يكتب السؤال ويرسله مع الهجان بأجرة معينة إلى مكة يستفتي العلماء، فاستقل الهجان الأجرة ونكص عن السفر ووقع التشاجر في دفع الزيادة للهجان، وامتنع أكثرهم ووقعوا في الحيرة، فلما رأى المترجم ذلك طلب الدواة والقلم وذهب إلى خلوة له بالمسجد فكتب الجواب مفصلًا بنصوص المذهب وختم عليها وناوله للوزير، فلما قرأه تعجب وقال له: «لم تخف نفسك وأنت من علماء الإسلام والمسلمين؟» فاعتذر بأنه لو قال كذلك لم يصدقه أحد لرثاثة حاله، فحينئذ أكرمه الوزير وأجله ورفع منزلته وعين له من المال والكسوة، وصار يقرأ دروس الفقه والحديث هناك حتى اشتهر أمره وأقبلت عليه الدينا، فلما

امتلأ كيسه، وانجلى بؤسه، وقرب ورود الركب المصري، رأى الوزير تفلته من يده فقيد عليه ثم لما لم يجد بدًّا عاهده على أنه يحج ويعود إليه، فوصل مع الركب إلى مكة وأكرم وعاد إلى مصر، ولم يزل على حالة مستقيمة حتى توفي عن فالج جلس فيه شهورًا في سنة سبعين وماية وألف وهو منسوب إلى سفط الصايم إحدى قرى مصر من أعمال الفشن بالصعيد الأدنى، ولم يخلف في فضايله مثله، رحمه الله.

ومات الإمام الأديب الماهر المتفنن أعجوبة الزمان علي بن تاج الدين محمد بن عبد المحسن بن محمد بن سالم القلعي الحنفي المكي، ولد بمكة وتربى في حجر أبيه في غاية العز والسيادة والسعادة، وقرأ عليه وعلى غيره من فضلاء مكة، وأخذ عن الواردين إليها، ومال إلى فن الأدب وغاص في بحره فاستخرج منه الآلئ والجواهر، وطارح الأدبا في المحاضر فبان فضله وبهر برهانه، ورحل إلى الشام في سنة اثنتين وأربعين وماية وألف واجتمع بالشيخ عبد الغني النابلسي فأخذ عنه، وتوجه إلى الروم وعاد إلى مكة وقدم إلى مصر سنة ستين، ثم غاب عنها نحو عشر سنين، ثم ورد عليها وحينئذ كمل شرحه على بديعيته وعلى بديعيتين لشيخه الشيخ عبد الغني وغيره ممن تقدم وهي عشر بديعيات، وشرحه على بديعيته ثلاث مجلدات قرظ عليه غالب فضلاء مصر كالشبراوي والإدكاوي والمرحومي، ومن أهل الحجاز الشيخ إبراهيم المنوفي، وهذا تقريظ الشبراوي نقلته من ديوانه:

أذاك ثغر تبسم　　أم ذاك لطف تجسم
أم روضة قد تغنى　　شحرورها وترنم
أم الصبا حين هبت　　أزالت الهم والغم
أم برق نعمان لما　　بدا من الغور أوهم
أم ذاك بلبل فضل　　عن المحاسن ترجم
أم ذاك عهد المصلي　　نحو العذيب ويمم
قد كنت أعتب دهري　　وأحسب الدهر أعقم
وطالما ساء ظني　　وقلت: يا دهر كم كم
كم جاهل يتألى　　وفاضل يتألم
وكم طلبت عليمًا　　فقال: لا لا وصمم

وقلت: يا دهر مه مه ... فصد عني وهمهم
فقلت: دهري بخيل ... بالفضل والله أكرم
وكاد فكري ينادي ... ربع المعالي تهدم
حتى رأيت عجيبًا ... من فضلك الباهر ألجم
فقال لي: مدح هذا ... فرض عليك محتم
وفي امتداح سواه ... لزوم ما ليس يلزم
هذا هو الفضل هذا ... مقام من رام يغنم
وعقد در فريد ... نماه بيت محرم
مرباه بانات نجد ... وسرح ذاك المخيم
محاسن ليس تحصى ... وحدها ليس يعلم
وإن ترد منتهاها ... أعيتك، والصمت أسلم
يا واحد العصر لطفًا ... يا ابن المقام وزمزم
أنت الهمام المفدَّى ... إن سلم الضد أو لم
أنت الذي حزت مجدًا ... يكفي الورى لو تقسَّم
أنت الذي لو رآه ... بديع همذان سلم
أو كان للسعد سعد ... لكان منك تعلم
فيا رعى الله خطًا ... بالحظ معناه قد عم
أفديه خطًّا ولفظًا ... أتى من اليد والفم
إن قلت: خط على ... فالحظ أعلى وأعظم
أو قلت: حفظ قوى ... فالفهم أقوى وأقوم
أو قلت: فرع زكي ... فالأصل تاج مكرم
لا واخذ الله دهرًا ... فيما مضى كان أجرم
سامحت دهري لما ... رأيته بك أنعم
وقد وجدتك تبدي ... لفظًا كدر منظم
لله درك حبرًا ... أعطيت في الفضل ما لم
فكل لفظك لطف ... وكل معناك محكم
فإن تفه ببديع ... فهو البديع المتمم
وإن أتيت بنظم ... أشجيت كل متيم

وإن تكلمت نثرًا أعربته وهو معجم
وكلما قلت قولًا فذاك قول مسلم
وإن أقمت دليلًا فهو الدليل المقوم
ماذا أقول إذا ما أردت أن أتكلم؟
أوصافك الغر فاقت عما أحيط وأعلم
يا دهر أنعمت فاغفر ما كان مني وارحم
ويا لساني تأخر ويا بناني تقدم
فما له من نظير في الذات والكيف والكم
وكل وصف جميل لغيره فيه قد تم
وكيف أثني عليه وفضله ألجَم الفم
وغاية الأمر أن عجزت والله أعلم

وكان للمترجم بالوزير المرحوم علي باشا ابن الحكيم التئام زايد؛ لكونه له قوة يدٍ ومعرفة في علم الرمل، وكان في أول اجتماعه به في الروم أخبره بأمور فوقعت كما ذكر، فازداد عنده مهابة وقبولًا، ولما تولى المذكور ثاني توليته وهي سنة سبعين، قدم إليه من مكة من طريق البحر، فأغدق عليه ما لا يوصف، ونزل في منزل بالقرب من جامع أزبك بخط الصليبة، وصار يركب في موكب حافل تقليدًا للوزير، ورتب في بيته كتخدا وخازندارًا والمصرف والحاجب على عادة الأمراء، وكان فيه الكرم المفرط والحياء والمروة وسعة الصدر في إجازة الوافدين مالًا وشعرًا، ومدحه شعراء عصره بمدايح جليلة، منهم الشيخ عبد الله الإدكاوي له فيه عدة قصايد وجوزي بجوايز سنية، ولما عزل مخدومه توجه معه إلى الروم، فلما ولي الختام ثانيًا زاد المترجم عنده أبهة حتى صار في سدة السلطنة أحد الأعيان المشار إليهم، واتخذ دارًا واسعة فيها أربعون قصرًا ووضع في كل قصر جارية بلوازمها، ولما عزل الوزير ونفي إلى إحدى مدن الروم سلب المترجم جميع ما كان بيده، ونفي إلى سكندرية فمكث هناك حتى مات في سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف شهيدًا غريبًا، ولم يخلف بعده مثله، وله ديوان شعر ورسايل منها «تكميل الفضل بعلم الرمل»، «ومتن البديعية»، سماه «الفرج في مدح عالي الدرج»، اقترح فيها بأنواع منها وسع الاطلاع والتطريز والرث والاعتراف والعود والتعجيب والترهيب والتعريض، وأمثلة ذلك كله موضحة في شرحه على البديعية، ومن مقاطيعه وفيه التذييل.

بوجهك الحسن زاه وأنت بالحسن زاهر
ومن سنائك واف وأنت يا بدر وافر
وإن طرفي ساه وجفنه منك ساهر
ومن صدودك شاك ومن وصالك شاكر

وله فيه الجناس المعنوي المضمر:

كلام هذا الثغر مثل الرقي يذهب عني يا حبيبي الكلام
فقلت: ما لو خالي على لام عذار قلت: هذاك لام

وله فيه الجناس اللفظي:

ضنت بوصلي وظنت أن سلوت وما ظن العذول بمن لا ضن بالمال
غاظت عليَّ وما غاضت محبتها وعاضدت غيظها مع قول عذالي

وله فيه الجناس المطلق والتام المستوفي:

إن الظريف الذي أهواه قد ذهبا وصرت في فرق مذ فرق الذهبا
وجدت بالروح كي يرضى بها فأبى وقال: هل هي في ملك الذي وهبا؟

وله وفيه الجناس المفروق:

بوادي الصالحية بدر تم فديت جماله من صالحي
إذا ما صال من واديه قوم وجالوا قال لي: قد صال حيي

(وله في مدح أستاذه الشيخ عبد الغني وفيه المدح بما يشبه الذم)

ولا عيب في عبد الغني سوى غنى العلوم وتقوى الله مع نصح خلقه
ومعرفة الدنيا جميعًا لكشفه فمن ذا يقم حقًّا بواجب حقه؟

(وقال) الشيخ عبد الله الإدكاوي في مجموعته المسماة (بضاعة الأريب من شعر الغريب) ما نصه: «ولما كان عام ثمان وخمسين وماية وألف، قدم علينا محروسة القاهرة، ذات المزايا الباهرة، المولى الفاضل الكامل، الأديب الألمعي، والأريب اللوذعي، نور الدين علي بن تاج الدين الحنفي المكي القلعي، عالم مكة ومفتيها كان تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأظهر من بدايعه الغريبة، وروايعه المطرية العجيبة، بديعته الغراء، وفريدته العذراء، المسماة الأنواع العجيبة الاختراع، وابتدع أنواعًا لم يسبقه إليها سابق، ولا لحقه فيها لاحق، منها نوع سماه وسع الاطلاع، بديع الأوضاع، وقدر الله باجتماعي على ذلك الفاضل، وأسمعني من بديع ألفاظه وألفاظ بديعه، ما غدا القلب به والهًا واهل، وشنف سمعي من نوع وسع الاطلاع بقصايد هي للعقول مصايد، تطفلت حينئذ على فصاحته الناصعة، وعزمت على السباحة في تلك اللجة الواسعة، فمدحته بهذه القصيدة:

صب بوعدك كم مطلته ... هاجرته هلا أجرته!
سهران نام مسامروه ... هجعًا هلا أنمته
كمد دواعي بأسه ... هاجت تحكم ما أثرته
عان نواه كراه هلا ... أبت تكريمًا أرحته
يشكو ومن نيرانه ... هو وارد دمعًا أسلته
أضحى يؤكد داءه ... هيمانه هلا أزلته
يا محنة تُصبى يحل ... لديك كم مشق قتلته

إلى آخرها، وهي طويلة، قال: فحين قدمتها إليه، وتشرفت بلم يديه، أجاز وتطول، ومدح وطول، وأوقفني مما اقترحه على نوع ثان سماه (العود يعجز لب الفاضل عن البدء فيه والعود) ورأيته نظم منه بيتين أطرب من الثاني والثالث، وقال في عبارة «لأعز عندي من عزهما بثالث»، فعملت له من هذا النوع قصيدة مدحته بها وهي:

عقيق دمعى غدا في الجذع كالديم ... مذ بان سكان بان الحي والعلم
وانهل مسجمًا من نار مضطرم ... ملآن وجدًا إلى خشف بذي سلم
ظبي نفور أنيس ناعس يقظ ... بالليل متشح بالصبح ملتم
أحوى أغن رشيق أحور غنج ... نشوان صاح ظلوم عادل حكم

إن أرضَ يغضب وإن أقرب نأى صلفا ... وإن أذل يته بالعز والشِّمَم
مهفهف ما بدت للغصن قامته ... إلا انثنى ذابل الأوراق ذا ضَرَمِ
وإن تبسم ما برق بكاظمة ... له وميض يجلِّي داجيَ الظلم
ما فيه عيب سوى تفتير مقلته ... وفتكها في فؤاد المدنف السقم
حلا ابتسامًا جلا وجهًا سبى قمرًا ... لان انعطافًا قسا قلبًا على الأمم
ابن الطفيل يحييه الفؤاد فدع ... أبا معاذ ملامي وارعَ لي ذممي
لست الرشيد ولا المأمون في عذلي ... عن العزيز المليك البارع الفهم

ثم أورد أبياتًا في العود كما تقدم ذكره في ترجمته ثم قال:

وعذ ولذ واحترز بالمفرد العلم ... ابن المفرد العلم ابن المفرد العلم
هو الهمام الذي أضحت فضايله ... بين الورى وهي كالأمثال في الكلم
يمم حماه وباعد من سواه تنل ... ندى يعمك، ذا فيض الحيا العمم

فالعلم والحلم والإفضال والحسب الصميم فيه مع العلياء والهمم، ثم قال:

أيا علي بن تاج الدين يا علم الآداب ... يا طاهر الأعراق والشيم
اسمع فرائد در من محبك الاد ... كاوي في قدرك الموصوف بالعظم
في سلكها نوع عود أنت سيدنا ... حقًّا أبو عذرة إذ كان في القدم
نوع عجيب غريب في مهامه ... يحار كل فصيح في المقال كمي
من بحرك الرائق العذب اغترفت فلا ... بدع إذا فاق در العقد في القيم
فأمعن الفكر فيه هل به خلل؟ ... أم جاء وفق الذي أبدعت من حكم؟
وأسلم ودم ما شدت ورقاء في فنن ... وازدان طرس بتنميق من الكلم

فلما وقف على هذه بعد الأولى قال: «أنت بالتقريظ على بديعتي من كل أحد أولى» فقلت له: «لست أهلًا لذلك»، فقال: «بل أنت أقوى من كل أحد في سلوك هذه المسالك»، فلما رأيت وابل إلحاحه، أوردت هاطل نجاحه، فافتتحت قايلًا:

قف لدى ذا الروض وانتشق   عبقًا ناهيك من عبق
روض آداب بدايعه   نزهة الآذان والحدق
حفظ الرحمن منشئه   ذا الكمال الطيب الخلق
العلي اسما ومنتسبا   من سما بالتاج للأفق

إلى أن قال:

دام مولانا ينزهنا   في معاني حسنها الأنق
ما شكا الأشجان ذو شجن   أوشدت ورقاء ورقاء في الورق

ثم تمم نثر التقريظ بما هو مذكور في مجموعته، لم أكتبه خوفًا من الملل، ثم قال: «فلما أمعن النظر فيما رقمته، وتأمل ما قلته، قال: «هذا من مثلك لا يكفي، ولا يطفئ الغليل ولا يشفي، بل لا بد من تقريظ آخر على نوع وسع الاطلاع من جنسه الأنيق» فقلت: «اعفني من الخوض في هذا البحر العميق» فقال: «لا بد من القول، واستعن بذي الطول»، فمددت القلم، واستعنت باري النسم، وقلت: يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، أبدعت نظام هذا العالم وعلم هذا النظام، إلى آخره، وفيه قصيدة عينية أولها:

بديع حبانا به ذا البديع   بعيد على غيره لا يطيع
بديع لبيد لديه بليد   وليس بدان إليه مطيع

وهي طويلة وفي آخرها التقريظ:

لئن كان ما أهديت نحوك سيدي   غدا قاصرًا عن قد در نظمته
فعذرًا فذا جهد المقل ووسع   الاطلاع عزيز يا عزيز علمته
فإن راق معناه فأثبته فالذي   وحباك به المداح قبلي رقمته
ألا فدعه في الزوايا وقل: هنا   أقم وادعًا واكتمه فيما كتمته

وختمه بعد الدعاء بقصيدة لامية مطرزة، وبعدها جواب عن اعتراض ناقشته فيه بعض المعاصرين، وقد نظم الجواب والنقل والدليل في سبعة عشر بيتًا.

ومات على بن جبريل المتطبب شيخ دار الشفاء بالمارستان المنصوري رئيس الرؤسا، والماهر الذي طود فضله رسا، أتقن في فن الطب وشارك في غيره من الفنون.

(ومن كلامه يمدح مجلس السادات) وكان السيد عبد الرحمن العيدروس حاضرًا فيه:

والله لم يحو هذا في الورى أحد ... ممن تقدم في عصر لنا سلفنا
إذًا أبصرت مقلتي قطبين قد جمعا ... العيدروس وعبد الخالق بن وفا

وكان أحد جلسا الأمير رضوان كتخدا الجلفي ونديمه وأنيسه وحكيمه وعند ليب دوحته وهزار روضته، وكان أحد من منحت له يمين ذلك الأمير بالألوف، حتى أصبح بنعمته في جنات دانية القطوف، فمن بعض هباته الواصلة إليه، وصلاته الحاصلة لديه، أن وهب له بيتًا على بركة الأزبكية، رؤيته تسر النفوس الزكية، وصفه عجيب، ورونقه بديع غريب، زجاجي النواحي والأرجا، من حيث التفت رائيه رأى منظرًا بهجًا، وقد مدحه أحبابه منهم الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي، ومنهم الشيخ عبد الله الإدكاوي بما هو مذكور في (الفوايح الجنانية في المدايح الرضوانية)، ومن شعر المترجم في ممدوحه المشار إليه:

يا شادنًا دنا ومر ... وراح يهزو بالقمر
ومخجلًا بان الربا ... ووالسمهريَّ إن خطر
يا بابليَّ اللحظ يا ... من للعقول قد سحر
يا من بأشراك الهوى ... لعاشقين قد أسر
الليث أنت إن سطا ... أنت الغزال إن نفر
يتيه في عشاقه ... تيه الملوك بالظفر
عذاره لما بدا ... سبي لربات الحُجَر
رأينه أكبرنه ... وقلن: ما هذا بشر
وخده لما اختشى ... بأن يصاب بالنظر
أرخى العذار ساترًا ... فصار يخطف البصر
لم يبق من حسن يرى ... لغيره ولم يذر

حاز البديع حسنه وجامعًا حسن الصور
فشعره مطول والخصر منه مختصر
في مصر أضحى مفردًا مثل العزيز المعتبر
غيث الندى رضوان من زماننا به افتخر
لو رام جعفرٌ يكون مثله لما قدر
يعطي النوال باسمًا ولم يشبه بالكدر
فالله واقيه لما يخشاه من بأس وضر

وقد شطر هذه القصيدة الشيخ عبد الله الإكاوي بما هو مذكور في ديوانه (وله أيضًا) تشطير أبيات صفوان بن إدريس، ويخلص منه إلى مخدومه وهي:

يا حسنه والحسن بعض صفاته رشأ يدير الراح من لحظاته
فاللين منحصر بقامة قده والسحر مقصور على حركاته
بدر لو أن البدر قيل له: اقترح شيئًا يحاكي فيه بعض سماته
أو قيل: ماذا أن تكون مؤملًا أملًا؟ لقال: أكون من هالاته
وإذا هلال الشك قابل وجهه بأقل ما يعطاه من درجاته
ولحظت صفحة خده بلطافة أبصرته كالشكل في مرآته
والخال نقط في صفيحة خده مسكًا على ورد زها بنباته
عجز ابن مقلة أن يكون مصورًا ما خط حبر الصدع من نوباته
ركب المآثم في انتهاب نفوسنا لم يخش يوم العرض من عرصاته
وهو المعذب أنفسنا ذلت له فالله يجعلهن من حسناته
ما زلت أخطب للزمان وصاله والمرء مجبول بحب حياته
وأبثه الشوق الذي وهن الحشا حتى دنا والبعد من عاداته
فغفرت ذنب الدهر منه بليلة فطرت — مما أبدته — قلب وشاته
نسخ البعاد بحكمها فهي التي غطت على ما كان من زلاته
بتنا نشعشع والعفاف نديمنا وأريه من كنز التقى آياته
وغدا السرور يدير فيما بيننا خمرين من غزلي ومن كلماته
ضاجعته والليل يذكي تحته حرًّا توقد من مدى جفواته

سامرته والقرب يشعل بيننا جمرين من ولهى ومن وجناته
حتى إذا ولع الكرى بجفونه وأزال ما يبديه من حركاته
وغدا يرنح كالقضيب قوامه وامتد في عضديَّ طوع سناته
أوثقته في ساعديَّ؛ لأنه شيء يعز عليَّ وقت فواته
أودعته شرك الشعورفإنه ظبي خشيت عليه من نفراته
وضممته ضمَّ البخيل لماله يخشى عليه الدهر من فلتاته
مغرى به لا يستطيع فراقه يحنو عليه من جميع جهاته
عزم الغرام عليَّ في تقبيله فنهاه داعي النسك عن هماته
وقضى اشتياقي فيه لثم أكفه فنفضت أيدي الطوع من عزماته
وأبى عفافي أن يقبل ثغره أو أجتني ما طابَ من لذاته
وأرى العواذل عزة وتجلدًا والقلب مجبول على حسراته
فاعجب لملتهب الجوانح غلة يقضي أسى والبرء في راحاته
أنفت خلائقه الإساغة حيثما يشكو الظما والماء في لهواته
لا يستطيع تخلصًا مما به لا بمدح أخى العلا وحياته
رضوان أوحد من تفرد بالعطا فمنائح الأجواد بعض هباته
المانح الإحسان كفَّ نزيله والمانع اطمئنان قلب عداته
فنداه كالبحر العباب تدفقًا وصلاته تحكي لفرض صلاته
والفارس المقدام في يوم الوغا والمرهب الآساد في وثباته
لا زال بشر السعد في أبوابه يهدي الهنا والعز في ساحاته
يمسي ويصبح والعيون قريرة منه بمن بهم حلي روضاته
أقمار عز في سماء سيادة أشبال ليث في ذرا غاباته
أبقاهم رب العباد بعزةٍ يبقاه في حال الزمان وآته
متنعمين بروض أنس ناضر يهدي الصفا لهم صبا نفحاته
أهدي إليه قصيدة حسنًا زهت ميَّاسة كالبان في عذباته
لو أسمعوا صفوان حسن مديحه وبديع ذي التشطير من أبياته
ليقول من فرط السرور مؤرخًا حقًّا به تزهو بحسن صفاته

وقال يمدحه بهذه الأبيات الثلاثة، التي معاني سحرها في ذوي العقول نفاثة وهي:

وأبيك ما رضوان إلا آية شهدت بذاك شهامة الأفعال
يهب المواهب جمة بسماحة مترفعًا عن منة وملال
حتى يصير المعدَمون برفده مترفعين على ذوي الأموال

وقد شطرها جملة من أدباء العصر كما هو مذكور في تراجمهم، وقال مهنئًا بشفائه ومؤرخًا:

وجه الزمان بك ابتهج وبدا بجبهته البلج
يا واحد العصر الذي فيه لقد جاء الفرج
وبه الهنا أرخ لنا صحت بصحته المهج

وله في هذا المعنى مؤرخًا.

هل السرور فثغر الدهر مبتسمُ وزال عن وجهه الإغضاء والغمم
وأقبل البشر يثني عطفه مرحًا وجيش عزك في مضناك يزدحم
وصامت الناس حتى كل ناظرهم ومذ ظهرت هلالًا عمهم نعم
أحييت بالبرء روح المكرمات كما أمت بالجود فقرًا وجهه كظم
فاهنأ ببرء لقد عاد السرور به واستبشرت أمم من بعدها أمم
مذ صح جسمك فالتاريخ ينشدنا قد عوفي المجدُ والإسداء والكرمُ

ولما تغيرت دولة مخدومه وتغير وجه الزمان، عاد روض أنسه ذابل الأفنان، ذا أحزان وأشجان، لم يطب له المكان، ودخل اسم عزه في خبر كان، وتوفي في نحو هذا التاريخ.

ومات العمدة الأجل النبيه الفصيح المفوه الشيخ/يوسف بن عبد الوهاب الدلجي وهو أخو الشيخ محمد الدلجي، كلاهما ابنا خال المرحوم الوالد، وكان إنسانا حسنًا ذا ثروة وحسن عشرة وكان من جملة جلساء الأمير عثمان بك ذي الفقار، ولديه فضيلة ومناسبات، ويحفظ كثيرًا من النوادر والشواهد، وكان منزله المشرف على النيل ببولاق

مأوى اللطفاء والظرفاء ويقتني السراري والجواري، توفي سنة إحدى وسبعين وماية وألف. عن ولديه حسين وقاسم وابنة اسمها فاطمة موجودة في الأحياء إلى الآن.

ومات الشيخ النبيه الصالح/علي بن خضر بن أحمد العمروسي المالكي، أخذ عن السيد محمد السلموني والشهاب النفراوي والشيخ محمد الزرقاني، ودرس بالجامع الأزهر وانتفع به الطلبة، واختصر المختصر الخليلي في نحو الربع ثم شرحه، وكان إنسانًا حسنًا منجمعًا عن الناس مقبلًا على شأنه، توفي سنة ثلاث وسبعين وماية وألف.

ومات الأستاذ المبجل ذو المناقب/الحميدة، السيد شمس الدين/محمد أبو الإشراق بن وفا وهو ابن أخي الشيخ عبد الخالق، ولما توفي عمه في سنة إحدى وستين وماية وألف خلفه في المشيخة والتكلم، وكان ذا أبهة ووقار محتشمًا سليم الصدر كريم النفس بشوشًا، توفي سادس جمادى الأولى سنة أحدى وسبعين وماية وألف، وصُلي عليه بالأزهر وحمل إلى الزاوية فدفن عند عمه، وقام بعده في الخلافة الأستاذ مجد الدين محمد أبو هادي بن وفا رضي الله عنهم أجمعين.

ومات الإمام العلامة الفريد الفقيه الفرضي الحيسوبي الشيخ/حسين المحلي الشافعي، كان وحيد دهره وفريد عصره فقهًا وأصولًا ومعقولًا، جيد الاستحضار والحفظ للفروع الفقهيه، وأما علم الحساب الهوائي والغباري والفرائض وشباك ابن الهانم والجبر والمقابلة والمساحة وحل الأعداد فكان بحرًا لا تشبهه البحار. ولا يدرك له قرار، وله في ذلك عدة تآليف ومنها شرح السخاوية وشرح النزهة والقلصاوي، وكان يكتب تآليفه بخطه ويبيعها لمن يرغب فيها، ويأخذ من الطاليبن أجرة على تعليمهم، فإذا جاء من يريد التعلم وطلب أن يقرأ عليه الكتاب الفلاني تعزز عليه وتمنع ويساومه على ذلك بعد جهد عظيم، ويقول: «أنا لا أبذل العلم رخيصًا»، وكان له حانوت بجوار باب الأزهر يتكسب فيه ببيع المناكيب لمعرفة الأوقات والكتب وتسفيرها، وألف كتابًا حافلًا في الفروع الفقهية على مذهب الإمام الشافعي، وهو كتاب ضخم في مجلدين معتبر مشهور معتمد الأقوال في الإفتاء، وله غير ذلك كثير، وبالجملة فكان طودًا راسخًا تلقى عنه كثير من أشياخ العصر، ومنهم شيخنا الشيخ محمد الشافعي الجناجي المالكي وغيره. توفي سنة سبعين وماية وألف، رحمه الله.

ومات الشيخ الإمام المعمر القطب أحد مشايخ الطريق صاحب الكرامات الظاهرة، والأنوار الساطعة الباهرة/عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي بن عبد القادر بن أبي العباس بن عبد القادر بن أبي العباس بن شعيب بن محمد بن القطب

سيدي عمر المرزوقي العفيفي المالكي البرهاني، يتصل نسبه إلى القطب الكبير سيدي مرزوق الكفافي المشهور، ولد المترجم بمنية عفيف إحد قرى مصر ونشأ بها على صلاح وعفة، ولما ترعرع قدم إلى مصر فحضر على الشيخ المالكية في عصره الشيخ سالم النفراوي أيامًا في مختصر الشيخ خليل، وأقبل على العبادة وقطن بالقاعة بالقرب من الأزهر بجوار مدرسة السنانية وحج فلقي بمكة الشيخ إدريس اليماني، فأجازه وعاد إلى مصر، وحضر دروس الحديث على الإمام المحدث الشيخ أحمد بن مصطفى الإسكندري الشهير بالصباغ ولازمه كثيرًا حتى عرف به، وأجازه مولاي أحمد التهامي حين ورد إلى مصر بطريقة الأقطاب والأحزاب الشاذلية والسيد مصطفى البكري بالخلوتية، ولما توفي شيخه الصباغ لازم السيد محمد البليدي في دروسه، من ذلك تفسير البيضاوي بتمامه. وروى عنه جملة من أفاضل عصره كالشيخ محمد الصبان والسيد محمد مرتضى والشيخ محمد بن إسماعيل النفراوي، وسمعوا عليه صحيح مسلم بالأشرفية، وكان كثير الزيارة لمشاهد الأولياء متواضعًا لا يرى لنفسه مقامًا متحرزًا في مأكله وملبسه لا يأكل إلا ما يأتي إليه من زرعه من بلده من العيش اليابس مع الدقة، وكانت الأمرا تأتي لزيارته ويشمئز منهم ويفر منهم في بعض الأحيان وكل من دخل عنده يقدم له ما تيسر من الزاد من خبزه الذي كان يأكل منه، وانتفع به المريدون وكثروا في البلاد وأنجبوا، ولم يزل يترقى في مدارج الوصول إلى الحق حتى تعلل أيامًا بمنزله الذي بقصر الشوك، وتوفي في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وسبعين وماية وألف، ودفن بجوار سيدي عبد الله المنوفي، ونزل سيل عظيم وذلك في سنة ثمان وسبعين وماية وألف فهدم القبور وعامت الأموات فانهدم قبره، وامتلأ بالماء فاجتمع أولاده ومريدوه وبنوا له قبرًا في العلوة على يمين تربة الشيخ المنوفي، ونقلوه إليه قريبًا من عمارة السلطان قايتباي، وبنوا على قبره قبة معقودة وعملوا له مقصورة ومقامًا من داخلها وعليه عمامة كبيرة وصيروه مزارًا عظيمًا يقصد للزيارة ويختلط به الرجال والنساء، ثم أنشأوا بجانبه قصرًا عاليًا عمره محمد كتخدا أباظة، وسوروا له رحبة متسعة مثل الحوش لموقف الدواب من الخيل والحمير دثروا بها قبورًا كثيرة بها كثير من أكابر الأولياء والعلماء والمحدثين وغيرهم من المسلمين والمسلمات، ثم إنهم ابتدعوا له موسمًا وعيدًا في كل سنة يدعون إليه الناس من البلاد القبلية والبحرية، فينصبون خيامًا كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوي، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعيب والغوازي والبغايا والقرادين والحواة فيملئون الصحراء والبستان، فيطئون القبور ويوقدون عليها النيران،

ويصبون عليها القاذورات ويبولون ويتغوطون ويزنون ويلوطون، ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلًا ونهارًا، ويستمر ذلك نحو عشرة أيام أو أكثر ويجتمع لذلك أيضًا الفقهاء والعلماء وينصبون لهم خيامًا أيضًا، ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار بل ويعتقدون أن ذلك قربة وعبادة، ولم لم يكن كذلك لأنكره العلماء فضلًا عن كونهم يفعلوه، فالله يتولى هدانا أجمعين.

ومات الشيخ الأجل المعظم سيدي/محمد بكري بن أحمد بن عبد المنعم بن محمد بن أبي السرور محمد بن القطب أبي المكارم محمد أبيض الوجه بن أبي الحسن محمد بن الجلال عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن محمد بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن الحسن بن موسى بن يحيى بن يعقوب بن نجم بن عيسى بن شعبان بن عيسى بن داود بن محمد بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وكان يقال له: سيدي أبو بكر البكري شيخ السجادة بمصر وكان نقش خاتمه:

أبو بكر الصديق جدي وإنني   لسبط رسول الله طه محمد

ولاه أبوه الخلافة في حياته لما تفرس فيه النجابة مع وجود إخوته الذين هم أعمامه، وهم أبو الدهب وعبد الخالق ومحمد بن عبد المنعم فسار في المشيخة أحسن سير، وكان شيخًا مهيبًا ذا كلمة نافذة وحشمة زائدة تسعى إليه الوزرا والأعيان والأمرا، وكان الشيخ عبد الله الشبراوي يأتيه في كل يوم قبل الشروق يجلس معه مقدار ساعة زمانية، ثم يركب ويذهب إلى الأزهر، ولما مات خلف ولده الشيخ سيد أحمد، وكان المترجم متزوجًا بنت الشيخ الحنفي فأولدها سيدي خليلًا وهو الموجود الآن، تركه صغيرًا فتربى في كفالة ابن عمه السيد محمد أفندي ابن علي أفندي الذي انحصرت فيه المشيخة بعد وفاة ابن عمه الشيخ سيد أحمد مضافة إلى نقابة السادة الأشراف كما يأتى ذكر ذلك إن شاء الله، وكانت وفاة المترجم في أواخر شهر صفر سنة إحدى وسبعين وماية وألف.

ومات أيضًا في هذه السنة السلطان عثمان خان العثماني، وولى السلطان مصطفى بن أحمد خان، وعزل علي باشا ابن الحكيم وحضر إلى مصر محمد سعيد باشا في أواخر رجب سنة إحدى وسبعين وماية وألف، واستمر في ولاية مصر إلى سنة ثلاث وسبعين وماية وألف، وفي تلك السنة أعني سنة إحدى وسبعين وماية وألف نزل مطر كثير سالت منه السيول.

ومات أفضل النبلاء وأنبل الفضلاء، بلبل دوحة الفصاحة وغريدها، من انحازت له بدايعها طريفها وتليدها، الماجد الأكرم/مصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي، وهو أحد الإخوة الأربعة وهم: عمر ومحمد وعثمان والمترجم أولاد المرحوم أحمد بن محمد بن أحمد بن صلاح الدين اللقيمى الدمياطي الشافعي سبط العنبوسي وكلهم شعراء بلغاء. ومن محاسن كلامه وبديع نظامه مدامته الأرجوانية في المقامة الرضوانية التي مدح بها الأمير رضوان كتخدا عزبان الجلفي، وهو مقامة بديعة بل روضة مريعة، وقد قال في وصفها وبديع رصفها شعرًا:

نسجت بمنوال البديع مقامة | وتزركشت بالحسن والإبداع
رقت حواشيها وَوَشْيُ طروزها | بجواهر الترصيع والإيداع
وغدت بحلي مديح رضوان العلى | طوال المدى تجلى على الأسماع

وابتدأها بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم، حمدًا لمن أنهج مناهج مباهج الإسعاد، وسلك بنا سبل معارج الإرشاد، والصلاة والسلام على صفوته من العباد، سيدنا ومولانا محمد ملجأ الخلايق يوم المعاد، القايل وقوله الحق يهدي إلى طريق الرشاد: «اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه»، فيا نعم ما أنعم به وأفاد، وعلى آله وأصحابه السادة الأمجاد، والتابعين لهم والسالكين مسالك السداد، ما لبى الكريم دعوة الوفود والقصاد، وأتحفهم ببلوغ المنى وحصول المراد.

(وبعد) فقد حكى البديع بشير بن سعيد، قال: حدثني الربيع بن رشيد، قال: هاجت لي دواعي الأشواق العذرية، وعاجت بي لواعج الأتواق الفكرية، إلى ورود حمى مصر المعزية البديعة، ذات المشاهد الحسنة والمعاهد الرفيعة، لأشرح بمتن حديثها الحسن صدري، وأروح بحواشي نيلها الجاري روحي وسري، وأقتبس نور مصباح الطرف من ظرفائها، وأقتطف نور أدواح الظرف من لطفائها، وأستجلي عرايس بدايع معاني العلوم، على منصات الفكر محلاة بالمنثور والمنظوم، وأستمد من حماتها السادة أسرار العناية، وأسترشد بسراتها القادة أنوار الهداية، وأمتع الطرف بغرر دولتها العلية، وأشنف السمع بدرر سيرتها السنية، فنشرُ عرف علاها قد عطر الآفاق ولواء وصف حلاها في الخافقين خفاق، فامتطيت طرف العزم، مسرجًا بالحزم، وبغيت بعد السكون على الحركة مع الجزم، واتخذت حادي الجوى في السير دليلي، وباعث الهوى سميري في مسرحي مقيلي،

وواصلت السرى بالغدو والرواح، وهجرت الكرى في العشي والصباح، فأسعفتني مع الرعاية فاتحة الألطاف، وأسعدتني مع الوفاية خاتمة المطاف، بوصولي إلى حماها الزاهي المحروس، والحلول بربابا الزاكي المأنوس، فلما أذنت لي حماتها بالدخول من بابها، وأزهرت عن وجهها الأزهر برفع نقابها، فإذا هي مدينة جمعت متفرقات المحاسن، ذات رياض بهجة وماء غير آسن، غرة المدن بل عروسة البلدان، عليها تعقد الخناصر فما صنعاء وما عبادان، لقد حلت من الحسن بمكان مكين، وتحلت بحلي الزينة بأحسن تزيين، غياضها تروح الأرواح القدسية وتسر النفوس، ورياضها تنفح الأرواح المكية ولا عطر بعد عروس، تنادي أفياء ظلها الظليل، هلموا إلى طيب مقال وحسن مقيل، تتيه على غيرها من الأمصار مائسة الأعطاف، بما تحويه من عيشها الهني وثمارها الدانية القطاف، شعر:

إن يكن في البلاد طيب نعيم　　　أو رياض لها بها إعزاز
فبمصر حقيقة عن يقين　　　مستعار بغيرها ومجاز

فجعلت أطوف بخلال المسالك والشوارع، وأرمق أفلاك القصور التي هي للبدور مطالع، وتأملت في زيج لامع سيرها القويم، وقومت طالع عزها بأحسن تقويم، فأنتج أن كوكب سعدها مشرق، وناظر مجدها له السيادة تشرق، فهي بعزة أمرائها وقوة عساكرها قاهرة لأضدادها، ظافرة على مناظرها، قد حفظت بهم الثغور والقرى والضياع، وأمنت السراة في مسالكها فلا خوف ولا ضياع، فهم الكماة في الحروب فوق متون الضوامر، وهم الكفاة للضروب في الهيجاء وبدور العساكر، أنفوا الخضوع للأعداء فعزت منهم النفوس، وألفوا الولوع بعوالي الأسلحة فاتخذوها وشاحًا والدروع لبوس، فكم خفقت لهم في الغزوات رايات نصر وفتح، وتليت في وصفهم بمجامع العزمات آيات ثناء ومدح، شعر:

مصر زهت بين البلاد بمعشر　　　خفقت لهم بسما العلا رايات
فهم الأعزة طاب نشر حديثهم　　　وبمدحهم تتلى لنا آيات

(ولما) حللت بواديها المشرق الباهر، ونزلت بناديها المورق الزاهر، استوطنت في أعاليها شرفًا، وتبوأت من مغانيها غرفًا، وبسطت لي من الأنس والسرور نمارق، ونصبت

عليَّ من الإيناس والحبور سرادق، ووافتني الأحبة الأذكياء إخوان الصفاء، وصافتني الأعزة الأتقياء أخدان الوفاء، مجمع أفراحنا رياض الأدب واللطايف، ومربع أرواحنا غياض الطلب والمعارف، نحتسي كؤوس الهنا بحانات التهاني، ونجتلي عرايس المنى بنغمات المثالث والمثاني، كوكب المسرة بأفق الإسعاد مزهر، وقمر المبرة بمطلع الإسعاف مبدر، فبينما نحن على هذه الحالة التي وصفت، ومشاريع مواردنا الحالية راقت وصفت، إذ نظر الدهر إلى نظرة عابث، ورماني من كنانته بأعظم حادث، نضبت به حياض معاشي، وذبلت منه رياض انتعاشي، حرمت منه مفروض حقي الواجب، وصار حظي المنع وليس ثم حاجب، فقُيِّدت عن التصرف في وقفي المطلق، وأصبح باب الوصول إليه دوني مغلق، فتكدرت عند ذلك صافيات المشارب، وتنكرت بعد تعريفها واضحات المآرب، وحرمت ما بين دائرتي الاشتباه والاختلاف، واعتراني مع العلل جميع أنواع الزحاف، وعز التوسل للتوصل بحسن الخلاص، والقضاء ينادي ولات حين مناص، مفرد:

عز الخلاص ولات حين تصبر من حادث قد قل فيه المسعف

فبينما أنا حاير في فيافي الافتكار، تايه في متاهة الحيرة الشاسعة القفاز، إذ هتف بي هاتف من سما الانتباه، أزال ما بقلبي من واردات الوهم والاشتباه، وقال: أيها السابح في لجج أحزانه، السايح بفجاج قلقه وأشجانه، إلى كم تحيد عن طرق معالم التدبير، ولا تجيد الهمة في طلب المغيث ولا النصير، أين أنت من المنجد عزيز الجار، أين أنت من المسعد حامي الذمار؟ حرم الأمن والالتجا، وكعبة القصد وركن اليمن والنجا، وطيبة الوفد قدس المنتمي، ونزهة المستملح وطور سينا المحتمي وبغية المستمنح مدينة الآمال، ومدين المآرب وعرينة الإقبال، وصنعاء المطالب ذي المجد السامي مقامه على الفرقد، ومن كوكب عزه بمطلع السعد يتوقد. شعر:

أمير به عبن المعالي قريرة وكوكبه الزاهي يتيه على البدر
فلذ بحماه تلق عزًّا فإنه غدا كعبة الآمال والأمن في مصر
له همة تعلو على كل همة وهمته الصغرى أجل من الدهر

فقلت: «من هذا الأمير الحايز لهذه الأوصاف؟ فزدني من حديثك يا سعد عنه بلسان الإنصاف»، فقال: «هو في الكرم أسمح من حاتم، ومنتهى من تنسب إليه مآثر

المكارم، ففضل عطاياه أنسى هبات الفضل وجعفر، ومن ساواهما به، فعن كمال وصفه قصر، وفي الشجاعة أقدم من عنترة المشهور، وأثبت من قسورة الأسد الهصور، وأذكى من إياس في نباهته، وأبلغ من المأمون في فصاحته، وله في حسن التدبير كمال انتظام وجمال انتساق، وهو في حلبة السبق يوم الرهان حايز قصب السباق، ولله در الشاعر اللبيب في الوصف الجلي، حيث أشار إلى بديع هذا الوصف العلي:

وما خلقت كفاه إلا لأربع لعقايل لم يخلق لهن ثوان
تقبيل أفواه وإعطاء نايل وتقليب هندي وحبس عنان

(فقلت): أقسم بمن خصه بهذه الأوصاف السنية. وتوجه بتاج المواهب اللدنية، وبمن أسمى قدره الأسمى على كيوان، لا تكون هذه المزايا المعدودة، والسجايا المحمودة، إلا لأمير الندى وفريد الأوان، حضرة الكتخدا رضوان، فقال: لله درك من عارف بوصفه السني، وغارف من مشرع نعته الحالي ومورده الهني، وها أنا أتحفك بمعمي في اسمه العزيز، فاستخرجه بضوء نار مصباح قلبك وميزه بأحسن تمييز، وهو:

هو الإمام في الندى والالتجا فلذ به
فكم سما على العلا وضاء نور قلبه

(فقلت): أحسنت في لطف الإشارة، وأجدت في ظرف العبارة، ولقد أسمعني في وصف جنابه الكريم، مادحه المولى اللبيب الجارى على أسلوب الحكيم، أبياتًا مخترعة لنفسه دقيقة المعاني، رقيقة الألفاظ حالية بديعة المباني، فشطرتها أحسن تشطير، وها أنا ببعضها مشير، وهي:

وأبيك ما رضوان إلا آية سمحت بها جودًا يد الإفضال
صدقت قضايا فضله وكماله شهدت بذاك شهامة الأفعال

ثم أطلقت في الحال عنان المسير، ممتثلًا أمر المشير وبالله التيسير، ويممت الحمى مترجيًا حصول النجاح، يخفق بطريق الاجتماع راية الأفراح، فعندما وصلت لناديه الرحب البهيج، وروض واديه الخصب الأريج، ولاح ضياه بوارق أنوار رحابه، وقفت

متيمنًا مستبشرًا بفتح بابه، فقلت جدير بهذا الباب الأسعد، أن يسطر عليه بمداد اللجين والعسجد.

باب تلا الإسعاد آية فتحه   وروى بشير السعد مسند نُجْحه
وغدت حواشي الروح زاهية بما   وترويه نصًّا عن بدايع شرحه
والعز للرضوان قال مؤرخًا   سعدٌ بباب قد حبيتُ بفتحه

ولما صدقت قضايا الوصول، وقامت براهين الإذن بالداخل، سرحت الناظر في مناهج بدايع مغانيه، وشرحت الخاطر بمباهج صنيع معانيه، فرأيته منزلًا محكم البناء رفيع العماد، محفوفا بالممالك متحوفًا بأبدع الخدم والأجناد، فما صغد سمرقند وما شعب بوان، وما الخورنق والسدير وذات العماد والإيوان، معاهده مشاهد جمال زاهية مشرقة، ومشاهده معاهد كمال باهية مونقة.

أنعم بمنزل عز طاب منظره   وفاق في صنعة الإتقان إيوانا
به بدائع حسن قط ما اجتمعت   في ملك قيصر أو كسرى ونعمانا
فالسعد والمجد في أرجاء دوحته   قد أرخوه حبى عزًّا ورضوانا

قد زينت سماؤه مصابيح نجوم من النقوش العسجدية، وكسيت أرضه بديباج مرقوم من الفرش الجوهرية، أحاطت به الرياض كالمناطق بالخصور، وزهت مناظرها الباهرة بالمنظوم والمنثور، أينع بها النرجس الغض والورد الجني، وأزهر الشقيق القاني والسوسن السني، يتبسم فيها النسيم فرحًا لبكاء الغمام الهتَّان، ويتنفس بالبنفسج ترحًا لضحك ثغور الأقحوان، تنفح كمايمها بعرف الكبا والطيب، وتصدح حمائمها بوصف الربا والحبيب، فأغصانها بلطيف الصبا تتثنى، والعندليب كما قال الشاعر بالإنشاد يتغنى:

روضة زينت بحسن زهور   عطر الكون نشرها
رقص بان لعندليب تغنى   وثنايا النسيم فيها ضواحك

قد ابتهجت به قاعة أنس عالية القباب، حالية بوشي النقوش المديحة والتبر المذاب، مشيدة البنيان على أرفع وضع غريب، جيدة الإتقان بأبدع صنع عجيب.

يا حبذا قاعة العز التي ابتهجت   أرجاؤها وزهت بالمنظر العجيب
يروي لنا نقشها الزاهي حديث حُلى   مسلسلًا بالضيا نصًّا عن الذهب
نفائس البشر بالرضوان قد كملت   بحانها ودواعي الأنس والطرب
بها الأحبة تُسرى كالكواكب في   أفلاكها وضياء البدر لم يغب
لو أم شيطان هم أفق دوحتها   رمته أفراحها نبلا من الشهب
روض لآداب الكمال فلا   زال الهنا مزهرًا في روضها الخصب
بشرى لها حيث ناداها مؤرخها   يا قاعة تزدهي بالعز والأدب

فالظبا تسرح آنسة بربع مرابعه، والمها تمرح مائسة بسوح مراتعه، والغزلان آمنة في سريه والآرام، والغزالة ترمقهم بعين الغيرة من تحت سجف الغمام، تشير إلى عيون ابن الجهم جفونها، وتثير حرب البسوس مع السلم عيونها، يخجل أعطاف الأغصان ميل قدودها، ويفصح شقايق النعمان صبغة خدودها، وتنسى بالخفر أخبار عزة وسعاد، وتنشئ بالحور للمنساك صبوة وسهاد، كما قلت:

من كل ظبي رشيق القد ذي هيف   يزري سناه بدور التم في السحب
حالي المراشف معسول الرضاب له   لحظٌ يصول به في معرض اللعب
قيق خصر كدين الصب رقته   فعنه حدِّث فكم يحوي من العجب

وحين لمحت ما سرني وأبهجني، ولحظت ما أبهني وهيجني، قضيت مما شاهدته العين طربًا، وكاد القلب أن يتخذ سبيله في بحر الهوى عجبًا، لكني غضضت طرف ناظري حياءً وأدبًا، وأمسكت طرف خاطري رهبًا ورعبًا، وتقدَّمت إلى صدر ذلك المجلس الرفيع، الحاوي لكل بديع حسن وحسن بديع، فرأيت إيوانًا زاهي النقوش تحار العقول في وصفه، وشممت أرجًا يروِّح النفوس بعرفه، فأذكرني روضات الربيع الزهية، ونفخ كمايم أزهارها المسكية، فقلت:

بادر إلى الأنس واستجل المحاسن من   إيوان حسن زها في نقشه العجب

كأنه الروض إبان الربيع حلا ... يبدو شذا عرفه كالمندل الرطب
وساجعات الهنا أضحت بدوحته ... تشدو بطيب علا الرضوان في طرب
قد زخرفت بمذاب التبر قبته ... ووشيت بنضار غير منسكب
فاسمع أحاديثها تروى مؤرخة ... مسلسلًا حليها زهوًا عن الذهب

وشاهدت شمس الإسعاف مشرقة بأفق ذلك الإيوان، وقد كسيت أرجاؤه بحلل الرضا والرضوان، وفي صدره الصدر الأمير المنصور المؤيد، صاحب المجد السامي والسعد النامي والعز المؤيد، أدام الله بهجة مصر المعزية بدوام حضرته، ووالى تجديد أفراحها ببقاء غرة نضرته، وجدير بمن يحظى بمشاهدة جنابه المجيد، أن يترنم بما توجته وهو قول الشاعر المجيد:

حقيق لمصر أن تتيه تفاخرًا ... برضوانها إذ كان عين حلاها
هلال لياليها وإنسان عينها ... وبدر دياجيها وشمس ضحاها
مؤيدها منصورها وجوادها ... وجامع شملي مجدها وعلاها

ورأيت بمجلسه جملة من خاصته، سمراء مسايرته، وندماء مسامرته، ما بين أنيس أريب، ورئيس لبيب، وعليم أديب، ونديم رقيق، وكاتب نسيق، فالأنيس الأريب يهدي الأنس بحديثه المستطاب، جليس نجيب بيدي غرايب التحف مع اللطف والآداب، له من المعارف أكمل زينة وأجمل حُلا، وفي التقدم عند أعيان الأمراء حائز رتب العلا، والرئيس اللبيب حاذق لطيف المزاج، خبير بأنواع الطبايع وأجناس العلاج، قد جبلت طباعه السليمة على قانون الوفاء، وجلبت ألفاظه لقلب من يخاطبه بهجة الشفاء، والأديب العليم فصيح الإنشاء والإبداع، محلى المعانى باستخدام التورية والإيداع، لا يجارى في ميدان البراعة، ولا يبارى إذا مد في مضمار البلاغة يراعة، والنديم الحاذق رقيق المعاني والأوصاف، يتوج هامات المجالس بجواهر درر الإخاف، معروف بنهاية النباهة وحلاوة المنادمة، له في رتبة الآداب مقاسمة ومساهمة، والكاتب الصاق ياقوتي الخط، حسن الإتقان في معرفة الشكل والضبط، بصير بإصلاح أرباب الأقلام، وكم رفعت له بين أهل النهى أعلام، فكل فريد غدا نزهة الظرفاء بطيب المسامرة، وتحفة مجامع اللطفاء بحسن المحاضرة، فقلت لعمرى: هذا مجلس الخلفاء، وروض آداب البلغاء والنظراء والحنفاء، وبالجملة فأوصاف رونقه لا تحد، وأصناف تأنقه لا تحصى ولا تعد، فهو فوق ما حدِّثت عنه الركبان، وليس الخبر في الحقيقة كالعيان، فقلت:

وافيت مجلسه المعظم كي أرى ما حدَّثت عن وصفه الركبان
فرأيت حلمًا ما لأحنف مثله وشهدت بأسًا هابه الشجعان
يحمي الجوار بعزم صولته كما يحمي شقايق دوحه النعمان
فله السعادة والسيادة والثنا والمجد والإسعاد والرضوان
ما قام في شرع المدايح مدَّع فقضى بصدق مقاله البرهان

وعند مواجهتي ذلك الجناب العالي، ومشاهدتي سنا أنوار وجهه المتلالي، اعتراني وارد هيبة وجلال، وصرت مندهشًا بين جمال وكمال شعر:

واجهته فمليت منه مهابة تدع الفتى بمقامه مبهونا

ثم أدركني وارد الطمأنينة، وتلا على قلبي آية السكينة، وقال: خفض عليك ودع خجل الدهشة، واصرف عنك بالاستئناس وجل الوحشة، فإن سيد هذا الحمى والمقام، وإن كان ممن يحذر سطوته الضرغام، وتهابه أبطال الأقبال والملوك الصيد، وتود لو كنت له من جملة العبيد، فهو ممن خطت معاني لطفه بنان الكتاب، ونطق بمباني ظرفه لسان الآداب، متبسم الثغر طلق المحيا، يتلقى بالبشر من أم جنابه وحيا، فتقدمت مع الأدب والتعظيم، وحييته بتحية تليق بمقامه الكريم، فتهلل وقال: مرحبًا أهلًا وسهلًا، صادفت ملجأً حصينًا وروضًا خصيبًا فحبيت أمنًا وظلًّا، فقدمت إليه قصيدة تترجم عن قصتي، وتشعر بثبوت براهين حجتي، وهي:

نجح المقاصد من علياك مأمول وما سواك لما أرجوه مقبول
سرت لحيك آمالي على نجب من الرجاء وما لي عنك تحويل
لما استقرت لباب العز أنشدها هذا حمى فيه للحاجات تحصيل
هذا حمى تزدهي عزًّا مشاهده به لمن أمَّه المقصود والسول
هذا حمى قد خلت شهدًا مشارعه وورده الكوثريّ العذب منهول
هذا حمى بحلى الرضوان في شرف حامي ذراه على الإسعاف مجبول
هذا حمى الملتجي نادت بشائره يا من يروم النجا في حيه قيلوا
فأنزل به واشك ما تلقى فقلت: لقد ضاق الخناق فعقد الصبر محلول

كم ذا يحاربني دهري العنيد قلا — والفكرفي ساعة الهيجاء معقول
يجر بحر خميس فوق سايحة — والسيف والسهم مشهور ومسلول
وقصتي بوجيز اللفظ مجملة — في شرح حالي والتفصيل تطويل
باح اللسان بما أخفى الجنان وقد — عِيل اصطباري وأفننته التعاليل
ينبيك حالي عن أخبار مصدره — لا العطف يبدو ولا الإشفاق موصول
حرِّمت واجب حقي وهو مفترضٌ — كرها فهل ينسخ التحريم تحليلُ؟
قضية سلبت بالنقض موجبة — عكس القياس أما للحكم تبديل؟
طالت مراجعتي في حسن مخلصها — بمن لهم بحلى التدبيج تعليل
كلٌّ غدا ببلوغ القصد يمطلني — وما مواعيدها إلا الأباطيل
وصدق وعدك بالإسعاف منجزه — له بفضلك تحقيق وتعجيل
فأنت أعظم من ترجى إغاثته — وذو المكارم مرجو ومسيول
وسيلتى نجلك المسعود طالعه — على سعد له في المجد تأهيل
ريحانة العصر فرع النيرين به — طرف المعالي قرير العين مكحول
لا زال في حفظ مولاه العليِّ — من الأسواء تحرسه طه وتنزيل
فاسعف حبيت بما تهوى وقل كرمًا — بنا وصلت وما ترجوه مبذول
دامت مآثرك العليا مسطرة — وعنك تروى لها في الذكر تنزيل
ولا برحت عليك السعد في رغد — يزينه بدوام العز تكميل
ونعمة تجتلي فيها شموس علا — حيث الهنا لك مضمون ومكفول
في دولة بحلى الإسعاد قد جُلِيت — ومن علاك لها تاجٌ إكليل
ما مصطفى أسعد أم الحمى وله — في سَيب عطفك يا ذا الشر تأميل
له البشارة حيث الفكر أنشده — نجح المقاصد من علياك مأمول

فنظر إليها بعين متأمل لبيب، وجال فيها بجودة فكره المتوقد المصيب، ثم رمقني مع البشاشة بطرفه، ولاحظني بعين لطفه وعطفه، وقال: «أبشر بنجح القصد والإسعاد، فتظفر إن شاء الله تعالى بحصول المراد»، فدعوت له بدوام العز والسعد، ونجاح التدبير المنتج ببلوغ القصد، وانصرفت حامدًا عاقبة أمرى، مادحًا علاه بلسان ثنائي وشكري، طيب القلب مستبشرًا بوعده الجميل، لعلمي أن وعد الكريم واجب التحصيل فقلت:

إن وعد الكريم قرت به العين　　لما فيه من تحقق صدقه
فهنيئًا لأسعد بنجاح　　حيث بشرته وفاء بحقه

وقد أحبب أن أذكره بالحديث الحسن، الحاث على اصطناع المعروف وتقليد المنن، روينا بالسند العالى الإسناد، الخالي عن العلل والانتقاد، أن رسول الله لما عرض عليه سبي هوازن كان ممن عرض عليه بنت حاتم الطائي، فقالت: «يا رسول الله أنا بنت من كان يحمل الكل، ويكسب المعدوم ويعين على نوايب الزمان، أنا بنت حاتم الطائي»، فقال رسول الله: «لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه»، فمنَّ عليها ﷺ ورد لها ما لها وقال: «أكرموا عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر» فقالت: «يا رسول الله وصويحباتي؟» فقال: «وصويحباتك، كريمة بنت كريم»، فقالت: «يا رسول الله أتأذن لي أن أدعو لك بدعوات؟»، فأذن لها وقال لأصحابه: «أنصتوا وعوا» فقالت: «أوقع الله برك مواقعه ولا زالت عن ذي نعمة نعمة إلا كنت سببًا في ردها» الحديث ... وحسبك هذا في اصطناع المعروف، وإعانة المنتمي وإغاثة الملهوف (ولما انتهى) حديث الربيع بن رشيد قال له صاحب البديع بشير بن سعيد: «بشراك بشراك قد ظفرت بالنجح، فأطلق عنان يراعك في ميدان المدح»، فقال الربيع: أحسنت بإرشادك، إليَّ فلك الفضل والمنة عليَّ، لكنني أعترف بقصور باعي، وأتحقق تقصير لسان يراعي، عن استيفاء أوصاف محاسنه العلية، وشيم مكارمه الجليلة وأخلاقه السنية، شعر:

لو أنظم الزهر النجوم قلائدًا　　في مدحه لم أقص حق صفاته

على أنني أنشد ما جادت به قريحة الفكر الكليل، وإن لم أكن أهلًا لهذا المقام الجليل (فقلت):

روض السعادة قد طابت نوافحه　　رهاتف العز بالرضوان صادحه
هو الأمين الذي أوصافه كملت　　وزينت قلم المنشي مدايحه
فاق الورى في العلا حتى استبان لهم　　بدرًا يلوح على الأكوان لايحه
أعلت به شرفات السعد فانتظمت　　أحكامه وزهت أمنا مسارحه
حصن المعالي به شيدت دعائمه　　فجيش تدبيره المنصور فاتحه

وقد حلا بحلى الإسعاد وارده — يلقي المسرة غاديه ورايحه
فمن عرته من الأيام حادثة — وأمه فهو بالإسعاف مانحه
حديثه في العلا إن رمت تحفظه — فاسمع فإسناده راوية راجحه
وخذه عَنِّيَ مرفوعًا ومتصلًا — مسلسلًا بصفات الحسن واضحه
تقاسمت وصفه الخمس الحواس حلى — حيث استبان من التقسيم رائحه
فعرفه عطر الأرجاء من أرج — وشنف السمع ما يهديه مادحه
وقرة العين في رؤيا محاسنه — والسعد في راحة وافت تصافحه
وذكره قد حلا ذوقا ومن يده — فاض النوال كبحر عم طافحه
وذاك مجمل قول في تصوره — لسان حالي بالتصديق شارحه
دامت معاليه ما غنى الهزار وما — روض السعادة قد طابت نوافحه

وقصارى الأمر أن مادحه مقصر ولو أطرى، فالاعتراف بالعجز عن إدراك ذلك أحق وأحرى، كيف وقد خلق أهلًا للمعالي وكفؤ للعلا، واختص بإبداع أوصاف حميدة تنشر وتذكر بين الملا، شعر:

أيا مولاي قد أصبحت فردًا — مليك علا لك الخلق الحميد
فمدحك لا تحيط به القوافي — ووصفك ليس يدركه محيد
خلقت كما أرادتك المعالي — وكنت لمن رجاك كما يريد

ولما أنهى القلم بعض حق خدمته، وبيض بمداده وجه صحيفته، وقف في مقام الأدب والخضوع والاعتراف، وطلب الإذن من مولاه بالرجوع والانصراف، داعيًا له بتوالي النعم المحمودة العواقب، وثبت الهمم الجليلة الذكر والمناقب، لا زال ملحوظًا بعين عناية حماية مولاه، محفوظًا بوقاية كفاية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾، ما أبدع منشئ في النثر والنظام، وزها التاريخ بأحسن ختام.

تهدي إلى عالي الجناب مقامة — تزهو كبدر في غياهب جنحه
لما سمت حسنًا بدا تاريخها — لمقامة أبدت بدايع مدحه

وقال ينتجز وعده أدام الله سعده:

عطفًا فباب الرجا بالنجح ما فتحا ... ومتن قصدي بالإسعاد ما شرحا
وشمس فلك المنى في الحجب ما طلعت ... وبرق أفق الهنا للعين ما لحا
ففكرتي بفجاج الوهم سائحة ... واللب في لجج الأشجان قد سَبَحا
وراحتي فقدت والأنس تابعها ... وناظري بغيوث الدمع قد سفحا
هل ذاك من سوء حظ قد خصصت به ... وأن مولاي للإغضاء قد جنحا؟
مولى سمت بسما العليا عزائمه ... وعن مباهج عز قط ما برحا
سارت بسيرته الركبان راوية ... عنه أحاديث فضل عطرها نفحا
وفيم جودك قد سحت موارده ... موجه بفيوض الفضل قد طفحا
وروض مجدك قد فاحت أزاهره ... وهاتف السعد في أدواحه صدحا
فلاحظ المنتمي عطفًا بعين رضا ... لا زلت في نعمة بالعزِّ متشحا

وقال يمدحه ويهنئه بعيد الفطر:

عيد الهنا بالسعد أقبل ... والوقت من بشر تهلل
وافى على طرف أغر ... بيمن إعزاز محجل
يروي حديث مسرة ... يسمو بإسعاد مسلسل
فتأرجت منه الربا ... وتعطرت مسكًا ومندل
فاسعد بعيد سيدي ... عيدًا حلا وردًا ومنهل
وأقم بروض سعادة ... بزهور إنعام تجمل
وابشر حُبيت بنصرة ... عزًّا ومن أقصيت يخذل
يثني عليك لسان حال ... الدهر تفصيلًا ومجمل
تبقى كما تختار من ... عمر قويم الغصن أعدل
ما آب شهر الصوم أو ... عيد الهنا بالسعد أقبل

(وقال) يمدحه بهذه المزدوجة الفريدة، المزرية ببديعها كل قصيدة، وكتب عليها قوله:

مزدوجة بالثناء طيبة العطر، مبتهجة بالتهنئة بعيد الفطر

يا سعد عرِّج بالحمى والرند   وطف بأكناف الرُّبا من نجد
وأنزل بحيّ فيه أهل ودي   فهم منى عيني وجل قصدي
وحبهم أثار نار وجدي
واشرح لهم حالي وما ألاقي   من لاعج الغرام والأشواق
وما جرى من دمعي المهراق   واذكر عليلًا بات في احتراق
يشكو تباريح الجوى والسُّهد
حليف شوق جسمه نحيل   أليف توق شفه العليل
سلوانه والصبر مستحيل   يقول: هل لي في اللقا سبيل
لأستريح من عنا ووجد
قد هاج شوقًا في دجى الأسحار   والصبح محجوب عن الأسفار
والبرق باد من خبا الأستار   وقد شجاه صادح الأطيار
يشدو حنينًا في الربا بنجد
فيا نسيمًا ساريًا عن الربا   يعطر الأرجاء من نشر الكبا
روح فؤادي بحديث أو نبا   عمن صبا الصبُّ إليهم وصبا
فذكرهم سجيتي ووردي
بالعهد حدث عن حمى بهيج   يزهو حلى بروضه البهيج
مرِّوحًا بعرفه الأريج   لعل يطفي ذكره وهيجي
كم طاب فيه مصدري ووردي
حيث الشباب غصنه رطيب   حيث الزمان روضه خصيب
حيث الهنا داني الوفا مجيب   حيث الذي أهواه لي رقيب
في راحة من هجره والصد
ظبي أغن رائق الألفاظ   عذب الثنايا فاتر الألحاظ

باهي المحيا فاتن الوعاظ   موكل للطرف بالإيقاظ
يدعو إلى الهوى بسيف الحد
رخيم دل قده رشيق   وسيم شكل حسنه يشيق
في خده التفاح والشقيق   في ثغره الأقاح والرحيق
يفتر عن در وطعم الشهد
فثغره العذب الهني لا يرشف   وورد خده الجني لا يقطف
يحرسه عن مقلتيه مرهف   به العيون والعقول تخطف
إذا بدا مجردًا من غمد
يا حسنه لما وفى يختال   في حلة طرازها الدلال
وبهجة جمالها كمال   يهتز تيهًا قده العسَّال
يزري الغصون ميل ذاك القد
ذو غرة لها الهلال يحكي   وطرة تبدي سواد الحلك
وشامة تروي عن ابن مسك   ومبسم قد ضاع فيه النسك
وصار غيي فيه عين الرشد
لله ما أحلى ظبا ذاك الحمى   وما ألذ الوصل من تلك الدما
هيجت شوقي والنسيم عندما   ذكرت فاسعف بالحديث مغرما
يشوقه تذكار ذاك العهد
وهات لي حديث الأزبكية   وما حوت أدواحها الزكية
حسنًا زهت أرجاؤها السنيه   إذ لاح في غرتها البهيه
قصور رضوان العلا والمجد
يا حبذا معاهد حسان   يغنيك عن وصفي لها العين
قد حل فيها الحور والولدان   حصباؤها الياقوت والمرجان
فانظر تراها جنة كالخلد
فكم بها من دوحة أنيقه   وروضة أغصانها وريقه
وربوة أنهارها غديقه   ومرجة أزهارها عبيقه
من نرجس وسوسن وورد
تزهو بها حدائق الأزهار   يجري بها مسلسلُ الأنهار
تبدو بها لطائف الأسرار   عن طيب نفخ عرفها المعطار

تعيد طيَّ نشرها وتبدي

حي الصبا حمَى سما إتقانا وفاق في إبداعه الإيوانا
جر المنى في دوحه أردانا عز الهنا في روضه أفنانا
غنت عليها صادحات السعد

معاهد قد أشرقت جمالا وأعجبت في حسنها دلالا
إذ حل فيها كوكب تلالا بأوج عز وازدهى كمالا
فطاب ذكر مدحه والحمد

مليك سعد قد سما في عصره مؤيد معظم في مصره
معزز كيوسف في قصره عليه منشور لواء نصره
بموكب العز السني والجد

أعظم به من ماجد وشهم مولى شديد البأس وافي الحلم
في الحرب نار جنة بسلم معنف من غاب يوم الغنم
وعاذر من غاب يوم الطرد

صلاته قبل الرجاء سابقه نصاله للمبغضين لاحقه
همته إلى المعالي رامقة آراؤه فيما يروم صادقه
كم نجحت في حلها والعقد

كريم صدق وعده لا يخلف رفيع جاه بالسمو يعرف
حامي الذمار بالوفاء يؤلف عزيز جاه في الخطوب مسعف
راجيه لم يخطئ بلوغ قصد

فكم له في منهج الأمجاد حديث وصف عالى الإسناد
يرويه كل حاضر وبادي من ساكن الأغوار والأنجاد
صحيح نقل ما به نقد

فلي رجاء في جميل صفحه؛ لأنني مقصر في مدحه
ولا أطيق بعض وصف شرحه حباه ذو العلا جزيل منحه
في دولة سعيدة وجند

بشراه قد وافاه عيد الفطر ممتطيًا طرف الهنا والبشر
يختال تيهًا في رداء الفخر يعطر الأرجا بطيب النشر
مهنئًا بطيب عيش رغد

مبشرًا بالنصر والتأييد   وطول عمر نجله السعيد
عليٍّ قدر ناجب فريد   عوذته بربه المجيد
يقيه كل حاسد وضد
تهدى له لطائف الأنعام   تحملها نجايب الإكرام
محفوفة بالعز والإعظام   محفوظة من حادث الأيام
يديمها فضل الكريم الفرد
وعزة أحكامها لا تنسخ   ورفعة عهودها لا تفسخ
ومتعة على الدوام ترسخ   يهدي الهنا فعيده المؤرخ
عيد به بدت شموس السعد

وقال يمدحه بهذه القصيدة:

زهت من ربا روض السرور معاهده   وأشرق ناديه وراقت موارده
وفاحت بأدواح التهاني أزاهر   وغرَّد قمري السعود وناشده
وأضحت مغانيه الحسان نواضرًا   أبرضوان هذا العصر دامت محامده
مير زها بالعز كوكب سعده   له طارف المجد الأثيل وتالده
محامده تشفي الصدور ومدحه   يحلِّي به جيد الزمان وساعده
ملاذ لراجيه وكهف لمحتم   يروح ويغدو بالمسرة وافده
لجأت إليه عندما الدهر راعني   فامنني إسعافه وعوايده
ولاحظني فانتج مطلبي   ووقد كان في أقصى المرام مراصده
بلغ آمالي المنى بعد يأسها   فوافي الهنا بالبشر والنجح قايده
وقلد جيدي مسعفًا عقد نعمة   تسامت على در العقود فوايده
وأسعف بالإقبال أسعد مدحه   فسر محبيه وغيظت حواسده
فأكرم بمولى يخجل الغيث رفده   وأعظم بشهم يبلغ السؤل قاصده
فيا ليت أني بالبدايع شاكر   ومثن عليه ما حييت وحامده
فيا سيدًا حاز الشجاعة والندى   فشيدت معاليه وعمت فوايده
نهجت سبيلًا ما سُبقت بمثله   سبيل غياث أنت بالفضل شايده
وكم مشرع للفضل عذب مسلسل   وأنت على طرف السيادة وارده

تفردت مجدًّا حيث إنك جامع   كما علا تقضي بذاك شواهده
وألبست هذا العصر ثوب مفاخر   وتوجته عزًّا فطابت مشاهده
فالبحكم والجدوى ملكت نهاية   وبالسطوة انقادت إليك أساوده
لكل زمان واحد يقتدى به   وهذا زمان أنت لا شك واحده
قدم في علا أوج السيادة راقيًا   يروقك من روض السرور معاهده

وقال مشطرًا هذين البيتين:

(يا غارسًا لي رياض مجد)   أشجاره الزهر من نوالك
زهت وطاب الرياض لما   (سقيتها العذب من زلالك)
(أخاف من زهرها ذبولا)   إن فاتها الفيء من ظلالك
أو أن يرى نبتها هشيمًا   (ما لم يكن سقيها يبالك)

وقال يمدحه وفيها بيتان مضمنان:

روح النسيم يروح الأنفاسا   ويميد غصنًا بالهوى مياسا
ويهيج نيران الغرام بمهجة   فقدت لفرط شجونها الإيناسا
ويذيع أسرار الغرام بمغرم   قد كابد الوجد الشديد وقاسى
صب له كبد يذوب صبابه   وصبيب جفن لا يذوق نعاسا
كم هام في عصر التصابى واحتسى   في حان ريحان المحبة كاسا
وجرى بميدان الهيام مسابقًا   حيث امتطى من لهوه أفراسا
لبست جلابيب الولوع جموحة   لم يستطع لعنانها إحباسا
واهًا لأيام الشبيبة إنها   تكسو النهاة بغيها الباسا
ومهفهف حلو الدلال علقته   ظبيًا قد اتحذ القلوب كناسا
أنواع كل الحسن فيه تجمعت   فتقسمت عشاقه أجناسا
ما جال طرفي في رياض خدوده   إلا اجتنى وردًا وشاهد آسا
فبجمر وجنته وخمر رضابه   يحوي من الحسن البديع جنسا
ما الصعدة السمرا وما غصن النقا   إن هزَّ عامل قده أو ماسا

قمر إذا ما أفتر بارق ثغره	أبكى العيون ونور الأغلاسا
كم بت أضرب في انتظار وعوده	بالوصل في أسداسي الأخماسا
وأبيت وسنان اللواحظ لاهيًا	عن ذي سقام بالشجون مؤاسا
رشأ أضعت العمر فيه صبابة	وعدمت من أسفي عليه حواسا
يزداد وجدي عند فقد تصبري	وأطيل من شغفي به وسواسا
فكأن بالألباب من ألفاظه	سكرًا ومن سحر العيون مساسا
ولعت به ولوعها بمديح من	ملك العليين الندى والباسا
إنسان عين الدهر رضوان العلا	فرد الأوان لطافة وحماسا
شهم تدين له الأسود مهابة	وتفاخر العليا به الأكياسا
عزت به أمراء دولة عصره	إذ كان للرؤساء منهم راسا
أفديه من فطن تكامل حزمه	ومدبر عرف الأمور وساسا
لم يرم عن قوس الفراسة سهمه	إلا أصاب برأيه القرطاسا
إن أذكر الليث الهصور فحلمه	وذكاه أنسى أحنفًا وإياسا
فالدر ينثر بانتظام مقاله	وذووالبلاغة يطرقون الراسا
لم يثنه في الجود لومة لائم	كالبحر جاوز فيضه المقياسا
حفظت صنايعه وأينع روضها	بالاحتكام إشادةً وغراسًا
ورثت خلايقه أجل مكارم	عن خيرة الدهر الكريم أناسا
قوم إذا غرسوا سقوا وإذا بنوا	لا يهدمون لما بنوه أساسًا
وإذا همو صنعوا الصنايع في الورى	جعلوا لها طول البقاء لباسا
لهج الزمان بذكرهم حتى بدا	هذا الأمير إلى العيان تناسى
فغدت به غرر الزمان مواسمًا	وبعز دولة مجده أعراسا
روح فؤاد المستهام بذكره	وانعش بطيب حديثها الجلاسا
فحديثه يروي الغليل كأنه	روح النسيم يروح الأنفاسا

وقال يمدحه:

أبيات نظمي بها جمال	ومن امتداحي على جنابك
افت تجر الذيول فخرًا	تهيم شوقًا إلى رحابك

لعل أن تحتظي قبولًا وتبلغ العز والسنابك
مولاي طال انتظار عبد له وثوق بعز بابك
فأدرك فتًى كاد في انتظار يطير وجدًا على السنابك

(وقال مادحًا له بهذه المقامة) مهنيًا له بالبرء والسلامة (وسماها) نشر نفحة الصفا، ببشر الصحة والشفا، وفيها لزوم ما لا يلزم يظهر لمن أمعن نظره فيها وأنعم، وهي:

حكى أبو النجاح بشر بن حبيب، قال: حدثني ابن الصلاح نصر الطبيب، عن أبي الطيب الطيبي الماهر الأريب، حديثًا بقانون الشفاء محرر ومسطور: إن مما أنتجته قضايا البراهين، وشهدت التجربة به عن يقين، وقضت بصحته أحكام القوانين، في علاج الأمزجة اللطيفة وشرح الصدور، حمية الخاطر عن شواهد المكدرات، وتحلية الروح بأطايب المنعشات، وترويح النفس بعجايب المطربات، في اغتباق الأصايل واعتناق البكور وتسريح العيون وإطلاق النواظر في حدايق الربا والريضا النواضر، واستجلاء عرايس أدواحها الزواهر، واستنشاق شذى معطرات الزهور والإصغاء لنغمات ساجعات الحمايم، والاسترواح لنفحات ذاكيات النسايم، والاستنشاق لنسمات يانعات الكمايم، بالمغاني الزاهية على شاطئ النهور ومفاكهة الأحبا الأدبا الظرفا، ومنادمة الألبا النجبا اللطفا، ومحادثة الفصحا البلغا الحنفا، على سرر التهاني وبسط الزهور، واستماع ألحان المثاني ورنات الأوتار مع مطرب يشدو ببدايع الأشعار، ومجامر الند نافحة بعرفها المعطار، بمجلس الأنس ونادي الهنا والحبور، فإذا توفر هذا التدبير نجح العلاج، وتراجعت القوى ودام الابتهاج، واعتدلت الطبايع وصح المزاج، ورقمت بشاير الشفا برق منشور، فأقسم يمينًا صدقًا أبو النجاح، أن هذا هو في الحقيقة منعش الأرواح، وطارد الهموم وجالب الأفراح، وتقوى الأبدان الإنسانية سقنقور فوصفه لمولى عز قدرًا وسما، ووضعه على ألطف قانون وسما، فصح مزاجه اللطيف بعدما كان صدر الزمان بشكايته مصدور، وزال عن الدهر الترح والعنا، ولبس ملابس الأمن والمنى، وسكن روعه بوفود البشر والهنا، وأصبح بصحة الرضوان مستبشرًا ومسرورًا وتلا آيات الشفا بألواح التهاني، وروى أحاديث الصفا بمسند الأماني، ونشر

ألوية الدعا مفتتحًا بالسبع المثاني، لجناب سيد عليه لواء السعد منشور، سيد لا يحاط بأوصاف قدره، عين المجد وغرة أعيان مصره، ودرة التاج وواسطة العقد بعصره، المتحلي ببدايع مدحه المنظوم والمنشور لا زالت ثغور المسرة بواديه بواسم، ورياض المبرة بناديه العاطر بواسم، ولياليه وأيامه الزاهرة أعياد ومواسم، تختال تيهًا وفخرًا على سالفات الدهور، قد أظلك سيدي هذا العام الجديد مبشرًا بتوارد وافر النعم والعيش الرغيد، فلك البشرى بهذا الفأل الحسن الحميد، إذ يؤرخ بحصول الشفاء به عام السرور.

(وختمها بقوله):

روض التهاني أينعت أزهاره ... وبدوحه نهر المسرة قد صفا
والدهر أهدى من علاه بشايرًا ... وبعهد إسعاد وإيناس وفا
والمجد قد عوفي وصح مزاجه ... حيث القوى اعتدلت بقانون الشفا
وتلا الهنا آي الشرور بصحة ... قد سطرت منا بألواح الصفا
والعام أقبل بالسرور مهنئًا ... ومؤرخًا يروي حديثًا بالشفا

وقال في سفينة أنشأها ذلك الأمير:

فلك السعادة بالأفراح جارية ... ببحر عز وجود طاب مسراها
وراية السعد في أعلى الشراع زهت ... بمجد رضوان سر العين مرآها
ومطرب الأنس بالألحان أرخها ... سفينة بنسيم اللطف مجراها

وقال والمعنى يظهر في الأبيات:

يا سيدًا حاز الثنا ... وله المعالي تصطفي
أنجزت وعدك منعمًا ... وقضيت لي بتصرف
ووكلتني لمباشر ... كم ذا أراه موفي
فانعم بإلزام له ... يقضى بغير توقف
لا زلت تسعف راجيًا ... وتجود بالوعد الوفي

(وقال) يصف قصرًا نمقه بالنقوش الزهية وهو المعروف بالحلي، وذلك لقدوم الصدر الكبير وزير مصر أحمد باشا:

قصر له بديع الحكم إتقان ... قد قام منه على الإبداع برهان
قصر تقاصر عنه قصر ذي يزن ... فما السدير وما أنشاه نعمان
قصر حكى لقصور الخلد طاب حلي ... يقضي له بحلى التشبيه عنوان
قصر زها تحته الأنهار جارية ... يميس في سرحه الزاهي ولدان
قصر على النيل قد أبدى الفخار به ... على الفرات وما يحويه سيحان
قصر به نفحت روح الهنا وشدت ... ورق لها بفنون الأنس ألحان
قصر به السعد إذ حل الوزير به ... فهو العزيز وهذا القصر إيوان
قصر بهمة مزهيه شواهده ... قامت وحسبك هذا الحكم تبيان
قصر تسامى فإن شاهدت منظره ... فأرخته حلا مزهيه رضوان

وقال يمدحه ويهنئه بمولود جديد، مقدمًا أمام نظمه منثورًا يزري بنظم الدر النضيد، وهو قوله:

بشرى لنا بالتهاني بشرى، فمن أفق السعادة شهدنا بدرًا، قدم اليمن والسعد بوروده، ووافى السرور والأنس بوجوده، فقرت النواظر بحديثه الحسن، وقرئت بمصاحف النعم آيات المنن، فيا له مولودًا روح الأرواح، وأقام بمولده مواسم الأفراح، فلنا بعواطف الرضوان موانح، ومن لطايف الامتنان أعطر نوافخ، فالله يقر عين السيد بحياته، ويحوطه وإخوته الأمجاد بعظيم آياته، ويطيل عمر حياته ويحييه، حتى يرى وَلَد وَلَد ولدِه يحييه:

آمين آمين لا أرضى بواحدة ... حتى أقول لديها ألف آمينا

والنظم هو قوله:

لاحت لنا شمس السرور عيانا ... فغدا الحجا بشهودها نشوانا
شمس لها فلك التهاني مطلع ... بوفود من يسمو على كيوانا

يا حبذا يوم السعود بمولد أضحى لأعياد الهنا عنوانا
وغدا ينادي والزمان مهنئًا داعي الصفا ببشارة إعلانا
بشرى لقد جاد الزمان بمنحة أرخ حبًّا بمحمد رضوانا

وقال يمدحه ويهنئه بمولد جديد:

بشرى بها وُرْقُ السعود تغرد وهنا به شادي المسرة ينشد
والسعد بالعليا أقام مواسمًا بشهودها عيد المنى يتجدد
وبدا صباح الحظ يزهو مسفرًا يروي أحاديث الصفا ويسند
وأضاء من أفق الحبور مطالع إذ لاح من فلك المعالي فرقد
وتهللت غرر الزمان بمولد وزهت بمولود علاه أوحد
لاحت بغرته البهية بهجة بشرى السعادة من حلاها تشهد
مولى سعيد بالذكاء موشحٌ ويجيده عقد السعود منضد
زاكي الموارد للمحامد جامع زاهي المشاهد في المحاسن مفرد
بشراه فالسر المصون يحوطه وله على درج المعالي مصعد
يربى عزيزًا في حجور كواعب بمهود إسعاد سناها أسعد
وله من المجد المؤثل رفعة تسمو علا ومن المآثر سودد
صدقت فراسة ذي الحجا بنجابة فعلى نجابته الخناصر تعقد
أنعم بمولود لرضوان العلا سامي العلاء فسعده يتوقد
يهدي له العمر المديد بصحة يحلو بها العيش الهني الأرغد
حيث التهاني مقسم ومؤرخ بسما الهنا هذا السعيد محمد

وقال مادحًا ومهنئًا بعيد وشفاء:

لك البشر يا عيد السرور بسيد سما وعلا في سعده فوق كيوان
فهاك منادي العز في باب مجده ينادي بتاريخ زهى عيد رضوان

وقال مهنئًا بشفائه:

مقدمًا أمام شعره الرايق، نبذة من نثره الفايق، قوله: لقد أسمعنى سعد حديث الشفا، بمحضر الأنس ومجمع إخوان الصفا، فشنَّف الأسماع بدرره ورنح الأعطاف، إذ أرشفني من كئوس المسرة أطيب سلاف، فطفقت من فرط السرور الذي جل عن الحد أنادي فديتك زدني من حديثك يا سعد فهناك نفحت نوافح الأفراح، فعطرت الأرجاء وأنعشت الأرواح، وأزهر روض التهاني بزهور الامتنان فنعمنا منه بروح وريحان ورضوان، وجعلنا في دوحه الزاهي البهيج رواه، وتغنينا بدوحه الذاكي الأريج رياه، وجلسنا على بسط البسط وسرر السرور، والتحفنا بمطارف الطرف وحبر الحبور، وتفكهنا من جنى جناه بفواكه الإيناس، وشربنا من رحيق سلساله المروح الأنفاس، وأطربتنا ورقه الصادحة بنغمات المثاني، فوق أغصان المسرة فما مطربات المثالث والمثاني، وعطفت علينا عواطف العطف بالصفا، وروحتنا مراوح الراحة بنسيم الشفا، فانشرح الصدر طربًا وقرت العيون، وزال عن القلب ما به من ران الغبون، فالله الحمد على نعمه انجاب بها سحاب الغموم، وهزم بشيرها بوفود أعلامه جيش الهموم، فأعظم بها منحة عمت جميع الناس ببشرها، وأذهبت عنهم البأس والعنا بلطايف سرها، وأعادت أعياد التهاني تختال مرحًا، وثغر الزمان يبتسم سرورًا وفرحًا، فحق لهذا المحب أن يرفع أكف الابتهال إلى سما الإجابة تجاه قبلة الإقبال، أن يديم الله لجناب المولى الصحة والعافية، وأن يورده من مناهلها الموارد الصافية، لابسًا من المجد الحلل المعلمة الطراز، متوجًا بتاج السعادة والإعزاز، وأن يمد له من سرادق العليا الإطناب، ويرفع له في أعلاها الأعلام والقباب، ما أهدت الطروس من طي طيبها نشرًا.

وما وافى البشير مؤرخًا حباه صدق الشفاء بأطيبها بشرًا، وشعره المشار إليه هو قوله:

وافى السرور فأذهب الأتراحا	وأقام في نادي المنى الأفراحا
وأعاد أعياد التهاني عندما	بدر العلا بعد التحجب لاحا
فتحت له أبواب أنس أغلقت	وغدا حماها روضة فياحا
نشرت بآفاق البلاد بشاير	نشر المنى من طيبها قد فاحا

بشرى روى عنها أحاديث الشفا　　وتلا لها من آيها ألواحا
والعيد وافى بالشفاء مبشرًا　　قد ألبسته يد الجمال وشاحا
يزهو برضوان العلا متهللا　　إذ حاز من لطف العلاج نجاحا
صحت بصحته النفوس وأوضحت　　شرح الصدور بمتنها إيضاحا
وتألقت أرجاء مصر وأزهرت　　أدواحها بمسرة أفراحا
أنعم به مولى تسامى قدره　　عمت مدايحه ربًا وبطاحا
ذو مظهر أشرق عصره　　يحكي سناه كوكبًا وضَّاحا
دامت معاليه ودام سروره　　وحوى بمسعاه الجميل فلاحا
ونوافح الأنس الذكي شميمة　　تغشى حماه عشيته وصباحا
فله الهنا ولنا السرور بصحة　　أهدت إلى روح العلاء صلاحا
والحق مانح والسعود مؤرخ　　بسنا شفاه أنعش الأرواحا

(واستنسخ) الأمير لمدوح كتاب روض الآداب، لكاتبه إبراهيم البلبيسى الذي هو عمدة لفنون هذا الباب، فعند إتمامه واختتام نظامه، طلب من مولانا صاحب الترجمة أن ينشئ له مقامة، تكون للكتاب ومحاسنه تميمة ومتممة، فأنشأ هذه المقامة وسماها «سح سحب الأدب البديع المعاني، بسوح روض الآداب البديع الرضواني» مبتدئًا فيها بقوله هذه الأبيات:

بشرى حبيت بروض آداب　　باهي الرياض بنثره ونظامه
يختال فخرًا إذ تملك رقه　　رضوان عز عزَّ في أحكامه
وحلا لإبراهيم نسخا أرخوا　　فزهت مباديه وحسن تمامه

حبذا روض الآداب الحسن البديع، المثمر بالبلاغة والمزهر بأنواع البديع، جرت مياه البراعة خلال سطوره، وتفيأت اليراعة تحت ظلال مسطوره، وتفتح زهر الفصاحة من كمايم مبانيه، ونفح أرج البيان من نسايم معانيه، روض ابتهج بالآلئ المنظوم والمنثور، وتدبج بأحمر الشقيق واصفر المنثور فهو بحالي الترصيع والتوشيع بهيج، وبغالي الترشيح والتوشيح أريج، فلله در سحايب قرايح أظهرت نوره، وأضحكت من أقاح أدواحه الزاهية ثغوره، روض قامت على أغصان ألفاته. خطباء الأقلام، وصدحت على أفنان همزاته حمايم الأفهام، فغدا نزهة الناظر وفاكهة الخلفا، ومرح الخاطر

ومفاكهة الأدبا والظرفا، فمن ظفر بهذا الروض وحل حماه، حبى طرف السرور من مغانيه ورباه، (روض) من ارتقى على أرائكه السنية الرفيعة، وتأمل في أوصاف محاسنه البهية البديعة، رأى بيوتًا سمت بالمحل الأرفع، وشرفت حيث أذن الله لها أن ترفع، ووجد في كل دوحة ثمارًا يانعة مختلفة الأنواع، وأزهارًا شذى نوافحها محتلفة الأضواع (روض) حوى في زوايا خباياه كنوز ذخايره درًّا منثورًا ولؤلؤًا منظومًا، ياقوتًا وجواهر وبه مسارح آرام ومراتع غزلان ومعاهد أنس وشحت بحسن وإحسان، وفيه صادحات أطيار بألحان الهنا تترنم، تذكر أيام الصبا وتهيج أشجان الصب المغرم (روض) رويت أحاديث جماله بمحاضر السرور، وتليت آيات كماله بمجامع الحبور، فهو لعمري مفرد جمع لجميع الفنون، فيه تنافست ذوو الحجا وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، فروح الروح في بهجة حواشيه، ووجه وجه الثناء لمالكه وحاويه (روض) الرياض الزاهية المثمرة الوريقة، ومنبع الغياض الذاكية المزهرة الأنيقة، من تنسم أرواح الصبا طيبًا بربع علاه، وتبسم ثغور الحدايق إذا جرى حديث حلاه، حضرة الأمير الكبير رضوان كتخدا، لا زال بالسبع المثاني محفوظًا من العدا (روض) أمر جناب حضرته العلية باستكتابه، فنسخت له هذه النسخة الجلية وزفت إلى بابه، تحرى الناسخ في نسخها ونمق أي تنميق، فجاءت مبدعة على وجه حسن أنيق، تروح الروح بنشرها وتجلى الناظر، وتشرح الصدر ببشرها وتحلى الخاطر، (روض) تحلى عقود الانتهاء حالية الانتظام، وتطيب من نوافح طيب مسك الختام، في ابتداء غرة ربيع الأول المستطاب، عام تاريخه يزهو بكمال روض الآداب، فما أبدع هذا الاتفاق الحسن البديع، حيث جلى الروض علينا في ربيع، (روض) أذكرني بهذه المناسبة النفيسة، زمان الربيع وموارده المنعشة الأنيسة، إذ فيه تنفح الزهور، وتصدح الحمايم وتسلسل النهور، وتضحك الكمايم بطيب الوقت وتعتدل القوى، وتنبسط نفوس أهل الصبابة والهوى، شعر:

زمان الربيع زمان السرور   زمان التهاني وشرح الصدور
مهيج النفوس بنفح الزهور   وصدح الطيور وجري النهور

(روض) حق له أن يفوح بطيب عرفه، ويفتخر ببديع جماله وكمال وصفه، حيث كان اسمه مجتنى من اسم الرضوان، فله مع التشريف والعزة روح وريحان، وكم اشتمل على نكات ظريفة، يفهمها أهل الذكاء والقرايح اللطيفة، (روض) تشرف الناسخ بتحريره، ممتثلًا أمر سيده حيث أمر بتسطيره، داعيًا له بدوام عزه وعلو مجده وتلألؤ

كواكب علاه بمشرق سعده، مصليًا على من أوتي الكتاب المحكم، وأله وأصحابه طراز كمالاتهم بالفصاحة معلم، شعر:

(روض) زها أبدى البديع بهيج
وحماه من طيب القريض أريج
(روض) به روح البراعة قد سرى
بلطيف سر بالسرور نسيج
(روض) به ورق الفصاحة غردت
بلحون نظم زانها التهزيج
(روض) حلى الآداب وشي طرازه
ببدايع منها لها تضريج
(روض) حلا وتفتحت أكمامه
عن زهر إبداع به تبهيج
(روض) زها بالإفتتان تلونًا
فحلاه من تلوينه تدبيج
(روض) بأنواع الفنون مفوق
وله بتوشيح الحلى تبريج
(روض) به لذوي الغرام تروح
لكنه نار للغرام يهيج
(روض) حديث الحسن عنه مسلسل
وله بمسند ذي الهوى تخريج
(روض) حوى أوصاف حسن قد سمت حالي الموارد بالبيان مريج
(روض) الرياض حبى بعز رفعة
فسما فما لعلاه قط نسيج
(روض) سما أن قد تفيأ ظله
رضوان عز من سناه بليج
(روض) الشجاعة والسماحة والندى
منه لتيجان العلا تتويج

(روض) تروحت النفوس بطيب عطر مديحه ولسوقه ترويج
(روض) نـــضـــيـــر والـــنـــضـــار ثـــمـــاره
فـــيـــه يـــرى الـــتـــفـــويـــح والـــتـــفـــريـــج
(روض) نـــعـــمـــنـــا بـــاجـــتـــنـــاء زهـــوره
وبـــظـــلـــه الـــضـــافـــي يـــزول وهـــيـــج
(روض) لـــه بـــالـــمـــدح أســـعـــد بـــلـــبـــل
دومًـــا لـــه حـــســـن الـــثـــنـــاء هـــزيـــج
(روض) نـــدي مـــهـــد لـــه تـــاريـــخـــه
روض زهـــا أبـــدًا الـــبـــديـــع بـــهـــيـــج

متع الله جنابه بروض العز والتهاني، مقتطفًا منه ثمار الأنس وأزهار الأماني يروحه فيه الصفا بنسايم الارتياح، ويشرحه البشر منه بصدح حمايم الأفراح، ممتدًّا عليه من الصحة سرادق، منشورًا له في آفاق العلا ألوية بالثنا خوافق، بجاه من اختاره المولى وله اصطفى، سيد الأولين والآخرين طه المصطفى، صلى الله عليه صلاة تليق بمقامه الأسنى، وعلى آله وأصحابه الناهجين مناهجه الحسنى، مع سلام موشى ببدايع النثر والنظام، ما زهت المطالع بأحسن ابتداء مؤرخة فطاب الختام.

انتهت المقامة وما يليها وفيهما تواريخ خمس، كل منهما يشرح الصدر ويسر النفس، وقال مؤرخًا بناء باب العزب الذي جدده الأمير المشار إليه وضمنه بيتًا من كلام السموأل.

لقد أشرقت شمس السعود ببابنا	فلا يعتريها بعد ذاك أفول
لنا المجد إرثًا والسيادة منصبًا	ودولتنا العلياء ليس تزول
(إذا سيدٌ منا خلا قام سيد	قؤول لما قال الكرام فعول)
وسيد أهل العصر رضوان كتخدا	أشاد علاء ما إليه وصول
فلذ بالحمى مذ أرخوا وبيابه	فهذا حمانا ملجأ ومقيل

وقال يمدحه بهذه القصيدة الربيعية، بل الدوحة المثمرة الشهية، وسماها نشر نوافح البديع ببشرى مقدم الربيع:

بشرى الربيع الزهي وافت بشايرة وعن حلاه البهي نمت سرايره
ونشر روح الصبا أهدى لنا خبرًا من طيبه فاح في الآفاق عاطره
ومالت القضب والأطيار قد صدحت وقد تبسم من عجب أزاهره
وجاء في حلة الإبداع مبتهجًا يختال تيهًا به حفت عساكره
قسر مقدمه الحالي أخا شجن يهيجه من معاني الدوح ناضره
وروحه بمعاني الحسن قد علقت وفي صفاه فكم تسعى خواطره
وروضة لنجوم الزهر جامعة وزهرها مفرد في الحسن سايره
قامت بها أمراء الدوح خاطبة مقام عز تسامي منه فاخره
رام الخلافة كل إذ علا وسما من فوق منبره الزاهي منابره
فالورد قام بدعواها فشوكته قوية حيثما سلت خناجره
والبان وافى بتاج الملك منتصبًا وقال: من رامه حكمًا أناظره
والأقحوان بدا يزهو ببهجته وحوله زمرة قامت تناظره
والنرجس الغض يرنو نحوها شزرًا؛ لأنه طالب للملك ناظره
قال الشقيق: حويت الفخر أجمعه والملك حق الذي تسمو مفاخره
وطال بينهما دعوى الخلاف إلى أن قام سنبلها الزاكي عواطره
وقال: سلطاننا الورد السني وله دعوى الخلافة لا تعصى أوامره
فكم له طيب نشر عم عابقه بمجلس الأنس إذ فاحت مجامره
وكم روينا أحاديثا مسلسة في مدحه وبه طابت مخابره
فعندها سلموا للحق واعترفوا بملكه المرتضى والله ناصره
فاعلنت ورقها بالبشر قائلة سقى رباك من الوسمي باكره
والدوح قد بسطت فيه مطارفه والروض قد رنحت حسنًا قياصره
الزهر من فرح أهدى النثار بها لما سما الورد واستعلت مظاهره
حكى بمنظره الحالي ومخبره صفات رضواننا السامي زواهره
أمير مجد لنا تتلى مدايحه مدى الزمان كما تروى مآثره
شهم وما غير آساد فريسته من فر يوم لقاه فهو عاذره

تخاله الليث والمريخ في يده … إذا بدا جائلًا والسيف شاهره
تعطل الجود من أزمان قد سلفت … والآن حقًّا به قامت شعائره
روض نضير ولكن مثمر أبدًا … غيث ولكن ندى عمت مواطره
وكم له من علا كالشمس مشرقة … لها يشاهد باديه وحاضره
فكل ذي أدب أقلامه عجزت … عن مدحه بل وما وفت محابره
يا سيدًا قد علت بالمجد رتبته … عزًّا فما أحد فيها يناظره
أنعم بأن ربيع حان مورده … تسعى إلى بابك السامي بشايره
واجلس حبيت بمغنى الحظ منتشقا … طيب الصفا فصبًا الإسعاد ناشره
وسرِّح الطرف في ميدان نضرته … ترى من الحسن ما يبهيك ناظره
واسمع حمائم أفراح به صدحت … عن لحنها الموصلي كلت مزامره
واشهد لرناته السبع التي اشتهرت … من يجتليها بها تزهو محاضره
وأغنم زمان ربيع بالسرور أتى … صاف موارده حال مصادره
ولا تضع فرصة مهما ظفرت بها … واصغى لمن قال والممدوح ناصره
خد من زمانك ما أغناك مغتنمًا … وأنت تاه لهذا الدهر آمره
ودم بروض العلا والعز منبسطًا … بمطربات الهنا يشدوك طائره
تجني به ثمرات الأنس يانعة … مع السرور ومن تهوى تسامره
منعمًا ببقا نجليك من بهما … هذا الزمان لقد قرت نواظره
فذو المعالي على مصطفى حفظًا … يهدي لكل من الأعمار وافره
لا زال كل بأوج المجد مرتقيًا … بطالع العز والإسعاد ناظره
واهنأ بعام سرورٍ إذ تؤرخه … ربيعه المزدهي فاحت عواطره

(وهذا) آخر ما انتقيته من كلامه ونقلته من المدايح الرضوانية، ومن مؤلفات المترجم ورحلته المسماة بموانح الأنس برحلتي لوادي القدس. توفي المترجم سنة ثلاث وسبعين وماية وألف.

ومات أديب الزمان، وشاعر العصر والأوان العلامة الفاضل شمس الدين الشيخ/محمد سعيد بن محمد الحنفي الدمشقي الشهير بالسمان، ورد إلى مصر في سنة أربع وأربعين وماية وألف فطارح الأدبا، وزاحم بمناكبه الفضلا، ثم عاد إلى وطنه، وورد إلى مصر أيضًا في سنه اثنتين وسبعين وماية وألف، وكان ذا حافظة وبراعة وحسن عشرة، وصار بينه وبين الشيخ عبد الله الإدكاوي محاضرات ومطارحات، وذكره

في مجموعه وأثنى عليه وأورد له من شعره كثيرًا، ومما انتقيته من مختار أقواله قوله:

وليل نامت الرقباء فيه   وقد أمنوا الوصال لطول هجري
وزار معذبي من دون وعد   ولم يك وصله مني بفكر
فقمت لملعب الهميان أخطو   لأهصر غصنه من دون صبر
فلم تر مقتلي إلا وشاحًا   تراءى حائلًا من دون خصر

وله أيضًا:

وما أنا بالناسي وقد خيَّم الدجى   ووافي الذي أهوى ولم يثنه ذعر
وبتنا بحال لم يرعنا مؤنب   وراح يعاطيني وما ابتسم الفجر
سلافة ألفاظ وجريال مبسم   وخمرة ألحاظ لذا التبس الأمر
فلم أدر أي أسكر العقل رشفا   ولم أدر أي غاب عني بها الفكر

وله هذا المعنى الذي لم يسبق إليه:

يقولون لي لما بدا العارض الذي   به غيض ماء الحسن من وردة الخد
نراك أطلت الصمت فينا ولم تكن   معانيك إلا الدر يرفض من عقد
أما علموا أن العنادل في الربا   سكوت إذا ما فاتهم زمن الورد

وله أيضًا:

ألا رب ليل على غفلة   من الدهر جادت برغم الخلي
فتاة سبتني بحكم الهوى   بجفن عن الفتك لم يغفل
إلى أن بدا الفجر من شرقه   يلوح لدى الأفق كالمنصل
فأرخت أثيثا على بانة   أعاد لي ليلى من الأول

وله أيضًا:

وليل تعاطينا به أكؤس اللقا ... ومد على ما بيننا حلل الستر
يلاصق منا الكشح كشحًا منعمًا ... ونقرع من فرط الهوى الثغر بالثغر
وما راعنا فيه حديث وشاتنا ... وما نظرت شزرًا سوى أعين الزهر
فأفنيته ضمًّا ولثمًا ولم تزل ... يداي لما أبغي نطاقًا على الخصر
إلى أن بدت من مفرق الشرق غرة ... أطارت غراب الليل عن ذلك الوكر
فكفَّ يدي عن خيزرانة قدره ... وولى وفي أعطافه نشوة السكر
وقال وقد أتبعته نظرة الأسى ... أو ألقيت كفًا للوداع على الصدر
لا لا بدا صبح يريع متيمًا ... ولا انجاب ليل في الورى كاتم السر
فلست أرى كالليل أستر للهوى ... ولست أدري شيئًا أنم من الفجر

وله مضمنًا:

كم قلت للبدر والأجفان تلعب بي ... أهلوك بالفتك كم يسطو على المهج
فقال والدر يبدو من مباسمه ... هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وله من قصيدة:

أأشكوك الغرام وما أقاسي ... وقلبك يا مذيقي الهجر قاسي
وفي طي الجوانح جمر وجد ... يؤججه التذكر والتناسي
أبانات اللوى عن سحب عيني ... سقاك الري من دون احتباسي
فكم لي في ظلالك من مقيل ... تفدى أهله مني حواسي
أقمت به وشاطئ واديه ... ملاعب جؤذر وظبا كناسي
فما للعين لم تنظر طلولًا ... ولا رسمًا يدل على أساس
أما هذي الديار ديار سعدى؟ ... أما هذي المعالم والرواسي؟
أأحلام أرى أم عن حقيق ... تقوضت الخيام بلا التباس؟
نعم هذي المعاهد والمغاني ... فأين بدور هاتيك الأناس؟
فإن أقوت فهل لي من سبيل ... إلى صبر يعلل ما أقاسي؟

وإن عهدي على اللأوا تناسوا   لعمري لست عهدهم بناسي
أأبكي أم أجاوب في أنيني   حمائم في الدياجي لي تؤاسي
أساجلها فتعرب عن شجون   وتبريح على غير القياس
أتعجب أن قضيت هوًى ووجدًا   وجانبت المؤانس والمواسي؟
وأني فزت بالقدح المعلى   وبُلِّغت المنى من بعد ياسي؟

وقال يمدح السيد علي أفندي المرادي مفتي الشام:

برح الخفاءُ فلا الغيور يقيك   كلا ولا بيض الحمى يحميك
إلا الذي من سقم جفنك ينتضي   وتراه يغمد في حشا داعيك
أيس الهوى من أن يجن بخاطري   ذكر السلو فعاد بي يغريك
فتحكمي في مهجتي وتهكمي   فيمن غدا بعيونه يفديك
إن كنت عالمة بما فعل النوى   عند الوداع به فذا يكفيك
دنف إذا ضرب الدجى أطنابه   وصل الأنين برنة تشجيك
وإذا انقضى برق العقيق حسامه   هاجت لواعجه لمبسم فيك
وإذا الهديل تجاوبت أصداؤه   جزعًا على ما ناله يبكيك
لبس الجوى بردًا فأخلفه جوى   حتى رثى لسقامه واشيك
فإلام يكتم لوعة في ضمنها   جمر يشب بدمعه المسفوك
ويرى ركوب الصعب في نهج الهوى   هينًا ولا التمويه عن ناديك
فسلى جوانحه التي قد صيرت   مثواك هل في ذاك من تشكيك؟
كم وقفة دون الكثيب رمى بها   نظرًا أطال به التفكير فيك
حيران من أسف يعض بنانه   حذرًا عليك مواقع المأفوك
لم يثنه عن رشف ذياك اللمى   إلا اجتناب الظن من أهليك
حجبوك لا بالرغم عنه ولو دروا   أن الحشا مأواك ما حجبوك
أوقات وصلك لو بأيام الصبا   والروح تشري ما أبي وأبيك؟
إيان من طرب يصون مسامعًا   عن غير حرس الحي من هاديك
والبيض من فوق الخدود طوالع   والحي مأهول الحمى يذويك
مرت فمرت بعدهن حياته   بل شمسها قد آذنت لدنوك

يا سالمًا مما يكابد في الهوى	لا تسألن عن خبرة المهلوك
وصلوا ومن خلف المطي فؤاده	تستن قصد سبيلها المسلوك
فبكل واد من نوافح طيبهم	أرج وكل قرارة وسموك
فكأنهم بثنا المرادي قد غدوا	يتضرعون إليه بالتبريك

إلى آخر ما قال، وله من قصيدة:

سلوا طيفها أين استقلت نواحيها	غداة النوى لما ترنم حاديها
وحيعل داعي البين خلف ركابها	وباتت بنات الشوق تحمي مآقيها
وأعرض بشر دوننا وهضابه	وأوغر صدر الصب جمر تنائيها
فلا تُنكري يا بثن موقف ذلتي	بدار عفت أطلالها ومغانيها
على مثلها المفئود من حرق النوى	يذيل مصونات الدموع بواديها
تنكر بعد الظاعنين نسيمها	وأقفر من ذكر السواجع ناديها
فلم يبق إلا رسمها فكأنه	سطور عن الأفهام رقت معانيها
ومغنى عناق في همود دوارس	وشسع غدا قلب المتيم يحكيها
فحييت دارًا بالأوايد آنست	من الآنسات الغيد زهر روابيها
تكاد على الإقواء تزداد بهجة	لزائرها لولا ترحُّل أهليها
لئن أنهجت آثارها راحة البلى	فمن مهجتي لم يمح كنه معانيها
وليلة أعملت الرواسم للسُّرى	كأني سماها والنواحي دراريها
أخوض الدجى والدجن يطغو عبابه	فيرقم أطراف السباسب هاميها
إلى أن رمت أحداج حزوى بنظرة	ولاحت لها أطلالها ومغانيها
طرحت خباء الحي والقوم شرعت	مخافة إلمامي صدور عواليها
ولست بمذعور الجنان من القنا	ولم أخش آساد الشرى وضواريها
سوى لحظات الغيد يحتمل الفتى	وليس يذوب الصبر غير تجنيها
ولولا مقال الكاشحين يريبنا	محوت اللمى الممنوع باللثم من فيها
وما راعني إلا الوادع وقولها	أتعتاض عن ذكر الظبا بتناسيها؟
أما بابنة الطائي وموقف ساعة	بمنعرج الجرعاء ما زلت أبكيها
سأذكرها حتى الممات إن أمت	فعظمى في الأجداث يندب هاميها

فمن مبلغ قومي وجيران أسرتي إذا هدأت ليلًا عيون أعاديها
بأني بحمد الله في ذروة العلا بكف المنى أجني زهور تهانيها

(وله من أخرى) يمدح بها بعض الأعيان وهو علي أفندي المرادي:

لمن في سراها أنحلتها الدكادك يحن اشتياقي والنجوم شوابك
إذا أدلجت قاد الهوى بزمامها وإن صوبت هانت لديها المسالك
وإن أنجدت طارت بغير قوادم وإن أتهمت فهي الرياح السوابك
فماذا على تلك الحداة لو انهم أناخوا بها حيث السيوف البوانك؟
وحيث الحمى يحمون بيضة خدره أسود بأيديها تهز النيازك
وكل كمي لا يرى العمر مغنمًا وكل أبي لم ترعه المهالك
يخوض مثار النقع والعزم عابس ويطعن ما بين الكلى وهو ضاحك
ويغدو عليه من دم القوم حلة لها السمهريات الدقاق خوابك
ولكن فيه من ظبا ذلك الحمى ظبا جردتهن الجفون السوافك
فمن كل رؤد لو بدت في نقابها لأبهت ذو رشد وأفتن ناسك
تُلاعب في أعطافها نشوة الصبا كما لاعبت غصنًا رياح ركائك
وتُبدي محيا في أثيث مجعد كما البدر أبدته الليالي الحوالك
فتفتك منها في الخدود عيوننا وفي قلبنا ألحاظها لفواتك
على أنها لو رام طيف خيالها أخو وهم عزَّت عليه المدارك
من اللاء لولا قرطها ووشاحها لقلت: مهاة إذ عرتها السنابك
تملكن حبات القلوب كأنما عليَّ لها بين البرية مالك
أغر غدا يغنيك لألاء وجهه عن الشمس حتى تنثنى وهي دالك
ذنوب كان المجد ذات وروحه معاليه والصيد الكرام حوارك

وقال يمدح الأستاذ محمد بن سالم الحفني قدس الله سره:

عجها على تلك الربوع المهد واسأل معالمها لعلك تهتدي
وقف الرواسم بالرسوم معللًا قلبًا لواعج شوقه لم تبرد

وانثر لآلي أدمع ضنت بها   عيناك إلا للخليط المنجد
فلطالما فيه أطعت صبابتي   ونبذت ظهريًّا مقال الحسد
طلل وقفت على صوى أرباضه   أيدي الحنين إلى ظباه الشرد
وأدرت طرفي وامق لعبت به   برح البعاد إلى أسى لم يعهد
وبكيت من حزن بمقلة حائرٍ   أسف إلى أحبابه لم يرشد
ولثمت آثار الظعائن ريثما   أطفأت بعض غليلي المتوقد
وطفقت أختبط الدجنة والهوى   يقتادني نحو المقيم المقعد
لا صبر لي عنهم يقيني حسرة   أخفيتها خوف أطلاع مفند
ناشدتكم يا زاجريها أنتم   سرتم بهاتيك الظباء الخرد
كيف استطعتم أن تروا مثلي على   ما تعهدون وتذهبوا في الفدفد
وتضيعوا ودًّا عليه عقدتم   عقد الخناصر إنه لم يجدد
هلا رقيتم واصطنعتم عنده   قبل الرحيل يدي شفيق مسعد
أرأيتكم أين استقروا بعد ما   سلكوا خروق مواقف لم تسدد
ضربوا الخيام على ثنية ضارج   ورضوا بجرعاها وذاك المعهد
حتى استطاب ترابها فتخذته   لجفوننا كحلًا مكان الإثمد
ومن العجايب أن أرى مستخبرًا   عمن ثوى بصميم قلبي المكمد
وإذا أرادوا يكتمون مسيرهم   نمت نوافحهم ولم أسترشد
يا مودعًا بملامه جمر الغضا   بجوانحي فاقصر ملامك أو زد
أنا من علمت ومن إذا ذكر الهوى   فاربط يديك على ولاه وأشدد
سل عن فؤادي أعين العين التي   أسيافهن بغيره لم تغمد
مذ سار خلف ركابهم يوم النوى   وبقيت مبهوتا وأسقط في يدي
كيف التصبر والحياة لمدنف   لم يبق غير ذمائه المتردد
ما كنت يا ذات الجناح بعالم   أن الوداع للوعتي وتسهدي
وأراك تبكي في الغصون وتشتكي   ألم النوى إن كنت مثلي فاسعد
أفتندبي شجنًا وإلفك حاضر   فلقد أسأت وإن أسأت فعدد
ما أنت ممن قد أطار فؤاده   داعي النوى وجفاه طيب المرقد
أين النحول وأين أحمر أدمع   تجري وجمرة مهجة لم تخمد

دعني فإني لست أول عاشق ... قتل الغرام ولا قتيل لم يُد
حزني عليك يزدني قلقا على ... ما أودع التبريح في القلب الصدى
حتى الجناح فأنت خير طليقة ... وأنا الذي بالوجد خير مقيد
ودعي الصبابة جانبًا وترنمي ... بحديث من أهوى ومدح محمد
العالم اللسن الذي أوصافه ... بعبيرها تغني عن الروض الندي
ومن ارتدى برد المحامد يافعا ... وتلفع الحسنى بأزكى محتد
وسرى على النهج القويم ولم يزغ ... حتى ارتوى عن عذب ذاك المورد
وصفت مواقع ذكره فتقاصرت ... عنها النهى من كل ندب أحيد
وحوى خصائل نافست زهر العلا ... حتى علت نجم السها والفرقد
وسما على الأعلام من أهل الهدى ... بمآثر غرا وحسن تودد
كم مشكل قد فك ربقة عسره ... ببداهة تزري بحد مهند
ولكم دقيقة معضل وافى بها ... شنفا لأذن السامع المسترشد
ولكم له في كل علم غامض ... سفر تناهى في الكمال المفرد
أدب على النقاد در حديثه ... متناسقًا كاللؤلؤ المتنضد
ومباحث ما السعد في إتقانها ... ومقاصد تزري بقول السيد
فإذا علينا قد أدار مدامه ... أغنى عن البكر الشمول الصرخد
خلع الدنا متمسكًا بعرا التقى ... وبكل أمر بالشريعة مقتدي
وسرى على سبل الهداية مرشدًا ... من أمه بوسائل لم تبعد
فبوجهه يغنيك عن شمس الضحى ... وعن الغيوث ببحر كف مزيد
فالفضل منحصر به أما السوى ... فمقلد لعلاه فاسمع تسعد
والجود من جداوه يعرف كهنه ... والدين والتقوى بدون تردد
فانظر إلى رجل تجسم من علا ... ورفيع مجد في الأنام وسودد
يا مالكًا منا الأنام بلطفه ... وبحسن ما يروي وأنضر مشهد
لك ما تروم من الزمان وبره ... فوق المراد وكل عيش أرغد
ما فيك إلا ما يقر قلوبنا ... وعيوننا ويسر كل مسود
وإليكها ممن غدت أفكاره ... نهب التنائي والزمان الأنكد
جاءتك تعثر في ذيول خجالة ... وتدير طرف الحائر المستنجد

فلئن رأت منك القبول فحسبها — فخرًا وطيب تودد وتعهد
حوشيت أن تغضض وشيمتك التي — غير الكمال الصرف لم تتعود
وأبيك لو وزنوك عندي في الورى — لوزنتهم وإذا شككت تعمد

ومن كلامه:

لا أريد الوصال بالمن ممن — أنحل الجسم بالجفا والدلال
إنما دائمًا له أتمنى — فتمنى اللقاء نصف الوصال

وله:

لا تكرر لحظًا إذا خلت وجهًا — ذا جمال وبهجة وبهاء
واغضض الطرف مثل ما أمر الله — فتكرير اللحظ نصف الزناء

ثم توجه إلى الشام وبها وافاه الحمام، ودفن بالصالحية سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف.

ومات الشيخ الصالح الشاعر اللبيب الناظم الناثر الشيخ/عامر الأنبوطي الشافعي، شاعر مفلق هجاء لهيب شرارة محرق، كان يأتي من بلده يزور العلماء والأعيان وكلما رأى لشاعر قصيدة سايرة قلبها وزنًا وقافيةً إلى الهزل والطبيخ، فكانوا يتحامون عن ذلك، وكان الشيخ الشبراوي يكرمه ويكسيه ويقول له: يا شيخ عامر لا تزفر قصيدتي الفلانية وهذه جائزتك»، ومن بعده الشيخ الحنفي كان يكرمه ويغدق عليه ويستأنس لكلامه، وكان شيخًا مسنًّا صالحًا مكحل العينين دائمًا عجيبًا في هيئته، ومن نظمه ألفية الطعام على وزن ألفية ابن مالك وأولها:

يقول عامر هو الأنبوطي — أحمد ربي لست بالقنوط

ويقول:

وأستعين الله في ألفيه — مقاصد الأكل بها محويه

فيها صنوف الأكل والمطاعم لـذت لـكـل جـايـع وهـايـم

إلى أن يقول:

طعامنا الضاني لذيذ للنهم لحمًا وسمنًا ثم خبزًا فالتقم
فـإنـهـا نـفـسـيـة والأكل عـم مطاعمًا إلى سناها القلب أم

ومنها:

والأصل في الأخباز أن تقمرا وجوزوا التقديد إذ لا ضررا
فامنعه حين يستوي الخرفان

(ومن) كلامه قصيدة أيضًا على وزن لامية العجم منها:

أنـاجـر الـضـان تـريـاق مـن الـعـلـل وأصـحـن الـرز فـيـهـا مـنـتـهـى أمـلـي
أكلي غدا وأكلي في العشا على حد سوى إذا اللحم السمين قلي
فـيـم الإقـامـة بـالأريـاف لا شـبـعـي فـيـهـا ولا نـزهـتـي فـيـهـا ولا جـذلـي
ناء عن الأهل خالي الجوف منقبض كمعدم مات من جوع ومن قشل
فلا خليل بدفع الجوع يرحمني ولا كريم بلحم الضان يسمح لي
طال التلهف للمطعوم واشتعلت أحشاشتي بحمام البيت حين قلي
أريـد أكـلًا نـفـيـسًـا أسـتـعـيـن بـه على العبادات والمطلوب من عملي
والدهر يفجع قلبي من مطاعمه بالعدس والكشك والبيسار والبصل
ناديت هيًّا ولا تبطي بغرفك لي فـإنـه خـلـق الإنـسـان مـن عـجـل

إلى آخرها (وله) على وزن لامية ابن الوردي (ومنها):

اجتنب مطعوم عدس وبصل في عشاء فهو للعقل خبل
وعـن الـبـيـسـار لا تـعـن بـه تمس في صحة جسم من علل
واحتفل بالضان إن كنت فتى زاكي العقل ودع عنك الكسل
من كباب وضلوع قد زكت أكلها ينفي عن القلب الوجل

إلى آخرها. ومن كلامه على وزن كلام ابن عروس:

أكلك من الضان رطلين   يـزيـد قـلـبـك نـفـاسـه
وابعد عن الكشك يا زين   ذا الأكـل مـنـه تـعـاسـه

وأيضًا:

أكل المطبق مع الفجر   بالشهد والسمن سايح
إللي يجيبه له أجر   في جنة الخلد رايح

وأيضًا:

يا طابخ الضأن اشتد   واغرف أواني وسيعه
عامر أتى لك وله يد   في الأكل ديمًا سريعه

وأيضًا:

العدس والكشك والفول   الأكـل مـنـهـم شـمـاتـه
يصبحوا الشب مخبول   قطعوا الجميع التلاته

وأيضًا:

أوصيك لا تأكل الفول   يـورث لـقـلـبـك قـسـاوه
تقطع نهارك كما الغول   تـايـه وعـنـدك غـشـاوه

وأيضًا:

خشاف مشمش وعناب   الـشـرب مـنـهـم دوايـه

من بعد ما كل كباب   يا رب حقق رجايه

ومات الأمير الكبير/عمر بك ابن حسن بك رضوان، وذلك أنه لما قلد إبراهيم كتخدا تابعه علي بك الكبير إمارة الحج وطلع بالحجاج ورجع في سنة سبع وستين وماية وألف، ونزل عليهم السيل العظيم بظهر حمار، وألقى الحجاج أحمالهم إلى البحر ولم يرجع منهم إلا القليل، تشاوروا فيمن يقلدونه إمارة الحج فاقتضى رأي إبراهيم كتخدا تولية المترجم وقد صار مسنًّا هرمًا فاستعفي من ذلك فقال له إبراهيم كتخدا: «إما أن تطلع بالحج أو تدفع مائتي كيس مسعدة»، فحضر عند إبراهيم كتخدا فرأى منه الجد فقال: «إذا كان ولا بد فإني أصرفها وأحج ولو أني أصرف ألف كيس»، ثم توجه إلى القبلة وقال: «اللهم لا ترني وجه إبراهيم هذا بعد هذا اليوم إما أني أموت أو هو يموت»، فاستجاب الله دعوته ومات إبراهيم كتخدا في صفر قبل دخول الحجاج إلى مصر بخمسة أيام، وتوفي عمر بك المذكور سنة إحدى وسبعين وماية وألف.

ومات الرجل الفاضل النبيه الذكي المتقن الفريد الأوسطى/إبراهيم السكاكيني، كان إنسانًا حسنًا عطارديًّا يصنع السيوف والسكاكين ويجيد سقيها وجلاءها، ويصنع قراباتها ويسقطها بالذهب والفضة، ويصنع المقاشط الجيدة الصناعة والسقي والتطعيم والبركارات للصنعة، وأقلام الجدول الدقيقة الصنعة المخرمة وغير ذلك، وكان يكتب الخط الحسن الدقيق بطريقة متسقة معروفة من دون الخطوط لا تخفى، وكتب بخطه ذلك كثيرًا مثل مقامات الحريري وكتب أدبية ورسايل كثيرة في الرياضيات والرسميات وغير ذلك، وبالجملة فقد كان فريدًا في ذاته وصفاته وصناعته، لم يخلف بعده مثله توفي في حدود هذا التاريخ، وكان حانوته تجاه جامع المرداني بالقرب من درب الصباغ.

وفي تلك السنة أعني سنة إحدى وسبعين وماية وألف نزل بقارب شيحة، الذي أخذ المليح والمليحة، مات به الكثير من الناس المعروفين وغيرهم ما لا يحصى، ثم خف وأخذ ينقر في سنة اثنتين وسبعين وماية وألف، وكان قوة عمله في رجب وشعبان، وولد للسلطان مصطفى مولود في تلك السنة، وورد الأمر بالزينة في تلك الأيام فكانت أبرد من يخ، وهذا المولود هو السلطان سليم المتولى الآن، ولما قتل حسين بك القازدغلي المعروف بالصابونجي وتعين في الرياسة بعده علي بك الكبير، وأحضر خشداشينه المنفيين واستقر أمرهم، وتقلد إمارة الحج سنة ثلاث وسبعين وماية وألف، فبيت مع سليمان بك الشابوري وحسن كتخدا الشعراوي وخليل جاويش حيضان مصلى وأحمد جاويش المجنون، واتفق معهم

على قتل عبد الرحمن كتخدا في غيبته، وأقام عوضه في مشيخة البلد خليل بك الدفتردار، فلما سافر استشعر عبد الرحمن كتخدا بذلك فشرع في نفي الجماعة المذكورين، فأغرى بهم علي بك بلوط قبن فنفى خليل جاويش حيضان مصلى وأحمد جاويش إلى الحجاز من طريق السويس على البحر، ونفى حسن كتخدا الشعراوي وسليمان بك الشابوري مملوك خشداشه إلى فارسكور، فلما وصل علي بك وهو راجع بالحج إلى العقبة وصل إليه الخبر فكتم ذلك، وأمر بعمل شنك يوهم من معه بأن الهجان أتاه بخبر سار، ولم يزل سايرًا إلى أن وصل إلى قلعة نخل، فانحاز إلى القلعة وجمع الدويدار وكتخدا الحج والسدادرة وسلمهم الحجاج والمحمل وركب في خاصته وسار إلى غزة وسار الحجاج من غير أمير إلى أن وصلوا إلى أجرود، فأقبل عليهم حسين بك كشكش ومن معه يريد قتل علي بك فلم يجده، فحضر بالحجاج ودخل بالمحل إلى مصر، واستمر علي بك بغزة نحو ثلاثة أشهر وأكثر، وكاتب الدولة بواسطة باشة الشام، فأرسلوا إليه واحد أغا ووعدوه ومنوه وتحيلوا عليه حتى استصفوا ما معه من المال والأقمشة وغير ذلك، ثم حضر إلى مصر بسعاية نسيبه علي كتخدا الخربطلي وأغراضه، ومات بعد وصوله إلى مصر بثمانية أيام، يقال: إن بعض خشداشينه شغله بالسم حين كان يطوف عليهم للسلام.

وفي تلك السنة حضر مصطفى باشا واليا على مصر، واستمر إلى أواخر سنة أربع وسبعين وماية وألف، ونزل إلى القبة متوجهًا إلى جده فأقام هناك، وحضر أحمد باشا كامل المعروف بصبطلان في أواخر سنة أربع وسبعين وماية وألف ١٧٦٠م، وكان ذا شهامة وقوة مراس، فدقق في الأحكام وصار يركب وينزل ويكشف على الأنبار والغلال، فتعصبت عليها الأمرا وعزلوه وأصعدوا مصطفى باشا المعزول وعرضوا في شأنه إلى الدولة، وسافر بالعرض الشيخ عبد الباسط السنديوني، ووجه مصطفى باشا خازنداره إلى جدة وكيلًا عنه، ولما وصل العرض إلى الدولة وكان الوزير إذ ذاك محمد باشا راغب فوجهوا أحمد باشا المنفصل إلى ولاية قندية، ومصطفى باشا إلى حلب، ووجهوا باكير باشا والي حلب إلى مصر، فحضر وطلع إلى القلعة وأقام نحو شهرين ومات ودفن بالقرافة سنة خمس وسبعين وماية وألف، وحضر حسن باشا في أواخر سنة ست وسبعين ثم عزل، وحضر حمزة باشا في سنة تسع وسبعين وماية وألف ١٧٦٥م وسأتى تتمة ذلك.

واستقر الحال وتقلد في إمارة الحج حسين بك كشكش، وطلع سنة أربع وسبعين وماية وألف بالحج، ووقف له العرب في مضيق وحضر إليه كبراؤهم وطلبوا مطالبهم وعوائدهم، فأحضر كاتبه الشيخ خليل كاتب الصرة وأمرهم بدفع مطلوبات العرب،

فذهبوا معه إلى خيمته وأحضر المال وشرع الصراف يعد لهم الدراهم، فضرب عند ذلك مدفع الشيل فقال لهم: «حينئذ لا يمكن في هذا الوقت فاصبروا حتى ينزل الحج في المحطة يحصل المطلوب»، وسار الحج حتى خرج من ذلك المضيق إلى الوسع، ورتب مماليكه وطوايفه وحضر العرب وفيهم كبيرهم هزاع، فأمر بقتلهم فنزلوا عليهم بالسيوف فقتلوهم عن آخرهم، وفيهم نيف وعشرون كبيرًا من مشايخ العربان المشهورين خلاف هزاع المذكور، وأمر بالرحيل وضربوا المدفع وسار الحج وتفرقت قبايل العرب ونساؤهم يصرخون بطلب الثأر، فتجمعت القبايل من كل جهة ووقفوا بطريق الحجاج، وفي المضايق وهو يسوق عليهم من أمام الحج وخلفه ويحاربهم ويقاتلهم بمماليكه وطوايفه، حتى وصل إلى مصر بالحج سالمًا ومعه روس العربان محملة على الجمال، ودخل المدينة بالمحمل والحجاج منصورًا مؤيدًا، فاجتمع عليه الأمرا من خشداشينه وغيرهم وقال له علي بك بلوط قبن: «إنك أفسدت علينا العرب وأخربت طريق الحج، ومن يطلع بالحج في العام القابل بعد هذه الفعلة التي فعلتها؟» فقال: «أنا الذي أسافر بالحج في العام القابل ومنى للعرب أصطفل!!» فطلع أيضًا في السنة الثانية وتجمع عليه العرب ووقفوا في كل طريق ومضيق وعلى روس الجبال، واستعدوا له بما استطاعوا من الكثرة من كل جهة، فصادمهم وقاتلهم وحاربهم وصار يكر ويفر، ويحلق عليهم من أمام الحج ومن خلفه حتى شردهم وأخافهم وقتل منهم الكثير، ولم يبال بكثرتهم مع ما هو فيه من القلة، فإنه لم يكن معه إلا نحو الثلثماية مملوك خلاف الطوايف والأجناد وعسكر المغاربة، وكان يبرز لحربهم حاسرًا رأسه مشهورًا حسامه، فيشتت شملهم ويفرق جمعهم، فهابوه وانكمشوا عن ملاقاته وانكفوا عن الحج، فلم تقم للعرب معه بعد ذلك قايمة، فحج أربع مرات أميرًا بالحج آخرها سنة ست وسبعين وماية وألف، ورجع سنة سبع وسبعين وماية وألف ١٧٦٣م، ولم يتعرض له أحد من العرب ذهابًا وإيابًا بعد ذلك، وكذلك أخاف العربان الكاينين حوالى مصر ويقطعون الطريق على المسافرين والفلاحين ويسلبون الناس، فكان يخرج إليهم على حين غفلة فيقتلهم وينهب مواشيهم ويرجع بغنايمهم وروسهم في أشناف مقاطف على الجمال، فارتدعوا وانكفوا على أفاعيلهم وأمنت السبل وشاع ذكره بذلك، وفي هذه المدة ظهر شأن علي بك بلوط قبن واستفحل أمره وقلد إسماعيل بك الصنجقية وجعله اشراقه وزوجه هانم بنت سيده، وعمل له مهمًا عظيمًا احتفل به للغاية ببركة الفيل، وكان ذلك في أيام النيل سنة أربع وسبعين وماية وألف، فعملوا على معظم البركة أخشابًا مركبة على وجه الماء يمشي عليها

الناس للفرجة، واجتمع بها أرباب الملاهي والملاعيب وبهلوان الحبل وغيره من ساير الأصناف والفرج والمتفرجون والبياعون من ساير الأصناف والأنواع، وعلقوا القناديل والوقدات على جميع البيوت المحيطة بالبركة، وعالبها سكن الأمراء والأعيان أكثرهم خشداشين بعضهم البعض ومماليك إبراهيم كتخدا أبي العروس، وفي كل بيت منهم ولايم وعزايم وضياقات وسماعات وآلات وجميعات، واستمر هذا الفرح والمهم مدة شهر كامل، والبلد مفتحة والناس تغدو وتروح ليلًا ونهارًا للحظ والفرجة من جميع النواحي، ووردت على علي بك الهدايا والصلات من إخوانه الأمراء والأعيان والاختيارية والوجاقلية والتجار والمباشرين والأقباط والإفرنج والأروام واليهود، والمدينة عامرة بالخير، والناس مطمئنة، والمكاسب كثيرة والأسعار رخية والقرى عامرة، وحضرت مشايخ البلدان وأكابر العربان ومقادم الأقاليم والبنادر بالهدايا والأغنام والجواميس والسمن والعسل، وكل من الأمرا الإبراهيمية كأنه صاحب الفرح والمشار إليه من بينهم صاحب الفرح علي بك، وبعد تمام الشهر زفت العروس في موكب عظيم شقوا به من وسط المدينة بأنواع الملاعيب والبهلوانات والجنك والطبول ومعظم الأعيان والجاويشية والملازمين والسعاة والأغوات أمام الحريمات، وعليهم الخلع والتخاليق المثمنة، وكذلك المهاترة والطالبون وغيرهم من المقدمين والخدم والجاويشية والركبدارية، والعروس في عربة، وكان الخازندار لعلي بك في ذلك الوقت محمد أبو الدهب ماشى بجانب العربة وفي يده عكاز ومن خلفها أولاد خزنات الأمراء ملبسين بالزرد والخود واللثامات الكشميرى مقلدين بالقسي والنشاب، وبأيديهم المزاريق الطوال، وخلف الجميع النوبة التركية والنفيرات (فمن) ذلك الوقت اشتهر أمر علي بك وشاع ذكره ونمى صيته، وقلد أيضًا مملوكه علي بك المعروف بالسروجية، ولما كان عبد الرحمن كتخدا ابن سيدهم ومركز دايرة دولتهم انضوى إلى ممالاته ومال هو الآخر إلى صداقته ليقوى به على أرباب الرياسة من اختيارية الوجاقات، وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه حتى إن عبد الرحمن كتخدا لما أراد نفي الجماعة المتقدم ذكرهم بيت مع بعض المتكلمين، وصوروا على أحمد جاويش المجنون ما يقتضي نفيه، ثم عرضوا ذلك على عبد الرحمان كتخدا فمانع في ذلك وأظهر الغيظ، وأصبح في ثاني يوم اجتمع عنده الاختيارية والصناجق على عادتهم، فلما تكامل حضور الجميع تكلم عبد الرحمن كتخدا فقال: «إن علي بك سافر إلى الحجاز ولا بد من كبير تجتمع فيه الكلمة» فقال له: «الرأي ما تراه» فقال علي بك: «هذا يكون شيخ البلد وكبيرها، وأنا أول من أطاعه وآخر من عصاه» فقالوا: «سمعنا وأطعنا ونحن كذلك» وأصبح عبد

الرحمن كتخدا غاديًا إلى بيت علي بك وكذلك باقي الأمراء والاختيارية، وصار الجميع والديوان في بيته من ذلك اليوم، ولبس الخلعة من الباشا على ذلك، ثم إنهم طلعوا أيضًا في ثانى يوم إلى الديوان واجتمعوا بباب الينكجرية، وكتبوا عرضحال بنفي أحمد جاويش وخليل جاويش وسليمان بك الشابوري فقال عبد الرحمن كتخدا: «واكتبوا معهم حسن كتخدا الشعراوي أيضًا»، فكتبوه وأخرجوا فرمانًا بذلك ونفوهم كما ذكر، واستمروا في نفيهم، وعمل أحمد جاويش وقادًا بالحرم المدني وخليل جاويش أقام أيضًا بالمدينة والشابوري وحسن كتخدا جهة فارسكور والسرو ورأس الخليج، وأخذ علي بك يمهد لنفسه واستكثر من شراء المماليك وشرع في مصادرة الناس ويتحيل على أخذ الأموال من أرباب البيوت المدخرة والأعيان المستورين مع الملاطفة، وإدخال الوهم على البعض بمثل النفي والتعرض إلى الفايظ ببعض المقتضيات ونحو ذلك.

ومن الحوادث السماوية أن في يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى هبت ريح عظيمة شديدة نكباء غريبة، غرق منها بالإسكندرية ثلاثة وثلاثون مركبًا في مرسى المسلمين، وثلاثة مراكب في مرسى النصارى، وضجت الناس وهاج البحر شديدًا وتلف بالنيل بعض مراكب، وسقطت عدة أشجار.

وطلع علي بك أميرًا بالحج في سنة سبع وسبعين وماية وألف، ورجع في أوايل سنة ثمان وسبعين وماية وألف في أبهة عظيمة، وأرخى مملوكه محمد الخازندار لحيته على زمزم، فلما رجع قلده الصنجقية، وهو الذي عرف بأبي الدهب، ثم قلد مملوكه أيوب أغا ورضوان قرابته وإبراهيم شلاق بلفيه وذا الفقار وعلي بك الحبشى صناجق أيضًا، وانقضت تلك السنة وأمر علي بك يتزايد وشهلوا أمور الحج على العادة، وقبضوا الميري وصرفوا العلوفات والجامكية والصرة وغلال الحرمين والأنبار، وخرج المحمل على القانون المعتاد وأميره حسن بك رضوان، ولما رجعوا من البركة بعد ارتحال الحج طلع علي بك وخشداشينه وأغراضه وملكوا أبواب القلعة، وكتبوا فرمانًا وأخرجوا عبد الرحمن كتخدا وعلي كتخدا الخربطلي وعمر وجاويش الداودية ورضوان جربجي الرزاز وغيرهم منفيين، فأما عبد الرحمن كتخدا فأرسلوه إلى السويس ليذهب إلى الحجاز وعينوا للذهاب معه صالح بك ليوصله إلى السويس، ونفوا باقي الجماعة إلى جهة بحري، وارتجت مصر في ذلك اليوم وخصوصًا لخروج عبد الرحمن كتخدا، فإنه كان أعظم الجميع وكبيرهم وابن سيدهم، وله الصولة والكلمة والشهرة، وبه ارتفع قدر الينكجرية المماليك على العزب العثمانلية، وكان له عزوة كبيرة ومماليك وأتباع وعساكر مغاربة وغيرهم حتى

ظن الناس وقوع فتنة عظيمة في ذلك اليوم، فلم يحصل شيء من ذلك سوى ما نزل بالناس من البهتة والتعجب، ثم أرسل إلى صالح بك فرمانًا بنفيه إلى غزة، فوصل إليه الجاويش في اليوم الذي نزل فيه عبد الرحمن كتخدا في المركب، وسافر وذهب صالح بك إلى غزة فأقام بها مدة قليلة. ثم أرسلوا له جماعة ونقلوه من غزة وحضروا به إلى ناحية بحري وأجلسوه برشيد، ورتب له علي بك ما يصرفه وجعل له فايظًا في كل سنة عشرة أكياس، فأقام برشيد مدة، فحضرت أخبار وصول الباشا الجديد وهو حمزة باشا إلى ثغر سكندرية، فأرسلوا إلى صالح بك جماعة يغيبونه من رشيد ويذهبون به إلى دمياط يقيم بها؛ وذلك لئلا يجتمع بالباشا، فلما وصلت إليه الأخبار بذلك ركب بجماعته ليلًا وسار إلى جهة البحيرة، وذهب من خلف جبل الفيوم إلى جهة قبلي، فوصل إلى منية ابن خصيب، فأقام بها، واجتمع عليه أناس كثيرة من الذين شردهم علي بك ونفاهم في البلاد، وبنى له أبنية ومتاريس، وكان له معرفة وصداقة مع شيخ العرب همام، وأكابر الهوارة وأكثر البلاد الجارية في التزامه جهة قبلي، واجتمع عليه الكثير منهم وقدموا له التقادم والذخيرة وما يحتاج إليه.

ووصل المولي حفيد أفندي القاضي، وكان من العلماء الأفاضل، ويعرف بطرون أفندي، وكان مسنًّا هرمًا، فجلس على الكرسي بجامع المشهد الحسيني ليملي درسًا، فاجتمع عليه الفقهاء الأزهرية وخلطوا عليه، وكان المتصدي لذلك الشيخ أحمد بن يونس، والشيخ عبد الرحمن البرادعي، فصار يقول لهم: «كلموني بآداب البحث، أما قرأتم آداب البحث؟»، فزادو في المغالطة، فما وسعه إلا القيام، فانصرفوا عنه وهم يقولون: «عكسناة».

وفي شعبان من السنة المذكورة شرع القاضي المذكور في عمل فرح لختان ولده، فأرسل إليه علي بك هدية حافلة، وكذلك باقي الأمراء والاختيارية والتجار والعلماء حتى امتلأت حواصل المحكمة بالأرز والسمن والعسل والسكر، وكذلك امتلا المقعد بفروق البن ووسط الحوش بالحطب الرومي، واجتمع بالمحكمة أرباب الملاعيب والملاهي والبهلوانات وغيرهم، واستمر ذلك عدة أيام والناس تغدو وتروح للفرجة، وسعت العلما والأمرا والأعيان والتجار لدعوته، وفي يوم الزفة أرسل إليه علي بك ركوبته وجميع اللوازم من الخيول والمماليك وشجر الدر والزرديات، وكذلك داقم الباشا من الأغوات والسعاة والجاويشية والنوبة التركية، وأركبوا الغلام بالزفة إلى بيت علي بك، فألبسه فروة سمور ورجع إلى المحكمة بالموكب وختن معه عدة غلمان وكان مهمًّا مشهودًا، واتحد هذا

القاضي بالشيخ الوالد، وتردد كل منهما على الآخر كثيرًا، وحضر مرة في غير وقت ولا موعد في يوم شديد الحر، فلما صعد إلى أعلى الدرج، وكان كثيرًا، فاستلقى من التعب على ظهره لهرمه، فلما تروح وارتاح في نفسه قال له الشيخ: «يا أفندي لأي شيء تتعب نفسك؟ أنا آتيك متى شئت»، فقال: «أنا أعرف قدرك وأنت تعرف قدري»، وكان نايبه من الأذكياء أيضًا.

ولما حضر حمزة باشا سنة تسع وسبعين وماية وألف المذكورة واليًا على مصر وطلع إلى القلعة، فعرضوا له أمر صالح بك وأنه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميري، وأخذوا فرمانًا بالتجريد عليه، وتقلد حسين بك كشكش حاكم جرجا أمير التجريدة، وشرعوا في التشهيل والخروج فسافر حسين بك كشكش وصحبته محمد بك أبو الدهب وحسن بك الأزبكاوي، فالتطموا مع صالح بك لطمة صغيرة، ثم توجه وعدَّى إلى شرق أولاد يحيى، وكان حسين بك شبكة مملوك حسين بك كشكش نفاه علي بك إلى قلبي، فلما ذهب صالح بك إلى قبلي انضم إليه وركب معه، فلما توجه حسين بك بالتجريدة وعدى صالح بك شرق أولاد يحيى انفصل عنه، وحضر إلى سيده حسين بك وانضم إليه كما كان، ورجع محمد بك وحسن بك إلى مصر وتخلف حسين بك عن الحضور يريد الذهاب إلى منصبه بجرجا، وأقام في المنية فأرسل إليه علي بك فرمانًا بنفيه إلى جهة عينها له فلم يتمثل لذلك، وركب في مماليكه وأتباعه وأمرايه وحضر إلى مصر ليلًا فوجد الباب الموصل لجهة قناطر السباع مغلوقًا فطرقه فلم يفتحوه، فكسره ودخل وذهب إلى بيته وبقي الأمر بينهم على المسالمة أيامًا فأراد علي بك أن يشغله بالسم بيد عبد الله الحكيم، وقد كان طلب منه معجونًا للباءة فوضع له السم في المعجون، وأحضره له فأمره أن يأكل منه أولا فتلكأ واعتذز فأمر بقتله، وكان عبد الله الحكيم هذا نصرانيًّا روميًّا يلبس على رأسه قلبق سمور، وكان وجيهًا الصورة فصيحًا متكلمًا يعرف التركية والعربية والرومية والطليانية، وعلم حسين بك أنها من عزيمة علي بك، فتأكدت بينهما الوحشة، وأضمر كل منهما لصاحبه السوء، وتوافق علي بك مع جماعته على غدر حسين بك وإخراجه فوافقوه ظاهرًا، واشتغل حسين بك على إخراج علي بك وعصب خشداشينه وغيرهم وركبوا عليه المدافع، فكرنك في بيته وانتظر حضور المتوافقين معه فلم يأته منهم أحد وتحقق نفاقهم عليه، فعند ذلك أرسل إليهم يسألهم عن مرادهم، فحضر إليه منهم من يأمره بالركوب والسفر، فركب وأخرجوه منفيًّا إلى الشام ومعه مماليكه وأتباعه، وذلك في أواخر شهر رمضان سنة تسع وسبعين وماية وألف ١٧٦٥م، وأقام بالعادلية

ثلاثة أيام حتى عملوا حسابه وحساب أتباعه وهم محيطون بهم من كل جهة بالعسكر والمدافع حتى فرغوا من الحساب، واستخلصوا ما بقي على طرفهم. ثم سافروا إلى جهة غزة، وكانت العادة فيمن ينفى من أمراء مصر أنه إذا خرج إلى خارج فعلوا معه ذلك، ولا يذهب حتى يوفي جميع ما يتأخر بذمته من ميري وخلافه، وإن لم يكن معه ما يوفي ذلك باع أثاث داره ومتاعه وخيوله ولا يذهب إلا خالص الذمة.

وسافر صحبة علي بك أمراؤه وهم محمد بك وأيوب بك ورضوان بك وذو الفقار بك وعبد الله أغا الوالي وأحمد جاويش وسليمان جاويش وغيطاس كتخدا وباقي أتباعه، واستقر خليل بك كبير البلد مع قسيمه حسين بك كشكش وباقي جماعتهم وحسن بك جوجو، وعزلوا عبد الرحمن أغا وقلدوا قاسم أغا الوالى أغات مستحفظان، ورد الخبر من الجهة القبلية بأن صالح بك رجع من شرق أولاد يحيى إلى المنية واستقر فيها وحصنها، فعند ذلك شرعوا في تشهيل تجريدة وبرزوا إلى جهة البساتين، وفي تلك الأيام رجع علي بك ومن معه على حين غفلة ودخل إلى مصر، فنزل بيت حسين بك كشكش ومحمد بك نزل عند عثمان بك الجرجاوي وأيوب بك دخل منزل إبراهيم أغا الساعي، فاجتمع الأمراء بالآثار وعملوا مشورة في ذلك، فاقتضى الرأي بأن يرسلوه إلى جدة، وقال بعضهم: «اسمعوا نصحي واقتلوه وارتاحوا منه، فإنه إن دام حيًّا أتعبكم ولا يبقي منكم أحدًا»، فقالوا: «لا يصح، إنه أخونا ودخل إلى بيوتنا»، فأرسلوا له بذلك وقال: لا أخرج من بيت سيدي إلا أن يكون جهة بحري»، فاجتمع الرأي بأن يعطوه النوسات ويذهب إليها، فرضي بذلك وذهب إلى النوسات وأقام بها، وأرسلوا محمد بك وأيوب بك ورضوان بك إلى قبلي بناحية أسيوط وجهاتها، وكان هناك خليل بك الأسيوطي، فانضموا إليه وصادقوه وسفروا التجريدة إلى صالح بك فهزمت، فأرسلوا له تجريدة أخرى وأميرها حسن بك جوجو وكان منافقًا فلم يقع بينهم إلا بعض مناوشات، ورجعوا أيضًا كأنهم مهزومون، وأرسلوا له ثالث ركبة فكانت الحرب بينهم سجالًا، ورجعوا كذلك بعد أن اصطلحوا مع صالح بك أن يذهب إلى جرجا، ويأخذ ما يكفيه هو ومن معه ويمكث بها ويقوم بدفع المال والغلال، وكان ذلك في شهر جمادى الأولى سنة ثمانين وماية وألف ١٧٦٦م.

وفي ثانى شعبان منها اتهموا حسن بك الأزبكاوي أنه يراسل علي بك وعلي بك يراسله، فقتلوه في ذلك اليوم بقصر العيني ورسموا بنفي خشداشينه وهم: حسن بك أبو كرش ومحمد بك الماوردي وسليمان أغا كتخدا الجاويشية سيد الثلاثة، وهو زوج أم عبد الرحمن كتخدا وكان مقيمًا بمصر القديمة وقد صار مسنًّا فسفروهم إلى جهة بحري،

وتخبلوا من إقامة علي بك بالنوسات، فأرسلوا له خليل بك السكران فأخذه وذهب به إلى السويس ليسافر إلى جدة من القلزم، وأحضر له المركب لينزل فيها.

وفي ثاني شهر شوال من السنة ركب الأمراء إلى قراميدان ليهنوا الباشا بالعيد، وكان معتاد الرسوم القديمة، أن كبار الأمراء يركبون بعد الفجر من يوم العيد وكذلك أرباب العكاكيز، فيطلعون إلى القلعة ويمشون أمام الباشا من باب السراية إلى جامع الناصر بن قلاوون، فيصلون صلاة العيد ويرجعون كذلك ثم يقبلون أتكه ويهنونه وينزلون إلى بيوتهم، فيهنى بعضهم بعضًا على رسمهم واصطلاحهم، وينزل الباشا في ثاني يوم إلى الكشك بقراميدان وقد هيئت مجالسه بالفرش والمساند والستور واستعد فراشو الباشا بالتطلي والقهوة والشربات والقماقم والمباخر ورتبوا جميع الاحتياجات واللوازم من الليل، واصطفت الخدم والجاويشية والسعاة والملازمون وجلس الباشا بذلك الكشك وحضرت أرباب العكاكيز والخدم قبل كل أحد، ثم يأتي الدفتردار وأمير الحاج والأمراء الصناجق والاختيارية وكتخدا الينكجرية والعزب أصحاب الوقت، والمقادم والأوده باشية واليمقات والجربجية فيهنون الباشا، ويعيدون عليه على قدر مراتبهم بالقانون والترتيب ثم ينصرفون، فلما حضروا في ذلك اليوم المذكور وهنأ الأمراء الصناجق الباشا وخرجوا إلى دهليز القصر يريدون النزول وقف لهم جماعة، وسحبوا السلاح عليهم وضربوا عليهم بنادق، فأصيب عثمان بك الجرجاوي بسيف في وجهه وحسين بك كشكش أصيب برصاصة نفذت من شقه، وسحب الآخرون سلاحهم وسيوفهم واحتاط بهم مماليكهم، ونط أكثرهم من حايط البستان ونفذوا من الجهة الأخرى وركبوا خيولهم وهو لا يصدقون بالنجاة، وأركبوا عثمان بك حصانه وهو يقول: «باب العزب، باب العزب»، وقد قطع السيف وجهه وحنكه، وذهبوا به إلى باب العزب وأنزلوه فمكث هنيهة ومات، فشالوه إلى بيته وغسلوه وكفنوه وخرجوا بجنازته ودفنوه، وانجرح أيضًا إسماعيل بك أبو مدفع ومحمود بك وقاسم أغا، ولكن لم يمت منهم إلا عثمان بك، وباتوا على ذلك فلما أصبحوا اجتمعوا وطلعوا إلى الأبواب وأرسلوا إلى الباشا يأمرونه بالنزول، فنزول إلى بيت أحمد بك كشك بقوصون، وعند نزوله ومروره بباب العزب وقف له حسين بك كشكش وأسمعه كلامًا قبيحًا، ثم إنهم جعلوا خليل بك بلفيه قايمقام وقلدوا عبد الرحمن أغا مملوك عثمان بك سنجقًا عوضا عن سيده ونسبت هذه النكتة إلى حمزة باشا وقيل: إنها من علي بك الذي بالنوسات ومراسلاته الى حسن بك جوجو، فبيت مع أنفار من الجلفية وأخفاهم عنده مده أيام وتواعدوا على ذلك اليوم وذهبوا إلى الكشك بقراميدان وكانوا

نحو الأربعين، فاختلفوا واتفقوا على ثانى يوم بدهليز بيت القاضي وتفرقوا إلا أربعة منهم ثبتوا على ذلك الاتفاق وفعلوا هذه الفعلة، وبطل أمر العيد من قراميدان من ذلك اليوم، وتهدم القصر وخرب وكذلك الجنينة ماتت أشجارها وذهبت نضارتها.

ولما حصلت هذه الحادثة أرسلوا حمزة بك إلى علي بك فوجده في المركب بالغاطس ينتظر اعتدال الريح للسفر، فرده إلى البر وأركبه بمماليكه وأتباعه، ورجع إلى جهة مصر ومر من الجبل وذهب إلى جهة شرق إطفيح ثم إلى أسيوط بقبلي، ورجع حمزة بك إلى مصر، ثم إن علي بك اجتمعت عليه المنافي وهوارة وخلافهم وأراد الانضمام إلى صالح بك فنفر منه، فلم يزل يخادعه وكان على كتخدا الخربطلي هناك منفيًّا من قبله وجعله سفيرًا فيما بينه وبين صالح بك هو وخليل بك الأسيوطي وعثمان كتخدا الصابونجي، فأرسلهم فلم يزالوا به حتى جنح لقولهم، فعند ذلك أرسل إليه محمد بك أبو الدهب فلم يزلبه حتى انخدع له واجتمع عليه بكفالة شيخ العرب همام، وتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيف، وكتبوا بذلك حجة واتفق مع علي بك أنه إذا تم لهم الأمر أعطى لصالح بك جهة قبلي حياة، واتفقوا على ذلك بالمواثيق الأكيدة وأرسلوا بذلك إلى شيخ العرب خمام فانسر بذلك ورضي به مراعاة لصالح بك، وأمدهم عند ذلك همام بالعطايا والمال والرجال، واجتمع عليهم المتفرقون والمشردون من الغز والأجناد والهوارة والشجعان ولموا جموعًا كثيرة وحضروا إلى المنية وكان بها خليل بك السكران، فلما بلغه قدومهم ارتحل منها وحضر إلى مصر هاربًا.

واستقر علي بك وصالح بك وجماعتهم بالمنية، وبنوا حولها أسوارًا وأبراجًا وركبوا عليها المدافع وقطعوا الطريق على المسافرين المبحرين والمقبلين، وأرسل علي بك إلى ذي الفقار بك وكان بالمنصورة وصحبته جماعة كشاف، فارتحلوا ليلًا وذهبوا إلى المنية فعمل الأمراء جمعية وعزموا على تشهيل تجريدة وتكلموا وتشاوروا في ذلك، فتكلم الشيخ الحفناوي في ذلك المجلس وأفحمهم بالكلام ومانع في ذلك وقال: «أخربتم الأقاليم والبلاد، في أي شيء هذا الحال وكل ساعة خصام ونزاع وتجاريد؟ علي بك هذا رجل أخوكم وخشداشكم، أي شيء يحصل إذا أتى وقعد في بيته واصطلحتم مع بعضكم وأرحتم أنفسكم والناس؟» وحلف أنه لا يسافر أحد بتجريده مطلقًا، وإن فعلوا ذلك لا يحصل لهم خير أبدًا، فقالوا: «إنه هو الذي يحرك الشر ويريد الانفراد بنفسه ومماليكه، وإن لم نذهب إليه أتى هو إلينا وفعل مراده فينا»، فقال لهم الشيخ: «أنا أرسل إليه مكاتبة فلا تتحركوا بشيء حتى يأتي رد الجواب»، فلم يسعهم إلا الامتثال، فكتب له الشيخ مكتوبًا

ووبخه فيه وزجره ونصحه ووعظه وأرسلوه إليه، فلم يلبث الشيخ بعد هذا المجلس إلا أيامًا ومرض ورمى بالدم وتوفي إلى رحمة الله تعالى، فيقال: إنهم أشغلوه وسموه ليتمكنوا من أغراضهم.

وفي أثناء ورد الخبر بوصول محمد باشا راقم إلى سكندرية فأرسلوا له الملاقاة، وحضر إلى مصر وطلع القلعة في غرة ربيع الثاني سنة إحدى وثمانين ومائة وألف. ١٧٦٧م

وفي حادي عشر جمادى الأولى اجتمعوا بالديوان وقلدوا حسن بك رضوان دفتردار مصر.

وفي خامس عشرة قلدوا خليل بك بلفيه أمير الحاج وقاسم أغا صنجقًا، وكتبوا فرمانًا بطلوع التجريدة إلى قبلي ولبس ساري عسكرها حسين بك كشكش وشرعوا في التشهيل واضطرهم الحال إلى مصادرة التجار، وأحضر خليل بك النواخيد وهم ملا مصطفى وأحمد أغا الملطيلي وقرا إبراهيم وكاتب البهار، وطلب منهم مال البهار معجلًا، فاعتذروا فصرخ عليهم وسبهم فخرجوا من بين يديه، وأخذوا في تشهيل المطلوب وجمع المال من التجار، وبرز حسين بك خيامه للسفر في منتصف جمادى الأولى وخرج صحبته سته من الصناجق وهم: حسن بك جوجو وخليل بك السكران وحسن بك شبكة وإسماعيل بك أبو مدفع وحمزة بك وقاسم بك، وأسرعوا في الارتحال.

وفي عشرينه أخرج خلفهم أيضًا خليل بك تجريدة أخرى، وفيها ثلاثة صناجق ووجاقلية وعسكر مغاربة وسافروا أيضًا في يومها، وبعد ثلاثة أيام ورد الخبر بوقوع الحرب بينهم ببياضة تجاه بني سويف، فكانت الهزيمة على حسين بك ومن معه وقتل علي أغا المليجي وخلافه، وقتل من ذلك الطرف ذو الفقار بك ورجع المهزومون في ذلك ثاني يوم الكسرة وهو يوم السبت رابع عشرينه وهم في أسوأ حال، وأصبحوا يوم الأحد طلعوا إلى أبواب القلعة، وطلبوا من الباشا فرمانًا بالتجريدة على علي بك وصالح بك ومن معهم، وطلبوا مائتى كيس من الميري يصرفونها في اللوازم، فامتنع الباشا عن ذلك وحضر الخبر يوم الإثنين بوصول القادمين إلى غمازة، وكان الوجاقلية وحسن بك جوجو ناصبين خيامهم جهة البساتين فارتحلوا ليلًا وهربوا، وتخبل غزل خليل بك وحسين بك ومن معهما وتحيروا في أمرهم، وتحققوا الإدبار والزوال، وأرسل الباشا إلى الوجاقلية يقول لهم: كل وجاق يلازم بابه.

وفي سابع عشرينه حضر علي بك وصالح بك ومن معهم إلى البساتين، فازداد تحيرهم وطلعوا إلى الأبواب فوجدوها مغلوقة، فرجعوا إلى قراميدان وجلسوا هناك ثم

رجعوا، وتسحب تلك الليلة كثير من الأمراء والأجناد وخرجوا إلى جهة علي بك، وكان حسن بك المعروف بجوجو ينافق الطرفين ويراسل علي بك وصالح بك سرًّا ويكاتبهما، وضم إليه بعض الأمرا مثل: قاسم بك خشداشه وإسماعيل بك زوج هانم بنت سيدهم وعلي بك السروجي وجن علي وهو خشداش إبراهيم بك بلفيه، وكثير من أعيان الوجاقلية، ويرسلون لهم الأوراق في داخل الأقصاب التي يشربون فها الدخان ونحو ذلك.

وفي ليلة الخميس تاسع عشرين جمادى الأولى هرب الأمرا الذين بمصر وهم: خليل بك شيخ البلد وأتباعه وحسين بك كشكش وأتباعه وهم نحو عشرة صناجق وصحبتهم مماليكهم وأجنادهم عدة كثيرة، وأصبح يوم الخميس فخرج الأعيان وغيرهم، لملاقاة القادمين ودخل في ذلك اليوم علي بك وصالح بك وصناجقهم ومماليكهم وأتباعهم، وجميع من كان منفيًّا بالصعيد قبل ذلك من أمرا ووجاقلية وغيرهم، وحضر صحبتهم علي كتخدا الخربطلي وخليل بك الأسيوطي وقلده علي بك الصنجقية مجددًا، وضربت النوبة في بيته، ثم أعطاه كشوفية الشرقية وسافر إليها.

وفي يوم الأحد ثاني شهر جمادى الثانية طلع علي بك وصالح بك وباقي الأمرا القادمين، والذين تخلفوا عن الذاهبين مثل حسن بك جوجو وإسماعيل بك زوج هانم وجن علي وعلي بك السروجى وقاسم بك والاختيارية والوجاقلية وغيرهم إلى الديوان بالقلعة، فخلع الباشا على علي بك، واستقر في مشيخة البلد كما كان، وخلع على صناجقه خلع الاستمرار أيضًا في إماراتهم كما كانوا، ونزلوا إلى بيوتهم وثبت قدم علي بك في إمارة مصر ورياستها في هذه المرة، وظهر بعد ذلك الظهور التام وملك الديار المصرية والأقطار الحجازية والبلاد الشامية، وقتل المتمردين وقطع المعاندين وشتت شمل المنافقين وخرق القواعد، وخرم العوايد، وأخرب البيوت القديمة، وأبطل الطرايق التي كانت مستقيمة، ثم إنه حضر سليمان أغا كتخدا الجاويشية وصناجقة إلى مصر، وعزم على نفي بعض الأعيان وإخراجهم من مصر فعلم أنه لا يتمكن من أغراضه مع وجود حسن بك جوجو، وأنه ما دام حيًّا لا يصفوا له حال، فأخذ يدبر على قتله فبيت مع أتباعه على قتله، فحضر حسن بك جوجو وعلي بك جن على عند علي بك، وجلسوا معه حصة من الليل وقام ليذهب إلى بيته فركب وركب معه جن علي ومحمد بك أو الدهب وأيوب بك ليذهبا أيضًا إلى بيوتهما لاتحاد الطريق، فلما صاروا في الطريق التي عند بيت الشابوري خلف جامع قوصون سحبوا سيوفهم، وضربوا حسن بك وقتلوه وقتلوا معه أيضًا جن علي، ورجعوا وأخبروا سيدهم علي بك وذلك ليلة الثلاثاء من شهر رجب من سنة إحدى وثمانين وماية

وألف ١٧٦٧م، وأصبح علي بك مالكًا للأبواب، ورسم بنفي قاسم بك وإسماعيل بك أبي مدفع وعبد الرحمن بك وإسماعيل كتخدا عزبان ومحمد كتخدا زنور ومصطفى جاويش تابع مصطفى جاويش الكبير مملوك إبراهيم كتخدا وخليل جاويش درب الحجر.

وفي حادى عشر شهر شوال أخرج أيضًا نحو الثلاثين شخصًا من الأعيان، ونفاهم في البلاد وفيهم ثمانية عشر أميرًا من جماعة الفلاح، وفيهم علي كتخدا وأحمد كتخدا الفلاح وإبراهيم كتخدا مناو وسليمان أغا كتخدا جاووشان الكبير وصناجقه حسن بك أبو كرش ومحمد بك الماوردي وخلافهم مقادم وأوده باشية، فنفي الجميع إلى جهة قبلي وأرسل سليمان أغا كتخدا الجاويشية إلى السويس؛ ليذهب إلى الحجاز من القلزم واستمر هناك إلى أن مات.

وفيه قبض علي بك على الشيخ يوسف بن وحيش وضربه علقة قوية ونفاه إلى بلده جناج، فلم يزل بها إلى أن مات، وكان من دهاة العالم وكان كاتبًا عند عبد الرحمن كتخدا القازدغلي، وله شهرة وسمعة في السعي وقضاء الدعاوي والشكاوي والتحيلات والمداهنات والتلبيسات وغير ذلك.

وفي شهر الحجة وصلت أخبار عن حسين بك كشكش وخليل بك أنهم لما وصلوا إلى غزة جمعوا جموعًا، وأنهم قادمون إلى مصر فشرع علي بك في تشهيل تجريدة عظيمة، وبرزوا وسافروا.

ثم ورد الخبر بعد ثلاثة أيام أنهم عرجوا إلى جهة دمياط، ونهبوا منها شيئًا كثيرًا ثم حضروا إلى المنصورة ونهبوا منها كذلك، فأرسل علي بك يأمر التجريدة بالذهاب إليهم، وأرسل لهم أيضًا عسكرًا من البحر النيل فتلاقوا معهم عند الديرس والجراح من أعمال المنصورة عند سمنود، فوقع بينهم وقعة عظيمة وانهزمت التجريدة وولوا راجعين، وقتل في هذه المعركة سليمان جربجي باش اختيار جمليان وأحمد جربجي طنان جراكسه وعمر أغا جاووشان أمين الشون وكانوا صدور الوجاقات، ولم يزالوا في هزيمتهم إلى دجوة.

فلما وصل الخبر بذلك إلى علي بك اهتم لذلك ونزل الباشا، وخرج إلى قبة باب النصر خارج القاهرة وجمع الوجاقلية والعلماء وأرباب السجاجيد، وأمر الباشا بأن كل من كان وجاقليًّا أو عليه عتامنة يشهل نفسه ويطلع إلى التجريدة أو يخرج عنه بدلًا، واجتهد علي بك في تشهيل تجريدة عظيمة أخرى وكبيرها محمد بك أو الدهب، وسافروا في أوائل المحرم، واجتمعوا بالتجريدة الأولى وسار الجميع خلف حسين بك وخليل بك،

ومن معهم وكانوا عدوا إلى بر الغربية بعد أن هزموا التجريدة، فلو قدر الله أنهم لما كسروا التجريدة ساقوا خلفهم كما فعل علي بك وصالح بك لدخلوا إلى مصر من غير مانع، ولكن لم يرد الله تعالى لهم ذلك.

وانقضت هذه السنين وما وقع بها على سبيل الإجمال إذ التفصيل متعذر، وجمع الشوارد في الظلام متعسر، وذلك بحسب الإمكان وما وعاه الفكر والذهن خؤان.

ذكر من مات في هذه الأعوام من أكابر العلماء وأعاظم الأمراء

مات الشيخ الإمام الفقيه المحدث الشريف السيد/محمد بن محمد البليدى المالكي الأشعري الأندلسي المغربي، حضر دروس الشيخ شمس الدين محمد بن قاسم البقري المقري الشافعي في سنة عشر وماية وألف، ثم على أشياخ الوقت كالشيخ العزيزي والملوي والنفراوي، وتمهر ثم لازم الفقه والحديث بالمشهد الحسيني، فراج أمره واشتهر ذكره وعظمت حلقته وحسن اعتقاد الناس فيه وانكبوا على تقبيل يده وزيارته وخصوصًا تجار المغاربة لعلة الجنسية، فهادوه وواسوه واشتروا له بيتًا بالعطفة المعروفة بدرب الشيشيني، وقسطوا ثمنه على أنفسهم ودفعوه من مالهم، فلم يزل مقبلًا على شأنه ملازمًا على طريقته مواظبًا على إملاء الحديث كصحيح البخارى ومسلم والموطأ والشفاء والشمائل، حتى توفي ليلة التاسع والعشرين من رمضان سنة ست وسبعين وماية وألف.

ومات الأستاذ المعظم ذو المناقب العلية والسجايا المرضية بقية السلف السيد مجد الدين/ محمد أبو هادي بن وفا، ولد سنة إحدى وخمسين وماية وألف، ومات والده وهو طفل فنشأ يتيمًا وخلف عمه في المشيخة والتكلم، وأقبل على العلم والمطالعة والأذكار والأوراد، وولى نقابة الأشراف بمصر في هذه الأثناء فساس فيها أحسن سياسة، وجمع له بين طرفي الرياسة، وكان أبيض وسيمًا ذا مهابة لا يهاب في الله، أمارًا بالمعروف فاعلًا للخير، توفي يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة ست وسبعين وصُلي عليه بالأزهر في مشهد عظيم حضره الأكابر والأصاغر، وحمل على الأعناق ودفن بزاويتهم بالقرب من عمه رضي الله عنه وتخلف بعده السيد شهاب الدين أحمد أبو الأمداد.

ومات أيضًا في هذا الشهر والسنة الصدر الأعظم المغفور له محمد باشا المعروف يراغب، وكان معدودًا من أفاضل العلماء وأكابر الحكماء جامعًا للرياستين، حاويًا للفضيلتين، وله تآليف وأبحاث في المعقول والمنقول، والفروع والأصول، وهو الذي حضر إلى مصر واليًا في سنة تسع وخمسين وماية وألف، ووقع له ما وقع مع الخشاب والدمايطة كما تقدم، ورجع إلى الديار الرومية وتولى الصدارة، ثم توفي إلى رحمة الله تعالى في رابع عشرين شهر رمضان سنة ست وسبعين وماية وألف، وكان نقش خاتمه هذا البيت:

بمحمد يرجو الأمان محمد　　مما يخاف وفي نوالك راغب

وألف رسالة في العروض غريبة شرحها الشيخ أبو الحسن القلعى المغربي، وله ثلاثة دواوين: تركي وفارسي وعربي، وكان له ذوق صحيح وفهم رجيح يكرم العلماء والوافدين ويباحث أهل العلم بمبتكراته، ومن كلامه في مواجب مصر:

مواجبٌ نزلت من بعد تطويل　　كضرطة ربطت في طرف منديل
أو صوت ضفدعة في بركة الفيل

وله في أحد مماليك أمراء مصر، وأجاد:

حكى ذا الرشا المملوك في الحسن يوسفًا　　وفيما أدعيه يشهد العين والقلبُ
خلا أن ذاك اغتاله الذئب فريةً　　وهذا حقيقًا قد تملكه كلب

وسفينة الراغب المشهورة وما جمع فيها من المسائل والأبحاث والإيرادات الغربية، كبحث الاسم والمسمى والمقولات العشرة والعقول العشرة والحضرات الخمس والمعاد الجسماني وجابرقا وجابرصا وغير ذلك.

ومات الشيخ المجذوب/على الهواري، كان من أرباب الأحوال الصادقين، والأولياء المستغرقين، وأصله من الصعيد وكان يركب الخيول ويروضها ويجيد ركوبها؛ ولذلك لقب بالهواري، ثم أقلع من ذلك وانجذب مرة واحدة، وكان للناس فيه اعتقاد حسن، وحكى عنه الكشف غير واحد، ويدور في الأسواق والناس يتبركون به، مات شهيدًا

بالرميلة، أصابته رصاصة من يد رومي فلتة في سنة ست وسبعين وماية وألف، وصلوا عليه بالأزهر وازدحم الناس على جنازته رحمه الله.

ومات الشيخ المسند/عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني المكي الشافعي الشهير بالسقاف ابن أخت حافظ الحجاز عبد الله بن سالم البصري، والسقاف لقب جده الأكبر عبد الرحمن من آل باعلوي، ولد بمكة سنة اثنتين وماية وألف، وروى عن خاله المذكور وعن الشيخين العجمي والنخلي والشيخ تاج الدين المفتي وحسين بن عبد الرحمن الخطيب ومحمد عقيلة وإدريس بن أحمد اليماني والشيخ عيد وعبد الوهاب الطنتدائي ومصطفى بن فتح الله الحنفي، وسمع الأولية عاليًا عن الشهاب أحمد البناء بعناية خاله سنة عشر وماية وألف، ومهر وأنجب واشتهر صيته وسمع منه كبار الشيوخ وأجازهم كالشيخ الوالد والشيخ أحمد الجوهري، وعندي إجازته للوالد بخطه، وكذلك أجاز عبد الله بن سالم البصري والشيخ محمد عقيلة ومحمد عقيلة ومحمد حياة السندي وذلك بمكة سنة ثلاث وخمسين، وبه تخرج شيخنا السيد محمد مرتضى في غالب مروياته، وسمعت منه أنه اجتمع به بالمدينة المنورة عند باب الرحمة أحد أبواب الحرم الشريف، وسمع منه وأجازه إجازة عامة، وذلك في سنة ثلاث وستين وماية وألف، ولازمه بمكة سنة أربع وستين وماية وألف، وسمع منه أوائل الكتب الستة وأباح له كتب خاله يراجع فيها ما يحتاج إليه، وسمع من لفظه المسلسل بالعيد بالحرم المكي في صحبة سلالة الصالحين الشيخ عبد الرحمن المشرع وأجازهما، توفي في سنة أربع وسبعين وماية وألف.

ومات العمدة العلامة المفوه النبيه الفقيه الشيخ/محمد العدوي الحنفي، تفقه على كل من الإسقاطي والسيد علي الضرير والشيخ الزيادي وغيرهم، وحضر في المعقول على أشياخ الوقت كالملوي والعماوي وتصدر للإفادة والإقراء، وكان ذا شكيمة وشجاعة نفس وقوة جنان ومكارم أخلاق، توفي في ثالث الحجة سنة خمس وسبعين وماية وألف.

ومات الإمام العلامة الفقيه المتقن الشيخ/محمد بن عبد الوهاب الدلجي الحنفي، وهو ابن خال الوالد، اشتغل بالعلوم والفقه على أشياخ الوقت ودرس وأفتى واقتنى كتبًا نفيسة في الفقه وجميعها بخط حسن، وقابلها وصححها وكتب عليها بخطه الحسن، وكانت جميع كتبه الفقهية وغيرها في غاية الجودة والصحة ويضرب بها المثل ويعتمد عليها إلى الآن، وكان ملازمًا للإفادة والإفتاء والتدريس والنفع على حالة حسنة ودماثة أخلاق وحسن عشرة، ولم يزل حتى توفي في شهر رجب سنة سبع وسبعين وماية وألف.

ومات الفقيه الصالح الخيِّر الدين/حسن بن سلامة الطيبي المالكي نزيل ثغر رشيد، تفقه على شيخه محمد بن عبد الله الزهيري وبه تخرج، وأجازه محمد بن عثمان الصافي

البرلسي في طريقة البراهمة، وسيدي أحمد بن قاسم البوني حين ورد ثغر رشيد في الحديث، ودرس بجامع زغلول وأفتى، ودرسه أكبر الدروس، وكان لديه فوايد كثيرة، توفي سنة ست وسبعين وماية وألف.

ومات المفتي الفاضل النبيه زين الدين أبو المعالي/حسن بن على بن على بن منصور بن عامر بن ذياب شمه الفوي الأصل المكي، ينتهى نسبه إلى الولي الكامل سيدي محمد بن زين النحراوي، ومن أمه إلى سيدي إبراهيم البسيوني، ولد بمكة سنة اثنتين وأربعين وماية وألف، وبها نشأ وأخذ العلم عن الشيخ عطا بن أحمد المصري والشيخ أحمد الأشبولي وغيرهما من الواردين بالحرمين، وأتى إلى مصر فحضر دروس الشيخ الحفني وله انتسب، وأجازه في الطريقة البرهامية بلدية الشيخ منصور هدية، وألف وأجاد وكان فصيحًا بليغًا ذكيًّا حاد الذهن جيد القريحة له سعة اطلاع في العلوم الغربية، ونظم رائق مع سرعة الارتجال، وقد جمع كلامه في ديوان، هو على فضله عنوان، ومن مؤلفاته شرح صيغة القطب سيدي إبراهيم الدسوقي، جمع فيه شيئًا كثيرًا من الفوائد، وارتحل إلى الروم ثم عاد إلى مصر وألف كتابًا في مناقب أستاذه الحفني، وله حاشية على شرح شيخ الإسلام على البردة، وحاشية على شرحه على الجزرية، ورسالة في خصوص رواية السوسي عن يحيى اليزيدي عن أبي عمرو ثم نظمها وكتبها، وكتاب الحقايق والإشارات إلى ترقي المقامات، والحلل السندسية على أسرار الدائرة الشاذلية وكشف الرموز الخفية بشرح الهمزية، ووسع الاطلاع على مختصر أبي شجاع، وهو كتاب حافل يبلغ أربعة مجلدات، ومسرة العينين بشرح حزب أبي العينين، وقصة المولد النبوي، ونظم الأزهرية في النحو، وعمل منظومة في تاريخ مصر سماها بالحجج القاهره، وغير ذلك رسايل ومنظومات كثيرة ومناسك الحج كبيرة، وسكن في الآخر بولاق وبها توفي ليلة الجمعة رابع عشرين رمضان سنة ست وسبعين وماية وألف.

ومات الشيخ الإمام الفقيه المحقق الشيخ/خليل بن محمد المغربي الأصل المالكي المصري، أتى والده من المغرب فتدير مصر وولد المترجم بها، نشأ على عفة وصلاح وأقبل على تحصيل المعارف والعلوم، فأدرك منها المروم، وحضر دروس الشيخ الملوي والسيد البليدي وغيرهما من فضلاء الوقت إلى أن استكمل هلال معارفه وأبدر وفاق أقرانه في التحقيقات واشتهر، وكان حسن الإلقاء للعلوم حسن التقرير والتحرير حاد القريحة جيد الذهن إمامًا في المعقولات وحلالًا للمشكلات، وولى خزانة كتب المؤيد مدة فأصلح ما فسد منها ورم ما تشعث، وانتفح به جماعة كثيرون من أهل عصرنا، وله مؤلفات

منها شرح المقولات العشر مفيد جدًّا، توفي يوم الخميس خامس عشرين المحرم سنة سبع وسبعين ومائة وألف بالري وهو منصرف من الحج.

ومات السيد الأديب الشاعر المفنن/عمر بن علي الفتوشي التونسي ويعرف بابن الوكيل، ورد مصر في سنة أربع وخمسين، فسمع الصحيح على الشيخ الحفني وأجازه في ثاني المحرم منها، ثم توجه إلى الإسكندرية وتديرها مدة، ثم ورد في أثناء أربع وسبعين، وكان ينشد كثيرًا من المقاطيع لنفسه ولغيره، وألف رسالة في الصلاة على النبي ﷺ، مزج صيغها بالورد الأعلى للشيخ الأكبر، وتولى نيابة القضاء بالكاملية، وكان إنسانًا حسنًا لطيف المحاورة كثير التودد والمراعاة، بشوش الملتقى مقبلًا على شأنه، توفي في ثاني ذي الحجة سنة خمس وسبعين ومائة وألف.

ومات الأستاذ الذاكر الشيخ/محفوظ الفوي تلميذ سيدي محمد بن يوسف عن ورم في رجليه في غرة جمادى الثانية سنة ثمان وسبعين ومائة وألف، ودفن يومه قريبًا من مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها.

ومات العالم الفقيه المحدث الأصولي الشيخ/محمد بن يوسف بن عيسى الدنجيهي الشافعي بدمياط في سادس شعبان سنة ثمان وسبعين ومائة وألف.

ومات الجناب المكرم الصالح المنفصل عن مشيخة الحرم النبوي/عبد الرحمن أغا في ثامن شوال سنة تسع وسبعين ومائة وألف، ودفن بجوار المشهد النفيسي.

ومات الجناب المكرم محب الفقراء والمساكين الأمير إبراهيم أوده باشه غانم فجأة، في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وسبعين ومائة وألف، ودفن بمقبرتهم عند السادة المالكية.

ومات أيضًا العمدة الشيخ/عبد الفتاح المرحومي بالأزبكية في تاسع شوال سنة ثمان وسبعين ومائة وألف.

ومات الأجل المكرم الحاج/حسن فخر الدين النابلسي عن سن عالية، وكان من أرباب الأموال رابع عشرين جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين ومائة وألف.

ومات الأمير الأجل المحترم صاحب الخيرات والمحبب إلى الصالحات/على بن عبد الله مولى بشير أغا دار السعادة، ولي وكالة دار السعادة فباشر فيها بحشمة وافرة وشهامة باهرة، وفيه يقول الشيخ عبد الله الإدكاوي:

أقبل الحظ والهناء السنيُّ
ولنا أحسن الزمان المسي
وأتت دولة السرور فأهلًا
بك من دولة حباها العلي
لعلي المقام والفعل والاسم ومن جل فكره الألمعي
والمهام الغمام بأسًا وجودًا
والذي شاع ذكره المرضي
فأبشر ابشر بدولة لك فيها
ما به يا رئيس يهنى الوليُّ
بحلاها حلاك سلطاننا الأعظم عثمانُ الأمجد الأفضلي
دمت فيها مهنَّأ البال مأمو
نًا لك الله حافظ والنبيُّ
لك تاريخها حلا يا همام
أنت نعم الوكيل فاسعد عليّ

وكان منزله مورد الوافدين من الآفاق، مظهر التجليات الأشراق، مع ميله إلى الفنون الغريبة، وكماله في البدايع العجيبة، من حسن الخط وجودة الرمي وإتقان الفروسية، ومدحته الشعراء وأحبته العلماء، وألقت إليه الرياسة قيادها، فأصلح ما وهن من أركانها وأزال فسادها، ولقد عزل عن منصبه ولم يأفل بدر كماله، واستمر ناموس حشمته باقيًا على حاله، واقتنى كتبًا نفيسة وكان سموحا بإعارتها، وكان عنده من جملتها البرهان القاطع للتبريزي في اللغة الفارسية على هيئة القاموس، وسفينة الراغب وهي مجموعة جامعة للفوايد الغريبة، ومنها كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون لمصطفى خليفة وهو كتاب عجيب، توفي يوم الإثنين ثامن عشر شهر صفر سنة ستة وسبعين وماية وألف، وصُلي عليه بسبيل المؤمنين ودفن بالقرافة بالقرب من الإمام الشافعي، ولم يخلف بعده مثله في المروءة والكرم رحمه الله تعالى، وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة.

ومات الإمام العلامة والمدقق الفهامة الشيخ يوسف شقيق الأستاذ شمس الدين الحفني، أخذ العلم عن مشايخ عصره مشاركًا لأخيه، وتلقى عن أخيه ولازمه ودرس وأفاد وأفتى وألف ونظم الشعر الفايق الرايق، وله ديوان شعر مشهور، وكتب حاشية عظيمة على الأشموني وهي مشهورة يتنافس فيها الفضلاء، وحاشية على مختصر السعد

وعلى شرح الخزرجية لشيخ الإسلام، وحاشية على جمع الجوامع لم تكمل، وحاشية على الناصر وابن قاسم، وشرح شرح الأزهرية لمؤلفها، وشرح على شرح السعد لعقايد النسفي، وحاشية الخيالي عليه وعلى مُلا حنفي في آداب البحث وغير ذلك، وله مقامتان وقصايد طنانة مذكورة في المدايح الرضوانية وغيرها، توفي في شهر صفر سنة ثمان وسبعين وماية وألف.

ومات الإمام الفصيح المفرد الأديب الماهر الناظم الناثر الشيخ علي بن أبي الخير بن علي المرحومي الشافعي خطيب جامع الحبشلي، ومن آثاره تشطير الأبيات الثلاثة للشيخ علي جبريل في مدح الأمير رضوان كتخدا الجلفي وهي:

(وأبيك ما رضوان إلا آية)   من أمه نال المنى في الحال
ملك الأنام بعزه وبجوده   (شهدت بذاك شهامة الأفعال)
(يهب المواهب جمة بسماحة)   من غير تعريض له بسؤال
وتراه يغني بالعطاء مؤملًا   (مترافعًا عن منة وملال)
(حتى يصير المعدمون برفده)   يسعى لثروتهم مريد نوال
ويراهم زادوا افتخارًا إذ غدوا   (مترفعين على ذوي الأموال)

وهو ممن كتب على بديعية علي بن تاج القلعي، ومن كلامه يخاطب به الشيخ العيدروس:

ما يقول البليغ إن رام مدحًا   في زكي مقدس عيدروسي؟
نسل طه ونجل بنت عتيق   فهو والله تاج رأس الرؤوس

توفي ليلة الجمعة سادس ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وماية وألف.

ومات الإمام العلامة السيد/إبراهيم بن محمد أبي السعود بن على بن على الحسيني الحنفي، ولد بمصر وقرأ الكثير على والده وبه تخرج في الفنون ومهر في الفقه وأنجب، وغاص في معرفة فروع المذهب، وكانت فتاويه في حياة والده مسددة معروفة، ويده الطولى في حل الإشكالات العقيمة مذكورة موصوفه، رحل في صحبة والده إلى المنصورة فمدحها القاضي عبد الله بن مرعي المكي، وأثنى عليهما بما هو مثبت في ترجمته، ولو عاش المترجم لتم به جمال المذهب. توفي يوم ألاحد سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وماية وألف.

ومات الفقيه الزاهد الورع العالم المسلك الشيخ/محمد بن عيسى بن يوسف الدمياطي الشافعي، أخذ المعقول عن السيد علي الضرير والشيخ العزيزي والشيخ إبراهيم الفيومي، والفقه أيضًا عنهما وعن الشيخ العياشي والشيخ الملوي والحفني وطبقتهم، واجتمع بالسيد مصطفى البكري وأخذ عنه طريقة الخلوتية ولقنه الأسماء بشروطها، وألف حاشية على المنهج ونسبها لشيخه السيد مصطفى العزيزي، وله حاشية على الأخضري في المنطق وحاشية على السنوسية وغير ذلك. توفي في ثامن رمضان سنة ثمان وسبعين وماية وألف، وكانت جنازته حافلة وصُلي عليه بالأزهر ودفن ببستان المجاورين، وبنوا على قبره سقيفة يجتمع تحتها تلامذته في صبح يوم الجمعة يقرءون عنده القرآن، ويذكرون واستمروا على ذلك مدة سنين.

ومات الإمام العلامة الناسك الشيخ/أحمد بن محمد السحيمي الشافعي نزيل قلعة الجبل، حضر دروس الأشياخ ولازم الشيخ عيسى البراوي وبه انتفع، وتصدر للتدريس بجامع سيدي ساريه وأحيا الله به تلك البقعة، وانتفع به الناس جيلًا بعد جيل وعمر بالقرب من منزله زاوية وحفر ساقية بذل عليها بعض الأمراء بإشارته مالًا حفيلًا فنبع الماء وعد ذلك من كراماته، فإنهم كانوا قبل ذلك يتعبون من قلة الماء كثيرًا، وشغل الناس بالذكر والعلم والمراقبة، وصنف التصانيف المفيدة في علم التوحيد والفقه مقبولة بين أيدى الناس، منها حاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة وجعله متنًا وشرحه مزجًا وهي غاية في بابها، وله حال مع الله وتؤثر عنه كرامات اعتنى بعض أصحابه بجمعها، واشتهر بينهم أنه كان يعرف الاسم الأعظم، وبالجملة فلم يكن في عصره من يدانيه في الصلاح والخير وحسن السلوك على قدم السلف، توفي في ثامن شعبان سنة ثمان وسبعين وماية وألف ودفن بباب الوزير.

ومات الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله/محمد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن علي بن الأستاذ أبي السعود الجارحي الشافعي، ويقال له: السعودي نسبة إلى جده المذكور، حضر دروس الشيخ مصطفى العزيزي وغيره من فضلاء الوقت. وكان إمامًا محققًا له باع في العلوم، وكان مسكنه في باب الحديد أحد أبواب مصر، وحضر السيد البليدي في تفسير البيضاوي، وكان الشيخ يعتمده في أكثر ما يقول ويعترف بفضله ويحسن الثناء عليه، توفي في شعبان سنة تسع وسبعين وماية وألف.

ومات السيد الأجل المتحرم فخر أعيان الأشراف المعتبرين السيد/محمد بن حسين الحسيني العادلي الدمرداشي، ولد بمصر قبل القرن بقليل وأدرك الشيوخ وتمول وأثرى

وصار له صيت وجاه، وكان بيته بالأزبكية ويرد عليه العلماء والفضلاء، وكان وحيدًا في شأنه وكلمته مقبولة عند الأمراء والأكابر، ولما تولى الشيخ أبو هادي الوفاتي رحمه الله تعالى كان يتردد إلى مجلسه كثيرًا. توفي سنة ثمان وسبعين وماية وألف.

ومات الشيخ الفاضل الناسك الكاتب الماهر البليغ/سليمان بن عبد الله الرومي الأصل المصري، مولى المرحوم علي بك الدمياطي، جود الخط على حسن أفندي الضيائي وأنجب وتميز فيه وأجيز، وكتب بخطه الفايق كثيرًا من الرسايل والأحزاب والأوراد، وكانت له خلوة بالمدرسة السليمانية لاجتماع الأحباب، وكان حسن المذاكرة لطيف الشمايل حلو المفاكهة يحفظ كثيرًا من الأناشيد والمناسبات، توفي سنة تسع وسبعين وماية وألف.

ومات السيد العالم الأديب الماهر الناظم الناثر/محمد بن رضوان السيوطي الشهير بابن الصلاحي، ولد بأسيوط على رأس الأربعين ونشأ هناك وأمه شريفة من بيت شهير هناك، ولما ترعرع ورد مصر وحصل العلوم وحضر دروس الشيخ محمد الحفني ولازمه، وانتسب إليه فلاحظته أنواره ولبسته أسراره، ومال إلى فن الأدب فأخذ منه بالحظ الأوفر، وخطه في غاية الجودة والصحة، وكتب نسخة من القاموس وهي في غاية الحسن والإتقان والضبط، وله شعر عذب يغوص فيه على غرايب المعاني، وربما يبتكر ما لم يسبق إليه، وقد أجازه الشيخ الحفني بما نصه: «نحمدك يا عليم يا فتاح، يا ذا المن بالعلم والصلاح، ونصلي ونسلم على أقوى سند، وعلى آله وصحبه معادن الفضل والمدد، أما بعد فإن المولى العلامة الرحلة الفهامة الحاذق الأديب، واللوذعي الأريب، مولانا الشيخ محمد الصلاحي السيوطي قد حاز من التحلي بقرايد المسايل العلية أوفر نصيب، بفهم ثاقب وإدراك مصيب، فكان أهلًا للانتظام في سلك الأعلام، باجازته كما هو سنن أئمة الإسلام، فأجزته بما تضمنته هذه الوريقات من العلوم العقلية والنقلية المتلقاة عن الأثبات، وبساير ما تجوز لي روايته، أو تثبت لديَّ درايته، موصيًا له بتقوى الله التي هي أقوى سبيل النجاة، وألا ينساني من صالح دعواته، في أويقات توجهاته، نفعه الله ونفع به، ونظمه في عقد أهل قربه، وأفضل الصلاة والسلام، على أكمل رسل السلام، وعلى آله أئمة الهدى، وصحبه نجوم الاقتدا». كتبه محمد بن سالم الحفناوي الشافعي ثامن جمادى الثانية سنة ثمان وسبعين وماية وألف. وللمترجم مقامة بديعة متضمنة مدح رسول الله ﷺ، وذيلها بقصيدة سماها الدرة البحرية، والقلادة النحرية، وهي طويلة تزيد على الثمانين بيتًا ومن غرر أشعاره قوله:

هات لي قهوة الشفا من شفاهك واسقنيها على فخامة جاهك
عاطنيها يا أوحد العصر لطفًا وبديع المثال في أشباهك
يا غزالًا لو صوِّر البدرُ شخصًا ليضاهيك في البها لم يضاهك
عاطنيها ولم تدع لم حراكا لست أقوى على كمال انتباهك
هاتها والرخاخ في غفلات لا تدعهم فيفتكموا في شياهك

وقد شطرها الشيخ قاسم الأديب بما هو في ترجمته. وله أيضًا:

حث نجب الكئوس قبل الصباح واسقني من يديك صرف الراح
واحد لي حادي المطي إليها في غدو مبادرًا أو رواح
لا تدعني بدون شربي فهميّ منك في الاغتباق والاصطباح
خمرة تجعل الخلي شجيًّا فهي مثل الغذاء للأرواح
عاطنيها من بين آس وبان وشقيق ونرجس وأقاح
عاطنيها من بين إخوان صدق قد تواصوا على التقى والصلاح
عاطنيها من كف بدر يطيع الكاس في أمرها أو يعصي اللواحي
ذي طباع كريمة بين أعطا ف بما تشتهي النفوس شحاح
كلما اهتزت الشمول بعطفيه أغار الهوي على الأرواح
صاح خل الصحاة حقًّا وصح لي لحمى الدنِّ إنني غير صاح
وادعني دعوة المشوق فإني قد دعاني من قبل داعي الفلاح
قد دعاني لمولد السيد الكا مل غوث الورى أبي الأفراح
قد دعاني لموسم الجود والفضل وعرس الندى وعيد السماح
مولد السيد الذي تنهض الناس إليه بل للمنى والنجاح
عين آل النبي كنز الأماني وأندى الأنام أبطن راح
قد دعاني فقلت: أهلًا ولو أسعى على العين أو متون الرماح
ما دعاني إلا وكلي مجيب لدعاه على اختلاف رياح
قلت: لكن عليه عادة بر ليس لي إن تأخرت من براح
يقتضي الشوق أن أطير إليه وبسوء الأحوال قص جناحي
لا قلوص تقل رجلي وأفرا س اشتياقي قد أصبحت في جماح

قال: فاقصد حمى خليفته الحفني | وانـزل بـه بـغـيـر جـنـاح
قلت: أنصفتني وهل لي في غير | حـمـاه مـن راحـة واطـراح
من حمى يسهل العسير لديه | ومـقـام سـهـل الـنـوال مـبـاح
كم أياد من جوده وصلتني | جـوهـريات فـائـقـات صـحـاح
ما قصدت الحمى وأشفقت أني | خـارج بـالـسـؤال لـلإلـحـاح
فعطاياه كالكئوس فلا يحتاج | فـي نـيـلـهـا إلـى الإفـصـاح
أرتجي أنه إذا قصد السير | لذاك الحمى وتلك النواحي
ولديه أتباعه الكل أن يذ | كر فيهم محمد بن الصلاحي
سيدي هذه العلاقة فاعذر | نهب شوق أحشاؤه في جراح
أنت حكمت في كاسك فاحكم | بتغاض عن سوء فرط اقتراحي
دمت في نعمة الرضا ما توالت | مدى الدهر بالمسا والصباح

قلت: ومطلع هذه القصيدة مأخوذ من مطلع قصيدة خمرية للشريف أحمد بن مسعود الحسني أحد أشراف مكة وهي: «حث قبل الصباح نجب الكئوس» إلا أنه قدم وأخر.

ومن غرر قصايده قوله:

نقلوا أكاذيب السلو لهاجري | سفهًا وما خطر السلو بخاطري
يا ليتهم علموا بأسراري التي | أودعتها يوم النوى بسرايري
لله وقفتنا بجرعاء الحمى | والنجم مرصود لسهد الساهر
نملي أحاديث الغرام فنجتلي | منها سرور مسامع وخواطر
ونديـر كاسات الوداع مديدة | في شق أطواق وشق مرائر
وسوابق العبرات من دمعي ومن | شعري كعقد لآلىء وجواهر
أدعو سراة الظاعنين كأنما | أرجو الوصال من الغزال النافر
من كل بدر دجى وغصن أراكة | فـي عـز آسـاد وذل جـآذر
يعطي طلا ألفاظه ولحاظه | في كأس مخمور وكأس مسامر
لله أيام سلفن بوصله | والدهر ممتثل لأمر الآمر
إن فاتني طيب الزمان به فلي | عوض بطيب حديث عبد القادر

مـولـى نـراه نـتـقـيـه مـهـابـة　　من حـسـن آثـار وطـيـب مـآثـر
يـرضـيـك مـن أخـلاقـه وخـلاقـه　　بـريـاض آداب وكـنـز مـفـاخـر
وفضايل زينت بحسن فواضل　　ومحاسن راقت لعين الناظر
الـلـه أكـبـر إن آيـة فـخـره　　كبرى وراثة كابر عن كابر
مولاي لم أخطر مديحك خطرًا　　إلا لأنـك ثـابـت فـي الـخـاطـر
فاقبل هديت هدية من شاعر　　إن اقتراح الشعر منع الشاعر
ما قصر العبد الصلاحي وزنها　　إلا لـفـهـم عـن جـنـابـك قـاصـر

وله أيضًا:

اسقنا من يديك قهوة بن　　وأدرها ممزوجة برضابك
لا تحكم سوى كئوسك فينا　　أنت كفء ونحن من خطابك

وله أيضًا:

اتخذ ساقيًا وإن تعدم الرا　　ح فمن ريقه الشهي أدرها
وإذا لم تجد لساق سبيلًا　　فاطرحها هملًا لا تعتصرها

وله أيضًا:

بـالأشـرفـيـة شـادن　　ظبى الكناس له الفدى
يهدي السراة جبينه　　فجبينه صبح الهدى
في عطفه هيف الصبا　　وبلحظه سبل الردى
لـولا الـحـيـاء ومـا أرا　　قب من مراقبة العدا
لـتـسـاقـطـت بـخـدوده　　قُبَلى مساقطة الندى

وله أيضًا:

جاء داعي الحبيب يدعو لوصلي　　في محل شدت على الماء ورقه
فتعثرت من سروري وما وا　　فيت حتى مضى وأومض برقه

وله أيضًا:

ربيع هذا الروض قد شاقنا   بمنظر زاه وعرف ندى
لما كسته الشمس حاكى لنا   زمردًا موه بالعسجد

وله يخاطب بعض إخوانه:

ما غاض هذا الروض من مانه   وصار للأنداء مستمطرا
إلا وقد أنبت إحسانكم   فيه ربيعًا بالندى مثمرا

وله أيضًا:

أفدي بروحي ذلك الغالي الذي   وافي فأحيا رسم جسمي البالي
عانقته فشممت غالية الشذا   منه فيا لله شم الغالي

وله أيضًا:

سرينا وأعطاف النسين تهزنا   تدير من الصهبا حديثَ شجون
فخفنا عيون الحاسدين؛ لأننا   سرينا من الأزهار فوق عيون

ووجدت بخطه ما نصه وقلت اختراعًا لهذا المعنى ولا أعلم أني سبقت إليه:

جزى الله أنفاس النسيم فإنها   لتعلم سرًّا في النفوس لطيفا
أسرت إلى الأغصان عند قدومنا   حديثًا فمدت للسلام كفوفا
وهزت سرورًا بالتداني معاطفًا   وأهدت لنا منها شذًا وقطوفا

وله أيضًا في الاكتفاء وقد أحسن:

بالله سلا عن حال قلبي وسلا   إن كان صبا إلى سواكم وسلا
والبعد كوى الحشا بنار وسلا   يا نار كوني اليوم بردًا وسلا

وله أيضًا:

الليل إما يطلع ليل صبحا   والصبح إما يطلب صبح صلحا
إن كان مع الصباح يأتي فرج   يا عين تسهدي وبيتي فرحا

وله أيضًا:

ألقاك وفي حشاشتي الأشواق   بدرًا شخصت لحسنه الأحداق
لا يسعدني إليك إلا كتبي   يا غصن أما تروقك الأوراق؟

وله أيضًا:

خدي لخيول أدمعي ميدان   والشوق رجال عزمه فرسان
يا من وقدت لحربهم نيران   مهلًا فلكم بفكرتي ديوان

وكتب إلى بعض الإخوان وقد أهدى إليه منديلًا:

يا كاملًا أحيت مكارمه الندى   فغدا لأمراض القلوب طبيبًا
وردت هديتك التي كانت لنا   كقميص يوسف إذ أتى يعقوبا
منديل سرك حين جاء مبشرًا   بالود سر خواطرًا وقلوبا
كانت دموعي للنوى مسفوحة   فحفظت فيه مدمعًا مسكوبا
أودعته درًّا وعنه مسامعي   منكم وصون الدر ليس عجيبا
لكن تعلمت الندى فوهبت بعض   أحبتي مما وهبت نصيبا
لا زال ربعك بالمكارم آهلًا   وربيع كفك بالنوال خصيبا

وله أيضًا:

رب شخص يظن فينا قبيحًا   لو تروَّى رأى القبيح شعاره
قيل لي: ما له سوى الرجم بالغيب   سبيل فقلت: بل بالحجاره

وله أيضًا:

لقد حركت نفسي إلى ذلك الحمى   منازل تمت لي بهن مناره
أنفسي مهلًا ليس بالسعي يبتغى   مكارم أخلاق بهن مكاره

وله مطرزًا باسم أحمد:

أمانًا قد أضر بنا الجفاء   فقد فعلت لحاظك ما تشاءُ
حلا فيك الغرام لكل صب   وحبك ما لأوله انتهاءُ
ملوك العاشقين لديك جند   وأنت لشمس دولتهم ضياءُ
دموعهم قد نسكبت لكي ما   تظلك من سحائبها سماءُ

وله أيضًا في ألثغ:

وألثغ حلو الثغر من بقلبة   فنمت به أصداغه وهي واوات
فقلت: أما للحرب عندك غاية؟   فقال: ذؤاباتي لحربك غايات

وله أيضًا:

مذ أتى منكم بشير يحاكي   بلبل الروض معربًا ألحانه
هزنا الشوق للصبوح صباحا   فسبقناكم لباب الحانة

وله أيضًا:

بنفسي نحو يا سيوف لحاظه   غدت عمدتي في الفعل وهي ضعاف
يضاف إليه كل معنى وإنه   على عزة الإدلال ليس يضاف

وله أيضًا:

مذ لاح في المرآة فاتن شكله   وجلا بوجهيه لنا قمرين

صح افتنان العاشقين فإنه حاز الوجاهة وهو ذو وجهين

وله أيضًا هذه القصيدة الغراء:

بثا عن النائي الغريب
جملًا من الخبر العجيب
واستوقف الركبان ما
بين الأراكة والكثيب
واستنشد القلب الذي
قد ضاع من بين القلوب
سلبته يوم الدوحتين طليعة لرشا الربيب
وسرت به نحو الخيام
يد الصبا ويد الجنوب
ترنو الهوادج عن صفا
شمس تميل إلى الغروب
والبدر يظهر من خلال
السجف في مرأى عجيب
والرق يخفق والأزاهر
مثل قلبي في وجيب
يا حادي العيس التى
سارت على قلبي الجنيب
علل عليل هوى فعهدك ما تقادم بالطبيب
أنفاسه الحراء لا
تهدي بمدمعه السكوب
كالخال يرتع في النعيم ويشتكي حر اللهيب
يصبو لمعتل النسيم ويستريح إلى الهبوب
إني وإن شطَّ النوى
وقف على حب الحبيب

كابدت ما كابدت من
شق المرائر والجيوب
وعلمت كيف تقوم أسواق المعارك والحروب
ولقيت دون البيض وقع السمر بالصدر الرحيب
من كل ريم جائل
في برد جردته النشيب
يحكي الغزالة في الترفع والغزالة في الوثوب
ألحاظه ترويك ديوان الحماسة عن حبيب
وقعات أسهمه تركن جميع جسمي في ندوب
وقف السقام على الورى
ولمهجتي أوفى نصيب
لو أغرق الشعراء فيه لأخروا وزن النسيب
أسفي على عنفو عمر
مر في عيش حديث أسرار الغيوب
حي المسرة في دنو
والمساءة في هروب
حيث الشبيبة لم تشب
بتراب تغيير المشيب
عمر وفي دهري به
فعجبت من صدق الكذوب
كم ليلة عانقت فيها
قامة الغصن الرطيب
في معهد ما فض عنه الأنس إلا ختم طيب
والزهر يضحك من بكاء
الطل بالثغر الشنيب
والريح تكتب في الغدير حديث أسرار الغيوب
والطير تقرأ والغصون
تهز أعطاف الطروب

والورق تصدح في الغصون
بصوت محزون كئيب
في رنة الشادي وهينمة القطا والعندليب
عجماء تعرب في السؤال
وتستجيب بلا مجيب
والليل أرسل ذيله
رصدًا على أعلى القضيب
يحكي الشعور كأنه
يروي الفروع عن الخطيب
فجعلت وردي ورد خد
وافر منه نصيبي
أدنو وأحشائي من الحدثان في شك مريب
لولا الرقيب ظفرت من
لقياه بالفرج القريب
وكشفت من وصلي به
ما قد ألم من الكروب
بعد الحبيب أخف عندي
من مواقيت الرقيب
دار يكون بها عدوي
لا أحب بها حبيبي
إن الشواء على النوى
من بعض حرمان الأديب
من يخطب العلياء هان
عليه ترويع الخطوب
يا دهر ويحك كيف قابلت
المناقب بالسلوب
ورفعت كل مؤخر
وخفضت مقدار الحبيب

حـــسـبـــي الـــفـــضـــايـــل والـــعـــلا
والـــفـــضـــل لـــيـــس مـــن الـــعـــيـــوب
حـــســـنـــات مـــثـــلـــي مـــن حـــلاك
ولـــيـــس ذنـــبـــك مـــن ذنـــوبـــي
مـــــا حـــــلـــــت الآذان إلا
حـــلـــيـــة الـــفـــطـــن الـــلـــبـــيـــب
لـــو أنـــصـــف الـــرامـــي لـــبـــان
الـــعـــذر فـــي خـــطـــا الـــمـــصـــيـــب
إن كـــان جـــهـــد الـــدهـــر صـــرف
تـــقـــود عـــمـــري فـــي الـــمـــغـــيـــب
فـــابـــن الـــصـــلاحـــي غـــريـــب
لا مـــلام عـــلـــى الـــغـــريـــب

وله أيضًا:

حدثا عن حديث شوق قديم   يا زمان الحمى وربع سيوط
كلما قلت ربع أسيوط يدنو   صك وجه الرجا بكف قنوط

وله:

يهواه قلبي ولكن   للنفس عنه أكف
وقد يغص بماء   تنازعته الأكفُّ

وله:

وكان لي الشعر في طاعة   فلما عجزت عصتني القوافي
فهل لي بهذا الجفا سيدي   توافي لعل القوافي توافي

وله:

ألـلـشـعـر سـعـر فـاسـتـامـه　　واقرض للدهر منه قريضا
ولـيـس قـصـاراي لـكـنـنـي　　لأجل الخليل عشقت العروضا

وله أيضًا وقد أبدع:

لـم أشـرب الـخـمر عـلـى ريبة　　وإنـمـا دمـعـي لـهـا يـحـكـي
ذاب الحشا حتى جرى من فمي　　فـهـا أنـا أشـرب مـا أبـكـي

وله أيضًا:

لا منى في هواه من لو رآه　　كان يفدي بالعين ذاك الخليلا
رب متع به عيان عيوني　　وأدمعه في صحة والخلي لا

وله:

ولم أنس لما ودعتني ودمعها　　يترجم عن مكنون ما في فؤادها
فقلت لها: هل فيك بلغة راحل　　فأنت منى نفسي وفيك مرادها؟
فكادت وحق الله لولا رقيبها　　تزودني من عينها بسوادها

وله:

عـادنـي مـن أحـب لـيـلًا وأهـدى　　لـي مـن الـزهـر وردة صـفـراء
قلت: أهديت لون سقمي فلو أهديت　　ورد الـشـفـاه كـان شـفـاء

وله:

الحسن مال والوصال زكاته　　من جاد بالمزكاة أثمر ماله
فأنعم بوصل منك يا بدر الدجى　　فالحسن أقرب ما يكون زواله

إن كان معروف فهذا وقته		حاشا الكريم أن يرد مقاله

وله:

يا للرجال لألحاظ قد اتخذت		من سحر بابل أحداقًا وأهدابا
وما كفى عينها النجلاءَ من كحل		حتى رمت بسهام الكحل ألبابا
يرنو بها رشأ يختال عن ميل		فكلما فتكت يزداد إعجابا
من يستطيع مقيلًا عن مصارعها		وطرفها قد غدا للقلب جذابا
تلك الشهادة فاشهد في حيازتها		ولا تطع عاذلًا لا زال كذابا

وله أيضًا وقد أحسن فيه:

ذكر الغضى فحنت عليه ضلوعه		صب سقت وادي العقيق دموعه
لولا الهوى والنأي يصدع شمله		ما كان ريب الحادثات يروعه
يبكي الفريق وما استحق فراقهم		من داء طرف بان عنه هجوعه
وحشا تَقَسمة الغرام فحزنه		عندي وفي تلك الركاب جميعه
قلب يقلبه الأسى فكأنه		بيت العروض اعتاده تقطيعه
واهًا لهذاك الزمان ومن له		من مسمع ومن البعيد رجوعه
زمن يود الصب أن لو يشتري		ما بان منه بعمره ويبيعه
حيث الأماني ملكه والدهر لا		يعصيه والأصل الأبي يطيعه
لو كان ينجح سيل أدمعه على		أيامه سالت وسال نجيعه
حيا ألحيا ذاك الحمى من مربع		أربى رباه ومشتهاي ربوعه
مع شادن لولا مسارقة المها		لحظية فاق على الغزال صنيعه
فتان معسول الرضاب فديته		لو كان يرقى في الهوى ملسوعه
قاس يرى ذلي لعز مكانه		ومن العجايب أن تعز منوعه
فقضيت منه لبانة الشوق الذي		وقف الفؤاد على الشجون ولوعه
فمضت وأومض برق خلبها وهل		يبقى المنا والنائبات تضيعه؟
واليوم أقنع باذكار حديثه		إن كان يغني المستهام قنوعه

وبحب آل البيت أصل مكارم الأخلاق أفضل من سما ينبوعه
يحلو التغزل والصبابة والهوى والحب ما بالقرب فاح مضيعه
لي منهم الغصن الذي طابت أصول كماله فسمت عليه فروعه
حسن المحيا من يؤمل مجده قد تم في ذاك الجمال طلوعه
من قام ينصب نفسه فإذا به نحو الكمال قد انتهى مرفوعه
السيد الحسن العلي بن العلي من لم يفته من العلا مجموعه
يا ابن النبي إليك شرح صبابتي يحلو بذكرك سيدي توقيعه
شكوى أسير هوى ومطلق عبرة ذل الخضوع إليك منه شفيعه
ماضره وهواك من محموله إن كان يرفع في الهوى موضوعه
فبحق جدك خل عن حد الهوى إن كان ينفع في هواك خضوعه
وانظر إلى قلب صريع نكاية من غير طرفك لا يفيق صريعه
وحشًا تصدع من مكابدة الأسى لولا الهنا ما ناله تصديعه
واعطف عليه فقد تمزق قلبه أيدي سبا فعسى يرم خليعه
وأدر على الأوقات صهباء الصفا فالدهر أينع زهره وربيعه
ما شأن عصر أنت واحد حسنه أن لا يتيه على الزمان ربيعه
وإليكها من مدنف ملك الغرام جمعيه مذ بان عنه جموعه
حاك الصلاحي وشيها فطرازها تكميله قد زانه ترصيعه
ضمنت معانيها البيان فكلها ببت تلاعب بالعقول بديعه
فاقبل وما ضاق الفضا إلا ومن نفثات سحرك يستمد وسيعه
لا زال يخدم باب سُدّتك التي حلت من المجد العزيز رفيعه

ومن غرر قصائده ما مدح به شيخه الشمس الحفني قدس سره وقد أجاد:

لهذا المحيا طلعة الشمس تسجد ومن ذكره دوح الثنا يتأود
وألسنة الأكوان كالورق كلها بذكراه بين الخافقين تغرد
محيا عليه للقبول طلاقة يزين حلالها حلى مجد وسودد
محيا إمام بيض الله وجهه فوجه مشانيه من الخزي أسود
إمام الهدى الراقي إلى ذروة العلا إلى رتبة عنها الثوابت تقعد

إمام له في المجد فخر مؤثل ... وفي رتبة العلياء عز مؤيد
إمام حماه الله من كف لامس ... كذاك الثريا ليس تدركها اليد
أمعراجه السامي ينال فيرتقي ... وليس سواء سيد ومسود
فما شئت قل فيه فأنت مصدق ... مزاياه تقضي والمحاسن تشهد
مزايا يهز الغصن أعطافه لها ... ويثني عليه الكون طراً ويحمد
وأيد يباري الريح وكف أكفها ... عليها ازدحام فهي للناس مورد
وفضل أقر الناس — وهو شهادة ... له — أنه في حلبة الفضل أوحد
فيا لدروس كم بها حي دارس ... من الدين يجيبه بها ويجدد
دروس يرى فيها ابن إدريس راحة ... ويصفر منها من يغار ويحسد
فليس لأم الشافعي قرابة ... سواء ولا صنو له بعد يولد
فيا فاتحًا عين العمى ليرى بها ... معايب غض الطرف إنك أرمد
ويا منكرًا سعي الإمام ووقته ... أبعد وقد قال المؤذن: أشهد؟
أبعد ثناء الكون والكون ناطق ... يوافيه من عز المناقب تجحد؟
ويا من يسوم الأسد بالسوء خل عن ... مجالك هذا اليوم حتفك أو غد
أخا العزم كم ذا أنت تتهم في السرى ... إلى غيره تبغي النجاح وتنجد
وفي بابه العافون من كل وجهة ... يطوفون في أرجائه فهو مسجد
ونجم الثريا ثابت في رحابه ... ومن دونه في مقعد الصدق فرقد
وبشر روى عن وجهه البشر والرضا ... وعن رأيه المحمود يروى مسدد
نصحتك لا تنزل بغير مقامه ... فليس سواه في الحوادث يقصد
فيا ناصر الدين الحنيفي ظاهرًا ... بباطن سرٍّ سر فأنت المؤيد
وقم سيدي بالعزم في نصر ديننا ... وجد لي بحسن الرأي فالسعي أحمد
ألا إن بيتًا أنت عامر ربعه ... وأنت إمام الكون فهو المشيد
أمولاي إن الناس إما مبغض ... إليك فيشقى أو محب فيسعد
وهل يبتغي الإسلام والدين والتقى ... وبغضك يا مولاي قلب موحد؟
أمولاي شكوى من زمان عهدته ... تغير من حال له كنت أعهدك
فما بال ربع العلم أصبح دارسًا ... وما بال شمس الأنس وهو مبدد؟
وما لي أرى غيم الجهلة مطبقًا ... فيبرقنا من غير قطر ويرعد؟
أينهر سحبان البلاغة بأقل ... ويصبح بالإعياء قس يهدد؟

فيها لهف نفسي من عناء وحسرة ... ويا نار هم بين جنبي توقد
ويا زفرة قد أولعت بحشاشتي ... فتكمن في جسمي الهموم وتصعد
من أجلك يومي مثل ليلي في الأسى ... فدهري وطرفي أسود ومسهد
وليس أخو مجد طريف وتالد ... كمن في ذراعيه سقاء ومزود
أمولاي هذي سنة الله لم تزل ... على ألسن الأعلام تروي وتسند
ولو كان للإنصاف والحق مهيع ... يرام فيحيى أو طريقًا فيقصد
لكان لذي القلب المصان تبصر ... فيبلو به صرف الصروف وينقد
ولكنها الأقدار تأتي بضد ما ... يحاول فهو المخطئ المتعمد
أمولى يهنيك الرقي إلى العلا ... برغم المساوي والفخار المؤبد
ويا قلم السعد الذي هو لم يزل ... يوقع في إسعادكم ويجود
أمولاي ما بال الرعاع تفرقوا ... وكانوا بأطواق الولاء تقلدوا
لئن غضبوا فالله راض ولم يزل ... يعينك بالنصر المبين ويمدد
لقد كشف الخذلان مكتوم سرهم ... وأخطأهم منك الولا والتودد
وما شئت إلا الحق في السخط والرضا ... وذكرك في الحالين إياك نعبد
فإن كنت لم تغضب فلله غيرة ... عليك وحرب نارها ليس تخمد
لقد رغمت آنافهم وتصدعت ... قلوب من الشحناء منهم وأكبد
ولو أنصفوا كانت لهم من نفوسهم ... زواجر تهدي للصواب وترشد
فترضيك منا أنفس نشأت على ... رضاك ولا يثني هواها المعقد
وحبك نفديه بكل علاقة ... وبالنفس بل بالعين فهو مؤكد
وأصحابك الغر السراة همُ همُ ... فكلهم مولى كريم ممجد
بقيت بقاء الدهر إنك سيدي ... بآثارك الحسناء فينا مخلد
ودونك بكرًا بنت فكر أجادها ... يرجي نداك ابن الصلاحي محمد
أحبت بها داعي القوافي ومهرها ... قبولي ولي من راحتيك تعود
فدع سيدي حسان مدحك بالذي ... يحاول من مدح وذم يعربد
فكلني إلى ما شئته من بديهة ... فإني بما أرضيك أنشي وأنشد
وهبني زَرُورا من نداك فإنني ... لأرمد من داء الأسى وهي إمد
بجدك طه من شرفت بحبه ... وطاب له من جاهه لك محتد
عليه من الآل الكرام تحية ... تنالك منها رحمة ليس تنفد

مدى الدهر ما قال الصلاحي مؤرخًا   هو العز هامن أجله دحض العدو

(وله أيضًا):

أحنُّ لأيام الهوى وعذابها   أليم وما عهدي لها بقديم
وإن كان شعري ضاع فيه فإن لي   بقايا ومعنى الفكر غير عقيم

(وله أيضًا):

هواكم قد تحكم في فؤادي   وحملني الصبابة والسقاما
وما زرتم ولا هبت رياح   عسى يشفي تنشقها الزكاما

(وله أيضًا):

إن رمت تصحب شخصًا   وليس من أقرانك
فانظر له واختبره   وزنه في ميزانك
فنقص من لك يعزى   لمقتضي نقصانك

(وله أيضًا):

يا حسنا قد غدت بضاعته   حلية أهل الكمال والفضل
بابوجكم معجب لناظره   لكنه ضيق عن الرِّجْل
فأبدلوا ضيقه لنا سعة   وعاملونا بقسمة العدل
وعندنا لاجتماعكم شغف   فشرفوا دارنا بلا مهل

وقال مشطرًا:

ويوم أنس به اقتنصنا   ظبيًا تهاب الأسود قنصه
طاب به الوقت فانتهزنا   من الزمان الخئون فرصه
في روضة زانها ربيع   كمل صوب السحاب نقصه

نسيمها مذ حكى شذاها　　به غدت للعقول نقصه

وله:

هذه الدار والعوارض حالت　　عن وصولي فأخضر العيش أغبر
وعهود الحبيب كيف استحالت　　ليتها كالخدود لم تتعذر

(وقال ارتجالا في مجلس أنس حفَّت به الأحباب من ذوي الألباب):

شاق طرف السرور ظرف الربيع　　فتملى بحسن تلك الربوع
ما ترى الزهر ضاحكا لبكاء الطل　　من در قطره بالدموع؟
وغصون الرياض تخلع أثوا　　ب التداني على النديّ الخليع
فأنسنا بجمع إخوان صدق　　زان طبع الوفاء قدر الجميع
صالحي أرح فؤادك والبس　　من بشير اللقا قميص الرجوع

ثم أنشد في المجلس ارتجالًا:

إلى القبة الفيحاء سرنا فسرنا　　ربيع المنى من غر طلعتها الغرا
أنسنا بها من كل بدر ولا نرى　　عجيبًا طلوع البدر في القبة الخضرا

ثم أنشد عند التهيؤ للقيام من ذلك المجلس:

يا نهار السرور كيف اختلسنا　　فيك أنسًا كأنما هو شك
قد أنسنا في فتحه بالتداني　　ودهانا ختامه وهو مسك

وله أيضًا:

قد كنت أهجو الرقيب حينًا　　لأنه يرصد الحبيبا
والآن لما نوى التجافي　　عشقت من أجله الرقيبا

وله:

يظن سلوى حين شاهد أدمعي   تحلى بدر تربه وترائبه
وحقك ما شابت هواي وقد جرت   دموعي من عصر الشبيبة شائبه

(وله أيضًا):

إن أذنب الدهر بتقديمه   من ليس يدري قيمة الشعر
فبسط إحسانك يا سيدي   ما زال يمحو زلة الدهر

(وله):

أشرت لها في قبلة ورقيبها   شهيدٌ وغيم الأفق قد غيب الشما
فقالت بعينيها تشير إلى السما   فيا حسن معناها الذي سلب الحسا

ومن غرر قصائده التي أبدع فيها وأجاد وأشار فيها بالمدح لشيخه الشمس الحفني قدس الله سره وهي هذه:

مل بي فقد وقَدَ الهجير   إني بظلك مستجير
وأرح مطيك يا سمير   فلقد أضر بها المسير
هذا الحمى فارصد إذا   ما استأنس الظبي النفور
واطرق كناس الغيد حيث   ينام راعيه الغيور
وأمط ستائره فذلك   حين تنفتح الخدور
واسأل من الظبيات عن   عهد تضن به الصدور
واحفظ فؤادك أن تصيب   عيونهم فهن حور
من كل غانية يلوح   بوجهها القمر المنير
تختال في مرح الشباب   فيخجل الغصن النضير
تسعى فيقعدها روادفها   وتنهضها الخصور
سكرى رأت كسر القلوب   فصار ناظرها الكسير

فعلت بسحر جفونها ... ما ليس تفعله الخمور
خَنُثَتْ معاطف قدها ... لكن لواحظها ذكور
الله أكبر من نشاط ... جفونها وبها فتور
يا صاح إن جُزْتَ الخيام ... وللظباء بها ظهور
قل للبخيلة بالزيارة ... ما لطيفك لا يزور؟
لم أنس إذا وافي البشير ... يلوح في فمه السرور
إذ أقبلت ريح القبول ... بها وأدبرت الدبور
فضممتها وبمهجتي ... من حر أشواقى سعير
فعتوذت بالروض من ... شر بأنفاسي يطير
روض تعلق بالمجرة ... من جوانبه نهور
تبدو به زهر الزهور؛ ... لأنه فلك يدور
ضحكت ثغور زهوره ... فبكى لها النوء المطير
وحنت نواعره وحننت ... وهي من غيظ تفور
ذكرت قديم عهودها ... فانهلَّ مدمعها النمير
يا طيب أنفاس الربيع ... ففي تنفسها عبير
والجو مجمرة عليها ... من ضبابتها بخور
وافت به رود بأسراري ... لها طرف خبير
وسعت على طرق الجداول ... والنسيم لها سفير
وطروس قامتها عليها ... من ضفائرها سطور
يا طيب ما تملي الشعور ... وحسن ما نقل الغدير
ما ذاك إلا فرع ليل ... قد تبلج فيه نور
والورق ساجعة لها ... من كل ناحية سمير
عجماء تعرب عن ضمائرنا ... وليس لها ضمير
والريح تعتنق الغصون ... بها فتعتبق الزهور
وبدت شموس الراح تحملها ... الكواكب والبدور
فقضيتُ منها ما قضيت ... وكان لي ولها أمور
هذا كلامي الحلو أهدته ... إلى فمي الثغور
وضممتها عند الوداع ... وكل أنفاسي زفير

وبكت عيون السحب حين	تساقط الدمع الغزير
نحنا معا فتحلت الأغصان	منا والنحور
وسرت وقد لاقيت منها	ما يطيش له الصبور
صبري ما لاقيت إذ	رضيت به كل يسير
رعيا لذياك الحمى	والطرف مبتهج قرير
ولمعهد حصباؤه	درر وتربته ذرور
قد لح بالقلب الغرور	وذلك الطرف الغرير
ومرور أيام الصبا	من دونها العيش المرير
أنَّى يروج العمور	الأيام تنهب والشهور
كم أنجد الساري وكم	تهم الهموم به تغور
من لي بدهر لا يساعد	فاليسير به عسير
أرجو انتصافًا من زمان	صار عادله يجور
وحوادث قد آن في	كبدي لأسهمها خطور
لكن بجاه إمام هذا	العصر لي فيها نصير
مولى ترفع قدره	فله أناملنا تشير
ملأ النواظر منه إجلالًا وليس له نظير	وحماه ينفك الأسير
به ويستغني الفقير	وندى أياديه شهير والقليل به كثير
منن تذل لها الرقاب	ولا يقوم بها الشكور
يا من به تُهدى السراة؛	لأنه علم منير
طالت لخدمتك القوافي	والزمان بها قصير
وجرت لنحو حماك آمالي	وأنت بها جدير
وقصور مدحك ليس في	فهمي لرفعتها بصور
خذها على شرط الصيارف	إن ناقدها بصير
جاءت تعارض بالبيان	وسيف حجتها شهير
يحيا بصحتها العليل	وما لأصر بها كسور
حلفت بكامل بحرها	أن لا تطاولها بحور
حسنت بمدحكم كما	تاريخها حسن نضير
ما في تأخر عصرها	قد يحرز القصب الأخير

(وله):

عجبت له كيف أمسى الغبي   برؤياه وهو مليء غنى
وأحرم منه على فاقتي   ولكن كم معدن مع دني

(وله):

ذكرتك لا أني نطقت وإنما   ذكرتك في نفسي فكنت سميرها
ذكرتك في روض تبسم عن شذا   وقد فتحت كف النسيم زهورها
ذكرتك والكاسات تختال بالطلا   وحب لنفسي أن تكون مديرها
ذكرتك والأطيار تنطق عن هوى   كأنك قد آويت منها ضميرها
فلا خير في أرض إذا لم تكن بها   سميرًا ولا في روضة لن تزورها

(وله):

يا معير الرماح والبدر والظبى   انعطافًا وبهجةً والتفاتا
أنت لو لم يكن محياك روضًا   لم يكن ريقك الشهي نباتا

(وله):

أفدي بروحي عذارًا لست ألثمة   إلا بثغر الأماني أو فم الغزل
يا قوم إني محب أشعريٌّ هوى   فكيف خالط قلبي وهو معتزلي

وكتب إلى صاحبنا السيد حسن البدري العوضي قوله:

يا بدر بعدك لم آنس بطيب كرى   ولم أجد حسنًا إلا على مضض
إذا تطاول ليل الهجر أنشديا   بدري وإن غاب كاس صحت بالعوضي

وكتب إلى أعجوبة زمانه قاسم الأديب ما نصه:

يا ذا الأديب الذي أنسنا ... به فأيامنا مواسم
لله ما فيك من مزايا ... ثغور أزهارها بواسم
إذا ترفعت في خطوط ... حق لها طاعة المراسم
وإن توخيت فهم معنى ... عَنَتْ إلى فهمك الطلاسم
وإن تصرفت في بديع ... فالذوق موطن وأنت قاسم

(فأعاده الجواب وقال):

أفديك مولاي من بليغ ... طابت بألفاظه جراحي
دخلت بحرًا من المعاني ... قاموسه جاد بالصحاح
إن كنتُ عن دركها ونيًّا ... فالعفو يا صاحب السماح
أو كان فهمي به فساد ... فأنت يا سيدي صلاحي

ومن غرر قصايده ما مدح به رسول الله ﷺ والتزم الألف في أول كل كلمة وهي:

أسال أسيل الخد أرواحنا القتلى ... أسى أصله إغراء ألحاظه الكحلا
أغر أغار الغادة الرود أنه ... أعار اللآلي الغر أجيادها العطلا
أطال المدى أنكى الأسى أعجز الأسى ... أطل المها أسنى المدى ألف المطلا
أغار استطال استفرس افترس اجترا ... أصاب استباح استأصل احتكم السؤلا
أشاكي إليه الحر أبغي استراحة ... أوقد أشلاء الحشا الحطب الجزلا
أغالطه البلوى أخاف اتهامه ... أأنهي إليه الشوق أم أطلب الوصلا؟
أطارحه الشكوى إذا استل أسهمًا ... إلا إنه أقسى الأنام إذا استلا
أجل إنني أسلمت أحشائي البلا ... ألست إلى ألحاظه أنسب الفعلا؟
أراه إذا اختل الحجا اختلب الحشا ... إليه أو استل القنا استلب العقلا
أبى القلب أن أسلوه أو أدع الهوى ... أبان العذول العدل أو أوسع العذلا
إذا آية النمل العذاري أشكلت ... أصول الجمال استنسخ النظر الشكلا

إليه التياع المغرم الصب إنه / أماله أهوى إذا اعتلت اعتلا
إذا ابتسم البرق الحجازي إخالني / أعير السحاب الجون أجفاني الشكلا
أخاطب أطلال الربا أستحثها / أسى البيت إلا أنني أقتضي أن لا
أرى الأمل الأدنى أبي أن أناله / أيستسهل الصعب الذي استصعب السهلا
أخوض المنايا أبتغي أدرك المنى / اذا اختطب النبل الفتى احتطب النبلا
إلى الصعدة السمراء أستوقف الحشا / إن انتصب البيض السنان أو النصلا
ألا أيها الانسان أنت الذي ازدرت / أسود الشرى أهداب أجفانك الكسلى
ألا أيها القالي أمالي أدمعي / أما أنت أسندت إلى الإملا؟
إليك أسير الشوق أقلقه الهوى / إداوة أسنى الصبر إفراغها البذلا
أبحت السهام القلب أو حبه أسى / أأجريت أجفاني أعاملتها الهملا؟
أذاب التهاب الوجد أسطر أضلعي / اذا استحكم التبريج أضعف أو أبلى
أصاح اتئد إني أحذرك الردى / أما أغرت الآرام أعينها النجلا؟
أبى الله أن ألقى الظبا أمن الظبا / إذا ألف الإعزاز أم أنف الذلا
أسير أمام العاشقين أدلهم / إلى الطرق إلا أنني أسلك المثلى
أنافس أبناء النسيب إجادة / أطالبهم أن ألحق النسب الأعلى
أروم امتداح المصطفى أشرف الورى / اذا اختلف المداح امدحه أولى
إمام الهدى المولى الذي اخترق العلا / أجل الورى أهلًا وأعلاهم أصلا
أمين المعالي أشرف الرسل الذي / اليه انتهى التقديم إذ أخبر الرسلا
أبان الهدى أحيا الندى أعلن الندا / أباد العدا أردى الردى أخصب المحلا
اليه انتهى الصفح الجميل الذي أبى / أعاديه إذ أبدى أبو الحكم الجهلا
أضاع افتخار الجاهلية أنهم / أطاعوا الهوى إذ أغضبوا الحكم العدلا
أباح البلا أم القرى استامها الردى / اليه اختصاصًا أشبه الحرم الحلا
أحل العروضين الأمان اجتباهما / أجل الأماني أمن الأمة الهولا
أراد أذاه المشركون إهانة / أهينوا اذا امتدوا إليه اليد الشلا
أذاقهم السبي استسامهم الجلا / أباحهم الأموال إذ آثروا البخلا
أعارهم الخوف المضر أراعهم / اذا استسلم العليا انتحوا الطرق السفلى
أصر العدو البغي أرداه أيهم / أسر إليه الغل ألبسه الغلا

أما آية القرآن أعجزت الورى		إلى آية العرب انتظامهم اختلا
إذا انتسخ الأديان أجمع آية		أينكر أمر الضوء أن أذهب الظلا؟
أتته الوفود استغرق الكل أمنه		أفاض الندى أرضاهم احتمل الكلا
أيا أطيب الكل الذي آل آله		اليه انتسابًا أنت أزكى الورى أصلا
أما أنت أندى العالمين أياديًا؟		أما أخجلت أدنى أناملك الوبلا؟
أياد أعارت أيدي السحب النديّ		أمستبعد أن اغرق الوابل الطلا
أيا أشرف الأبناء أنت الذي أتى		إليه الهدى أنت الذي أوضح السبلا
إليك انتهى أسنى الخصال التي ازدهت		أفانيها أنت الذي ألف الشملا
أتاك الفقير ابن الصلاحي آملًا		أعنه أغثه أغنه أبلغ السؤلا
إليك اشتكى الوزر الذي أوهن القوى		أقله أقله إنه استثقل الحملا
أمولاي أنت العون أرجوك إن أكن		أسأتُ ادخرت المدح أستمطر الفضلا
أناديك أستجري الندى أرتجي الرضا		أناجيك أستجدي إلى العقد الحلا
أجرني أجرني أكرم الخلق إنني		أضفتك ارتاد الغنى أكرم النزلا
أتيت الحمى أستغفر الله آثمًا		آلا أيهذا المستجير اخلع النعلا
إلهي اقبل المدح اغفر المزح إنني		أرى الجد إلا أنني أخلط الهزلا
إله الورى ارزقني القبول اقبل الدعا		أقلني العثار افرج أزل أزمتي الجلى
إلهي أفض أزكى الصلاة أمدها		أجل السلام استنهلا المورد الأحلى
إلى المصطفى الهادي إلى أنجم الهدى		الى الآل أهل الفضل ألحقهم النسلا
الى الخلفاء الراشدين الألى اقتفوا		إلى السيرة الحسنا الألى آثروا العدلا
إلى التابعين الكل أتباعهم إلى		أئمتنا القوم الألى احتفظوا النقلا
إلى المؤمنين الصالحين أولي الوفا		إلى السادة الأمداد امددهم الكلا
أمولى البرايا أحسن الختم إنني		أؤرخ أرجو أطهر الشرف الأعلى

وله أيضًا:

زكمت في ليلة التداني		وقد زها ثغرها الأقاحي
جوزيت لما غدوت فيها		مشمتًا عاطس الصباح

وله أيضًا:

ومهفهف لما بدا   يختال في حلل الخفر
يسبي بطرف ناعس   قد زانه ذاك الحور
ناديته صل مغرمًا   فأجابني أهلًا ومر

وله في مليح بعين:

لقد غاب عني قوم من قد هويته   فقلت: لعمري ما أصيب بعسين
ولكنه أهدى الملاحة للورى   فجاد على كل الملاح بعين

(وله) قد اتخذ صاحبه الأديب حسين بن أحمد المكي مسطرة عدة سطورها ست عشر سطرًا، فكتب عليها:

ومسطرة في رقة الجسم قد حكت   نحولي من عشقي وعد ضلوعي
أسود من شعري سطور طروسها   وأبكي فأمحوه بقطر دموعي

وله:

أهوى عليًّا ولكني بليت به   من فاتن عجزت في وصفه حيلي
يقول لي لحظه: إن رمت قبلته   أخطأت تقتل يا هذا بسيف علي

وله:

أهوى بربع الأشرفية شادنًا   أحيت محاسنه الجمال اليوسفي
ما لاح لي دينار وجنته الزهى   ألا دهشت بنقد ذاك الأشرفي

وله ارتجالًا وهو في مجلس إخوان:

لله يوم قطعنا فيه زهر مني   والأنس قلدنا منه بطوق منن

وقد تجلى عروس الروض في حلل　　　من الربيع وحيانا بوجه حسن

فأنشد بعض من في المجلس:

لله يوم زها بجمع　　　من كل مولى به نجاحي
وأنسنا تم حين وافي　　　مبشر السعد بالصلاحي

(وله) مهنئًا بشهر رمضان وأرسله إلى صاحبه السيد حسن البدري:

أمولى المعالي الذي قد بنى　　　بناء السناء بحسن الثنا
ومن وجهه وندى كفه　　　هو المجتلي وهو المجتني
ومن حبه في فؤادي ثوى　　　ومن هو من أضلعي المنحني
إذا كان لي في الورى سيد　　　فأنت وما العبد إلا أنا
أتيت أهني بشهر الصيام　　　وأرخته رمضان الهنا

وكتب إليه أيضًا:

أيا حسنًا وهو للعسر يسر　　　ومن هو في مبسم الدهر ثغر
أتى رمضان وفي رمضان　　　يصح لمنكسر الحب جبر
فما لك تختار هجر المحب الذي　　　لا يليق به منك هجر
إذا قلت: أرخ وللصائم أعذر　　　فإني أؤرخ ما الصوم عذر
فأرسل جوابًا به أستريح　　　وعجل فللشوق في الصدر جمر

وكتب إليه أيضًا وقد أرسله بجواب:

جوابك قد جاءني يسخر　　　بفضل خطابي الذي يسحر
أتى رافلًا في بديع الحلي　　　يبشر حينًا ويستبشر
فأطمعني لفظه في الوفا　　　وأطربني خمره المسكر
ولكنه قد غدا قاصرًا　　　ومثلك والله لا يعذر
فإن لم يجبني بما أرتضي　　　أؤرخ جوابك لا يظهر

وكتب إليه أيضًا:

وفـي كـتـابـك بـالـبـيـان مموَّهـا   وأراه في شرع الهوى مردودا
دعوى العواذل منك ليس بحجة   باب التلاقي لم يكن مسدودا
هذي طريق الوصل غير مخوفة   والحر أولى أن يرى مقصودا
فدع الأسنة في صدودك والقنا   واجعل جوابي سعيك المحمودا

وله أيضًا:

لا خير في ريح الشمال فإنها   حملتكم وغدت بروحي رائحة
وإذا تنفست الصبا من نحوكم   أهدت شذًا ولكل ريح رائحة

(وله تشطير بيت ذكر في أول كتاب المواهب):

كل إليه بكله مشتاق   وعليه من رقبائه أحداق

فقال:

كـل إلـيـه بـكـلـه مـشـتـاق   أبـدًا وقـد عـبـثـت بـه الأشـواق
من أين يمكنه الوصول إلى الحمى   وعـلـيـه مـن رقـبـائـه أحـداق

ولما وقف عليه السيد العيدروس كتب:

كـل إلـيـه بـكـلـه مـشـتـاق   ولـقـيـده مـن حـبـه إطـلاق
فهو الذي من شوقه دخل الحمى   وعـلـيـه مـن رقـبـائـه أحـداق

(وله وقد كتب على ظهر سفينة):

سفينة قد جرب فيها بحور هوى   وعادة السفن أن تجري على الماء
حوت هوى فغدت بالشعر ناطقة   وحركت نغمًا يحلو على النائي

وله أيضًا:

سفينة قد جرت فيها بحور هوى　　وعادة البحر أن تجرى به السفن
يهز فيها الهوى القصور كل شج　　من كل روض معان زانه فنن

وله أيضًا:

يا سفين الغرام أنت نجاتي　　من هوى لا يقر منه القرار
لا تغيبي عني إلى مستغير　　إن شرط الحبيب لا يستعار

(وله مخاطبًا صاحبه حسين بن أحمد المكي):

يا حسينًا علق القلب به　　خاطبًا صفو وداد وولا
لا تقل «لا» في جوابي كرمًا　　يا حسينًا أنا أخشى كرب لا

(فأعاد الجواب ما نصه):

سيدي قلبي بدا الشوق به　　فعسى ترضون رقى في الملا
إنني عبد إليكم راغب　　وبكم أمري على الكل علا
أن عذري واضح مولاي جد　　لعبيد راجف من قول لا
لا تخل أني ألقاك بلا　　لا ومن قد جاء فينا مرسلا

وللمترجم كلام كثير وصوته جهير، وفيما نقلته كفاية، توجه بآخر أمره إلى بلده، وبه توفي سنة ثمانين وماية وألف، رحمه الله.

ومات الإمام الصوفي العارف الناسك الشيخ محمد سعيد بن أبي بكر بن عبد الرحيم بن مهنا الحسيني البغدادي، وله بمحلة أبي النجيب من بغداد، وبها نشأ وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن أحمد الرحبي وحسن بن مصطفى القادري في آخرين، وحج وقطن المدينة مدة وأجازه الشيخ محمد حيوه السندي والشيخ حسن الكوراني، ورد مصر سنة إحدى وسبعين وماية وألف، فنزل بقصر الشوك قرب المشهد الحسيني وكان له في كلام القوم عرفان إلى الغاية يورده على طريقة غريبة، بحيث يرسخ في ذهن السامع

ويلتذ به، وكان يذهب لزيارته الأجلاء من الأشياخ مثل شيخنا السيد علي المقدسي والسيد محمد مرتضى والشيخ العفيفي، وبالجملة فكان من أعاجيب دهره وكان الشيخ العفيفي ينوه بشأنه ويقول في حقه: «إنه من رجال الحضرة وإنه ممن يرى النبي ﷺ عيانًا» وتوجه إلى الديار الرومية ثم عاد إلى المدينة، ثم ورد أيضًا إلى مصر بعد ذلك ونزل قرب الجامع الأزهر، ثم توجه إلى الديار الرومية وقطن بها، وظهرت له هناك الكرامات وطار صيته وعلت كلمته، وصار له أتباع ومريدون ولم يزل هناك على حالة حسنة حتى وافاه الأجل المحتوم في أواخر الثمانين، وخلف ولده من بعده، رحمه الله تعالى وسامحه.

ومات الفقيه الصالح العلامة الفرضي الحيسوبي الشيخ/أحمد بن أحمد السنبلاوي الشافعي الأزهري الشهير برزة، كان إمامًا عالمًا مواظبًا على تدريس الفقه والمعقول بالجامع الأزهر وكان يحترف بيع الكتب وله حانوت بسوق الكتبيين مع الصلاح والورع والديانة، ملازمًا على قراءة ابن قاسم بالأزهر كل يوم بعد الظهر، أخذ عن الأشياخ المتقدمين وانتفع به الطلبة وكان إنسانًا حسنًا بهي الشكل عظيم اللحية منور الشيبة معتنيًا بشأنه مقبلًا على ربه. توفي سنة ثمانين وماية وألف.

ومات الأجل المكرم الفاضل النبيه النجيب الفقيه/حسن أفندي ابن حسن الضيائى المصري المجود المكتب، ولد كما وجد بخطه سنة اثنتين وتسعين وألف في منتصف جمادى الثانية، واشتغل بالعلم على أعيان عصره، واشتغل بالخط وجوده على مشايخ هذا الفن في طريقتي الحمدية وابن الصايغ أما الطريقة الحمدية فعلى سليمان الشاكري والجزايري وصالح الحمامي، وأما طريقة ابن الصايغ فعلى الشيخ محمد بن عبد المعطي السملاوي، فالشاكري والحمامي جودًا على عمر أفندي ... وهو على درويش علي، وهو على خالد أفندي، وهو على درويش محمد شيخ المشايخ حمد الله بن بير علي المعروف بابن الشيخ الأماسي، وأما السملاوي فجود على محمد بن محمد بن عمار، وهو على والده، وهو على يحيى المرصفي، وهو على إسماعيل المكتب، وهو على محمد الوسيمي، وهو على أبي الفضل الأعرج، وهو على ابن الصايغ بسنده، وكان شيخًا مهيبًا بهي الشكل منور الشيبة شديد الانجماع عن الناس، وله معرفة في علم الموسيقا والأوزان والعروض، وكان يعاشر الشيخ محمد الطائي كثيرًا ويذاكره في العلوم والمعارف، ويكتب غالب تقاريره على ما يكتبه بيده من الرسايل والمرقعات، وقد أجاز في الخط لأناس كثيرًا ويجتمع في مجالس الكتبة مع صرامة وشهامة وعزة نفس، واتفق يومًا أنه طلب إلى مجلسهم في يوم جمعهم لإجازة، فامتنع عن الحضور وعز ذلك على الجمهور، فقال الشيخ عبد الله الإدكاوي وكان إذ ذاك حاضرًا في جملتهم:

وناد قد حوى أقمار تم		من الكتاب زادوا في البهاء
بهم قد زاد نورًا وابتهاجًا		فلا يحتاج فيه إلى الضيائي

(ثم قال بضده في المجلس):

لئن غدا مجلس الكتاب ليس به المولى		الضيائي من في خطه بهرا
فالشمس مع بعدها منها الضياء لقد		عم الورى فهو شمس غاب أو حضرا

توفي في منتصف ذي الحجة سنة ثمانين وماية وألف.

ومات الإمام العالم العلامة أحد العلماء الأذكياء وأفراد الدهر البحاث في المعضلات، الفتاح للمقفلات، الشيخ/عبد الكريم بن علي المسيري الشافعي المعروف بالزيات لملازمته شيخه سليمان الزيات، حضر دروس فضلاء الوقت، وانضوى إلى الشيخ سليمان الزيات ولازمه حتى صار معيدًا لدروسه، ومهر وأنجب وتضلع في الفنون ودرس وأملى وكان أوحد زمانه في المعقولات، ولازم آخرًا دروس الشيخ الحفني وتلقن منه العهد، ثم أرسله الشيخ إلى بلاد الصعيد؛ لأنه جاه كتاب من أحد مشايخ الهوارة ممن يعتقد في الشيخ بأن يرسل إليهم أحد تلامذته ينفع الناس بالناحية، فكان هو المعين لهذا المهم فألبسه وأجازه، ولما وصل إلى ساحل بهجورة تلقته الناس بالقبول التام، وعُيّن له منزل واسع وحشم وخدم، وأقطعوا له جانبًا من الأرض ليزرعها فقطن بالبهجورة، واعتنى به أميرها شيخ العرب إسماعيل بن عبد الله، فدرَّس وأفتى وقطع العهود، وأقام مجلس الذكر وراج أمره وراش جناحه ونفع وشفع وأثرى جدًّا وتملك عقارات ومواشي وعبيدًا وزروعات، ثم تقلبت الأحوال بالصعيد وأوذي المترجم وأخذ ما بيده من الأراضي وزحزحت حاله، فأتى إلى مصر فلم يجد من يعينه لوفاة شيخه، ثم عاد ولم يحصل على طائل، وما زال بالبهجورة حتى مات في أواخر سنة إحدى وثمانين وماية وألف.

ومات الإمام العلامة المتقن المعمر مسند الوقت وشيخ الشيوخ الشيخ/أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجيرى الملوي الشافعي الأزهري، ولد كما أخبر من لفظه في فجر يوم الخميس ثاني شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وألف، وأمه آمنة بنت عامر بن حسن بن حسن بن علي بن سيف الدين بن سليمان بن صالح بن القطب علي المغراوي الحسنى، اعتنى من صغره بالعلوم عناية كبيرة وأخذ عن الكبار من أولي الإسناد، وألحق الأحفاد بالأجداد، فمن شيوخه الشهاب أحمد بن الفقيه والشيخ منصور المنوفي والشيخ

عبد الرءوف البشبيشي والشيخ محمد بن منصور الإطفيحي والشهاب الخليفي والشيخ عيد النمرسي والشيخ عبد الوهاب الطندتاوي وأبو العز محمد بن العجمي والشيخ عبد ربه الديوي والشيخ رضوان الطوخي، والشيخ عبد الجواد المحلي وخاله أبو جابر علي بن عامر الإيتاوي. وأبو الفيض علي بن إبراهيم البوتيجي وأبو الأنس محمد بن عبد الرحمن المليجي هؤلاء من الشافعية، ومن المالكية محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الورزازي والشيخ محمد الزرقاني والشيخ عمر بن عبد السلام التطاوني والشيخ أحمد الهشتوكي والشيخ محمد بن عبد الله السجلماسي والشيخ أحمد النفراوي والشيخ عبد الله الكنكسي وابن أبي ذكري وسليمان الحصيني والشبرخيتي، ومن الحنفية السيد علي بن علي الحسني الضرير الشهير باسكندر. ورحل إلى الحرمين سنة اثنتين وعشرين وماية وألف فسمع على البصري والنخلي الأولية وأوايل الكتب الستة وأجازاه الشيخ محمد طاهر الكوراني، وأجازه الشيخ إدريس اليماني وملأ الياسي الكوراني ودخل تحت إجازة الشيخ ابراهيم الكوراني في العموم، وعاد إلى مصر وهو إمام وقته المشار إليه في حل المشكلات المعوَّل عليه في المعقولات والمنقولات، اقرأ المنهج مرارًا وكذا غالب الكتب، وانتفع به الناس طبقة بعد طبقة وجيلًا بعد جيل، وكان تحريره أقوى من تقريره. وله رضي الله عنه مؤلفات كثيرة منها شرحان على متن السلم كبير وصغير، وشرحان كذلك على السمرقندية، وشرح على الياسمينية، وشرح الآجرومية ونظم النسب وشرحها، وشرح عقيدة الغمري وعقود الدرر على شرح ديباجة المختصر، أتمه بالمشهد الحسيني سنة ثلاث وعشرين ونظم الموجهات وشرحها وتعريب رسالة ملأ عصام في المجاز، ومجموع صيغ صلوات على النبي ﷺ، ومؤلفاته مشهورة مقبولة متداولة بأيدي الطلبة ويدرسها الأشياخ، وتعلل مدة وانقطع لذلك في منزله وهو ملقى على الفراش ومع ذلك يقرأ عليه في كل يوم في أوقات مختلقة أنواع العلوم، وترد عليه الناس من الآفاق ويقرءون عليه، ويستجيزونه فيجيزهم ويملي عليهم ويفيدهم، ومنهم من يأتيه للزيارة والتبرك وطلب الدعاء فيمدهم بأنفاسه ويدعو لهم، وكان ممتع الحواس. وأقام على هذه الحالة نحو الثلاثين سنة حتى توفي في منتصف شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وماية وألف ومن نظمه رضي الله عنه:

كم كل كهف له يرد كساه بها — لذكم له لاذكم بل لف سما كملا
كالشكل الأول كم بدر كوى سلما — كم كان كل بدير للوداد كلا

كم لاح بدر لليل سام كم كلما　　　سرت له بضروب الشكل فاكتملا

وأخبرني شيخنا الشيخ محمد المالكي المعروف بابن الست أنه تولى القطبانية سنة قبل موته، ودفن بالمشهد الحسيني في موضع أعد له، ورثاه الشيخ عبد الله الإدكاوي بقصيدة بيت تاريخها:

رحم الله العالم الرباني　　　علم لاح أحمد الملواني

ومات الشيخ الامام الصالح/عبد الحي بن الحسن بن زين العابدين الحسيني البهنسي المالكي نزيل بولاق، ولد بالبهنسا سنة ثلاث وثمانين وألف، وقدم إلى مصر فأخذ عن الشيخ خليل اللقاني والشيخ محمد النشرتي والشيخ محمد الرزقاني والشيخ محمد الإطفيحي والشيخ محمد الغمري والشيخ عبد الله الكنكسي والشيخ محمد بن يوسف والشيخ محمد الخرشي، وحج سنة ثلاث وعشرة وماية وألف فأخذ عن البصري والنخلي وأجازه السيد محمد التهامي بالطريقة الشاذلية، والسيد محمد بن علي العلوي في مصر الأحمدية، والشيخ محمد شويخ في الشناوية، وحضر دروس المحدث الشيخ علي الطولوني ودرس بالجامع الخطيري ببولاق وأفاد الطلبة وكان شيخًا بهيًّا معمرًا منور الشيبة منجمعًا عن الناس زاهدًا قانعًا بالكفاف. توفي ليلة الإثنين حادي عشري شعبان سنة إحدى وثمانين وماية وألف بمنزله ببولاق وصُلي عليه بالجامع الكبير في مشهد حافل، وحمل على الأعناق إلى مدافن الخلفا قرب مشهد السيدة نفيسة، فدفن بها رحمه الله.

ومات الشيخ إمام السنة ومقتدي الأمة/عبد الخالق بن أبي بكر بن الزين بن الصديق بن الزين بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي القاسم النمري الأشعري المزجاجي الزبيدي الحنفي من بيت العلم والتصوف، جده الأعلى محمد بن محمد بن أبي القاسم صاحب الشيخ إسماعيل الجبرتي قطب اليمن وحفيده عبد الرحمن بن محمد خليفة جده في التسليك والتربية، وهو الذي تديَّر زبيد بأهله وعياله وكان قبل بالمزجاجة وهي قرية أسفل زبيد خربت الآن، ولد المترجم سنة ألف وماية بزبيد وحفظ القرآن وبعض المتون، ولما ترعرع أخذ عن الإمام المسند الشيخ علاء الدين المزجاجي والسيد يحيى بن عمر الأهدل والمسند عبد الفتاح بن إسماعيل الخاص والشيخ علي المرحومي نزيل مخا، وأجازه من مكة الشيخ حسن العجمي بعناية

والده وبعناية قريبه الشيخ علي بن علي المزجاجي نزيل مكة، ووفد إلى الحرمين فأخذ بمكة عن الشيخ محمد عقيلة، روى عنه الكتب الستة وحمل عنه المسلسلات بشرطها وألبسه وحكمه، وحضر على الشيخ عبد الكريم اللاهوري في الفقه والأصول وكان يحثه على قراءة الأخسكيتي ويقول: «لا يستغني عنه طالب»، وحضر دروس الشيخ عبد المنعم بن تاج الدين القلعي ومحمد بن حسن العجمي ومحمد سعيد التنبكتي، وبالمدينة عن الشيخ محمد طاهر الكردي سمع منه أوايل الكتب الستة والشيخ محمد حياة السندي لازمه في سماع الكتب الستة، وعاد إلى زبيد فأقبل على التدريس والإفادة، وسمع عليه شيخنا السيد محمد مرتضى الصحيحين وسنن النسائي كله بقراءته عليه في عين الرضا موضع بالنخل خارج زبيد كان يمكث فيه أيام خراف النخل، والكنز والمنار كلاهما للنسفي ومسلسلات شيخه ابن عقلية وهي خمسة وأربعون مسلسلًا، وسمع عليه أيضًا المسلسل بيوم العيد ولازم درسه العامة والخاصة، وألبسه الخرقة ونقبه وحكمه بعد أن صحبه وتأدب به، وبه تخرج شيخنا المذكور كذا ذكر في ترجمته قال. وفي آخر توجه حياته إلى الحرمين، فمات بمكة في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين ومائة وألف.

ومات الشيخ الإمام الثبت العلامة الفقيه المحدث الشيخ/عمر بن علي بن يحيى بن مصطفى الطحلاوي المالكي الأزهري، تفقه على الشيخ سالم النفراوي وحضر دروس الشيخ منصور المنوفي والشهاب ابن الفقيه والشيخ محمد الصغير الورزازي والشيخ أحمد الملوي والشبراوي والبليدي، وسمع الحديث عن الشهابين أحمد البابلي والشيخ أحمد العماوي وأبي الحسن علي بن أحمد الحريشي الفاسي، وتمهر في الفنون ودرس بالجامع الأزهر وبالمشهد الحسيني واشتهر أمره وطار صيته وأشير إليه بالتقدم في العلوم، وتوجه إلى دار السلطنة في مهم اقتضى لأمراء مصر فقوبل بالإجابة، وألقى هناك دروسًا في الحديث في آيا صوفية، وتلقى عنه أكابر العلماء هناك في ذلك الوقت وصرف معززًا مقضيًا حوايجه، وذلك في سنة سبع وأربعين ومائة وألف، ولما تتم عثمان كتخدا القازدغلي بناء مسجده بالأزبكية في تلك السنة تعين المترجم للتدريس فيه وذلك قبل سفره إلى الديار الرومية، وكان مشهورًا في حسن التقرير وعذوبة البيان وجودة الإلقاء، وأقرأ الموطأ وغيره بالمشهد الحسيني، وأفاد وأجاز الأشياخ، وكان يطلع في كل يوم جمعة إلى المرحوم حمزة باشا مرة، فيسمع عليه الحديق وكان للناس فيه اعتقاد حسن وعليه هيبة ووقار وسكون ولكلامه وقع في القلوب. توفي ليلة الخميس حادي عشر صفر سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، وصُلي عليه بصباحه في الأزهر في مشهد حافل ودفن بالمجاورين، رحمه الله.

ومات الوجيه الصالح الشيخ/عبد الوهاب بن زين الدين بن عبد الوهاب بن نور الدين بن بايزيد بن أحمد بن القطب شمس الدين بن أبي المفاخر محمد بن داود الشربيني الشافعي، وهو أحد الإخوة الثلاثة وهو أكبرهم، تولى النظر والمشيخة بمقام جده بعد أبيه فسار فيها سيرًا مليحًا وأحيا المآثر بعدما اندرست وعمر الزاوية، وأكرم الوافدين وأقام حلقة الذكر كل يوم وليلة بالمسجد، ويغدق على المنشدين، وورد مصر مرارًا منها صحبة والده، ومنها بعد وفاته وألف باسمه شيخنا السيد مرتضى رسالة في الطريقة الأوسية سماها (عقيلة الأتراب في سند الطريقة والأحزاب)، وفي آخره أتى إلى مصر لمقتضٍ، ومرض نحو ثلاثة أيام. وتوفي ليلة الأحد غرة ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وماية وألف، وغسل وكفن وذهبوا به إلى بلده فدفنوه عند أسلافه.

ومات الشيخ الإمام العلامة الهمام أوحد أهل زمانه علمًا وعمل، ومن أدرك ما لم تدركه الأول المشهود له بالكمال والتحقيق، والمجمع على تقدمه في كل فريق شمس الملة والدين/محمد بن سالم الحفناوي الشافعي الخلوتي وهو شريف حسيني من جهة أم أبيه وهي السيدة ترك ابنة السيد سالم بن محمد بن علي بن عبد الكريم ابن السيد برطع المدفون ببركة الحاج، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين رضي الله عنه، وكان والده مستوفيًا عند بعض الأمراء بمصر، وكان على غاية من العفاف ولد على رأس المائة ببلده حفنا بالقصر قرية من أعمال بلبيس وبها نشأ، والنسبة إليها حفناوي وحفني وحفنوي، وغلبت عليه النسبة حتى صار لا يذكر إلا بها، وقرأ بها القرآن إلى سورة الشعراء، ثم حجزه أبوه بإشارة الشيخ عبد الرءوف البشبيشي وعمره أربع عشرة سنة بالقاهرة فكمل حفظ القرآن ثم اشتغل بحفظ المتون، فحفظ ألفيه ابن مالك والسلم والجوهرة والرحبية وأبا شجاع وغير ذلك، وأخذ العلم عن علماء عصره، واجتهد ولازم دروسهم حتى تمهر وأقرأ ودرَّس وأفاد في حياة أشياخه وأجازوه بالإفتاء والتدريس فأقرأ الكتب الدقيقة كالأشموني وجمع الجوامع والمهج ومختصر السعد وغير ذلك من كتب الفقه والمنطق والأصول والحديث والكلام عام اثنتين وعشرين، وأشياخه الذين أخذ عنهم وتخرج عليهم الشيخ أحمد الخليفي والشيخ محمد الديربي والشيخ عبد الرءوف البشبيشي والشيخ أحمد الملوي والشيخ محمد السجاعى والشيخ يوسف الملوي والشيخ عبده الديوي والشيخ محمد الصغير، ومن أجل شيوخه الذين تخرج بالسند عنهم الشيخ محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميت، أخذ عنه التفسير والحديث والمسندات والمسلسلات والإحياء للامام الغزالي، وصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وسنن

النسائي، وسنن ابن ماجه والموطأ، ومسند الشافعي والمعجم الكبير للطبراني والمعجم الأوسط والصغير له أيضًا وصحيح ابن حبان والمستدرك للنيسابوري والحلية للحافظ أبي نعيم وغير ذلك، وشهد له معاصروه بالتقدم في العلوم، وحين جلس للإفادة لازمه جل طلبة العلم ومن بهم يسمو المعقول والمنقول وكان إذ ذاك في شدة من ضيق العيش والنفقة، فاشترى دواة وأقلامًا وأوراقًا واشتغل بنسخ الكتب فشق عليه ذلك خوفًا من انقطاعه عن العلم، فبينما هو في بعض الدروس إذ جاءه رجل وانتظره حتى فرغ من الدرس فقال له: «يا سيدي أريد أن أكلمك كلمتين»، وأشار إلى مكان قريب فسار معه حتى انتهيا إلى المدرسة العينية فدخلالها ثم جلسا، فأخرج الرجل محرمة ملآنةً بالدراهم وقال له: «يا سيدي فلان يسلم عليك وقد بعث لك معي بهذه الدراهم ويريد أن يحظى بقبولها»، فأخذها منه وفتحها وملا كفه من الدراهم وأراد إعطاءها لحاملها، فامتنع وحلف لا يأخذ منها شيئًا ثم فارقه ذلك الرجل، وذهب الشيخ إلى البيت وكسر الأقلام والدواة، فأقبلت عليه الدنيا من حينئذ، وكان يتردد إلى زاوية سيدي شاهين الخلوتي بسفح الجبل ويمكث فيها الليالي متحنثًا، وأقبل على العلم وعقد الدروس وختم الختوم بحضرة جمع العلماء، وأقرأ المنهاج مرات وكتب عليه، وكذلك جمع الجوامع والأشموني ومختصر السعد وحاشية حفيده عليه كتب عليها وقرأها غير مرة، وكان الشيخ العلامة مصطفى العزيزي إذا رفع إليه سؤال يرسله إليه، واشتغل بعلم العروض حتى برع فيه وعانى النظم والنثر وتخرج عليه غالب أهل عصره وطبقته، ومن دونهم كأخيه العلامة الشيخ يوسف والشيخ إسماعيل الغنيمي صاحب التآليف البديعة والتحريرات الرفيعة، المتوفى سنة إحدى وستين وشيخ الشيوخ الشيخ علي العدوي والشيخ محمد الغيلاني والشيخ محمد الزهار نزيل المحلة الكبرى وغيرهم، كما هو في تراجم المذكورين منهم، وكان على مجالسه هيبة ووقار ولا يسأله أحد لمهابته وجلالته، ولم يعان التأليف لاشتغاله بالإلقاء والإقراء، فمن تآليفه المشهورة حاشية على شرح رسالة العضد للسعد وعلى الشنشوري في الفرايض وعلى شرح الهمزية لابن حجر وعلى مختصر السعد وعلى شرح السمرقندي للياسمينية في الجبر والمقابلة، وله تصانيف أخرى مشهورة، وكان كريم الطبع جدًّا وليس للدنيا عنده قدر ولا قيمة، جميل السجايا مهيب الشكل عظيم اللحية أبيضها كأن على وجهه قنديلًا من النور، وكان كريم العين على إحداهما نقطة وأكثر الناس لا يعلمون ذلك لجلالته ومهابته، وكان في الحلم على جانب عظيم، ومن مكارم أخلاقه إصغاؤه لكلام كل متكلم، ولو من الخزعبلات مع انبساطه إليه وإظهار

المحبة ولو أطال عليه، ومن رآه مدعيًا شيئًا سلم له في دعواه، ومن مكارم أخلاقه أنه لو سأل إنسانًا أعز حاجة عليه أعطاها له كاينة ما كانت، ويجد لذلك أنسًا وانشراحًا، ولا يعلق أمله بشيء من الدنيا، وله صدقات وصلات خفية وظاهرة، وكان راتب بيته من الخبز في كل يوم نحو الإردب والطاحون دايمة الدوران، وكذلك دق البن وشربات السكر ولا ينقطع ورود الواردين ليلًا ونهارًا، ويجتمع على مائدته الأربعون والخمسون والستون، ويصرف على بيوت أتباعه والمنتسبين اليه، وشاع ذكرع في أقطار الأرض، وأقبل عليه الوافدون بالطول والعرض، وهادته الملوك، وقصده الأمير والصعلوك، فكل من طلب شيئًا من أمور الدنيا أو الآخرة وجده، وكان رزقه فيضًا إلهيًّا، وذكر الشيخ حسن شمه في كتابه الذي ألفه في نسب الأستاذ ومناقبه قال: «كنت مع الشيخ يومًا في منتزه فجلست في ناحية أكتب في المقامة التي وضعتها في مدحه المسماة (بفيض المغني بمدح الحفني)، وجعلتها مشتملة على سائر الفنون الشعرية التي هي النسب والموشح والدوبيت والزجل، وكان وكان والقوما والحماق والمواليا بأنواعه الثلاثة القرقيا والبليق والمكفر، وعلى نبذة من الموشحات والمحسنات البديعية كالمعطلات والحية والرقطاء ووسع الاطلاع، وحسن الصنيع والمشجر والجناس واللغز والمعمي والمصحف والقلب ونوعي الاقتباس، وكنت إذ ذاك في فن المواليا فعملت مواليًا قرقيًّا وهو:

قالوا تحب المدمس؟ قلت: بالزيت الحار
والعيش الأبيض تحبه؟ قلت: والكشكار
قالوا تحب المطبق قلت: بالقنطار
قالوا اش تقول في الخضاري؟ قلت: عقلي طار

فقال لي: أنت فيم تكتب؟ فأخبرته وأنشدته المواليا فضحك وقال لي ممازحًا: أنا لا أحبه بالزيت الحار وإنما أحبه بالسمن وأنشد:

قالوا تحب المدمس؟ قلت: بالمسلي والبيض مشوي تحبه؟ قلت: والمقلي

قال: وقد شرحت هذا المواليا بلسان القوم شرحًا لطيفًا، ثم قال لي: أحدتك حدوته بالزيت ملتوته حلفت ما اكلها حتى يجي التاجر والتاجر فوق السطوح، والسطوح عاوز سلم والسلم عند النجار والنجار عاوز مسمار، والمسمار عند الحداد والحداد عاوز بيضه

والبيضة في بطن الفرخة، والفرخة عاوزة قمحه والقمحه في الأجران والأجران عاوزه الدراس تدرى ما معنى هذه؟ قلت: لا أعلم إلا ما علمتني (فقال: أحدتك حدوته بالزيت ملتوتة) يعني: السر الإلهي والسلاف الأحمدي الأواهي الممزوج براح القرب والتقريب المدار من يد الحبيب (حلفت ما آكلها) أي: أتناولها فإن المقصد لا يتم بلا وسيلة والسالك قبل كل شيء يحصل دليله (حتى يجي التاجر) أي: المسلك العامر، والمراد به المرشد الكامل والمربي الواصل (والتاجر فوق السطوح) يتلقى معارج الروح لا يذهب ولا يروح بل إليه يراح وبه تنتعش الأرواح (والسطوح عاوز سلم) يتوصل به إليه. حيث إن المدار عليه إذ لا يمكن صعود بلا معراج، ولو أمكن لفعل بالأولى صاحب المعراج (والسلم عند النجار) أي: له صاحب مخصوص لإقامته ومركب يركبه من آلته هو النجار، وهو الأستاذ الكامل المسلك الواصل (والنجار عاوز مسمار) يثبت به سلم القرب والوصول كي يوصل لمنازل الحصول (والمسمار عند الحداد) صانعه المخصوص به، المقيم ببحبوح سربة (والحداد عاوز بيضة) إذ لا يكون شيء بلا شيء، والغالي لا يفرط فيه حي، ومن عمل عملًا وأتم أمره استحق على عمله الأجرة (والبيضة في بطن الفرخة)، فمن أرادها فلينصب فخه فإنها مخبوءة في صدفها ومنفردة عن صنفها (والفرخة عاوزه قمحة)؛ كي تتنفس بها فتنفخ نفخة لتلقي ما في جوفها، وذلك من ذعرتها وخوفها (والقمحة في الأجران)؛ لأنها ظرفها والعنان (والأجران عاوزة الدراس) ودراسها ليس إلا الجد والاجتهاد لمن أراد أن يرتع في رياض الإسعاد، فكل هذه درجات للسالك يصعدها، ومسافة لسيره يقطعها، وثم خواص طويت لهم السبل كلها، ونالوا كل ما راموا من مشتهى، انتهى، فانظر رحمك الله هذا المزح الذي هو حقيقة الجد.

(ومما سمع من إنشاده في الدياجي موشح الدلنجاوي):

يا هلالا قد بدا لي   من ورا الحجب
في جلابيب الكمال   ما دروا صحبي
إن قلبًا منك خالي   ليس بالقلب
وفؤادًا عنك سالي   واجب السلب

(ثم أنشد مواليًا):

بحياة يا ليل قوامك وصوم الحر   تحجز لنا الفجر دافوت الرفاقة حر
لما يجي الفجر يصبح ركبهم منجر   ازداد لوعة ولا عمري بقيت أنسر

(وكرره ثم أنشد):

أأظما وأنت العذب في كل منهل؟   وأظلم في الدنيا وأنت نصيري؟
خبير بضعفي راحم لشكيتي   وقدير على تيسير كل عسير
عار على راعي الحمى وهو في الحمى   إذا ضاع في البيدا عقال بعير

(وأنشد أيضًا):

إن وجدت أو جرت أو صديت أو جافيت   أو حلت أو ملت أو واصلت أو وافيت
أنت الحبيب الذي في القلب قد حليت   ونا على العهد ما خنتك ولا اختليت

(ثم أنشد):

يا من إذا قلت: يا كل المني صل صال   صلني بمن خلق الإنسان من صلصال
إذا تذكرت ريقًا باردًا سلسال   وقلت: يا دمع عيني بالدما سلْ سال

(قال) الشيخ حسن: قلت له: ما أبلغ بيت السبعينية:

خطرات النسيم تجرح خديه   ولمس الحرير يدمي بنائه

(فقال) لي: أبلغ منه قوله:

توهمه قلبي فأصبح خده   وفيه مكان الوهم من نظري أثر
ومر بفكري جسمه فجرحته   ولم أر جسمًا قط يجرحه الفكر

(وقال): وسمعته كثيرًا ما ينشد في الدياجي:

خل الغرام لصب دمعه دمه حيران توجده الذكرى وتعدمه
واسمع له بعلاقات علقن به لو أطلعت عليها كنت ترجمه

(قال) وسمعته مرة ينشد:

لو فتشوا قلبي لألفوا به سطرين قد خطأ بلا كاتب
العلم والتوحيد في جانب وحب آل البيت في جانب

(وأنشد مرة أيضًا):

خبز وماء وظل هم النعيم الأجل
جحدت نعمة ربي إن قلت: إني مقل

(وقال) لي مرة: كان عندنا شاعر يدعي النظم ومعرفته، فطارحني فيه يومًا فقلت له: أكتب ما حضرني ونظمت بيتين وهما:

بحار شوقي بأمواج الهوى عبثت ومزقت حبل وصلي في مجاريها
وحرمت مقلتي طيب الكرى شغفا بشادن قد سبى ريم الفلا تيها

(وقال): فأذعن الشاعر بفضله وعجب من قوة استحضاره. ودخل الشيخ المنوفي على الشيخ الخليفي وهو جالس عنده متشفعًا في جماعة متجاهرين بالمعاصي، وكان الشيخ الخليفي قد طردهم وغضب عليهم، فسأله المنوفي في الرضا عنهم فقال له: «إذا كنت أرضى عنهم فإن الله لا يرضى كما قال في كتابه العزيز»، فقال الأستاذ الحفني قد حضرني بيتان فقيل له: ما هما؟ فقال:

أتطلبون رضائي الآن عن نفر قلوبهم بنفاق لم تزل مرضى
تجاهروا بقبيح الفسق لا ربحوا إن كنت أرضى فإن الله لا يرضى

وقال من بحر الهزج:

رعاك الله يا قلبي إذا ما ملت للقلب
ولا بُلغت يا واشي لما في طيه سلبي
فمهلًا يا خلي مهلًا فديني في الهوى حبي

وقد شطر هذه الأبيات مولانا السيد البكري الصديقي وخمسها وشطرها غير واحد غيره، وقال عام رحلته إلى بيت المقدس لزيارة السيد الصديقي مادحًا جنابه بقصيدة من بحر المجتث:

يا مبتغي أن يحيا برشف كأس الحميا
وسالكًا نهج قوم شاموا جمال المحيا
ساموا لربح المعالي طابوا مماتًا ومحيا
واستنشقوا طيب عرف أحيا المعنّى وحيا
اخرج عن النفس والزم بابًا كريمًا عليًّا
وقم بسدة فضل بها الكمال تهيًّا
وطف بكعبة خير وأجملن منك سعيا
تراك فزت بقرب وحزت سرًّا وفيًّا
من حضرة قد تسامت ذرا المعالي رقيّا
قد اصطفاها لسر ثم ارتضاها سميّا
محمدي مقام نال المقام السنيا
أجل، من يتصدى للناس يمنح هديا
سبط الحسين وصنو خالي من اللهو أعيا
يا ابن الرفيق بغار وابن العتيق فهيّا
لابن رهين صروف عما يروم نئيّا
فوجهن لنحوي قلبًا به الميت يحيا
وقل: محمدنا اشرب منا شرابًا صفيّا
حسيبكم من سواكم أمسى غريبًا عريّا

صلى وسلم ربي على الرسول المحيا
والآل ما قال صب يا مبتغي أن يحيا

وكان لاشتغاله بالالقاء والإقراء للعلم لا يعاني النظم كثيرًا، وله مواليًا من المكفر، المواليا على ثلاثة أقسام قرقيا وبليق ومكفر، فالقرقيا ما اشتمل على الهزل، والبليق ما اشتمل على الغزل، والمكفر بكسر الفاء ما اشتمل على المواعظ، (فمن ذلك قوله):

يا مبتغى طرق أهل الله والتسليك دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك
إن أذكروني لرد المعترض يكفيك فاجعل سلاف الجلالة دايمًا في فيك

وقوله:

بالله يا قلب دع عنك الهوى واسلم من كل ميل ووافي عهدهم اسلم
والزم حمى سادة من أمهم يسلم واسلك سبيل التقى يوم اللقا تسلم

وقوله:

حرك جواد الهمم واسلك طريق الحق واصحب معك زاد أهل المعرفة والحق
ولا تمل للسوى تحرق بنار الفرق وادخل جنان التقى تظفر بثاني فرق

وله من البليق:

خطر عليّا غزالي مر ما اتكلم فوق جفونه وقلبي والحشا كلمْ
إيش كان يضره إذا بالراس لي سلم حتى أسر مهجتي لولا السلام سلمْ

(ومن) مراسلاته لبعض تلامذته: أما بعد إهداء سلام بسر الحب نام تام للحبيب الصفي، ومن بالعهد وفي، السري الأسعد، أحمدنا الأحمد جملّنا الله وإياه بلباس التقوى، وثبتنا وإياه على التمسك بسبب الوصول الأقوى، فقد وصلت الرسايل، المنبئة بحفظ الوسايل، المشعرة بالصفا، والقيام على قدم الوفا، والذي به نوصيك، وبسره الخفي نوافيك، أن تدوم منتبهًا لتحرك النفس، في كل حركة ونفس، خصوصًا عند إقبال العباد،

وطلبهم الفايدة والإرشاد، فإنها ولو للمعمرين بالمرصاد، فلا ينبغي ان يغمد عنها سيف الجهاد، ومن زاد عليك إقباله، وتوجهت إليك بالصدق آماله، فاصرف قلبك إليه، وعول في التربية عليه، ومن عنك بهواه صد، بعد أخذك عليه وثيق العهد، فدعه ولا تشغل به البال، وأنشده قول أستاذنا لمن عن طريقنا قد مال:

ألم تدر أنا من قلانا سفاهة　　تركناه غب الوصل يعمى بصده
ومن صد عنا حسبه الصد والجفا　　وأن الردى أصماه من بعد بعده
ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته　　وأنا نكافيه على ترك حمده
وأنا غدًا لما نعد محبنا　　وأتباعنا لسنانهُم بعده

ومن أردت زجره للتربية وإرشاده، فليكن ذلك عند الانفراد إذ هو أرجى لإسعاده، ولا تزجر بضرب ولا نهر بين الناس: فإن ذلك ربما أوقع المريد في الباس، ولا تلتفت لمن أعرض، ولا لمن يصحبك بإحسان، والأدب واللطف محمودان، والغلطة والحقد موبقان، فاطرح القال والقيل، واصفح الصفح الجميل، ولك ولكل من أخذ عنك أو أحبك منا ومن أهل سلسلة طريقنا ما سرك، فأبشر إن عملت بما أشرنا بكل خير، ومزيد الفتح والمسير في السير، وللشيخ رضي الله عنه مناقب ومكاشفات وكرامات وبشارات وخوارق عادات يطول شرحها، ذكرها الشيخ حسن المكي المعروف بشمه في كتابه الذي جمعه في خصوص الأستاذ، وكذلك العلامة الشيخ محمد الدمنهوري المعروف بالهلباوي له مؤلف في مناقب الشيخ ومدايحه وغير ذلك.

وصل في ذكر أخذ العهد بطريق الخلوتية

وهي نسبة إلى سيدي محمد الخلوتي أحد أهل السلسلة ويعرفون أيضا بالقرباشلية نسبة إلى سيدي على أفندي قره باش أحد رجالها أيضًا، وهذا هو الاسم الخاص المميز لهم عن غيرهم من الخلوتية؛ ولذلك قال السيد البكري في الألفية:

والخلوتية الكرام فرق　　قد نهجوا نهج الجنيد فرقوا
وخيرهم طريقنا العلية　　من قد دعوا بالقرباشلية

وهي طريقة مؤيدة بالشريعة الغراء والحنيفة السمحاء، ليس فيها تكليف بما لا يطاق وكانت خير الطرق؛ لأن ذكرها الخاص بها (لا إله إلا الله) وهي أفضل ما يقول العبد كما في الحديث الشريف. وكان المترجم رضي الله عنه اشتغل بالسلوك وطريق القوم بعد الثلاثين، فأخذ على رجل يقال له: الشيخ أحمد الشاذلي المغربي المعروف بالمقري فتلقى منه بعض أحزاب وأوراد، ثم قدم السيد البكري من الشام سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، فاجتمع عليه الشيخ بواسطة بعض تلامذة السيد، وهو السيد عبد الله السلفيتي فسلم عليه وجلس فجعل السيد ينظر إليه وهو كذلك ينظر إليه فحصل بينهما الارتباط القلبي، ثم قام وجلس بين يدي السيد بعد الاستئذان، وكانت عادة السيد إذا أتاه مريد أمره أولًا بالاستخارة قبل ذلك إلا وهو فلم يأمره بها، وذلك إشارة إلى كمال الارتباط، فأخذ عليه العهد حالًا ثم اشتغل بالذكر والمجاهدة، فرأى في منامه في بعض الليالي السيد البكري والشيخ أحمد الشاذلي المذكور جالسين، والشيخ أحمد يعاتبه على دخوله في الطريق ويعاتب أيضًا السيد، فقال له السيد: «هل لك معه حاجة؟» قال: «نعم، لي معه أمانة»، وإذا بجريدة خضراء بيد السيد فقال له: «هذه أمانتك؟» ثم انتبه فأخبر

السيد فقال له: «هذا اتصال بنا وانفصال عنه وهذه هي النسبة الباطنية التي صار بها سلمان الفارسي وصهيب من أهل البيت». وقال ابن الفارض رضي الله عنه في اليائية:

نسب أقرب في شرع الهوى   بيننا من نسب من أبوي

وقال في التائية على لسان الصادق ﷺ:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة   فلي فيه معنى شاهد بالأبوة

فإن آدم له أب من حيث النسبة الظاهرة، وهو أب لآدم من حيث النسبة الباطنة؛ لأنه نايب عنه في الإرسال ومنبأ بعده في الإنزال، ولم يستمد من الحضرة العلية إلا بواسطته؛ ولذلك لما توسل به قبلت توبته، وزادت محبته، ولم يجعل مهر حواء سوى الصلاة والسلام عليه كما ورد ذلك كله، وهو من المعلوم ضرورة، فظهر بهذا أن هذه النسبة أعظم من تلك لترتب الثمرة عليها، ثم سار في طريقة القوم أتم سير حتى لقنه الأستاذ الاسم الثاني والثالث، ومن حين أخذ عليه العهد لم يقع منه في حق الشيخ إلا كمال الأدب والصدق التام وهو الذي قدمه وبه ساد أهل عصره، فمن ذلك أنه كان لا يتكلم في مجلسه أصلًا إلا إذا سأله فإنه يجيبه على قدر السؤال، ولم يزل يستعمل ذلك معه حتى أذن له بالتكلم في مجلسه في بعض رحلاته إلى القاهرة، وسببه أنه لما رأى إقبال الناس عليه وتوجههم إليه قال له: «انبسط إلى الناس واستقبلهم؛ لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعيم».

ومما اتفق له أن شيخه المذكور قال له مرة: «تعال الليلة مع الجماعة واذكروا عندنا في البيت»، فلما دخل الليل نزل شتاء ومطر شديد فلم يتخلف وذهب حافيًا والمطر يسكب عليه وهو يخوض في الوحل، فقال له: «كيف جيت في هذه الحالة؟»، فقال: «يا سيدي أمرتمونا بالمجيء ولم تقيدوه بعذر وأيضًا لا عذر والحالة هذه لإمكان المجي وإن كنت حافيًا»، فقاله له: «أحسنت، هذا أول قدم في الكمال» إلى غير ذلك. ولما علم الشيخ صدق حاله وحسن فعاله، قدمه على خلفائه وأولاه حسن ولائه، ودعاه بالأخ الصادق، ومنحه أسرارًا، وأراه عيون الحقايق، وكيفية تلقين الذكر وأخذ العهد كما وجد بخط الأستاذ بظهر ثبت عبد الله بن سالم البصري ما نصه:

هذه صورة أخذ العهد أرسلها إليه السيد البكري الصديقي الخلوتي حين أذنه بأخذ العهود على طريقة السادة الخلوتية، ونص ما كتب كيفية المبايعة للنفس الطايعة أن يجلس المريد بين يدي الأستاذ، ويلصق ركبته بركبته والشيخ مستقبل القبلة، ويقرأ الفاتحة ويضع يده اليمنى في يده مسلمًا له نفسه مستمدًّا من إمداده ويقول له: قل معي: أستغفر الله العظيم ثلاث مرات، ويتعوذ ويقرأ آية التحريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ إلى ﴿قَدِيرٌ﴾، ثم يقرأ آية المبايعة التي في الفتح ليزول الاشتباه وهي ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ اقتداءً برسول الله ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿عَظِيمًا﴾. ثم يقرأ فاتحه الكتاب ويدعو الله لنفسه وللآخذ بالتوفيق، ويوصيه بالقيام بأوراد الطريق، والدوام على ذوق أهل هذا الفريق، وعرض الخواطر، وقص الرؤيات العواطر، وإذا وقعت الإشارة بتلقين الاسم الثاني، لقنه ليبلغ الأماني، وفتح له باب توحيد الأفعال، إذ لا غيره فعال، وفي الثالث توحيد الأسما؛ ليشهد السر الأسمى، وفي الرابع توحيد الصفات؛ ليدرجه إلى أعلى الصفات، وفي الخامس توحيد الذات؛ ليحظى بأوفر اللذات، وفي السادس والسابع، يكمل له التوابع، ونسأل الله تعالى الهداية والرعاية، والعناية والدراية، والحمد لله رب العالمين. انتهى.

هذا ما كتب بخطه الشريف، قال: ورأيت أيضًا بظهر الثبت المذكور ما نصه ثم رأيت في «الفتوحات الإلهية في نفع أرواح الذوات الإنسانية»، وهو كتاب نحو كراس لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ما نصه: إذا أراد الشيخ أن يأخذ العهد على المريد، فليتطهر وليأمره بالتطهر من الحدث والخبث ليتهيأ لقبول ما يلقيه إليه من الشروط في الطريق، ويتوجه إلى الله تعالى ويسأله القبول لهما، ويتوسل إليه في ذلك بمحمد ﷺ؛ لأنه الواسطة بينه وبين خلقه، ويضع يده اليمنى على يد المريد اليمنى بأن يضع راحته على راحته ويقبض إبهامه بأصابعه ويتعوذ ويبسمل، ثم يقول: «الحمد لله رب العالمين أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم». ويقول المريد بعده مثل ما قال، ثم يقول: «اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك، أني قد قبلته شيخًا في الله ومرشدًا وداعيًا إليه، ثم يقول الشيخ: «اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك أني قد قبلته ولدًا في الله فاقبله وأقبل عليه، وكن له ولا تكن عليه»، ثم يدعو كأن يقول:

«اللهم أصلحنا وأصلح بنا، واهدنا واهد بنا، وأرشدنا وأرشد بنا، اللهم أرنا الحق حقًّا وألهمنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللهم اقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك، لا تقطعنا عنك، ولا تشغلنا بغيرك عنك». انتهى، قلت: والمراتب السبعة التي أشار إليها السيد في الكيفية المتقدمة هي مراتب الأسماء السبعة، وللنفس في كل مرتبة منها مرتبة باسم خاص دالٌّ عليها، الاسم الأول (لا إله إلا الله) وتسمى النفس فيه (أمارة) والثاني (الله) وتسمى النفس فيه (لوامة) والثالث (هو)، وتسمى النفس فيه (ملهمة) والرابع (حق) وهو أول قدم يحله المريد من الولاية، كما مرت الإشارة إليه وتسمى النفس فيه (مطمئنة) والخامس (حي) وتسمى النفس فيه راضية والسادس (قيوم)، وتسمى النفس فيه (مرضية) والسابع (قهار) وتسمى النفس فيه (كاملة) وهو غاية التلقين، وكلها ما عدا الأول منها تلقن في الأذن اليمنى إلا السابع، ففي اليسرى وتلقينها بحسب ما يراه الشيخ من أحوال المريدين أفعال وأُقوال وعالم مثال، واعلم أن سلسلة القوم هذه في كيفية أخذ العهد والتلقين مروية عن النبي ﷺ وهو يرويه عن جبريل، وهو يرويه عن الله عز وجل، وفي بعض الروايات روايته عن رؤساء الملايكة الأربع، والنبي ﷺ لقن عليًّا رضي الله عنه، وصورة ذلك كما في «ريحان القلوب في التوصل إلى المحبوب» لسيدي يوسف العجمي أن عليًّا سأل رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى»، فقال: «يا علي عليك بمداومة ذكر الله في الخلوات»، فقال علي رضي الله عنه: «هذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون»، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله»، فقال علي: «كيف أذكر يا رسول الله» قال: «غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل: أنت ثلاث مرات وأنا أسمع»، فقال النبي ﷺ «لا إله إلا الله» ثلاث مرات مغمضًا عينيه رافعًا صوته وعلي يسمع ثم قال علي: «لا إله إلا الله» ثلاث مرات مغمضًا عينيه رافعا صوته والنبي ﷺ يسمع، ثم لقن علي الحسن البصري رضي الله عنهما على الصحيح عند أهل السلسلة الأخيار من المحدثين، قال الحافظ السيوطي: الراجح أن البصري أخذ عن علي ومثله عن الضياء المقدسي. ومن المقرر في الأصول أن المثبت مقدم على النافي، ثم لقن الحسن البصري حبيبًا العجمي وهو لقن أبا القاسم سيد الطائفتين الجنيد البغدادي وعنه تفرقت سائر الطرق المشهورة في الإسلام، ثم لقن عمر البكري وهو لقن أبا النجيب السهر وردى وهو لقن قطب الدين الأبهري، وهو لقن محمدًا النجاشي، وهو لقن شهاب الدين الشيرازي، وهو لقن جلال الدين التبريزي، وهو لقن إبراهيم الكيلاني، وهو لقن أخي محمدًا الخلوتي وإليه نسبة

أهل الطريق، وهو لقن بير عمر الخلوتي، وهو لقن أخي بيرام الخلوتي وهو لقن عز الدين الخلوتي، وهو لقن صدر الدين الحياني وهو لقن يحي الشرواني صاحب ورد الستار وهو لقن بير محمد الأرزنجاني وهو لقن جلبي سلطان المشهور بجلبي خليفة، وهو لقن خير التوقادي وهو لقن شعبان القسطموني وهو لقن إسماعيل الجورومي، وهو المدفون في باب الصغير في بيت المقدس عند مرقد سيدي بلال الحبشي، وهو لقن سيدي علي أفندي قره باش، أي: أسود الرأس باللغة التركية، وإليه نسبة طريقنا كما مر، وهو لقن مصطفى أفندي ولده، وخلفاؤه كما قال السيد الصديقي أربعماية ونيف وأربعون خليفة، وهو لقن عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي وهو لقن شمس الطريقة وبرهان الحقيقة السيد مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقى، وهو لقن قطب رحاها، ومقصد سرها ونجواها، شيخنا الشيخ محمد الحفناوي، وهو لقن وخلف أشياخًا كثيرة منهم:

بركة المسلمين، وكهف الواصلين، الصوفي الصايم القايم العابد الزاهد الشيخ محمد السمنودي المعروف بالمنير شيخ القراء والمحدثين، وصدر الفقها والمتكلمين، من مناقبه الحميدة صيام الدهر مع عدم التكلف لذلك، وقيام الليل يقرأ في كل ركعة ثلث القرآن وربما قرأ نصفه أو جمعيه في كل ركعة، هذا ورده دايمًا صيفًا وشتا فتى وشيخًا ويافعًا، ومنها تواضعه وخموله وعدم رؤية نفسه، ويبرأ من أن تنسب إليه منقبة، وسيأتي باقي ترجمته في وفاته.

(ومنهم) علامة وقته وأوانه الولي الصوفي الشيخ حسن الشيبيني ثم الفوي، طلب العلم وبرع فيه وفاق على أقرانه ثم جذبته أيدي العناية إلى الشيخ فاخذ عليه العهد، ولقنه أسماء الطريق السبعة على حسب سلوكه في سيره، ثم ألبسه التاج وأجازه بأخذ العهود والتلقين والتسليك، وصار خليفة محضًا فأدار مجالس الذكر ودعا الناس إليها من ساير الأقطار، وفتح الله عليه باب العرفان، حتى صار ينطق بأسرار القرآن.

(ومنهم) العالم النحرير الصوفي الصالح السالك الراجح الشيخ محمد السنهوري ثم الفوي، طلب العلم حتى صار من أهل الإفتاء والتدريس، وانتصب للتأكيد والتأسيس، ثم دعته سعادة حضرة القوم، فسلك مع المجاهدة وحسن السيرة على يد الأستاذ حتى لقنه الأسماء السبعة وألبسه التاج، وأقامه خليفة يهدي لأقوم منهاج، ثم أذن له في التوجه إلى بلده فتوجه إليها وربي بها المريدين وأدار مجالس الأذكار بتلك البقاع، وعم به في الوجود الانتفاع.

(ومنهم) البحر الزاخر، حايز مراتب المفاخر، الولي الرباني والصوفي في العالم الإنساني الشيخ محمد الزعيري، اشتغل بالعلم حتى برع وصار قدوة لكل مقتدي، وجذوة لمن لا يهتدي، ثم سلك على يد الأستاذ فاخذ عليه العهد ولقنه الأسماء على حسب سيره وسلوكه، ثم خلفه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

(ومنهم) الحبر العلامة والبحر الفهامة شيخ الإفتاء والتدريس الشيخ خضر رسلان، اشتغل عل الشيخ مدة مديدة، ولازمه ملازمه شديدة، وأخذ عليه العهد في طريق الخلوتية حتى تلقن الأسماء، وألبسه الشيخ التاج وصار خليفة مجازًا بأخذ العهود والتسليك.

(ومنهم) الشيخ الصوفي الولي صاحب الكرامات، والأيادي والمكرمات، شيخنا الشيخ محمود الكردي أخذ على الشيخ العهد والطريق ولقنه الأسماء فكان محمود الأفعال، معروفًا بالكمال، ثم ألبسه التاج وصار خليفة وأجازه بالتلقين والتسليك فأرشد الناس، وأزال عن قلوبهم الوسواس وهو مشهور البركة يعتقده الخاص والعام كثير الرؤية لرسول الله ﷺ، ومن كراماته أنه متى أراد رؤية النبي ﷺ رآه، وله مكاشفات عجيبة نفعنا الله بحبه، ولا حجبنا عن قربه، وهو الذي قام للإرشاد والتسليك بعد انتقال شيخه، وسلك على يده كثير وخلفوه من بعده منهم: الشيخ الصالح الصوفي الشيخ محمد السقاط والشيخ العلامة شيخ الإسلام والمسلمين مولانا الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر الآن والإمام الأوحد الشيخ محمد بدير الذي هو الآن بالقدس الشريف، والمشار إليه في التسليك بتلك الديار، والشيخ الصالح الناجح إبراهيم الحلبي الحنفي، والسيد الأجل العلامة والرحلة الفهامة السيد عبد القادر الطرابلسي الحنفي، والشيخ الإمام، والعمدة الهمام، الشيخ عمر البابلي وغيرهم، أدام الله النفع بوجودهم.

(ومنهم) العالم العلامة الألمعي الفهامة بقية السلف، والخليفة ونعم الخلف، الشيخ محمد سبط الأستاذ المترجم أطال الله بقاءه.

(ومنهم) الشيخ الفهامة الأديب الأريب، واللوذعي النجيب، الشيخ محمد الهلباوي الشهير بالدمنهوري الشافعي.

(ومنهم) الشيخ الصوفي القدوة الشيخ أحمد الغزالي، تلقن منه الأسماء وتخلف عنه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

(ومنهم) العالم العامل الشيخ أحمد القحافي الأنصاري، أخذ العهد وانتظم في سلك أهل الطريق، وتلقن الأسماء وصار خليفة مجازًا فأرشد الناس وافتتح مجالس الأذكار.

(ومنهم) تاج الملة، وإنسان عين المجد من غير علة، ذو النسب الباذخ، والشرف الرفيع الشامخ، السيد علي القناوي، تلقن الأسماء وألبس التاج وصار خليفة حقًّا ومجازًا بالتلقين والتسليك، فأدار مجالس الأذكار وأشرقت به الأنوار.

(ومنهم) العلامة العامل والفهامة الواصل الفاضل الشيخ سليمان المنوفي نزيل طندتا لقنه، وأرشده وخلفه وألبسه التاج وأجازه فسلك وأرشد وله أحوال عجيبة.

(ومنهم) الصوفي الصالح الشيخ حسن السخاوي نزيل طندتا أيضًا لقنه وخلفه وألبسه التاج، فدعا الناس لأقوم منهاج.

(ومنهم) علامة الأنام الشيخ محمد الرشيدي الملقب بشعير، لقنه وخلفه وأجازه فكثر نفعه.

(ومنهم) العلامة الأوحد، ومن على مثله الخناثر تعقد، الشيخ يوسف الرشيدي الملقب بالشيال، رحل أيضًا إليه فتلقن منه وسلك على يديه حتى صار خليفة، وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك ورجع إلى بلاده، بأوفر زاده، وأدار مجالس الذكر، وأكثر المراقبة والفكر، حتى كثرت أتباعه وعم انتفاعه.

(ومنهم) العمدة المقدم الهمام الناسك السالك الشيخ محمد الشهير بالسقاء، لقنه وأجازه بالتلقين والتسليك فكثر نفعه وطاب صنعه.

(ومنهم) فريد دهره وعالم عصره معدن الفضل والكمال، قطب الجمال والجلال، الشيخ باكير أفندي، لقنه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

(ومنهم) بدر الطريق، وشمس أفق التحقيق، العالم العلامة والصوفي الفهامة الشيخ محمد الفشني، لقنه وخلفه وألبسه التاج فأخذ العهود ولقن وسلك وفاق في ساير الآفاق، وتقدم في الخلاف والوفاق.

(ومنهم) العالم العامل والشهم الماهر الكامل الشيخ عبد الكريم المسيري الشهير بالزيات، تلقن العهد والأسماء حسب سلوكه وسيره وأجيز بأخذ العهود والتلقين والتسليك، فزاد نورًا على نور، وحبى بلذة الطاعة والحبور.

(ومنهم) شيخ الفروع والأصول، الجامع بين المعقول والمنقول، علامة الزمان، والحامل في وقته لواء العرفان، الشيخ أحمد العدوي الملقب بدردير، جذبته العناية إلى نادي الهداية، فجاء إلى الشيخ وطلب منه تلقين الذكر فلقنه وسار أحسن سير، وسلك أحسن سلوك، حتى صار خليفة بأخذ العهود والتلقين والتسليك مع المجاهدة والعمل المرضي، وسيأتي في وفياتهم تتمة تراجمهم رضي الله عنهم.

(ومنهم) أيضًا الشيخ العلامة الولي الصوفي الشيخ محمد الرشيدي الشهير بالمعصراوي.

(ومنهم) الإمام الجامع والولي الصوفي النافع مولاي أحمد الصقلي المغربي، تلقن وتخلف وأجيز بأخذ العهود والتلقين والتسليك.

(ومنهم) الأمجد العامل بعلمه والمزدري السحر بفهمه الشيخ سليمان البتراوي ثم الأنصاري.

(ومنهم) الصالح العامل الفهامة العابد الزاهد الشيخ إسماعيل اليمني تلقن، وسلك مع التقى والعفاف والملازمة الشديدة والخدمة الأكيدة وحسن المجاهدة.

(ومنهم) النحرير الكامل، واللوذعي الفاضل، مؤلف المجموع الشيخ حسن بن علي المكي المعروف بشمه الناظم الناثر، الحاوي الخير المتكاثر، وغير هؤلاء ممن لم نعرف كثير.

في ذكر رحلة الأستاذ المترجم إلى بيت المقدس

وهو أنه لما أذن له السيد البكري بأخذ العهود وتلقين الذكر لم يقع له تسليك أحد في هذه الطريقة، وإنما كان شغله وتوجهه كله إلى العلم وإقرائه، لكن ذلك بجسمه، وأما قلبه فلم يكن إلا عند شيخه السيد الصديقي، ولم يزل كذلك إلى عام تسع وأربعين فحن جسمه إلى زيارة شيخه وأنشد لسان حاله:

أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي يضركم لو كان عندكم الكل

فأرسل إليه السيد يدعوه لزيارته، فهام إذ فهم رمز إشارته، وتعلقت نفسه بالرحيل فترك الإقراء والتدريس وتقشف وسافر إلى أن وصل بالقرب من بيت المقدس، فقيل له: «إذا دخلت بيت المقدس فادخل من الباب الفلاني وصل ركعتين وزر محل كذا»، فقال لهم: أنا ما جيت قاصدًا بيت المقدس وما جيت قاصدًا إلا أستاذي فلا أدخل إلا من بابه ولا أصلي إلا في بيته فعجبوا له فبلغ السيد كلامه، فكان سببًا لإقباله عليه وإمداده، ثم سار حتى دخل بيت المقدس فتوجه إلى بيت الأستاذ فقابله بالرحب والسعة وأفرد له مكانًا، ثم أخذ في المجاهدة من الصلاة والصوم والذكر والعزلة والخلوة. قال: فبينما أنا جالس في الخلوة إذا بداع يدعوني إليه فجيت إليه فوجدت بين يديه مائدة. فقال: أنت صايم؟ قلت: نعم. فقال: كل فامتثلت أمره وأكلت. فقال: اسمع ما أقول لك إن كان مرادك صومًا وصلاةً وجهادًا أو رياضة فليكن ذلك في بلدك، وأما عندنا فلا تشتغل بغيرنا ولا تقيد أوقاتك بما تروم من المجاهدة، وإنما يكون ذلك بحسب الاستطاعة وكل واشرب وانبسط قال: فامتثلت إشارته ومكثت عنده أربعة أشهر كأنها ساعة غير أني

لم أفارقه قط خلوة وجلوة. ومنحه في هذه المدة الأسرار وخلع عليه خلع القبول، وتوجه بتاج العرفان وأشهده مشاهد الجمع الأول والثاني، وفرق له فرق الفرق الثاني، فحاز من التداني أسرار المثاني، ثم لما انقضت المدة وأراد العود إلى القاهرة ودعه وما ودعه، وسافر حتى وصل إلى غزة فبلغ خبره أمير تلك القرية، وكانت الطريق مخيفة فوجه معه قافلة ببيرقين من العسكر، فساروا فلقيهم في أثناء الطريق أعراب فخافوهم فقالوا لأهل القافلة: لا تخافوا فلسنا من قطاع الطريق، وإن كنا منهم فلا نقدر نكلمكم وهذا معكم»، وأشاروا إلى الشيخ، ولم يزالوا سايرين حتى انتهوا إلى مكان في أثناء الطريق بعد مجاوزة العريش بنحو يومين، فقيل لهم: إن طريقكم هذا غير مأمون الخطر، ثم تشاوروا فقال لهم أعراب ذلك المكان: نحن نسير معكم ونسلك بكم طريقًا غير هذا، لكن أجعلوا لنا قدرًا من الدراهم نأخذه منكم إذا وصلتم إلى بلبيس، فتوقف الراكب أجمعه، فقال الأستاذ: «أنا أدفع لكم هذا القدر هنالك»، فقالوا: «لا سبيل إلى ذلك، كيف تدفع وأنت وليس لك في القافلة شيء؟ والله ما نأخذ منك شيئا إلا إن ضمنت أهل القافلة» فقبل ذلك، فاتفق الرأي على دفع الدراهم من أرباب التجارات بضمانة الشيخ، فضمنهم وساروا حتى وصلوا إلى بلبيس ثم منها إلى القاهرة، فسرت به أتم سرور، وأقبل عليه الناس من حينئذ أتم قبول، ودانت لطاعته الرقاب وأخذ العهود على العالم، وأدار مجالس الأذكار بالليل والنهار، وأحيا طريق القوم بعد دروسها وأنقذ من ورطة الجهل مهجًا من غي نفوسها، فبلغ هديه الأقطار كلها وصار له في كثير من قرى مصر نقيب وخليفة وتلامذة وأتباع يذكرون الله تعالى، ولم يزل أمره في ازدياد وانتشار حتى بلغ سائر أقطار الأرض وصار الكبار والصغار والنساء والرجال يذكرون الله تعالى بطريقته، وصار خليفة الوقت وقطبه، ولم يبق ولي من أهل عصره إلا أذعن له، وحين تصدى للتسليك وأخذ العهود أقبل عليه الناس من كل فج وكان في بدء الأمر لا يأخذون إلا بالاستخارة والاستشارة وكتابة أسمايهم ونحو ذلك، فكثر الناس عليه وكثر الطلب فأخبر شيخه السيد الصديقى بذلك فقال له: «لا تمنع أحدًا يأخذ عنك ولو نصرانيًّا من غير شرط»، وأسلم على يديه خلق كثير من النصارى، وأول من أخذ عنه الطريق وسلك على يديه الولي الصوفي العالم العلامة المرشد الشيخ أحمد البناء الفوي، ثم تلاه من ذكر وغيرهم، وكان أستاذه السيد يثني عليه ويمدحه ويراسله نظمًا ونثرًا، ويترجمه بالأخ ولولا رآه قسيمًا له في الحال ما صدر عنه ذلك المقال، حتى إنه قال له يومًا: «إني أخشى من دعائكم لي بالأخ؛ لأنه خلاف عادة الأشياخ مع المريدين»، فقال له: «لا تخش من

شيء»، وامتدحه أشياخه ومعاصروه وتلامذته، فمن امتدحه أخوه الأوحد العلامة سيدي الشيخ يوسف الحفناوي، فمن ذلك قصيدتان وأثبتهما في ديوانه إحداهما:

إن ترم وصلة السلوك السنيه
فانتهج نهج سادة خلوتيه
وتمسك بعهدهم وتعطر
بشذاهم في بكرة وعشيه
سادة مهدوا الطريق وشادوا
ربعها بالشريعة الأحمدية
واعتصم بالسلوك إن رمت قربًا
بدليل تسقيك راحًا شهيه
كالإمام الحفني أشرف دان
أسكرته المدامة البكريه
ورد الحان وارتوى بسلاف
من كؤوس الشهود مصطفويه
فغدا هائمًا بسر التجلي
جائلًا في رياضه العدنيه
لابسًا من حلاوة الصدق ثوبًا
أين منه الملابس السندسيه؟
راقيًا في سماء عز التداني
نزلًا عن سواه أمست نثيه
ناهلًا من مناهل القرب ما فيه وصول للحضرة الأقدسيه
عين عين نحاه عن علم عين
صدق سير وهمة علويه
وهبأت فتحية نشرتها
يد أستاذه عليه عليَّه
أمه يا مزيد هدي ورشد
فهو باب للمحنة الخلوتيه

وارتشف من مدامة قد أديرت
بيديه وانهض بإخلاص نيه
وتوسل به إلى الله تظفر
بالذي ترتجيه من أمنيَّه
وتأمل في ذاته ومزاياه
لتهدى إلى الطريق السويه
عالم عامل تقي نقي
صادق السير ذو مزايا بهيَّه
فاتحه إن دهاك وازد خطب
ونحتك الخواطر النفسيه
تلقه للنفوس أقوى طبيب
بهبات قد حازها فرديه
وصلاة مهدية مع سلام
لنبي هدى لطرقٍ سنيه
ثم آل والصحب ما هام عان
واهتدت بالسلوك نفس أبيه

وهذه الأخرى:

دع عنك رَوْمَ وصال سَلْمى
وانهض إلى المغني وسل ما
سل ما يريح فؤادك العاني ونق القلب مما
وسيوف وسوسة السوى
أغمد بطيب هوى ألما
وإذا دهتك خواطر
وظلامها فيك ادلهمَّا
فاكشف غياهبها بشرب
مدامة الإرشاد تحمى

من راحة الحفني أشرف من سما علمًا وحلما

كـــنـــز الـــمـــقـــامـــات الـــتـــي
بـــســنـــائـــهـــا الـــعـــلـــيـــاء تـــهـــمـــى

دارت عـــلـــيـــه كـــئـــوس حـــانـــات
الـــشـــهـــود فـــغـــاب عـــمـــا

ولـــســـر ســـر الـــكـــائـــنـــات
فـــؤاده الـــعـــلـــوي ضـــمـــا

شـــمـــلـــتـــه عـــيـــن عـــنـــايـــة
مـــن ربـــه فـــصـــفـــا ولـــمـــا

ومـــذ انـــمـــحـــت عـــيـــن الـــتـــغـــايـــر
بـــالـــشـــهـــود ســـنـــاه عـــمـــا

لـــم يـــدر كـــنـــه هـــبـــاتـــهـــا
إلا فـــتـــى لـــلـــحـــان أمـــا

يـــخـــتـــال فـــي جـــلـــبـــاب حـــضـــرة
مـــن هـــواه تـــراه غـــنـــمـــا

فـــهـــنـــاك تـــعـــرف مـــا حـــوى
مـــن رتـــبـــة وتـــزيـــد عـــلـــمـــا

وإذا اقـــتـــصـــرت عـــلـــى الـــمـــشـــاهـــد
مـــنـــه لـــم تـــدر الأهـــمَّـــا

بـــشـــرى لـــنـــا هـــل كـــاســـه
إن عـــد غـــيـــره هـــواه جـــزمـــا

مـــا تـــم إلا ســـيـــدي
وطـــريـــقـــه الـــزاكـــي الـــمـــســـمـــى

من ينتحيه هو السعيد ومن يزغ عنه فأعمى

ثـــم الـــصـــلاة مـــع الـــســـلام
لـــمـــن لأهـــل الـــريـــغ أصـــمـــى

والآل والأصـــحـــاب مـــا
قـــلـــبٌ لـــنـــيـــل الـــقـــرب هـــمَّـــا

أو يوسف الحفني يرجو
منه إسعافًا ورحما

ونقل عن الوزير المفخم محمد باشا راغب أنه قال لبعض بني السقاف: «إنما لقب جدكم بالسقاف لكونه كان سقفًا على اليمن من البلاء، وكذلك الشيخ يوسف الحفناوي سقف على مصر من نزول البلاء»، ونظيره قول بعض الأمراء حين قيل له: الأستاذ الحفناوي من عجايب مصر قال: «بل قل: من عجايب الدنيا». وللأديب العلامة الشيخ مصطفى اللقيمي في مدحه ومدح السيد البكري معًا:

قم هات لي خمرة المعاني
مع كل مولى لها معاني
ثم اجتليها مع الندامى
وطف بها كعبة الأماني
وروق الراح كي أراها
في الكأس لاحت كبهرمان
ثم اسقنيها بجنح ليل
صرفًا على نغمة المثاني
فإن تروما بها اتصالًا
هيا إلى الحان واصحباني
فتلك خمر الشهود تدعى
لا خمرة الكرم والدنان
خلعت فيها العذار لما
أن غبت عن مشهد العيان
وهمت في حبها غرامًا
فيا خليلي خلياني
ووحد الحق فهو فرد
لم يثنني عن ثناه ثاني

قيدت في حبه فؤادي
أطلقت في ذكره لساني
في خلوة القرب لي بقاء
في جلوة الحب صرت فاني
أيا عذولي فدع ملامي
فسيد الصدق قد دعاني
لحضرة القدس واجتلالي
من كاسه خمرة المعاني
بجانب الطور لاح نور
أضاء من سره جناني
بيانه قد خفي ظهورًا
وصونه غاية البيان
فهمت لما فهمت رمزًا
لم تحوه أحرف المباني
مظاهر للطريق شتى
قد أعجمت من لها يعاني
فذو جلال وذو جمال
وذو كمال وذو افتتان
وذو سكون وذو هيام
وذو سكوت وذو بيان
فلا تلم هائمًا تراه
من سكره كسَّر الأواني
وتاه من شوقه سماعًا
للذكر في مشهد التداني
إن شام نحو الحمى بروقًا
يهيجة برقها اليماني
صاحب فريقًا نحوا طريقًا
قد شادها قطب ذا الأوان

الـسـيـد الـمـصـطـفـى الـحـسـيـنـي
ذو نـسـبـة عـقـدهـا جـمـانـي
وبـضـعـة الـصـدق مـن عـتـيـق
رفـيـق غـار وخـيـر ثـانـي
فـمـنـطـقـي لـم يـفـي بـمـدح
وكـل عـن ضـبـطـه بـنـاثـي
فـالـعـجـز عـن دركـه وصـول
مـن ذا لـنـشـر الـثـنـا يـدانـي
هـيـا مـريـد الـطـريـق هـيـا
واشـرب سـلافًـا بـطـيـب حـان
وهـيـم الـقـلـب بـالـجـلالـه
لـيـشـربـوا كـاسـهـا الـكـيـانـي
وتجذب الكل نحو ناد الحفني شمس سما التهاني
بـادر وشـمـر بـصـدق سـيـر
كـي تـشـهـد الـسـر مـنـك دانـي
وتـغـنـم الأنـس فـي رحـاب
تـجـلـى بـه كـنـس الـغـوانـي
بـشـراك بـشـراك يـا مـعـانـي
فـهـذه بـلـغـة الأمـانـي

ولما سمعها السيد البكري وقعت عنده أحسن موقع وهي حرية بذلك، فينبغي أن تحمل ولا تهمل.

وفي المترجم مدايح كثيرة يطول شرحها وذكر بعضها وسيذكر في تراجم أصحابها.

توفي رضي الله عنه يوم السبت قبل الظهر سابع عشرين ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وماية وألف، ودفن يوم الأحد بعد أن صُلي عليه في الأزهر في مشهد عظيم جدًّا، وكان يوم هول كبير، وكان بين وفاته ووفاة الأستاذ الملوي ثلاثة عشر يومًا، ومن ذلك التاريخ ابتدأ نزول البلا واختلال أحوال الديار المصرية، وظهر مصداق قول الراغب: إن وجوده أمان على أهل مصر من نزول البلاء، وهذا من المشاهد المحسوس، وذلك أنه إذا لم يكن في الناس من يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويقيم الهدى

فسد نظام العالم وتنافرت القلوب، ومتى تنافرت القلوب نزل البلا، ومن المعلوم المقرر أن صلاح الأمة بالعلما والملوك، وصلاح الملوك تابع لصلاح العلما وفساد اللازم بفساد الملزوم، فما بالك بفقده والرحى لا تدور بدون قطبها، وقد كان رحمه الله قطب رحى الديار المصرية، ولا يتم أمر من أمور الدولة وغيرها إلا باطلاعه وإذنه، ولما شرع الأمرا القايمون بمصر في إخراج التجاريد لعلي بك وصالح بك وأستأذنوه فمنعهم من ذلك، وزجرهم وشنع عليهم ولم يأذن بذلك كما تقدم وعلموا أنه لا يتم قصدهم بدون ذلك فأشغلوا الأستاذ وسموه، فعند ذلك لم يجدوا مانعًا ولا رادعًا، وأخرجوا التجاريد وآل الأمر لخذلانهم وهلاكهم والتمثيل بهم، وملك علي بك وفعل ما بداله فلم يجد رادعًا أيضًا، ونزل البلاء حينئذ بالبلاد المصرية والشامية والحجازية، ولم يزل يتضاعف حتى عم الدنيا وأقطار الأرض، فهذا هو السر الظاهرى وهو لا شك تابع للباطني وهو القيام بحق وراثة النبوة وكمال المتابعة وتمهيد القواعد، وإقامة أعلام الهدى والإسلام وإحكام مباني التقوى؛ لأنهم أمناء الله في العالم، وخلاصة بني آدم، أوليك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في القلوب لعظما

ومات شمس الكمال أبو محمد الشيخ/عبد الوهاب بن زين الدين بن عبد الوهاب ابن الشيخ نور بن بايزيد بن شهاب الدين أحمد بن القطب سيدي محمد بن أبي المفاخر داود الشربيني بمصر، ونقلوا جسده إلى شربين ودفن عند جده سامحه الله وتجاوز عن سيآته، وتولى بعده في خلافتهم أخوه الشيخ محمد ولهما أخ ثالث اسمه علي، وكانت وفاة المترجم ليلة الأحد غرة ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وماية وألف.

ومات الشيخ الإمام العلامة المتقن المتفنن الفقيه الأصولي النحوي الشيخ/محمد بن موسى العبيدي الفارسكوري الشافعي، وأصله من فارسكور، أخذ عن الشيخ علي قايتباي والشيخ الدفري والبشبيشي والنفراوي، وكان آية في المعارف والزهد والورع والتصوف، وكان يلقي دروسًا بجامع قوصون على طريقة الشيخ العزيزي والدمياطي، وبآخرة توجه إلى الحجاز وجاوز به سنة، وألقى هناك دروسًا وانتفع به جماعة، ومات بمكة وكان له مشهد عظيم، ودفن عند السيدة خديجة رضي الله عنها.

ومات الشيخ الإمام العلامة مفيد الطالبين الشيخ/أحمد أبو عامر النفراوي المالكي، أخذ الفقه عن الشيخ سالم النفراوي والشيخ البليدي والطحلاوي، والمعقول عنهم والشيخ

الملوي والحفني والشيخ عيسى البراوي، وبرع في المعقول والمنقول، ودرس وأفاد وانتفع به الطلبة، وكان درسه حافلًا، وله حظوة في كثرة الطلبة والتلاميذ، توفي سنة إحدى وثمانين وماية وألف أيضًا.

ومات الأمير حسن بك جوجو، وجن علي بك وهما من مماليك إبراهيم كتخدا، وكان حسن مذبذبًا ومنافقًا بين حشداشينه يوالي هؤلاء ظاهرًا وينافق الآخرين سرًّا، وتعصب مع حسين بك وخليل بك حتى أخرجوا علي بك إلى النوسات، ثم صار يراسله سرًّا ويعلمه بأحوالهم وأسرارهم، إلى أن تحول إلى قبلي وانضم إلى صالح بك فأخذ يستميل متكلمي الوجاقلية إلى أن كانوا يكتبون لأغراضهم بقبلي، ويرسلون المكاتبات في داخل أقصاب الدخان وغيرها، وهو مع من بمصر في الحركات والسكنات إلى أن حضر علي بك وصالح بك وكان هو ناصبًا وطاقه معهم جهة البساتين، فلما أرادوا الارتحال استمر مكانه وتخلف عنهم، وبقي مع علي بك بمصر يشار إليه ويرى لنفسه المنة عليه، وربما حدثته نفسه بالإمارة دونه، وتحقق علي بك أنه لا يتمكن من أغراضه وتمهيد الأمر لنفسه ما دام حسن بك موجودًا، فكتم أمره وأخذ يدبر على قتله، فبيت مع أتباعه محمد بك وأيوب بك وخشداشينهم، وتوافقوا على اغتياله، فلما كان ليلة الثلاثاء ثامن شهر رجب حضر حسن بك المذكور وكذا خشداشه جن علي بك وسمرا معه حصة من الليل، ثم ركبا فركب صحبتهما محمد بك وأيوب بك ومماليكهما، واغتالوهما في أثنار الطريق كما تقدم.

ومات الأمير رضوان جربجي الرزاز وأصله مملوك حسن كتخدا ابن الأمير خليل أغا، وأصل خليل أغا هذا شاب تركي خردجي يبيع الخردة، دخل يومًا من بيت لاجين بك الذي عند السويقة المعروفة بسويقة لاجين وهو بيت عبد الرحمن أغا المتخرب الآن، وكان ينفذ من الجهتين فرآه لاجين بك فمال قلبه إليه، ونظر فيه بالفراسة مخايل النجابة فدعاه للمقام عنده في خدمته فأجاب لذلك، واستمر في خدمته مدة وترقى عنده، ثم عينه لسد جسر ثرساج ووعده بالإكرام إن هو اجتهد في سده على ما ينبغي، فنزل إليه وساعدته العناية حتى سده وأحكمه ورجع، ثم عينه لجبي الخراج وكان لا يحصل له الخراج إلا بالمشقة، وتبقى البواقي على البواقي القديمة في كل سنة، فلما نزل وكان في أوان حصاد الأرز فوزن من المزارعين شعير الأرز من المال الجديد والبواقي أول بأول، وشطب جميع ذلك من غير ضرر ولا أذية، وجمعه وخزنه، واتفق أنه غلا ثمنه في تلك السنة غلوًّا زايدًا عن المعتاد فباعه بمبلغ عظيم ورجع لسيده بصناديق المال، فقال: «ما هذا؟» فقال: هو «مالك الذي أرسلتني لإحضاره» وعرفه الأمر، فقال: «لا آخذ إلا حقي وأما الربح فهو

لك»، فأخذ قدر ماله وأعطاه الباقي، فذهب واشترى لمخدومه جارية مليحة وأهداها له فلم يقبلها وردها إليه وأعطى له البيت الذي بالتبانة، ونزل له عن طصفة وكفرها ومنية تمامه، وصار من الأمراء المعدودين، فولد الخليل هذا حسن كتخدا ومصطفى كتخدا، كانا أميرين كبيرين معدودين بمصر، ومماليكه صالح كتخدا وعبد الله جربجي وإبراهيم خربجي وغيرهم ومن مماليكه حسن حسين جربجي المعروف بالفحل ورضوان جربجي هذا المترجم وغيرهما أكثر من الماية أمير، وكان رضوان جربجي هذا من الأمراء الخيرين الدينين له مكارم أخلاق وبر ومعروف، ولما نفى علي بك عبد الرحمن كتخدا، فنفاه أيضًا وأخرجه من مصر ثم إن علي بك ذهب يومًا عند سليمان أغا كتخدا الجاويشية، فعاتبه على نفي رضوان جربجى فقال له علي بك: «تعاتبني على نفي رضوان ولا تعاتبني على نفي ابنك عبد الرحمن كتخدا؟» فقال: «ابني المذكور منافق يسعى في إثارة الفتن ويلقى بين الناس فهو يستاهل، وأما هذا فهو إنسان طيب وما علمنا عليه ما يشينه في دينه ولا دنياه»، فقال: «نرده لأجل خاطرك وخاطره»، ورده ولم يزل في سيادته حتى مات على فراشه سادس جمادى الأولى في هذه السنة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف/١٧٦٨م

(استهل شهر المحرم بيوم الأربعاء) في ثانيه سافرت التجريدة المعينة إلى بحري بسبب الأمراء المتقدم ذكرهم وهم: حسين بك وخليل بك ومن معهم، وقد بذل جهده علي بك حتى شهل أمرها ولوازمها في أسرع وقت، وسافرت في يوم الخميس وأميرها وسر عسكرها محمد بك أبو الدهب، فلما وصلوا إلى ناحية دجوة وجدوهم عدوا إلى منية الخضر فعدوا خلفهم، فوجدوهم ذهبوا إلى طندتا وكرنكوابها، فتبعوهم إلى هناك وأحاطوا بالبلدة من كل جهة ووقع الحرب بينهم في منتصف شهر المحرم، فلم يزل الحرب قايمًا بين الفريقين حتى فرغ ما عندهم من الجبخانة والبارود، فعند ذلك أرسلوا إلى محمد بك وطلبوا منه الأمان فأعطاهم الأمان وارتفع الحرب من بين الفريقين، وكاتبهم محمد بك وخادعهم والتزم لهم بإجراء الصلح بينهم وبين مخدومه علي بك، فانخدعوا له وصدقوه وانحلت عزايمهم واختلفت آراؤهم وسكن الحال تلك الليلة، ثم إن محمد بك أرسل في ثاني يوم إلى حسين بك يستدعيه ليعمل معه مشورة، فحضر عنده بمفرده وصحبته خليل بك السكران تابعه فقط، فلما وصلوا إلى مجلسه ودخلوا إليه فلم يجدوه، فعندنا استقربهما الجلوس دخل عليهما جماعة وقتلوهما، وحضر في إثرهما حسن بك شبكة ولم يعلم ما جرى لسيده، فلما قرب من المكان أحس قلبه بالشر، فأراد الرجوع فعاقه رجل سايس يسمى مرزوق وضربه بنبوت فوقع إلى الأرض، فلحقه بعض الجند واحتز رأسه، فلما علم بذلك خليل بك الكبير ومن معه ذهبوا إلى ضريح سيدي أحمد البدوي والتجأوا إلى قبره، واشتد بهم الخوف وعلموا أنهم لاحقون بإخوانهم، فلما فعلوا ذلك لم يقتلوهم، وأرسل محمد بك يستشير سيده في أمر خليل بك ومن معه، فأمر بنفيه إلى ثغر سكندرية وخنقوه بعد ذلك بها، ورجع محمد بك وصالح بك والتجريدة ودخلوا المدينة من باب النصرفي موكب عظيم، وأمامهم الروس محمولة في صوان من فضة والخدم يقولون:

«صلوا على محمد» وصالح بك ظاهر بوجهه الانقباض والتعبيس، وعدتها ستة روس وهي: رأس حسين بك وخليل بك السكران وحسن بك شبكة وحمزة بك وإسماعيل بك أبي مدفع وسليمان أغا الوالي، وذلك يومًا الجمعة سابع عشر المحرم.

(وفي يوم الثلاثاء رابع عشر صفر) حضر نجاب الحج واطمأن الناس، وفي ويوم الجمعة سابع عشره وصل الحجاج بالسلامة ودخلوا المدينة وأمير الحاج خليل بك بلفيه، وسر الناس بسلامة الحجاج، وكانوا يظنون تعبهم بسبب هذه الحركات والوقايع.

(وفي ثامن عشر صفر) أخرج علي بك جملة من الأمراء من مصر، ونفى بعضهم إلى الصعيد وبعضهم إلى الحجاز وأرسل البعض إلى الفيوم، وفيهم محمد كتخدا تابع عبد الله كتخدا وقرا حسن كتخدا وعبد الله كتخدا تابع مصطفى باش اختيار مستحفظان وسليمان جاويش ومحمد كتخدا الجردلي وحسن أفندي الباقرجي، وبعض أوده باشية وعلي جربجي وعلي أفندي الشريف جمليان. (وفيه) صرف علي بك مواجب الجامكية. (وفيه) أرسل علي بك وقبض على أولاد سعد الخادم بضريح سيدي أحمد البدوي وصادرهم وأخذ منهم أموالًا عظيمة لا يقدر قدرها، وأخرجهم من البلد ومنعهم من سكناها ومن خدمة المقام الأحمدي وأرسل الحاج حسن عبد المعطي وقيده بالسدنة عوضًا عن المذكورين، وشرع في بناء الجامع والقبة والسبيل والقيسارية العظيمة، وأبطل منها مظالم أولاد الخادم والهمل والنشالين والحرمية والعيارين وضمان البغايا والخواطي وغير ذلك.

وفي تاسع شهر ربيع الأول حضر قابجي من الديار الرومية بمرسوم وقفطان وسيف لعلي بك من الدولة.

(وفيه) وصلت الأخبار بموت خليل بك الكبير بثغر سكندرية مخنوقًا (وفي يوم السبت ثاني عشره) نزل الباشا إلى بيت علي بك باستدعا، فتغدى عنده وقدم له تقادم وهدايا.

(وفي يوم الأحد ثاني عشر ربيع الآخر) اجتمع الأمراء بمنزل علي بك على العادة، وفيهم صالح بك وقد كان علي بك بيت مع أتباعه على قتل صالح بك، فلما انقضى المجلس وركب صالح بك ركب معه محمد بك وأيوب بك ورضوان بك وأحمد بك بشناق المعروف بالجزار وحسن بك الجداوي وعلي بك الطنطاوي، وأحدق الجميع بصالح بك ومن خلفهم الجند والمماليك والطوايف، فلما وصلوا إلى مضيق الطريق عند المفارق بسويقة عصفور تأخر محمد بك، ومن معه عن صالح بك قليلًا، وأحدث له محمد بك حماقة مع

سايسه وسحب سيفه من غمده سريعًا، وضرب صالح بك وسحب الآخرون سيوفهم ما عدا أحمد بك بشناق، وكملوا قتلته ووقع طريحًا على الأرض، ورمح الجماعة الضاربون وطوايفهم إلى القلعة، وعندما رأوا مماليك صالح بك وأتباعه ما نزل بسيدهم خرجوا على وجوههم، ولما استقر الجماعة القاتلون بالقلعة وجلسوا مع بعضهم يتحدثون عاتبوا أحمد بك بشناق في عدم ضربه معهم صالح بك وقالوا له: «لماذا لم تجرد سيفك وتضرب مثلنا؟» قال: «بل ضربت معكم» فكذبوه فقال له بعضهم: «أرنا سيفك» فامتنع وقال: «إن سيفي لا يخرج من غمده لأجل الفرجة»، ثم سكتوا وأخذ في نفسه منهم وعلم أنهم سيخبرون سيدهم بذلك فلا يأمن غايلته، وذلك أن أحمد بك هذا لم يكن مملوك لعلي بك وإنما كان أصله من بلاد بشناق حضر إلى مصر في جملة أتباع على باشا الحكيم، عندما كان واليًا على مصر في سنة تسع وستين وماية وألف، فأقام في خدمته إلى سنة إحدى وسبعين وماية ألف، وتلبس صالح بك بإمارة الحج في ذلك التاريخ، فاستأذن أحمد بك المذكور علي باشا في الحج وأذن له في الحج فحج مع صالح بك وأكرمه وأحبه وألبسه زي المصريين ورجع صحبته، وتنقلت به الأحوال وخدم عند عبد الله بك علي، ثم خدم عند علي بك فأعجبه شجاعته وفروسيته فرقاه في المناصب حتى قلده الصنجقية، وصار من الأمراء المعدودين فلم يزل يراعي منه صالح بك السابقة عليه، فلما عزم علي بك على خيانة صالح بك السابقة وغدره خصصه بالذكر، وأوصاه أن يكون أول ضارب فيه لما علمه فيه من العصبة له، فقبل له: إن أحمد بك أسر ذلك إلى صالح بك وحذره غدر علي بك إياه فلم يصدقه لما بينهما من العهود والأيمان والمواثيق، ولم يحصل منه ما يوجب ذلك ولم يعارضه في شي ولم ينكر عليه فعلًا، فلما اختلى صالح بك بعلي بك أشار إليه بما بلغه، فحلف له علي بك بأن ذلك نفاق من المخبر ولم يعلم من هو، فلما حصل ما حصل ورأى الجزار مراقبة الجماعة له ومناقشتهم له عند استقرارهم بالقلعة، تخيل وداخله الوهم وتحقق في ظنه تجسم القضية، فلما نزلوا من القلعة وانصرفوا إلى منازلهم تفكر تلك الليلة وخرج من مصر وذهب إلى الإسكندرية، وأوصى حريمه بكتمان أمره ما أمكنهم حتى يتباعد عن مصر، فلما تأخر حضوره بمنزل علي بك وركو به سألوا عنه فقيل له: إنه متوعك، فحضر إليه في ثاني يوم محمد بك ليعوده وطلب الدخول إليه فلم يمكنهم منعه، فدخل إلى محل مبيته فلم يجده في فرشه، فسأل عنه حريمه فقالو: «لا نعلم له محلًّا ولم يأذن لأحد بالدخول عليه». وفتشوا عليه فلم يجدوه، وأرسل علي بك عبد الرحمن أغا وأمره بالتفتيش عليه وقتله، فأحاط بالبيت وهو بيت شكربره وفتش

عليه في البيت والخطة فلم يجده، وهو قد كان هرب ليلة الواقعة في صورة جزايرلي مغربي وقصقص لحيته وسعى بمفرده إلى شلقان، وسافر إلى بحري ووصل السعاة بخبره لعلي بك بأنه بالأسكندرية، فأرسل بالقبض عليه فوجدوه نزل بالقبطانة واحتمى بها وكان أمره ما كان بعد ذلك كما يأتي، وهو أحمد باشا الجزار الشهير الذكر الذي تملك عكا وتولى الشام وإمارة الحج الشامي وطار صيته في الممالك.

(وفيه) عين علي بك تجريدة على سويلم بن حبيب وعرب الجزيزة، فنزل محمد بك بتجريدة إلى عرب الجزيرة، وأيوب بك إلى سويلم، فلما ذهب أيوب بك إلى دجوة فلم يجد بها أحدًا، وكان سويلم بايتًا في سندنهور وباقي الحبايبة متفرقين في البلاد، فلما وصله الخبر ركب من سندنهور وهرب بمن معه إلى البحيرة، والتجأ إلى الهنادي ونهبوا دوايره ومواشيه، وحضروا بالمنهويات إلى مصر، واحتج عليه بسبب واقعة حسين بك وخليل بك لما أتيا إلى دجوة بعد واقعة الديرس والجراح، وقدم لهم التقادم وساعدهم بالكلف والذبايح ونحو ذلك، والغرض الباطني اجتهاده في إزالة أصحاب المظاهر كاينًا ما كان.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره: أمر علي بك بإخراج على كتخدا الخربطلي منفيًّا، وكذلك يوسف كتخدا مملوكه ونفي حسن أفندي درب الشمسي وإخوته إلى السويس ليذهبوا إلى الحجاز، وسليمان كتخدا الجلفي وعثمان كتخدا عزبان المنفوخ، وكان خليل بك السيوطي بالشرقية، فلما سمع بقتل صالح بك هرب إلى غزة.

وفي يوم الأحد خامس جمادى الأولى طلع علي بك إلى القلعة وقلد ثلاثة صناجق من أتباعه وكذلك وجاقلية، وقلد أيوب بك تابعه ولاية جرجا وحسن بك رضوان أمير حج وقلد الوالي.

وفي جمادى الآخرة قلد إسماعيل بك الدفتردارية، وصرف المواجب في ذلك اليوم.

وفي منتصف شهر رجب وصل أغا من الديار الرومية، وعلى يده مرسوم بطلب عسكر للسفر فاجتمعوا بالديوان وقروا المرسوم وكان علي بك أحضر سليمان بك الشابوري من نفيته بناحية المنصورة، وكان منفيًّا هناك من سنة اثنتين وسبعين وماية وألف.

وفي يوم الثلاثاء عملوا الديوان بالقلعة، ولبسوا سليمان بك الشابوري أمير السفر الموجه إلى الروم وأخذوا في تشهيله، وسافر محمد بك أبو الذهب بتجريدة ومعه جملة من الصناجق والمقاتلين لمنابذة شيخ العرب همام، فلما قربوا من بلاه ترددت بينهم الرسل، واصطلحوا معه على أن يكون لشيخ العرب همام من حدود برديس ولا يتعدى

حكمه لما بعدها، واتفقوا على ذلك، ثم بلغ شيخ العرب أنه ولد لمحمد بك مولود فأرسل له بالتجاوز عن برديس أيضًا إنعامًا منه للمولود، ورجع محمد بك ومن معه إلى مصر، وفيه قبض علي بك على الشيخ أحمد الكتبي المعروف بالسقط، وضربه علقة قوية وأمر بنفيه إلى قبرص، فلما نزل إلى البحر الرومي ذهب إلى إسلامبول وصاهر حسن أفندي قطة مسكين المنجم وأقام هناك إلى أن مات، وكان المذكور من دهات العالم يسعى في القضايا والدعاوي يحيى الباطل ويبطل الحق بحسن سبكة وتداخله.

وفي سابع عشره حصلت قلقة من جهة والى مصر محمد باشا، وكان أراد أن يحدث حركة ضد علي بك فوشى به كتخداه عبد الله بك إلى علي بك فأصبحوا وملكوا الأبواب والرميلة والمحجر وحوالى القلعة وأمروه بالنزول، فنزل من باب الميدان إلى بيت أحمد بك كشك وأجلسوا عنده الحرسجية.

(وفي يوم الأحد غرة شعبان) تقلد علي بك قايممقامية عوضًا عن الباشا.

(وفي يوم الخميس) أرسل علي بك عبد الرحمن أغا مستحفظان إلى رجل من الأجناد يسمى إسماعيل أغا من القاسمية وأمره بقتله، وكان إسماعيل هذا منفيًّا جهة بحري وحضر إلى مصر قبل ذلك، وأقام ببيته جهة الصليبة وكان مشهورًا بالشجاعة والفروسية والإقدام، فلما وصل الأغا حذا بيته وطلبه، ونظر إلى الأغا واقفًا بأتباعه ينتظره علم أنه يطلبه ليقتله كغيره؛ لأنه تقدم قتله لأناس كثيرة على هذا النسق بأمرة علي بك، فامتنع من النزول وغلق بابه ولم يكن عنده أحد سوى زوجته، وهي أيضًا جارية تركية وعمر بندقيته وقرابينته وضرب عليهم فلم يستطيعوا العبور إليه من الباب، وصارت زوجته تعمر له وهو يضرب حتى قتل منهم أناسًا وانجرح كذلك، واستمر على ذلك يومين وهو يحارب وحده، وتكاثروا عليه وقتلوا من أتباعه وهو ممتنع عليهم إلى أن فرغ منه البارود والرصاص ونادوه بالأمان فصدقهم، ونزل من الدرج فوقف له شخص وضربه وهو نازل من الدرج وتكاثروا عليه وقتلوه وقطعوا راسه ظلمًا، رحمه الله تعالى.

(وفي تاسع عشرة) صرفت المواجب على الناس والفقراء.

(وفي ثامن عشرينه) خرج موكب السفر الموجه إلى الروم في تجمل زائد.

(وفي عاشر رمضان) قبض علي بك على المعلم إسحق اليهودي معلم الديوان ببولاق، وأخذ منه أربعين وألف محبوب ذهب وضربه حتى مات، وكذلك صادر أناسًا كثيرة في أموالهم من التجار مثل العشوبي والكهن وغيرهما، وهو الذي ابتدع المصادرات وسلب الأموال من مبادى ظهوره، واقتدى به من بعده.

(وفي شوال) هيأ علي بك هدية حافلةً وخيولًا مصرية جيادًا وأرسلها إلى إسلامبول للسلطان ورجال الدولة، وكان المتسفر بذلك إبراهيم أغا سراج باشا وكتب مكاتبات إلى الدولة ورجالها، والتمس من الشيخ الوالد أن يكتب له أيضًا مكاتبات لما يعتقده من قبول كلامه وإشارته عندهم، ومضمون ذلك الشكوى من عثمان بك ابن العظم والي الشام، وطلب عزله عنها بسبب انضمام بعض المصريين المطرودين إليه ومعاونته لهم، وطلب منه أن يرسل الشيخ عبد الرحمن العريشي ومحمد أفندي البرلى، فسافروا مع الهدية وغرضه بذلك وضع قدمه بالقطر الشامي أيضًا.

(وفي ثاني عشر ذي العقدة) رسم بنفي جماعة من الأمرا أيضًا، وفيهم إبراهيم أغا الساعي اختيار متفرقة وإسماعيل أفندي جاويشان وخليل أغاباش جاويشان جمليان وباشجاويش تفكجيان ومحمد أفندي جراكسة ورضوان بك تابع حسن بك رضوان والزعفراني، فأرسل منهم إلى دمياط ورشيد واسكندرية وقبلي، وأخذ منهم دراهم قبل خروجهم واستولى على بلادهم وفرقها في أتباعه، وكانت هذه طريقته فيمن يخرجه، يستصفي أموالهم أولًا ثم يخرجهم ويأخذ بلادهم وأقطاعهم فيفرقها على مماليكه وأتباعه، الذين يؤمرهم في مكانهم، ونفى أيضًا إبراهيم كتخدا جدك وابنه محمد إلى رشيد وكان إبراهيم هذا كتخدا. ثم عزله وولاه الحسبة فلما نفاه ولي مكانه في الحسبة مصطفى أغا، والله أعلم.

وأما من مات في هذه السنة من المشايخ والأعيان

(مات) الإمام الفقيه المحدث الأصولي المتكلم شيخ الإسلام وعمدة الأنام، الشيخ أحمد بن الحسن بن عبد الكريم بن محمد بن يوسف بن كريم الدين الكريمي الخالدي الشافعي الأزهري الشهير بالجوهري، وإنما قيل له: الجوهري؛ لأن والده كان يبيع الجوهر فعرف به، ولد بمصر سنة ست وتسعين وألف، واشتغل بالعلم وجد في تحصيله حتى فاق أهل عصره، ودرس بالأزهر وأفتى نحو ستين سنة، مشايخه كثيرون منهم الشهاب أحمد بن الفقيه ورضوان الطوخي إمام الجامع الأزهر والشيخ منصور المنوفي والشهاب أحمد الخليلي والشيخ عبد ربه الديوي والشيخ عبد الروف البشبيشي والشيخ محمد أبو العز العجمي والشيخ محمد الإطفيحي والشيخ عبد الجواد المحلي الشافعيون، والشيخ محمد السجلماسي والشيخ أحمد النفراوي والشيخ سليمان الحصيني والشيخ عبد الله الكنكسي والشيخ محمد الصغير الورزازي وابن زكري والشيخ أحمد الهشتوكي والشيخ سليمان

الشبرخيتي والسيد عبد القادر المغربي ومحمد القسطنطيني ومحمد النشرتي المالكيون، ورحل إلى الحرمين في سنة عشرين ومائة وألف فسمع من البصري والنخلي في سنة أربع وعشرين ومائة وألف، ثم في سنة ثلاثين ومائة وألف، وحمل في هذه الرحلات علومًا جمة، وأجازه مولاي الطيب ابن مولاي عبد الله الشريف الحسيني وجعله خليفة بمصر، وله شيوخ كثيرون غير من ذكرت، وقد وجدت في بعض إجازاته تفصيل ما سمعه من شيوخه ما نصه:

> على البصري والنخلي أوايل الكتب الستة والإجازة العامة مع حديث الرحمة بشرطه. وعلى الإطفيحي بعض كتب الفقه والحديث والتصوف والإجازة العامة. وعلي السجلماسي في سنة ست وعشرين ومائة وألف الكبرى للسنوسي، ومختصره المنطقي وشرحه وبعض تلخيص القزويني وأول البخاري إلى كتاب الغسل وبعض الحكم العطائية وأجازه. وعلى ابن زكري أوايل الستة وأجازه. وعلى الكنكسي الصحيح بطرفيه وشرح العقايد للسعد وعقايد السنوسي وشروحها وشرح التسهيل لابن مالك إلى آخره، وشروح الألفيه للمكودي والمطول بتمامة وشرح التلخيص، وعلى الهشتوكي الإجازة بسائرها. وعلى النفراوي شرح التلخيص مرارًا وشرح ألفية المصطلح وشرح الورقات. وعلى الديوي شرح المنهج لشيخ الإسلام مرارًا وشرح التحرير وشرح ألفية ابن الهايم، وشرح التلخيص وشرح ابن عقيل على الألفية وشرح الجزرية. وعلى المنوفي جمع الجوامع وشرحه للمحلي وشرح التلخيص. وعلى ابن الفقيه شرح التحرير وشرح الخطيب مرارًا وشرح العقايد النسفية وشرح التلخيص والخبيصي. وعلى الطوخي شرح الخطيب وابن قاسم مرارًا وشرح الجوهرة لعبد السلام. وعلى الخليفي البخاري وشرح التلخيص والأشموني والمصام وشرح الورقات. وعلى الحصيني شرح الكبرى للسنوسي بتمامة وعلى الشبرخيتي شرح الرحبية وشرح الآجرومية وغيرهما. وعلى الورزازي شرح الكبرى بتمامة. مرارًا وشرح الصغرى وشرح مختصر السنوسي والتفسير وغيره. وعلى البشيشي المنهج مرارًا وجمع الجوامع مرارًا والتلخيص، وألفيه المصطلح والشمايل وشرح التحرير لزكريا وغيره.

هذا نص ما وجدته بخطه، واجتمع بالقطب سيدي أحمد بن ناصر فأجازه لفظًا وكتابة، وممن أجازه أبو المواهب البكري وأحمد البناء وأبو السعود الدنجيهي وعبد الحي

الشرنبلالي ومحمد بن عبد الرحمن المليجي. وفي الحرمين عمر بن عبد الكريم الخلخالي حضر دروسه وسمع منه المسلسل بالأولية بشرطه. وتوجه بآخره إلى الحرمين بأهله وعياله وألقى الدروس، وانتفع به الواردون ثم عاد إلى مصر فانجمع عن الناس، وانقطع في منزله يزار ويتبرك به وله تآليف منها منقذة العبيد عن ربقة التقليد في التوحيد، وحاشية على عبد السلام، ورسالة في الأولية وأخرى في حياة الأنبياء في قبورهم وأخرى في الغرانيق وغيرها.

وكانت وفاته وقت الغروب يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى من السنة، وجهز بصباحه وصُلي عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل ودفن بالزواية القادرية داخل درب شمس الدولة، رحمه الله. ورثاه نادرة العصر العلامة الشيخ مصطفى بن أحمد الصاوي بهذه القصيدة الفريدة، وهي:

يا دهر ما لك بالمكاره تجتري
ولفقد أرباب المكارم تحتري
تغتال منا ماجدًا مع ماجد
طابت طبايعه بطيب المنصر
تردي الكريم ابن الكريم وما ترى
حقًّا لعهد الماهر المتبصر
إن أصبح المولى عزيز عشيرة
أمسيته في ذل ذل أحقر
يغدو كريم النفس وهو مقدم
فيروح في هون به متقهقر
وإذا حلت بالصفو حالة حاله
مررتها بنغيص عيش أكدر
لو كنت ترعى في الأفاضل حقهم
أبقيت مجمع شملهم في الأعصر
من لي يسعدني لدهر معتد
الغدر شيمته خون مفترى معروف ذكر

في فقد كهف الفضل مجد أولي النهى
فــي الــورى لــم يــنــكــر
حـاوي الـفـضـايـل والـفـواضـل والـتـقـى
والـجـود والـمـجـد الأصـيـل الـمـفـخـر
هـو درة الـغـواض والـبـحـر الـذي
أمـواجـه قـذفـت بـدر الـجـوهـر
هـو عـروة وثـقـى بـهـا اعـتـصـم الـورى
عـنـد انـقـطـع حـبـال ورد الأبـهـر
بـدر أضـاء عـلـى الأمـاجـد كـلـهـا
حـتـى عـلـى الـبـدر الـمـنـيـر الـمـسـفـر
وسـمـا فـخـر لا تـمـد لـهـا يـد
إلا وطـول عـلاه قـال لـهـا: اقـصـري
ذو مـعـهـد أمـا مـواضـي فـكـره
إن ضـارعـتـهـا الـشـهـب قـالـت: تـحـتـري
فـي قـاب قـوس الـمـجـد حـط رحـالـه
ومشى على مريخه والمشتري وعمت عنص٥٣٧
حـاطـت بـصـيـرتـه بـكـل فـضـيـلـة
الإدراك عـيـن الـمـبـصـر
إن تـخـتـبـره فـي الـعـلـوم وجـدتـه
قـال الأدلـة عـن عـيـان الـمـخـبـر
فـبـفـقـهـه فـي الـديـن ثـم بـشـعـره
يـنـسـيـك أم الـرافـعـي والـبـحـتـري
أن رمـتـه فـي الـحـزم قـال مـسـددًا
أو رمـت تـوحـيـدًا وجـدت الأشـعـري
أو رمـت نـحـوًا أو بـلاغـة زهـده
سـعـد زمـان وسـيـبـويـه والـسـري
قـد صـح إسـنـاد الـرواة حـديـثـه
أهـل الـثـبـات ذوي الـمـقـام الأكـبـر

يروي الصحيح من الصحيح فما به
ضعف ولا وهن ولا من يزدري
وغدا بنطق كماله يبدي لنا
عين النتيجة ضمن شكل أنور
عجب لشمس معارف قد أنزلت
بنجومها في ذا التراب الأقفر
ليت المنون الذي ألم بروحه
أفنى بني الدنيا وأبقى ذا السري
سقيا لرمس ضمه وبل الرضا
غيث الهنا وكف السحاب الممطر
حق لعين قطفت من زهرة
تبكي عليه غزير دمع أزفر
ونخط فوق الخد من أقلامها
تحبير حزن في طروس الأسطر
لكن صبرًا للقضاء وتصبرًا
ليكون للإنسان حسن المأجر
فالصبر عند الصدمة الأولى رضا
ما حيله المحتال إن لم يصبر؟
من حيث إن لنا هنالك أسوة
بالسالفين وبالنبي الأطهر
صلي عليه إلهه مع آله
والصحب أصحاب المقام الأظهر
ما مصطفى الصاوي قال مؤرخًا
بشرى لحور العين حب الجوهري

ورثاه الشيخ عبد الله الإدكاوي بقصيدة بيت تاريخها:

مقعد الصدق قد أعدوه حالًا للملي المجد الجوهري

(ومات) الإمام العالم العلامة الحبر الفهامة الفقيه الدراكة الأصوالي النحوي شيخ الإسلام وعمدة ذوي الأفهام الشيخ عيسى بن محمد الزيبري البراوي الشافعي الأزهري، ورد الجامع الأزهر وهو صغير فقرأ العلم على مشايخ وقته وتفقه على الشيخ مصطفى العزيزي وابن الفقيه، وحضر دروس الملوي والجوهري والشبراوي، وأنجب وشهد له بالفضل أهل عصره، وقرأ الدروس في الفقه وأحدقت به الطلبة، واتسعت حلقته واشتهر بحفظ الفروع الفقهيه حتى لقب بالشافعي الصغير لكثرة استحضاره في الفقه وجودة تقريره، وانتفع به طلبة العصر طبقة بعد طبقة وصاروا مدرسين، وروى الحديث عن الشيخ محمد الدفري، وكان حسن الاعتقاد في الشيخ عبد الوهاب العفيفي وفي ساير الصلحاء، وله مؤلفات مقبولة منها حاشية على شرح الجوهرة في التوحيد، وشرح على الجامع الصغير للسيوطي في مجلد، يذكر في كل حديث ما يتعلق بالفقه خاصة، ولا زال يملي ويفيد ويدرس ويعيد حتى توفي سحر ليلة الإثنين رابع رجب، وجهز في صباحه وصُلِّي عليه بالأزهر بمشهد حافل ودفن بالمجاورين وبني على قبره مزار ومقام، واستقر مكانه في التصدر تدريس ابنه العلامة الشيخ أحمد، ولازم حضوره تلامذة أبيه، رحمه الله.

ومات الأمام العلامة الفقيه، واللوذعي الذكي النبيه، عمدة المحققين ومفتي المسلمين الشيخ حسن بن نور الدين المقدسي الحنفي الأزهري، تفقه على شيخ وقته الشيخ سليمان المنصوري والشيخ محمد عبد العزيز الزيادي وحضر دروس الشيخ مصطفى العزيزي والسيد على الضرير والملوي والجوهرى والحفني والبليدى وغيرهم، ودرس بالجامع الأزهر في حياة شيوخه ولما بنى الأمير عثمان كتخدا مسجده بالأزبكية جعله خطيبًا وإمامًا به، وسكن في منزل قرب الجامع وراج أمره، ولما شغر فتوى الحنفية بموت الشيخ سليمان المنصوري جعل شيخ الحنفية، بعناية عبد الرحمن كتخدا وكان له به ألفه، ثم ابتنى منزلًا نفيسًا مشرفًا على بركة الأزبكية بمساعدة بعض الأمراء، واشتهر أمره ودرس بعدة أماكن كالصرغتمشية المشروطة لشيخ الحنفية والمدرسة المحمودية والشيخ مطهر وغيرها، وألف متنًا في فقه المذهب ذكر فيه الراجح من الأقوال، واقتنى كتبًا نفيسة بديعة الأمثال، وكان عنده ذوق وألفة ولطافة وأخلاق مهذبة، ومن كلامه ما كتبه على رسالة ألمعية للشيخ العيدروس:

لمعت بوارق ألمعية   تفتر عن سر المعيه
تهدي إلى الحق المبين   وتوضح السبل الخفيه
نور الشريف ابن الشر   يف ابن السراة الألمعيه
العيدروس العابد الر   حمن ذي المنح الجليه

توفي يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة.

مات الإمام العلامة أحد أذكياء العصر ونجباء الدهر الشيخ محمد بن بدر الدين الشافعي سبط الشمس الشرنبابلي، ولد قبل القرن بقليل وأجازه جده وحضر بنفسه على شيوخ وقته، كالشيخ عبد ربه الديوي والشيخ مصطفى العزيزي وسيدي عبد الله الكنكسي والسيد علي الحنفي والشيخ الملوي في آخرين، وباحث وناضل وألف وأفاد، وله سليقه في الشعر جيدة وكلامه موجود بين أيدي الناس، وله ميل لعلم اللغة ومعرفة بالأنساب، غير أنه كان كثير الوقيعة في الشيخ محيى الدين ابن عربي، قدس الله سره، وألف عدة رسايل في الرد عليه وكان يباحث بعض أهل العلم فيما يتعلق بذلك فينصحونه، ويمنعونه من الكلام في ذلك فيعترف تارة وينكر أخرى ولا يثبت على اعترافه، وبلغني أنه ألف مرة رسالة في الرد عليه في ليلة من الليالي ونام، فاحترق منزله بالنار واحترقت تلك الرسالة من جملة ما احترق من الكتب، ومع ذلك فلم يرجع عما كان عليه من التعصب، وربما تعصب لمذهبه فيتكلم في بعض مسايل مع الحنفية، ويرتب عليها أسئلة ويغض عنهم، ولما كان عليه مما ذكر لم يخل حاله عن ضيق وهيئته عن رثائة، وأنشد بيتين سمعتهما من الشيخ محمد ابن الشيخ محمد الدفري، رحمه الله قال:

زمان كل حب فيه خب   وطعم الخل خل ولو يذاق
له سوق بضاعته نفاق   فنافق فالنفاق له نَفَاق

(ومن قوله):

أنا في حماكم يا كرام وإن أكن   أذنبت ذنبًا فالكريم غفور
حاشى حماكم أن يضام نزيله   وندى يديكم في الورى مشهور

وله في تاريخ وفاة شيخ القراء المقام الشافعي الشيخ عمر الدعوجي.

نعت النعاة كبير قراء له فضل فقلت مؤرخًا لمن اعتبر
ليموت إحسان الدعوة بموته ويموت كيد الكبر بعدك يا عمر

(وله) رسالة سماها تحرير مباحث في تعلق القدرة بالحوادث، وهذا نصها بعد البسملة:

الحمد لله حق حمده، وصلى الله وسلم على من لا نبي من بعده (أما بعد)، فقد طال الخلاف وانتشر في تعلق القدرة الأزلية بالأمور الاغتبارية، فمن قايل: بالتعلق ومن قايل: بنفيه، وأقول: هذ المسيلة وإن انتشر الخلاف فيها تنبني على خلاف آخر، وهو أن الحادث لا بد وأن يكون موجودًا أو هو أعم من ذلك، والعموم هو معتقدنا تبعًا لمحققي أئمتنا، وعليه فالاعتقاد الذي ينبغي التعويل عليه عموم تعلق القدرة بالحوادث جميعها، موجودها بالوجود الحقيقي وموجودها بالوجود المجازي، ويؤيده أن الاحوال الحادثة لم تدخل في عبارة القوم مع أن مرادهم عموم التعلق لها قطعًا، غايته أن عبارتهم إما مبنية على الغالب المتفق عليه أو مؤوله بأن يراد بالموجود الثابت، فيعم الأحوال الحادثة بناء على ثبوتها أو يراد به الموجود حقيقة أو مجازًا فيشمل ما ذكر، كالأمور الاعتبارية فإنها موجوده باعتبار المعتبر، ولا بد لها من موجد وإن كان ذلك مسمى الإيجاد مجازًا لا حقيقة، لما تقرر أنها من جملة الحوادث، وأن اسم الحادث يشملها فدخلت حينئذ في القاعدة الكلية، أعني كل حادث لا بد له من محدث المسلمة المرضية، ويؤيد اعتبار بقية الموجودات ما صرحوا به من أن الموجودات أربعة: وجود في الأعيان وهو الوجود الحقيقي، ووجود في الأذهان وهو الوجود المجازي، ووجود في العبارة ووجود في الرقم وهما مجازيان أيضًا، يعني أن إطلاق اسم الوجود على ما عدا الأول على طريق المشابهة بين الوجود الحقيقي بينها، وذلك أمارة الاحتياج إلى الموجد، وأنه يوجد بالايحاد الحقيقي تارة وبالمجازي أخرى، لا يقال: إنه معدوم في نفس الأمر، وإن أطلق عليه اسم الوجود تنزيلًا كما هو شأن المجاز من صحة النفي فيه حقيقة؛ لأنا نقول: إن تلك المشابهة التي اقتضت تنزيله منزلة الموجود رقته من حضيض

العدم المحض إلى ذروة مقابلة، فوجب التعلق والإيجاد، لكن على سبيل المجاز أيضًا لا على سبيل الحقيقة، وإلا لزم مجازيه المتعلق دون المتعلق، وذلك لا يعقل، نعم لا محذور في تسليم أن التعلق بإثباته حقيقي؛ لأنه ليس المجاز فيه، لكن هل ذلك الإثبات في نفس الأمر أو في اعتبار المعتبر أو فيهما يأتي بما فيه؟ وبالجملة فالتعلق له وجه وجيه، ومما يؤيده أيضًا أن العبد ينسب الفعل له، ويضاف إليه وإن كان إيجاده له مجازيًّا أي: شرعًا وإلا فهو حقيقة لغوية بحيث يطلق عليه اسم الموجود مجازًا، فنسبة الأشياء الموجدة بالوجود المجازي إلى الفاعل الحقيقي أولى وأحرى، وأيضًا لو سيل المنكر إضافتها إليه من الذي حصل هذه الأشياء في ذهن المعتبر حتى حصلت؟ لم يسعه إنكار النسبة إليه تعالى فإنه يقر بنسبتها إلى المعتبر، فكيف لا يقر بنسبتها إلى الفاعل الحقيقي جلا وعلا؟ وإن كان التأثير ثابتًا في الإعدام ففي الوجود والاعتبارات من باب أولى، وقد سألت شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدي أحمد الملوي عن هذه المسلة فقال: «الخلاف فيها ثابت لا شبهة فيه، غير أن الأدب إضافتها إلى الله تعالى ونقله عن المحققين فانظره، لكن أورد عليه أن صفات الأفعال عندنا أمور اعتبارية، وهي عبارة عن تعلق القدرة التنجيزي الحادث فيلزم أن يحتاج التعلق إلى تعلق وهكذا فيتسلسل وهو محال، وأجيب على تسليم أنها عين التعلق بأنه لا محذور فيه بالنسبة للأمور الاعتبارية؛ لأنها تنقطع بانقطاع الاعتبار، فلم يكن التسلسل فيها حقيقيًّا حتى يمتنع، نعم يرد لو قلنا: بأنها ثابتة في نفس الأمر مع قطع النظر عن اعتبار المعتبر بأن يراد بنفس الأمر ما هو أعم من الخارج، وهو أن يكون الثبوت فيه ثبوت الشيء في نفسه بقطع النظر عن تعقل العاقل وذهن الذاهن كأبوة زيد لعمرو مثلًا، فإنها ثابتة اعتبرها معتبر أم لا فاعلمه.

على أن الاشكال وارد في التعلقات وإن لم نسلم أنها هي صفات الأفعال، وجوابه ما مر مع ما يرد عليه لو قلنا: بثبوبتها في نفس الأمر، إلا أن يمنع امتناع التسلسل في الأمور الغير الحقيقية؛ لكونها لم تكن من الخارج ولكن منع هذا المنع أحق، وهو عند المحققين أدق، فافهمه غير ملتفت إلى الرجال فإنه بالحق تعرف لا أنه بها يتعرف.

بقي أن الخلاف في هذ المسيلة يكاد أن يكون لفظيًّا، فإن أحدًا لا ينكر عموم تعلق القدرة بالحوادث، وإنما الخلاف هل هذه الأشياء هي الحوادث فتكون من متعلق القدرة أم لا؟

إن بنينا على أن الحادث لا بد وأن يكون موجودًا ويؤيده ما رجحوه في مقابلة أن القديم لا بد وأن يكون موجودًا نفينا التعلق وإلا أثبتناه، وإنما اختلف الترجيح في المسألتين وهو اعتبار الوجود في القديم دون الحادث، لما قام عندهم لسيما مراعة الأدب الذي عرفته من الإضافة إلى جناب الحضرة القدسية، فإن مراعاة ذلك الجناب هو الصواب وإليه المرجع والمآب.

انتهت الرسالة المذكورة.

ولما اطلع عليها الأستاذ الحفني كتب عليها ما نصه بعد البسملة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وعترته وحزبه (وأما بعد)، فقد قلدت عاطل جيد الفهم بفرايد فوايد النفع الأعم المحلاة بمحاسنها صدور تلك الطروس، والمهنأة بنفايس أسرار بدايعها النفوس، كيف ومبديها واسطة عقد النبلا، ونتيجة أعيان الحذاق البلغا الفضلا، سباق ذوي التحقيق، وفواق سباق فرسان التدقيق، المنادية ألسن الحقايق لإظهار فضلة من له الحق دعا الألمعي:

الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

وقد وجدت في حاشيه السكتاني ما يؤيد هذا العارف الغارف الداني حيث قال:

المراد بوجود الممكن ثبوته من إطلاق الأخص على الأعم مجازًا قرينته تعليق التأثير على الوصف المناسب وهو الإمكان، وذلك يشعر بعليته، وإذا كانت العلة هي الإمكان وهو موجود في كل الممكنات، ولم يكن فرق بين الحال وغيرها، فالمراد بالوجود ما هو أعم، انتهى، المراد بالأحوال في كونها من متعلقات القدرة وقد صرح بذلك شيخنا وقدوتنا وعمدتنا الشهاب الملوي في شرح منظومته الأشعرية وعبارته «وسابعها قدرة، وهي صفة قديمة تصلح لأن يؤثر بها مولانا في ثبوت الجايز، ولم أقل في إيجاد لإدخال الوجه والاعتبارات وإدخال الأحوال على القول بها، فإن القدرة تتعلق بها؛ لأنها من الممكنات». انتهى.

لكن التسلسل الذي أورده هذا العلامة على ما بناه لم يظهر لنا جواب عنه، فما دام واردًا أشكل ما ذكره هؤلاء الأعلام ولا سيما وقد صرح السكتاني وعبد الحكيم بخلافه، فلعل الله أن يفتح بالجواب. كتبه محمد الحفناوي مصليًا مسلمًا على النبي وآله وسائر الأصحاب.

ولما عاد إلى المترجم كتب تحته ما نصه:

وقد فتح الله بالجواب على مؤلفه أضعف الطلاب فأقول: ما صرح به السُّكتاني وعبد الحكيم صرح به كثير، ولسنا ننازع في ثبوت القول الآخر الذي صرح به هؤلاء كما نازع المخالف في ثبوت ما قلناه فضلًا عن راجحيته، وقد أوردنا هذا الأشكال معترفين بقوته على هذا الذي وقع في ترجيحه من المحققين، وقد علمت أن إيراده لا يتوجه إلا على تقدير إرادة الثبوت في نفس الأمر، لا في اعتبار المعتبر فيجوز أن يلتزم مقتضاه، ويقال: بعدم المتعلق حينئذ لكونه في نفسه عدمًا صرفًا لا حظ له في الوجود بخلافه في اعتبار المعتبر، فافترقا، ويكون جمعًا بين القولين، فمن قال: بمخلوقيته نظر إلى وجوده في الأذهان، ومن نفى نظر إلى فقده في الأعيان، وليس الأول مبنيًّا على القول بالصورة وأنها عرض كما زعمه المخالف لاتفاق الجميع على حصول شيء في الذهن، وإنما وقع الخلاف هل يسمى موجودًا نظرًا لثبوته فيه أم لا لفقده في الخارج؟ وقد وقع اختيار الأيمة أنه يسمى بذلك مجازًا فاعرفه. انتهى.

توفي المترجم في المحرم افتتاح السنة وصُلي عليه بالأزهر ودفن بالقرافة عند جده، لأمه، رحمه الله تعالى.

ومات الجناب الأمجد والملاذ الأوحد حامل لواء علم المجد وناشره، وجالب متاع الفضل وتاجره، السيد أحمد بن إسماعيل بن محمد أبو الأمداد سبط بني الوفا، والده وجده من أمراء مصر، وكذا أخوه لأبيه محمد، وكل منهم قد تولى الإمارة، والمترجم أمه هي ابنة الأستاذ سيدي عبد الخالق بن وفا، ولد بمصر ونشأ في حجر أبويه في عفاف وحشمة وأبهة، أحبه الناس لمكان جده لأمه المشار إليه مع جذب فيه وصلاح، وتولى نقابة السادة الأشراف سنة ثمان وستين وماية وألف، وسار فيهم سيرة مرضية وقد مدحه الشيخ عبد الله الإدكاري بأبيات وفيها لزوم ما لا يلزم:

قالوا نقابة مصر أودى كفؤها   وتسربلت بحدادها واستخفت
فأجبت كلا بل لها الكفء الذي   رتب العلا بفخاره قد حفت
هو ذو المحامد أحمد من ذاته   جمل الفضائل والكمال استوفت
لما دعاها أذعنت واستبشرت   وأتته طائعة ولم تتلفت
وتبرجت فلذاك قلنا: أرخوا   أدبًا لأحمدها النقابة زفت

ثم بعد وفاة السيد أبي هادي بن وفا تولى الخلافة الوفائية، وذلك في سنة ست وسبعين وماية وألف، وقد أرخه الشيخ المذكور بقصيدة وهي هذه:

قيل لي هل مدحت آل علي   من بهم يكتسي الأديب الشرافه
آل بيت الوفاء من خصصوا   بالمجد والفخر والتقى والأنافه
قلت ما قدر مدحتي لكرام   بهم تأمن الأنام المخافه
غير أني لفرعهم أحمد المجـ   ـد سأجلو بمنطقي أوصافه
هو بيت الأفضال شمس المعالي   أوحد الفضل جامع للطافه
منه أضحى دست الخلافة من صد   ر خليًّا وما دروا إسعافه
قال أعلى الجدود في الحال هاتوا   نجلنا أحمد الذكي العرافه
قدموه فقلت في الحال: أرخ   جده قد أولاه ركن الخلافه

ولما تقلد ذلك نزل عن النقابة للسيد محمد أفندي الصديقي وقنع بخلافة بيتهم. وكان إنسانًا حسنًا بهيًّا ذا تؤدة ووقار وفيه قابلية لإدراك الأمور الدقيقة والأعمال الرياضية، وهو الذي حمل الشيخ مصطفى الخياط الفلكي على حساب حركة الكواكب الثابتة وأطوالها وعروضها ودرجات ممرها ومطالعها لما بعد الرصد الجديد إلى تاريخ وقته، وهي من مآثره مسترة المنفعة لمدة من السنين، واقتنى كثيرًا من الآلات الهندسية والأدوات الرسمية رغب فيها وحصلها بالأثمان الغالية، وهو الذي أنشأ المكان اللطيف المرتفع بدارهم المجاور للقاعة الكبيرة المعروفة بأم الأفراح المطل على الشارع المسلوك وما به من الرواشن المطلة على حوش المنزل، والطريق و مابه من الخزاين والخورنقات والرفارف والشرفات والرفوف الدقيقة الصنعة وغير ذلك، وهو الذي كنى الفقير بأبي العزم، وذلك في سنة سبع وسبعين وماية وألف، برحاب أجدادهم يوم المولد النبوي المعتاد، وتوفي في سابع المحرم سنة تاريخه وصُلي عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل،

ودفن بتربة أجدادهم، نفعنا الله بهم وأمدنا من إمدادهم، وتولى الخلافة بعده مسك ختامهم ومهبط وحي أسرارهم، نادرة الدهر، وغرة وجه العصر، الإمام لعلامة، واللوذعي الفهامة، من مصابيح فضله مشارق الأنوار، السيد شمس الدين محمد أبو الأنوار.

بحر من الفضل الغزير خضمه طامي العباب وما به من ساحل

نسأل الله لحضرته طول البقا، ودوام العز والارتقا، آمين.

ومات الإمام العلامة الفقية النبيه شيخ الإسلام، وعمدة الأنام، الشيخ عبد الرءوف بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد السجيني الشافعي الأزهري شيخ الأزهر وكنيته أبو الجود، أخذ عن عمه الشمس السجيني ولازمه وبه تخرج، وبعد وفاته درس في المنهج موضعه، وتولى مشيخة الأزهر بعد الشيخ الحفني وسار فيها بشهامة وصارمة إلا أنه لم تطل مدته، وتوفي رابع عشر شوال وصُلي عليه بالأزهر ودفن بجوار عمه بأعلى البستان. واتفق أنه وقعت له حادثة قبل ولايته على مشيخة الجامع بمدة، وهي التي كانت سببًا لاشتهار ذكره بمصر، وذلك أن شخصًا من تجار خان الخليلي تشاجر مع رجل خادم فضربه ذلك الخادم وفر من أمامه، فتبعه هو وآخرون من أبناء جنسه فدخل إلى بيت الشيخ المترجم، فدخل خلفه، ضربه برصاصة فأصابت شخصًا من أقارب الشيخ يسمى السيد أحمد فمات، وهرب الضارب فطلبوه فامتنع عليهم، وتعصب معه أهل خطته وأبناء جنسه، قام الشيخ عبد الرءوف وجمع المشايخ والقاضي، وحضر إليهم جماعة من أمراء الوجاقلية وانضم إليهم الكثير من العامة، وثارت فتنة أغلق الناس فيها الأسواق والحوانيت واعتصم أهل خان الخليلي بدايرتهم وأحاط الناس بهم من كل جهة، وحضر أهل بولاق وأهل مصر القديمة وقتل بين الفريقين عدة أشخاص، واستمر الحال على ذلك أسبوعًا، ثم حضر علي بك أيضًا وذلك في مبادي أمره قبل خروجه منفيًّا واجتمعوا بالمحكمة الكبرى، وامتلا حوش القاضي بالغوغاء والعامة وانحط الأمر على الصلح وانفض الجمع ونؤدي في صبحها بالأمان وفتح الحوانيت والبيع والشراء وسكن الحال.

ومات الشيخ الصالح الخير الجواد أحمد بن صلاح الدين الدنجيهي الدمياطي شيخ المتبولية والناظر على أوقافها، وكان رجلًا ريسًا محتشمًا صاحب إحسان وبر ومكارم أخلاق، وكان ظلًّا ظليلًا على الثغر يأوي إليه الواردون فيكرمهم ويواجههم بالطلاقة

والبشر التام مع الإعانة والإنعام، ومنزلة مجمع للأحباب ومورد لائتناس الأصحاب، توفي يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة عن ثمانين سنة تقريبًا.

ومات الإمام الفاضل أحد المتصدرين بجامع ابن طولون الشيخ أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عامر العطشي الفيومي الشافعي، كان له معرفة في الفقه والمعقول والأدب، بلغني أنه كان يخبر عن نفسه أنه يحفظ اثني عشر ألف بيت من شواهد العربية وغيرها، وأدرك الأشياخ المتقدمين وأخذ عنهم، وكان إنسانًا حسنًا منور الوجه والشيبة، ولديه فوايد ونوادر، مات في سادس جمادى الثانية عن نيف وثمانين سنة تقريبًا، غفر الله له.

مات الأمير خليل بك القازدغلي، أصله من مماليك إبراهيم كتخدا القازدغلي، وتقلد الإمارة والصنجقية بعد موت سيده وبعد قتل حسين بك المعروف بالصابونجي، وظهر شأنه في أيام علي بك الغزاوي وتقلد الدفتردارية، ولما سافر علي بك أميرًا بالحج في سنى ثلاثة وسبعين جعله وكيلًا عنه في رياسة البلد ومشيختها، وحصل ما حصل من تعصبهم على علي بيك وهروبه إلى غزة كما تقدم وتقلبت الأحوال، فلما نفي علي بك جن في المرة الثانية كان هو المتعين للإمارة مع مشاركة حسين بك كشكش، فلما وصل علي بك وصالح بك على الصورة المتقدمة هرب المترجم مع حسين بك وباقي جماعتهم إلى جهة الشام ورجعوا في صورة هايلة، وجرد عليهم علي بك وكانت الغلبة لهم على المصريين فلم يجسروا على الهجوم كما فعل علي بك وصالح بك، فلو قدر الله لهم ذلك كان هو الرأي، فجهز علي بك على الفور تجريدة عظيمة وعليهم محمد بك أبو الدهب وخشداشينه، فخرجوا إليهم وعدوا خلفهم ولحقوهم إلى طندتا طنطا الحالية، فحاصروهم بها وحصل ما حصل من قتل حسين بك ومن معه، والتجأ المترجم إلى ضريح سيدي أحمد البدوي فلم يقتلوه إكرامًا لصاحب الضريح، وأرسل محمد بك يخبر مخدومه ويستشيره في أمره، فأرسل إليه بتأمينه وإرساله إلى ثغر اسكندرية، ثم أرسل بقتله فقتلوه بالثغر خنقًا ودفن هناك، وكان أميرًا جليلًا ذا عقل ورياسة، وأما الظلم فهو قدر مشترك في الجميع.

مات أيضًا الأمير حسين بك كشكش القازدغلي، وهو أيضًا من مماليك إبراهيم كتخدا وهو أحد من تأمر في حياة أستاذه، وكان بطلًا شجاعًا مقدامًا مشهورًا بالفروسية، وتقلد إمارة الحج أربع مرات آخرها سنة ست وسبعين وماية وألف، ورجع أوايل سنة سبع وسبعين، ووقع له مع العرب ما تقدم الإلماع به في الحوادث السابقة، وأخافهم وهابوه حتى كانوا يخوفون بذكره أطفالهم، وكذلك عربان الأقاليم المصرية، وكان أسمر

جهوري الصوت عظيم اللحية يخالطها الشيب، يميل طبعه إلى الحظ والخلاعة، وإذا لم يجد من يمازحه في حال ركوبه وسيره مازح سواسه وخدمه وضاحكهم، وسمعته مرة يقول لبعضهم مثلًا سايرًا ونحو ذلك، وكان له ابن يسمى فيض الله كريم العين فكان يكنى به ويقولون له: أبو فيض الله، مات بعده بمدة. قتل المترجم طندتا وأتى برأسه إلى مصر كما تقدم ودفن هناك وقبره ظاهر مشهور، ودفن أيضًا معه مملوكه حسن بك شبكة وخليل بك السكران وكانا أيضًا يشبهان سيدهما في الشجاعة والخلاعة.

ومات الأمير الكبير الشهير صالح بك القاسمي وأصله مملوك مصطفى بك المعروف بالقرد، ولما مات سيده تقلد الإمارة عوضه، وجيش عليه خشداشينه واشتهر ذكره، وتقلد إمارة الحج في سنة اثنتين وسبعين وماية وألف كما تقدم في ولاية على باشا الحكيم، وسار أحسن سير ولبسته الرياسة والإمارة والتزم ببلاد أسياده وإقطاعاتهم القبلية هو وخشداشينه وأتباعهم، وصار لهم نماء عظيم وامتزجوا بهوارة الصعيد وطباعهم ولغتهم، ووكله شيخ العرب همام في أموره بمصر، وأنشأ داره العظيمة المواجهة للكبش بالمقطم، ولم يكن لها نظير بمصر، ولما نما أمر علي بك ونفي عبد الرحمن كتخدا إلى السويس، كان المترجم هو المتسفر عليه، وأرسل خلفه فرمانًا بنفيه إلى غزة، ثم نقل منها إلى رشيد ثم ذهب من هناك إلى الصعيد من ناحية البحيرة، وأقام بالمنية وتحصن بها وجرى ما جرى من توجيه المحاربين إليه وخروج علي بك منفيًّا وذهابه إلى قبلي، وانضمامه إلى المذكور كما تقدم بعد الأيمان والعهود والمواثيق وحضوره معه إلى مصر على الصورة المذكورة آنفًا، وقد ركن إليه وصدق مواثيقه ولم يخرج عن مزاجه ولا ما يأمر به مثقال ذرة، وباشر قتال حسين بك كشكش وخليل بك ومن معهما مع محمد بك كما ذكر آنفًا، كل ذلك في مرضاة علي بك وحسن ظنه فيه ووفائه بعهده إلى أن غدر به وخانه وقتله كما ذكر، وخرجت عشيرته وأتباعه من مصر على وجوههم، منهم من ذهب إلى الصعيد ومنهم من ذهب إلى جهة بحري. وكان أميرًا جليلًا مهيبًا لين العريكة يميل بطبعه إلى الخير ويكره الظلم، سليم الصدر ليس فيه حقد، ولا يتطلع لما في أيدي الناس والفلاحين، ويغلق ما عليه وعلى أتباعه وخشداشينه من المال والغلال الميرية كيلًا وعينًا سنة بسنة، وقورًا محتشما كثير الحيا، وكانت إحدى ثناياه مقلوعة فإذا تكلم مع أحد جعل طرف سبابته على فمه؛ ليسترها حياءً من ظهورها حتى صار ذلك عادة له، ولما بلغ شيخ العرب همام موته اغتم عليه غمًّا شديدًا، وكان يحبه محبة أكيدة وجعله وكيله في جميع مهماته وتعلقاته بمصر، ويسدد له ما عليه من الأموال الميرية والغلال،

ولما قتل الأمير صالح بك أقام مرميًّا تجاه الفرن الذي هناك حصة، ثم أخذوه في تابوت إلى داره وغلوه وكفنوه ودفنون بالقرافة، رحمه الله تعالى.

مات وحيد دهره في المفاخر، وفريد عصره في المآثر، نخبة السلالة الهاشمية، طراز العصابة المصطفوية، السيد جعفر بن محمد البيتي السقاف باعلوي الحسيني أديب جزيرة الحجاز، ولد بمكة وبها أخذ عن النخلي والبصري وأجيز بالتدريس فدرس وأفاد، واجتمع إذ ذاك بالسيد عبد الرحمن العيدروس وكل منهما أخذ عن صاحبه، وتنقلت به الأحوال فولى كتابة الينبع ثم وزارة المدينة، وصار إمامًا في الأدب يشار إليه بالبنان، وكلامه العذب يتناقله الركبان، وله ديوان شعر جمعه لنفسه فمن ذلك قوله:

حيي بكاسك لي مع نسمة السحر ... وسلسلي الراح من نحري إلى سحري
حيي براحك يا روحي على جسدي ... فديك بالنفس يا سمعي ويا بصري
هبي بشمسك في ظل الشباب وفي ... ظل الغصون وفي ظل من الشعر
هبي وشقي قميص الفي من قُبل ... فالراح شقت قميص الليل من دبر
ووسطي بيننا في الشرب واسطة ... من كأس ثغرك هذا الطيب العطر
خداك والروض أزهار مضاعفة ... وذي الدراري وذي الكاسات كالدرر
ناهيك من جودة التجنيس بينهما ... ما أطيب الشرب بين الزهر والزهر
صفي قنانيك حول الكاس راكعة ... وحيعلي وأقيمي الوِتر بالوَتَر
دنياك معشوقة والخمر ريقتها ... يا ضيعة العمر بين السكر والسكر
ردي عهودك لي كي أشتكي حزني ... إلى ربيعي ما كابدت في صغري

ومنها في التخلص:

والجاهلية شتى في فروعهم ... وأصلهم واحد من أول الفطر
كل يميل إليه ما يناسبه ... وليس ذاك بموقوف على البشر
ميلي لأسماء إسماعيل أوجبه ... منه الجناس وأمر غامض النظر
وألفة من ألست بيننا سبقت ... ولم ألمها وقد جاءت على قدر
فحب سلمى وأسما زايل عرض ... والجوهر الفرد إسماعيل وهو حري

وهي طويلة، ومن شعره في المجون ما أرسل به إلى بعض أصحابه منها:

يا ابن ودي وصديقي   حال ما تقرا البطاقة
البس العمة واحضر   ولا يكن عندك عاقة
واركب الأدهم واركض   وأعطه منك الطلاقة
واكتم الأمر وبادر   غفلة دون الرفاقه
كمل الوفقُ الثلاثي   ولنا نحوك شاقه
فلدينا كأس راح   واصطباح واعتباقه
ومليح أخجل الأغصان لينًا ورشاقة
ومليح يشتهي للبوس إن شئت اعتناقه
يبخس الآيار بالكيل ويستثني وثاقه
كلما اشتقت إلى البر   جاس حليت نطاقه
من ورا يعطي وقدا   م محبًّا وعياقه
ونديم في المعاصي   خارج من ألف طاقة

وهي طويلة (وله من أخرى):

قد خلينا أمس لكن   بقيت عندي خبله
فاسقنا واشرب إلى أن   نبق في المجلس مثله
ما يلذ السكر حتى   يمضغ السكران نعله
ويرى البغلة ديگا   ويظن الفيل نمله
اسمع القسيس قد دق   لشرب الراح طبله
غفلة الواشي اغتنمها   لا تكن عندك غفله
إن تأخرت قليلًا   كتبت سبعون زله
خل عني قام زيد   قعدت هند وعبله
ضربت تضرب ضربًا   كل ذاك الصرف عله
حرت في يعقوب والرمي متى أعرف رمله

(ومن شعره):

سلم لمن رقاه حظ كما   يسلِّم الفرزان للبيدق
فطاوع الصانع ثم انطبع   بكل ما شكل في الريزق

(وله):

فضلك رزق زايد فوق ما   ترزقه مع ساير الخلق
لأنه لا بد من بلغة   ثم الحجا رزق على رزق

(وله):

تجاوز عن مرام النطق مني   أراني ما يطاوعني لساني
أخافك أولًا إن قلت صدقًا   وإن أكذب أخاف الله ثاني
فأسكت مطرقًا حتى أرجح   مقالًا معك فيه صلاح شأني
فلا تنكر جمودي إن رقصي   على مقدار تحريك الزمان
يصد المرء يومًا عن حديثي   فتدخلني البلادة والتواني
ويقبل لاستماع القول خلي   فأصدع بالبراعة والبيان

(وله):

تحرك لحفظ الشيء عندك مرة   فإن أنت لمن تفعل تحركت أربعًا
ومن تك قد جربته فحمدته   فعض عليه بالنواحذ أجمعا
ولا تتحول عن أخ قد عرفته   لآخر ما جربته تندما معًا
وما الناس إلا كالدواء فبعضه   شفيّ وكفى والبعض اذى وأوجعا
ودارِ عدوًّا والصديق لنفعه   فمن لم يدارِ المشط ضر وقطعا

(وله):

كل امرئ شاوره في صنعته   لا تسأل الخياط عن بحر الخشب
وقلد الحاضر في الأمر الذي   قد غاب عنك فهو أدرى وأطب

(وله):

جميع أمور اضبطها بحزم   وقدم ربط أقربها ذهابًا
وباب الشرع لا تتركه تلجأ   إليه أو لأضيق منه بابا
وكل قضية تخشى عليها   فأودعها شهودك والكتابا

(وقال في سليم بعمل التبديل):

تقول أضناني الغزال الألعس   يحفظه رب للسما ويحرس
عواذلي إن بسلوى وسوسوا   لي مركز في السقم ثوب يلبس

(وقال في هلال بعمل الاشتراك والقلب وغيره):

واستفهموني عن مليح ذاته   كالبدر بل صورته مرآته
فالنصف في استفهامه أداته   ولا تدور آخر آهيناته

(وفي ناصح بعمل التأليف والتشبيه وغيره):

ألبسني هجرانه ثوب السقم   وصد عن عين الكرى فما ألم
وراح يقرا في الضحى ثم ألم   فصح سقمي بعد نون والقلم

في سمسم بعمل الحساب:

قيدني على هواه وربط   ثم نأى عن المزار وشحط
صحف في كتاب عهدي ونقط   كان ودادًا فتعالى فهبط

(في حصان بعمل القلب وغيره):

أهواه سحار اللحاظ والرنا　　أهيف يرزي قده على القنا
أفناني السقم ويا نعم الفنا　　مذ نهنه الناصح فيه فانثنى

(في أسماء بعمل التشبيه والترادف):

سألته عن اسمه حين ورد　　فقال: ذا جميعه لمن قصد
فاستخرج الحية من بطن الأسد　　وحطها في ذيله من غير حد

(في مسجد بعمل الترادف):

قامته كالسمهري قامت　　على دمى تبيحه ودامت
وعينه راومتها فرامت　　كمثل عين قد غفت فنامت

(في غزال يعمل الإسقاط والكناية والإدخال):

قامته السرا وأسياف المقل　　غزوان شنا الحرب في سرح الأجل
صاما عن الراحة في نيل الأمل　　وانتعلا من الحفا خف جمل

(في إبره بعمل التحليل):

قد واصلت كل المنى مضناها　　وانهض الشيخ إلى لقاها
فيا لها من سجدة في طيه　　حين أبى قدامها وراها

(في غمام بعمل الكناية والإدخال):

غلامك الهايم يا ذا الرشا　　أجزعه الواشي بما عنه وشا
عسى بما تدركه فينعشا　　فؤاده إن الغلام عطشا

(وقال فيما اصطلحوا عليه في التشبيه):

وكل ما استدار مثل الخال / وكوكب وقطرة لآلي
للنقط مثل اللام للعذار / وقس بذا ما شاع باشتهار
كحية وقامة وكالعصا / لألف تريدها مخصصًا
وثم فن اللغز والمعمى / لخصت من واجبه الأهما

(وقال معارضًا قصيدة فتح الله النحاس):

رأى البق من كل الجهات فراعه
فلا تنكروا إعراضه وامتناعه
ولا تسألوني كيف بت فإنني
لقيت عذابًا لا أطيق دفاعه
نزلنا بمرسى ينبع البحر مرة
على غير رأي ما علمنا طباعه
نقارع من جند البعوض كتايبًا
وفرسان ناموس عدمنا قراعه
فلو عاينت عيناك ميدان ركضه
رأيت جريء القلب فيه شجاعه
وجندًا من الفيران في البيت كمنا
متى وجدوا خرقًا أحبوا اتساعه
ومن حط شيئًا في جراب وبطة
فما رام عند الفأر إلا ضياعه
وسربة قمل تنبري إثر سربة
خفاقًا إلى مص الدماء سراعه
ينازعها البرغوث لحمي فليته
رضى بتلافي واكتفينا نزاعه
فلو يجد الملسوع من عظم مابه
من الضخر درعًا لاستخار ادراعه

قـرب قـمـيـص كـان شـرًّا مـن الـعـرى
إذا ضـمـه الـمـلـتـاع زاد الـتـيـاعـه
كـأنـي وصـي لـلـبـراغـيـث قـايـمًـا
أقـيـت لـه أيـتـامـه وجـيـاعـه
إذا شـبـع الـمـلـعـون مـج دمًـا عـلـى
ثـيـابـي فـلا أحـيـا الإلـه شـبـاعـه
فـمـا رشـنـا بـالـدم إلا لـسـانـه
ولـم تـرعـيـنـي مـكـره وخـداعـه
سـلـوا عـن دمـي سـاري الـبـعـوض فـإنـني
عـلـمـت يـقـيـنًـا أنـه قـد أضـاعـه
فـلـلـه جـلـد صـار بـالـحـك أجـربًـا
أخـاف عـلـيـه يـا فـلان انـقـشـاعـه
وعـظـم سـلاق قـد تـولـع بـالـخـصـا
وحـر أذاب الـجـسـم ثـم أمـاعـه
ونـتـن كـنـيـف كـلـمـا هـان عـرفـه
أحـاط بـه واشـي الـهـوى فـأذاعـه
بـخـار كـنـيـف ربـمـا جـلـب الـعـمـى
وسـبـب لـلآتـي إلـيـه الـصـراعـه
فـلـو كـان يـجـدي الـمـرء تـجـديـع أنـفـه
لـود الـذي يـأتـي الـكـنـيـف اجـتـداعـه
لـو كـان قـطـع الأكـل والـشـرب نـافـعًـا
لآثـر بـيـن الـعـالـمـيـن انـقـطـاعـه
وكـم قـد أكـلـنـا نـمـلـة وذبـابـة
وفـارًا بـلـعـنـا أذنـه وكـراعـه
ومـاء زلاع صـار مـعـجـون عـلـة
شـربـنـاه كـرهـا وادخـرنـا زلاعـه
وبـاء وسـقـم لا مـحـالـة كـلـه
ونـرجـو مـن الـلـه الـعـظـيـم ارتـفـاعـه

فـلا تـعـذلـوا الـمـسـكـيـن إن عـيـل صـبـره
وأظـهـر مـن جـور الـزمـان انـفـجـاعـه
فـقـد مـارس الأهـوال فـي أرض يـنـبـع
ووطـأ فـوق الـغـانـيـات اضـطـجـاعـه
ذرعـت الـعـنـا فـيـه يـمـيـنًا ويـسـرة
وصيرت صبري والتأسي ذراعه وكشف ص٥٦٧
فـأعـدلـنـي طـول الـمـقـام
عـن وجـه اصـطـبـاري قـنـاعـه
إذا رنـم الـنـامـوس حـولـي أعـلـنـي
وصـدع قـلـبـي بـالـسـجـوع وراعـه
وإن مـص مـن دمـي وطـار تـبـعـتـه
إلـيّ فـأنـت مـنـه أرجـي ارتـجـاعـه
عـدمـت غـنـاء مـثـل أنـغـام سـجـعـه
فـمـا كـان أشـنـى سـجـعـه وابـتـداعـه
ضـعـيـف قـوى لا يـسـتـقـر مـن الأذى
وأضـعـف مـنـه مـن يـرجـي اصـطـنـاعـه
وقـد نـفـدت فـي دفـعـه كـل حـيـلـة
ولـو كـنـت بـالـحـسـنـى طـلـبـت انـدفـاعـه
فـيـا لأصـيـحـابـي اقـتـلـونـي ومـالـگـا
فـقـد مـد نـحـوي مـفـسـد الـبـق ورعـاعـه
وأصـبـحـت فـي دار الـمـشـقـة والـعـنـا
أخـالـط أوغـاد الـورى ورعـاعـه
وكـلـبًـا مـن الأعـراب يـعـوي كـأنـه
يـريـد إذا لاقـى الأمـيـن ابـتـلاعـه
فـلـو صـاح فـوق الـصـخـر خـر لـوقـتـه
وأبـصـرت مـن ذاك الـصـيـاع انـصـداعـه
بـراه إلـه الـخـلـق لـلـنـاس نـقـمـة
وقـد مـن الـصـخـر الأصـم طـبـاعـه

فــلا رحــم الــرحــمــن أرضًــا يــحــلــهــا
وبــاعــد عــنــا بــالــســنــيــن انــتــجــاعــه
ومــن كــل جــبــار عــنــيــد يــرى الــورى
عــبــيــدًا لــديــه والــبــقــاء بــقــاعــه
شــقــي عــصــى الــرحــمــن فــي كــل أمــره
ومــال إلــى شــيــطــانــه وأطــاعــه
فــقــل لــرعــاة الــوقــت: إن نــعــاجــكــم
أتــاح لــهــا ريــب الــزمــان ســبــاعــه
فــهــل لــكــم فــي لــم شــمــل الــذي بــقــى
بــرأي بــديــع تــحــســنــون ابــتــداعــه؟
وإلا فــإن الأمــر لــلــه كــلــه
ولا رأى فــي خــرق يــريــد اتــســاعــه
ســلــونــا عــن الــدنــيــا فــكــل نــعــيــمــهــا
مــتــاع غــور لا يــديــم مــتــاعــه
ومــا أعــتــضــت مــن كــونــي أديــبًــا وفــاضــلًا
لــدى الــنــاس إلا قــولــه وســمــاعــه
ومــن كــان يــرجــو فــي الأمــانــة مــغــنــمًــا
فــخــلــوا لــه أوضــاعــه وخــراعــه
وقــولــوا لــه: هــذاك يــنــبــع حــاضــر
لــمــن رام يــبــلــو ضــره وانــتــفــاعــه
فــكــم كــاتــب أفــنــى الــيــراع كــتــابــة
ومــل وألــقــى فــي الــيــراع كــتــابــه
وكــم بــدوي داســه فــوق بــطــنــه
ومــزق مــا بــيــن الأنــام رقــاعــه
ومــن جــاءكــم مــنــا مــع الــلــيــل شــاردًا
فــذاك لــهــول واقــع فــيــه راعــه
ومــن يــمــتــنــع عــن خــدمــة مــثــل هــذه
فــلا تــنــكــروا إعــراضــه وامــتــنــاعــه

فـمـا يـكـسـب الـكـيـال إلا غـبـاره
ولا الـكـاتـب الـمـسـكـيـن إلا صـداعـه

(ومن إنشائه) هذه المراسلة: إن أبدع براعة يستهل بها الوداد، ويدبج محاسنها كمال الاتحاد، وأجلى مذهب تسرع إلى معقله الهمم، وأحلى مشرب يكرع من منهله القلم، عرائس تحيات تزفها مواشط النسيم، وتحفها أتراب التكريم والتسليم بختام من مسك ومزاج من تسنيم، فتسفر بها أسفار المحبة، مع سفير أكيد الصحبة، محمولة على موضع الأخلاص، تالية لمقدم مزيد الاختصاص، شعر:

قـرنـتـهـن تـحـيـات يـعـززهـا　　منى السلام ووتر الحمد يشفعها
تـؤم مـرتـبـع الآمـال مـنـتـجـع الإ　　فضال بل مشرق النعمى ومطلعها
مختار رأي العلا من راقبت قدرا　　به الـعـنـايـة حـتـى جـل مـوقـعـهـا
فـقـيـل: ذلـك فـضـل الـلـه مـن بـه　　ونعمة الله يدري أين موضعها

ولا جرام فقصاياه إلى الحكم موجهات، وأنواع أجناس وضعه مختلطات، وعلى وحدة الصانع تدل المصنوعات، ومولانا المشار إليه أو حدى من انطوى فيه العالم الأكبر، وانتشرت به آية الفضل المطوي المضمر، فهو في الأسلوب الحكيم إقليم التعاليم. وفي ديوان الأدب لسان العرب، وفي عدل الميزان الحجة والبرهان والسلم إلى الإيقان، ولوجوه الأعيان مرآة الزمان، والقرآن الأوسط وفي الأقران، نكتة العقل الأول ومشرعه، ونهاية كمال الطبع ومطلعه، (شعر):

يـا لـه مـن صـحـيـح نـعـتـي حـديـثًـا
بـحـر فـضـل يـرويـه ابـن مـعـيـن
رافـع الـوضـع فـهـو فـاعـل فـعـل
أظـهـرتـه الأقـدار فـي الـتـكـويـن
مـعـدن حـل فـيـه جـوهـر عـلـم
لـيـس فـي سـر غـيـبـه بـظـنـيـن
مثل ما كانت والأهرام مبني لكل معنى مصون

يـــــتــــــدلــــــى طـــــورًا وطـــــورًا تـــــراه
يـــتـــعـــالـــى عـــلـــى اخـــتـــلاف الـــشـــئـــون
مـــاجـــد مـــنـــطـــقـــي يـــقـــصـــر عـــنـــه
لـــيـــس قـــدر الـــمـــيـــزان كـــالـــمـــوزرن
وإلى ها هنا وصلنا إلى النعت ومن فوق ذاك علم اليقين
لا خـــلاه الـــجـــمـــيـــل يـــبـــقـــى ولا زا
لـــت عـــلاه الـــذرا لـــيـــوم الـــديـــن

(وبعد) فالموجب من المخلص لهذا التعهد، والمقتضي لمزيد التودد، هو ميل الروحانية إلى المناسب، وتألف الطبيعة بالملازم المتناسب، ولا غرو فإني لمزيد الاشتياق، وطباق بديع الاتفاق، شعر:

خلقتُ الوفا لو رددت إلى الصبا   لفارقت شَيْبي موجع القلب باكيا

ومع ذلك فعلامات الأسباب في منهاج البيان، وتلخيص هذا النظام، تذكرة لتشحيد الأذهان، وموجز ذلك على قانون العادة، للشفاء بثمرة الإفادة، شعر:

نبض اشتياقي شاهق متواتر   عظيم ونبض الإذكار سريع
لو حركات الكيف والأين نحوكم   وباقي مقولات الوداد جميع

وتلك نسبة تصديقها إذعان، ولازم نتيجتها برهان، وتلخيص مطولها بيان، وما زلنا نسأل معتل النسيم عن صحة الخبر، ونقنع العين بشياف الأثر، ونرجو مع ذلك رفع أداة الانفصال، وحمل قضية الود على موجبة الاتصال، وإن سأل المولى عن القايم بوظيفة الأدعية، ورواتب الأثنية، فما زالت شعاب أكفه تستمطر غيوث الإحسان، ومقاليد دعائه تستفتح أبواب الامتنان من المنان، ولا سيما في أوقات مظنة القبول، وتحقق بلوغ السول في حضرة الرسول، فهو يُرسخ ذلك في سجلات الحسنات، ويؤيده في تسطير الباقيات الصالحات، شعر:

وهذا دعاء لو سكت كفيته؛   لأني سألت الله فيك وقد فعل

فإذا ليس ذلك إلا من جهة واجب الإخاء، وملازمة فرض شروط الوفاء، فها أنا أعقد ألوية الثناء بذات الرقاع، وأبث طلايع السؤال عن المخلص في نفسه، لكشف لبسه، مع إخوان زمانه وأبناء جنسه، شعر:

فعبدكم مخلص الوداد لكم　　يبات بالذكر ثاني اثنين
فنسخة الحال مَتْنُها جمل　　وشرحها في شواهد العين

وقد سبقتم إلى ذلك بالنظر، وليس كالخُبر الخَبر، إلا أن يكون اللباس، قد أوجب الالتباس، وأضاع القياس، فأطفأ النبراس، وهدم الأساس، وجمعنا مع آحاد الناس، فلا غرو فطالما حاولت الإيقاع، وتوخيت موافقة الأوضاع، ونظرت في تخت الحسبان لطريقة الاجتماع، شعر:

ولما أبي الإنتاج شكلًا مناسبًا　　تولده الأقدار في الخط والرمي
وقفت أغني للأصم مغردًا　　وأرقص في ليل الجهالة للعُمي

فالمدلي بالطبع لا يستغني عن الجمع، ويعرض عن الرسالة البحث إلى علم الوضع، وإذا كان الأدب في النفوس، فالحقيقة من وراء المحسوس، وعلى اختلاف الشئون، يجمل بي أن أكون. شعر:

يومًا يمان إذا لاقيتُ ذا يمن　　وإن لقيت معديًّا فعدناني

فليس الرشيد إلا المتوكل، والا الراضي على القدر إلا الموفق المتجمل، والطائع مأمون العواقب، والمنصور بالعز ليس له غالب، فلا أعلم من التصريف إلا باب المطاوعة، والانفعال، ولا أجهل هذا الأدب إلا التنازع بين الأفعال، والخوض في مجمع الأمثال وعقم الاشكال، وما عسى أن أفعل، وإلى أي مرام أتوصل، إذا نازعت في قول الأول. شعر:

فاقبل من الدهر ما أتاك به　　من قر عينًا بعيشه نفعه

ثم إذا قلبت ظهر المجن على الزمن، فقلت: إن حاطب ليل، جامع بين الحشف وسوء الكيل، وقد تشوش ذهنه في التصريف، وماله عن النكرت من التعريف، حتى صرف ما لا ينصرف، وصرف الكامل عن دائرة المؤتلف، وقفا بالمحن سناد الإشباع، وأردف له ذلك مع شهر الامتناع، فقصيته معدولة عن الكرام محصلة للئام، خارج بعضها عن النظام، مولودة لغير تمام، فمن لي بمن أقضي عليه بكتاب الضمانات، وحكومة الكفالات، ومسائل العقل والديات، لاسترجاع ما فات، ما لا يومأ إليه ولا يشار. شعر:

سبحان من وضع الأشياء موضعها   وفـرق الـعـز والإذلال تـفـريـقـا

والعجب في شيء ظهر أمره، وخفي سره، فالمتعرض حينئذ كالمتأمل المستفيد، وأنى له التناوش من مكان بعيد، بل أكون كالماء فأتبع السهول، وأراقب القسمة حتى تعول، ولا أتبرم ولا أقول:

إلى الله أشكو أن في النفس بحاجة   تـمـرُّ بـهـا الأيـام وهـي كـمـا هـيـا
ولكنني راض بأن أحمل الهوى   وأخـلـص مـنـه لا عـلـيَّ ولا لـيَـا

وربما يقال: إني نقضت وضوء الأدب، وتعديت ميقات النسب، ولم أحرم بالتجريد من دناءة المكتسب، ولا سجدت للسهو عن حقوق الحسب.

من تردى برداء   لم يرثه من أبيه
سوف يأتيه زمان   يتمنى الموت فيه

فعلى ذلك إن ثبتت الجنحة، فالمحنة في تلك المحنة، وشر ما يلجئك إلى مخيسة عرقوب، ولا سيما وقد ضعف الطالب والمطلوب.

ما محوج نفسه إلى سبب   إلا لأمـر يـئـول لـلـسـبـب
تلجي الضرورات في الأمور إلى   سـلـوك مـا لا يـلـيـق بـالأدب

وإن أكن قد خالفت الأكياس، وتخلفت مع الناس، وصبحت الرضا لتهجمى آل العباس، فإن الماء في بابه، مفوض إلى رأي المبتلى به والدخيل في دائه، أعلم بدوائه عند فقد أطبائه، وهل هم في معنانا إلا الكرام، ومساعدة الأيام؟ وهبني كفلت نتيجة الدهر، ودمية القصر في أبناء العصر، وقلدتها قلائد العقيان، وعقود الجمان، مفصلة بجواهر النصوص ومعادن الفصوص، وأقطعتها رياض زهر الآداب وغياض آداب الكتاب، وأسكنتها علالي المقامات وعلوم الطبقات، وتهذيب الرياضات وسير الفتوحات، إلى إدراك الممكنات، ثم قلت: أين بغية الحفاظ، وابن جلا وخطيب عكاظ (شعر):

لو علم الحي اليمانون أنني   إذا قلت: أما بعد أني خطيبها

فمن لي بمن يميز بين الضدين، ويقدم الجمعة على الإثنين، ويميل إلى الكشكول علن كتاب العين، وإن فضل لذلك أرباب، أو كان في الجعبة نشاب، فالمعاصرة حجاب، والتفاخر سور له باب، فما بقي إلا التشاغل بالسلوان، وبكاء العيون لوفيات الأعيان، ومراقبة المطالع لنصبات الطوالع، وبلوغ المقاصد من تلك المراصد، فقديمًا قيل: من طلب شيئًا قبل الوقت، لم يجن من ثمرات أمانيه إلا المقت، (شعر):

دعها سماوية تأتي على قدر   لا تعترضها برأي منك تنخرم

فمن الخسران جهل الأوزان، ومساعدة الأبدان قبل معرفة البحران، فربما كان في أسطرلاب السعادة، ما يخالف العادة، ويبلغ الحسنى وزيادة؛ هذا والمطلوب من المولي تعهدنا بالذكر، وحضورنا عند الفكر، فلعلنا نصادف قدرًا به ليل الحظ يقمر؛ وفجر الإقبال يسفر، وربما طلعت من مشرقكم شموسه وأقماره، ووضح لذي عينين صبحه ونهاره، فلنا في الغيب آمال، وفي كنانة الأدعية سهام ونبال، ومن حسن الفال، حاسب ورمال، وبميدان جميل الظن مدار ومجال، وإلى عالم السر جواب وسؤال، وفي فتح القدير مستند ورجال، وعلى ضوء مشكاة المصابيح تقرأ نسخة الحال، فإن في عياضها شفاء؛ وفي خلاصتها وفاء، وفي كنز الكافى معادن، وعلى وجوه التفويض تلوح المحاسن، ومن دخل حرمه كان آمن (شعر):

تلك رؤيا قصصتها لك فانظر   لي فيها التأويل والتعبيرا

وعرضنا فلزات حظ غبيط وأفضنا لرأيك التدبيرا
ولك الأمر فيه حلا وعقدا ربما عاد ثابتًا إكسيرا
صح قلب العيان فيه وأضحى جابر قلبه به مكسورا
ثم قلنا للكيميا: سلام قد كفينا التصعيد والتقطيرا
وفرغنا ننظم الدر من معـ ـنى مساعيك غُدوة وبكورا
واشتغلنا مع المحبين نتلو لك فرقان مدحة وزبورا
فنساقي من تلك كأسًا دهاقًا كان فينا مزاجها كافورا
شيمًا لو تجسمت منك كانت هي للناس جنة وحريرا
معدنًا تلقط المسامع منه حين تلقيه لؤلؤا منثورا
وبديعًا من العلا ما نظرنا لمراعاته هناك نظيرا
وإذا ما رأيت ثم من المجـ ـد مقامًا رأيت ملكًا كبيرا
أبدًا في مواكب الفخر تستعـ ـبد كسرى الملوك أو سابورا
غفر الله سيئآت زمان ساء قدمًا وعاد منك بشيرا
مثل يعقوب وابنه ثم لما جاءه ارتد بالقميص بصيرا
وتولى جزاءه الله عنا إنه كان سميه مشكورا
يا لإنسان رفعة أنت فينا يرجع الطرف إن رآك حبرا
بيت حبي ما زال فيك مدى الد هو دوامًا مشيدًا معمورا
نقشبندي الولاء فيك ملامي مولوي السير باطنًا وظهورا
ووادي أبو يزيد وأقصى طوره طورًا طور سيناء طورا
فتقبل إليك حور معان قد سكن الألفاظ مني قصورا
وكميت من القريض كميت دونه جر في الرهان جريرا
ملكًا في خلافة الشعر جا بالنـ ـثر معه مصاحبًا ووزيرا
وابق واسلم كما تشاء المعالي تبق ذكرى خير وتفنى الدهورا
أبدًا كلما خصصت بمدح وسعى نحوك القريض سفيرا

(وكتب إلى عبد الرحمن السيوري) أهدي جزيل سلام ألذ من الوصال في طيف الخيال، وأحلى من الإقبال بالآمال، وأحب من الإتحاف بالإسعاف، وأعذب من الورود على حياض الوعود، وأعشق إلى الطالب، من حصول المآرب، وأكرم من الغمام، بإهداء جزيل السلام، أريجًا يكمه الزهر في أكمامه ويلمه الجيد في نظامه، ويجعله الرحيق من ختامه، والثغر الشنيب تحت لثامه، نودعه النرجس في جفونه، ونلقنه الحمام في سجعه على غصونه، فيحمله النسيم على متونه بجميع فنونه، إلى حضرة إنسان العين بالكامل، ورأس أدب الكاتب في صدور المحافل، ومن سحب البلاغة على سحبان، وجر على المجرة سرادق العز والإمكان، وسيط النسب إلى الأدب، وطراز الفخر على جبهة الدهر، المخصوص بخالص الود وأكيد المحبة، على مراد الوفاء بشروط الصحبة، المكرم الأجل عبد الرحمن بن مصطفى السيوري، أطال الله عمر سعادته، وخلد دولة سيادته (شعر):

بعد فالشوق إن تسأل فإن له ... شواهدًا وسؤالي منك أصدقها
وإن في البعد ما ينسى الأخوة ... والتسآل عنك بلا شك يحققها
فكيف أنت وكيف الحال دمت على ... ما كنت من شكر نعمى فيك ترزقها
سوى المودة فيما بيننا فلقد ... رأيت منك يد السلوى تمزقها
وذاك مع طول عهد بالإخاء مضى ... عمر الصداقة حتى شاب مفرقها

فإن لم يكن إلا الملال، فلا جدال، وإن أوجب ذلك لذة الجديد: فحرمة العتيق لا تبيد، أو كانت القسوة عن شهوة فالاعتراض يرد الإعراض، وإن كان الترك بلا سبب، فهو من العجب (شعر):

وإن أحلت على حظي اعتذارك لي ... خرجت عن عهدة التعنيف والعتب

ولكن أين الفضايل؟ وكيف تلاشت الفواضل؟ تحمل التحمل وأجمل عن الإزماع التجمل، وتقاصر الطول والتطول، حتى وكلت غيرك من الأنام، في إهداء السلام، وجاءني بشير المواعيد، على بريد، فملت إلى النفس أبشرها، وعلى الفرش أنشرها، وإلى الزلاع أنظفها، وعلى الفقاع أصففها، واشتغلت باللحية أسرحها، وأهل الحارة أفرحها، ثم ذكرت وصول الحبوب في الغبش، فعبيت الخيش وقلت: ربما يصل التمر في العصر، ويا

ترى تلك البضاعة تسعها القاعة؟ أم لا بد من توسعة الضيق، لتلك الصناديق، وكيف نعين الزبون، لاقتراض العربون، وتسليم الجماله، إذا وصلت تلك الرسالة، ثم أنشدت وأنا أدور ما بين الدور. (شعر):

لا بـشـرى لـجـيـرانـي مـع الأصـحـاب والأهـل
فـقـد جـاد لـنـا الـمـولـى مـحـل الـجـود والـفـضـل
ولا بـد لأصـحـابـي مـن الإنـعـام والـبـذل
لهم مني مدى الأيام فضل الزاد والأكل
وكـل يـكـتـسـي مـنـي عـلـى الـهـيـئـة والـشـكـل
من الفرو إلى الجوخة للعمة والنعل
وأيـضًـا خـلـعـة أعـطـى مـن الـرأس إلـى الـرجـل
إلـى الـسـرج إلـى الـرحـل إلـى الـقـتـب إلـى الـجـل
فسجل يا غلام الخير خيراتي على الكل
ونـاد الأهـل والـجـيـرا ن وابـعـث نـحـوهـم رسـلـي
وخـاطـبـهـم إذا اجـتـمـعـوا بـدق الـزيـر والـطـبـل
وقـل: هـذي مـضـايـفـنـا وهـذي قـدرنـا تـغـلـي
مـن الـلـحـم إلـى الـرز إلـى الـسـمـن إلـى الـبـقـل
وأنواع من المشوي والمغلي والمقلي
وأجـنـاس مـن الـزريـا ج بـالـمـشـمـش والـخـل
ولا تـخـرج بـأضـيـافـي إلـى الـشـمـس مـن الـظـل
وأما النقد فالحاضر عامود وفندقلي
ومـن يـطـلـب زنـجـرنـا ه إن شـاء بـزنـجـرلـي
فـدعـنـي ألـبـس الـتـا ج بـهـذا الـمـجـلـس الـحـفـل
وإن كـنـت تـنـحـنـحـت انـا يـا عـبـد نـعـم لـي
تـرانـي مـقـصـد الـحـاجـا ت لا بـعـدي ولا قـبـلـي
تـرانـي أقـتـل الأقـرا ن يـوم الـحـرب مـن مـثـلـي
وإن كـنـت تـريـد الـحـر ب هـذي الـخـيـل يـا خـلـي
فـقـل مـا شـئـت فـي قـولـي وقـل مـا شـئـت فـي فـعـلـي

وإن كـنـت تـوضـأت   عـلـى قـصـد الـثـنـا صـلـي
وصـف جـودي وصـف عـودي   وصـف سـيـفـي وصـف نـصـلـي
فـهـذا الـحـبـس مـلآن   مـن الأعـداء كـالـنـمـل
وهـذا الـخـيـر مـطـروح   عـلـى الـطـرقـات والـسـبـل
بـصـيـتـي سـارت الـركـبـا   ن مـن وعـر إلـى سـهـل
هـنـيـئـي الـيـوم بـالأمـوا   ل قـد أصـبـحـت درهـم لـي

ثم أخذت الإبريق، وملت عن الطريق، واستكت واغتسلت، وتوضأت واكتحلت، وتنحنحت وسعلت، وخرجت ودخلت، ثم ملت إلى الصندوق وألقيت القاووق، ولبست الزربفت، من فوق التفت، وتدرعت بالسمور، وجلست على تخت التيمور، ثم خلعت على العتالين، وقدمت أجرة المخزنين سبع سنين، ثم إني كررت المخبرة، وطالعت الورقة بالمنظرة، فإذا السكر المكرر قد تسطر، وإذا البن المحزوم، ولطايف الملبوس والمشموم، وتأملت في هامش الكتاب، فإذا جراب وفيه الوعد بكل نفيس، وفي ضمن الجميع كيس، وفيه المنة بمفاتيح قارون، ومقاليد القلاع والحصون، والوعد بطلسم الأهرام، وكتاب العهد على اليمن والشام، ولم أجد العهد على الصين، ولا فارس ولا قزوين، وأرض الدروب وفلسطين، فحصل لي العجب العجاب، وقمت إلى الجراب، بعد إغلاق الباب، وقد أذكيت المصباح، وفتشت إلى الصباح، وإذا كتابان قد كتبا بالزعفران، وضمها بالعبير، ولفا في حرير، في الأول ملك خرسان، وتقليد الشحر وعُمان، إلى إقليم السودان، وما وراء النهر وعبادان إلى جزيرة العرب، وغوطة دمشق وحلب، ولم يزل ينعم وعدًا، ويهب، ويجيء بالعجب، وفي ذيل المنشور، وتمام المسطور، تفضل بالأقاليم وأنعم بتاج العز والتكريم، فسجدت لكرمه، وشكرته على نعمه (شعر):

ثـم رتـبـت دفـتـرًا لـلـمـطـايـا
وقـسـمـت الـبـلاد بـيـن الأخـلا
قـلـت: ذاك الـصـديـق أعـطـيـه صـنـعًـا
فـي بـنـي حـمـيـر الـكـرام الأجـلا
وعـلـى فـارس صـديـق وأرض الـروم
ثـان والـهـنـد أولـيـه خـلا

حـــاصـــل الأمـــر أن كـــل مـــحـــب
لـــي عـــلـــى قـــدر حـــظـــه يـــتـــولـــى
وأنـــا فـــي الـــســـحـــاب بـــيـــتـــي وتـــخـــتـــي
كـــل يـــوم إلـــى الـــســـمـــا يـــتـــعـــلـــى
واقـــتـــرضـــنـــا فـــي الـــحـــال ألـــفـــيـــن ديـــنـــار
انـــقـــضـــى بـــهـــا هـــنـــاك شـــغـــلا
واشـــتـــريـــنـــا خـــمـــســـيـــن عـــبـــدًا خـــصـــيًّـــا
مـــنـــهـــم نـــصـــف ذاك إلا أقـــلا
واســـتـــعـــرنـــا لـــهـــم ثـــلاثـــيـــن قـــاوو
قـــا عـــلـــى رأســـهـــم ولـــلـــرجـــل نـــعـــلا
ثـــم نـــاديـــتـــهـــم وقـــلـــت: هـــلـــمـــوا
فـــادخـــلـــوا هـــذه الـــطـــوالـــة قـــبـــلا
كـــل شـــخـــص مـــنـــكـــم حـــمـــارًا يـــنـــقـــي
ثـــم شـــيـــخ الـــعـــبـــيـــد يـــركـــب بـــغـــلا
وخـــذوا ذا الـــســـلاح ســـيـــفًـــا ورمـــحًـــا
ودروعًـــا تـــســـمـــو وقـــوسًـــا ونـــبـــلا
واعـــرضـــوا نـــفـــســـكـــم عـــلـــي فـــإنـــي
أشـــتـــهـــي الـــعـــبـــد فـــي الـــســـلاح الـــمـــحـــلـــى
واقـــعـــدوا عـــنـــد بـــابـــنـــا ثـــم قـــولـــوا
يـــوم الـــحـــمـــول أهـــلًا وســـهـــلا
ثم إني فكرت إن أصبح الخير علينا ماذا نقدم فعلا
قـــلـــت: حـــط الـــقـــمـــاش والـــبـــن فـــي
الـــمـــجـــلـــس واجـــعـــل بـــاقـــي الـــتـــفـــاريـــق ســـفـــلا
ثـــم هـــذا الـــمـــكـــان يـــحـــمـــل حـــمـــلـــيـــن
وهـــذا الـــمـــكـــان يـــحـــمـــل حـــمـــلا
هذه صفة نحط عليها المسك أم هذه بذلك أولى
هـــذه لـــلـــزبـــاد تـــحـــمـــل قـــرنًـــا
وهـــذه يـــا فـــلان تـــحـــمـــل رطـــلا

يــا تـــرى تـــحـــمـــل الـــمـــخـــازن عـــثـــرًا
مـــن هـــذا يـــا فـــضـــل الـــســـيـــوري أم لا؟
يا ترى يغبشون أم تطلع الشمس عليهم أم ما يجيئون أصلا؟
اضــربــوا مــنــدلًا لــنــا يــا ثــقــاتــي
ربــمــا يــحــصــل الــمــنــا ولــعــلا
دخــنــوا دخــنــة الــتــهــاطــيــل قــولــوا
يــا طــهــاطــيــل طــهــطــهــيــلات طــهــلا
ألــوحًــا ألــوحًــا طــطــاطــيــل طــيــطــا
طــوطــيــا طــوطــيــا طــلاطــل طــلا
هات لي يا غلام زايرجة الرمل عساني منه أخرج شكلا
إن تــرى فــي الــطــريــق غــيــر الــمــطــايــا
تــتــهــادى فــحــبــذا الــرمــل رمــلا

ثم ملت بإنساني، إلى المكتوب الثاني، وإذا علم استخارج الطلاسم وخبر الملاحم، والتوصل إلى فتح الأهرام، في ثلاثة أيام، ومعرفة ذات العماد، في أي البلاد، والإتيان بعرش بلقيس، بتدبير المغناطيس، وفيه استخدام الكواكب، ومعرفة كل غايب، وبيان علم الروحانيات، ودعوات العليات، وضبط الدقايق الفلكيات، وملكوت الأرض والسموات، وأنه يكشف لنا رموز الكيمياء، ويعلم طرايق الزايرجات والسيمياء، ويدل على بير الملكين ببابل، ويستخرج علوم الأوايل، ويعزم على الوحش فيجلبها، وعلى الجبال فيقلبها، وعلى الغمام فينزله، وعلى الريح فيحوله، وعلى النجوم فينثرها. وعلى القبور فيبعثرها، وإن الجميع يصل على الفور، وفي هذا الدور، وأن ينتف لحية المكذب، قبل أن يجرب، ويقص سبال المنكر، وإن لم يؤمن بما يخبر، فقلت: آمنت بما قاله سبحان من أعطاه ذا الاقتدار أستغفر الله السيوري ما يعرف يا أخوان قول الفشار، ثم شرعت أعبي الخيل والخول، وأجيش بجميع الدول، للقاء ذاك الأمل، ولم نزل نبث الطلايع، ونتوقع الطالع، إلى أن أتى الأبد على لبد، ولم يصل أحد فثارت الفتنة بين الجنود، لتأخر الوعود، ووقعت البسطامية والبسوس، لحصاد النفوس، وتقصفت الأسنة، وتقطعت الأعنة، وتثلمت السيوف، وتماوجت الصفوف، وسال جيحون والفرات، بدم الأموات.

وما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

ولم يبق أحد من الجيشين، إلا صلى على وعدك ركعتين، ورجع بخفي حنين، ثم إنا احتلنا في إطفاء نار الفتنة، بطلب هدنة، إلى أن يصل إليك الكتاب، ويرجع الجواب، وقد أمرنا السفير إذا وقف بين يديك أن يقرأ عليك:

قل للخليل الذي أنهى لحضرته خلاصة الود من سرى ومن علني
ومن مدى الدهر أدعو في سلامته من الردى وهي من قصدي ومن شجني
يا ذا الذي وعد المعروف ثم مضى لذاك عمر الأماني والزمان فني
ومن على مذهب الحسبان ملكنا كنوز قارون من مصر إلى عدن
إن كان عندك محض الوعد تحسبه أصلًا من الجود أو فرعًا من المنن
فعد بحنطة بولاق وقل معها مع ساحل البن غابات من التتن
وافرض بأنك قد قلدتني عملًا بالهند أجبي صنوف الخز والقطن
وولني ساحل البحرين أجلبه بسوق سعدك بازارًا بلا ثمن
وجد بإيوان كسرى والخورنق والـ قصر المشيد وملك الشام واليمن
واعقد لي التاج رغمًا منك واجعلني على طوايف ذي القرنين في المدن
وقل وهبتك ما في الأرض من نعم باللحم والجلد والأصواف واللبن
ولا تكن خشية الإنفاق مقتصرًا ما دام كنزل من وعد فأنت غني
لله وعدك منذ عامين أنشدني أنا المعيد فاسمع بي ولا ترني
خذ مني علومي ولا تركن إلى عملي ولا يغرنك مني خضرة الدمن
فقلت أجري عند الله أطلبه حولين يا وعد تسقيني وتطمعني
من العجايب أبديت الشجاعة في وعدي وعدتُ أكلت الخبز بالجبن
مبالغات من الأقوال تسمعها لو كن في البحر ريحًا طرن بالسفن
يا ذا الذي جاد في الأحلام لي كرمًا يهنيك أني قد استغنيت من أذني
فلا تكن تقطع التشريف عني في كتاب ودك لي في لفظك الحسن
حتى أفوز بملك الأرض منك ولا أرضى بأني في غمدان ذي يزن
وخذ ثوابك وعدا مثل وعدك لي هذا بذاك ولا عتب على الزمن

(وكتب) إلى الشيخ عمر الحلبي على لسان تلميذ له:

أهدي جزيل سلام ما زال دايرًا بمركزه محيطه، وواقفًا على مركبه بسيطه، سلامًا أنظم به الدراري والدرر، وأنثر به المنثور والزهر، وأستخدم له بهرام والقمر، سلامًا منشورة ألويته على عمود الصباح، موعدة سرية همته بظفر الافتتاح، سلامًا تشير إليه الثريا بكفها والجوزاء بشنفها والزهرة بطرفها والدقايق بلطفها عند كشفها، سلامًا تتلقاه الشعرى العبور للعبور، ويقوم له زيد الوداد بالمرصاد فيعرض عليه شقيق رمحه، والمعلي قدحه، وابن جلا عمامته، ومرجف لأمته، جامعًا بين الجد والهزل، والإرفال والرمل، مخصوصًا به حضرة محيط مركزي بعنايته، وهيكل سرى بحمايته، نكتة الفلك، وروحانية الملك؛ ونفحة القدوس، المشرقة على النفوس، الفايز بفصوص الحقايق، وكنوز الدقايق، والحايز معاني الإشارات، في أبواب الفتوحات الشارب من العين بكشكوله والملقى عصا السير في ساحة وصوله، ركن ذا الفضل وإسطقصه وجنس نوع الكرم ونفسه، شيخي وأستاذي الشيخ عمر، لا معدولًا عنا لقاطع، غير منصرف عن المقتضي بالمانع، آمين، وبعد التقرب بنوافل الأدعية، والتحبب برواتب الأثنية، صدورًا عن فؤاد قايمة زواياه في الوداد، مستقيم خط هواه في كمال الاتحاد، غير منقسم جذره الأصم عن العذال، ولا مجتمعة له ضروب اللوزم في مثال، فهو لا ينكسر إلى السواد فيتخصص، ولا يختلط فلزه بالأغيار فيتمحص، من مخلص يطرح الألف، ويأخذ الواحد بالكف، ويستخرج مجهول الأغيار، وينفض التغيير بقلم الغبار، حتى يحصل له بالجبر المقابلة، في مديح ذوي الإمعان والمحاوله، فيأخذ هناك ارتفاع الشمس، بأسطرلاب تهذيب النفس، ويترقى في درج المعاني، باطراح التواني وطرح الثوالث والثواني، وما ذاك إلا لإضافتي لعلمكم بعلمكم، وشربي من كرمكم بكرمكم، وتمييزي في هذه الحال، ببدل الاشتمال، ولا سيما بعد وصولي ما أشاء إلى جهتي وصح به أملي عن الخروج من جدولي ولي ولي، فلا زال كيدي أهل الفضل واسع البذل بسيط النوال، وافر مديد الكمال، متداركي إلى مداركي، وسايري في سايري ومفيقي من سكر تلفيقي إلى توفيقي، ومحرري بضبطي من خبطي في خلطي، ورفيقي في تشويقي إلى تحقيقي يرحل بي إلى المختصر عن المطول، وينزل بي عن المعاهد في البديع الأول.

(وقال):

وخمرة من معان　　حلت دنان الحروف
جلت كدورات حسي　　حتى تلاشى كثيفي
ولا عجيب لصفوي؛　　لأن ذا الروح صوفي

(وله عفا الله عنه):

لعمرك أنت كتاب الكمال　　بآياته يظهر المضمر
وشعري عنوان ما قد حواه　　وفيه انطوى العالم الأكبر

(ومن التحميضات):

قل لأشياعي الذي صحبوني
ثم راحوا من بعد معتزليه
ولأنصاري الذي خذلوني
واستعاضوا سواي أنصاريه
عفتمو نصف أمرد كوسجيًّا
وانفردتم بمذهب الموصليه
لا تظنوا في عفتي هي ما هي
أنا قلدت مذهب الباحيه
أي ذنب جنيت حتى استرقتم
نفسكم للمقيل وقت العشيه
واحد راح من زقاق القشاشي
يتمشى في هيئة مخفيه
ورجال من البرابيخ جاءوا
ورجال من تحت جدر التكيه
واحد حامل كتابًا يوري
أنه ساير إلى الكُتبيه

وأخ قال قد شربت دواء
وأريد الإسهال في العنبريه
وصديق سألته أين تبغي
فلوى رأسه وقال قضيه
قد نذرت الصيام شهرًا ولاء
وشرطت الإفطار بالعدسيه
لا تخبث نفسي بذكر الكوازي
واللوازي والوزة المحشيه
أنا لا أشتهي الكباب ولا الرز
ولا زرباج ولا اللبنيه
قد زهدنا في كل ما تشتهيـ
ـه النفس حتى الدجاجة المقليه
عفت كل الطعام قلت فما المو
جب قال اللحقوق بالصوفيه
وأتى آخر فقلت سلام
فسعى مسرعًا ورد التحية
ووراه شخص يجر خروفًا
حاملًا تحت كمة مطبقيه
قلت ما لحال قال قد شرد العبـ
ـد بشالي والفرو والفرجيه
قلت قد مر عبدكم بطعام
وشراب من قبلكم من هنيه
قال عبدي ياقوت قلت نعم
قال لقد بعته نهار الضحيه
اسم هذا الماس قبحه الله وأيري في است أمه الزنجيه
ثم ولى عجلان قلت انتظرني
أطلب العبد معك للتربيه

(في المطبوخ وعمله):

أنا أولى بالجري منك؛ لأني ما طعمت الغدا وبطني خليه
قال أقعد بالله ربك أقعد بالنبي باليهود بالعيسويه
ما يفوت العبيد وهو قريب حول نخل الإمام والكركيه
ثم إني سألت عن واقع الحا ل وتلك القضية المخفيه
فإذا أنتم كما قد ذكرنا لا وفا لا حيًّا ولا عصبية

(وقال من أرجوزته الطبية):

ومفردات من مركب اضبط أصولها والحب لا تفرط
أو معدنا والصمغ أو ما مثله فافعل بكل ما اقتضاه فعله
ما قيل في القانون من أفراده ولاحظ الطبيب في مراده
ثم إذا خص بماء أو شراب يحل فيه الصمغ نقعًا ويذاب
واحضر لديك عسلًا مصفًّى مثليه إن كان الدواء صيفا
وفي الشتا ثلاثة أمزج أحسنه مع ما نقعت فوق نار لينه
وبعد عقد ذر فوقه الدوا في الأرض واضربه لمزج واستوا
وارفعه في الفضة أو صينيّا ولا يكون ظرفها بليا
في غير منحل هناك يعرف إلا الزجاج طبعه يجفف

(فى عمل الأقراص):

وإن يكن أقراص أو حب أضف مسحوقها في الصمغ محلولًا وصف
إلا إذا كان بها الصبر فلا حاجة في الصمغ فخده بدلا
وحبب أو قرص مع المسح من ال أدهان من دهن مناسب حصل
ثم تجفف بالغًا في الظل مخافة التعفين بعد البل
فإن ذي الرطوبة الغريبه تعفن الشيء ولا عجيبه
قوة الأقراص تبقى أربعًا سنين لا غير بها قد قطعا

(في المطبوخ وعمله):

وإن يكن مطبوخ عدل وزنه ولين النار لتبدي حسنه
واطبخه حتى يتهرا واحذر من فيتمونهم أو إلا يكثر
كمثل ذا الطل غدا في وصفه ضف الدوا عليه ثم صفه
ونق أخشابًا لكل واغسل بما طبيخ أذخر واستأصل

(في السفوف):

وفي السفوف المزج بعد السحق وراع ما يعطى له من حق

(في التحميص):

وحمص القابض من بزر ولا تدق بزر قطنة فيقتلا
واحم لذاك خزفًا أو حجرًا وانزل وقلب فيه ذاك البزرا

(فى الدق والسحق):

وإن جمعت أهليلجات اسقها سمنًا وحمصه وثم دقها
وجود الغسل لكحل وانقه وسقه بالماء حال سحقه
وروقنه بعد ذا وبدل ماء وجفف في تمام العمل

إلى آخر ما قال، وله غير ذلك مدايح وقصايد وغزليات وتخميسات ومراسلات كلها غرر محشوة بالبلاغة، تدل على غزارة علمه وسعة إطلاعه، توفي بهذه السنة بالمدينة المنورة رحمه الله تعالى.

سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف/ ١٧٦٩م

فيها في المحرم أخرج علي بك عثمان أغا الوكيل من مصر منفيًّا إلى جهة، الشام، وكذلك أحمد أغا أغات الجوالي وأغات الضربخانة إلى جهة الروم، وكان أحمد أغا أغات الجوالي وأغات الضربخانة إلى جهة الروم، وكان أحمد أغا هذا رجلًا عظيمًا ذا غنية كبيرة وثروة زايدة، فصادره علي بك في ماله وأمره بالخروج من مصر، فأحضر المطر بازية والدلاين والتجار، وأخرج متاعه وذخايره وباعها بسوق المزاد بينهم، فبيع موجوده من أمتعة وثياب وجواهر وتحف وأسلحة وكتب وأشياء نفيسة وهو ينظر إليها ويتحسر، ثم سافر إلى جهة الإسكندرية.

(وفيها) توفي محمد باشا الذي كان بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطئ النيل، ولعله مات مسمومًا، ودفن بالقرافة الصغرى عند مدافن البشوات بالقرب من الإمام الشافعي.

ونزل الحج ودخل إلى مصر مع أمير الحاج خليل بك بلفيا في أمن وأمان، ووصل باشا من طريق البر وطلع الأمراء إلى العادلية لملاقاته، ونصبوا خيامهم ودخل بالموكب، وذلك في شهر صفر.

(وفيها) أخرج علي بك حسن بك رضوان وأتباعه إلى منية وصيف ثم نقل منها إلى المحلة الكبرى فأقام سنين، وفيها أرسل علي بك تجريدة إلى سويلم بن حبيب والهنادي بالبحيرة وباش التجريدة إسماعيل بك، وذلك أن ابن حبيب لما رحل من دجوة، وذهب إلى البحيرة وانضم إلى عرب الهنادي وكان المتولى على كشوفية البحيرة عبد الله بك تابع علي بك، فحاربوه وحاربهم حتى قتل عبد الله بك المذكور في المعركة ونهبوا متاعه ووطاقه، وكان أحمد بك بشناق الجزار لما خرج من مصر هاربًا بعد قتل صالح بك كما تقدم ذهب إلى الروم، فصادف هناك جماعة من الهربانين ومنهم يحيى السكري وعلي أغا المعمار وعلي بك الملط وغيرهم، وزيفوا بسبب المغرضين لعلي بك بدار السلطنة فنزلوا في

مركبين إلى درنه فوصلوها متفرقين، فالتي وصلت أولًا بها يحيى السكري وعلى المعمار والملط، فركبوا عندما وصلوا إلى درنه وذهبوا إلى الصعيد، ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها أحمد بك يشناق، فطلع إلى عند الهنادي فلما وصل إسماعيل بك ومن معه بالتجريدة، فتحاربوا مع الحبايبة والهنادي ومعهم أحمد بك بشناق الجزار ثلاثة أيام، وكان سويلم بن حبيب منعزلًا في خيمة صغيرة عند امرأة بدوية بعيدًا عن المعركة، فذهب بعض العرب وعرف الأمراء بمكانة فكبسوه وقتلوه، وقطعوا رأسه ورفعوها على رمح واشتهر ذلك، فارتفع الحرب من بين الفريقين وتفرق الهنادي وعرب الجزيرة والصوالحة وغيرهم، وراحت كسرة على الجميع ولم يقم لهم قايم من ذلك اليوم، وتغيب أحمد بك بشناق فلم يظهر إلا بعد مدة ببلاد الشام.

(وفيها) تقلد أيوب بك على منصب جرجا، وخرج مسافرًا ومعه عدة كبيرة من العساكر والأجناد، فوصلوا إلى قرب أسيوط فوردت الأخبار باجتماع الأمراء المنافي وتملكهم أسيوط وتحصنهم بها، وكان من أمرهم أنه لما ذهب محمد بك أبو الدهب إلى جهة قبلي لمنابذة شيخ العرب همام كما تقدم، وجرى بينهما الصلح على أن يكون لهمام من حدود برديس، وتم الأمر على ذلك ورجع محمد بك إلى مصر أرسل علي بك يقول له: إني أمضيت ذلك بشرط أن تطرد المصريين الذي عندك، ولا تبقى منهم أحدًا بدايرتك، فجمعهم وأخبرهم بذلك وقال لهم: «اذهبوا إلى أسيوط واملكوها قبل كل شيء، فإن فعلتم ذلك كان لكم بها قوة ومنعة وأنا أمدكم بعد ذلك بالمال والرجال»، فاستصوبوا رأيه وبادروا وذهبوا إلى أسيوط، وكان بها عبد الرحمن كاشف من طرف علي بك وذو الفقار كاشف، وقد كانوا حصنوا البلدة وجهاتها وبنوا كرانك والبوابة وركب عليها المدافع، فتحيل القوم ليلًا وزحفوا إلى البوابة، ومعهم انخاخ وأحطاب جعلوا فيها الكبريت والزيت وأشعلوها وأحرقوا الباب وهجموا على البلدة، فلم يكن له بهم طاقة لكثرتهم، وهم جماعة صالح بك وباقي القاسمية وجماعة الخشاب وجماعة الفلاح وجماعة مناو ويحيى السكري وسليمان الجلفي وحسن كاشف ترك وحسن بك أبو كرش ومحمد بك الماوردي وعبد الرحمان كاشف من خشداشين صالح بك وكان من الشجعان، ومحمد كتخدا الجلفي وعلي بك الملط تابع خليل بيك وجماعة كشكش وغيرهم، ومعهم كبار الهوارة وأهالي الصعيد فملكوا أسيوط وتحصنوا بها وهرب من كان فيها، ووردت الأخبار بذلك إلى علي بك فعين للسفر إبراهيم بك بلفيا ومحمد بك أبو شنب وعلي الطنطاوي ومن كل وجاق جماعة وعساكر ومغاربة، وأرسل إلى خليل بك

القاسمي المعروف بالأسيوطي، فأحضره من غزة وطلع هو وإبراهيم بك تابع محمد بك بعساكر أيضًا وعزل الباشا، وأنزله وحبسه ببيت إيواظ بك عند الزير المعلق، ثم سافر محمد بك أبو الذهب ورضوان بك وعدة من الأمراء والصناجق، وضم إليهم ما جمعه وجلبه من العساكر المختلفة الأجناس من دلاة ودروز ومتاولة وشوام وسافر الجميع برًّا وبحرًا حتى وصلوا إلى أيوب بك.

وهو يرسل خلفهم في كل يوم بالأمداد والجبخانات والذخيرة والبقسماط، وذهب الجميع إلى أن وصلوا قرب أسيوط ونصبوا عرضيهم عند جزيرة منقباط منقباد، وتحققوا وصول محمد بك ومن معه وفرحوا بذلك؛ لأنهم كانوا رأوا في زايرجاب الرمل سقوطه في المعركة، ثم أجمعوا رأيهم على أن يدهموهم آخر الليل فركبوا في ساعة معلومة، وسار بهم الدليل في طرق الجبل وقصدوا النزول من محل كذا على ناحية كذا من العرضي فتاه، وضل بهم الدليل حتى تجاوزوا المكان المقصود بنحو ساعتين، وأخذوا جهة العرضي فوجدوه قبيلتهم بذلك المقدار، وعلموا فوات القصد وأن القوم متى علموا حصولهم خلفهم ملكوا البلدة من غير مانع قبل رجوعهم من المكان الذي أتوا منه، فما وسعهم إلا الذهاب إليهم ومصادمتهم على أي وجه كان، فلم يصلوهم إلا بعد طلوع النهار، وتيقظ القوم واستعدوا لهم فالتطموا معهم وهم قليلون بالنسبة إليهم، ووقع الحرب واشتد الجلاد، وبذلوا جهدهم في الحرب، ويصرخ الكثير منهم بقوله: أين محمد بك؟ فبرز إليهم محمد بك أبو شنب وهو يقول: «أنا محمد بك» فقصدوه وقاتلوه، وقاتلهم حتى قتل، وسقط جواد يحيى السكري، فلم يزل يقاتل ويدافع حصة طويلة حتى تكاثروا عليه وقتلوه، وعبد الرحمن كاشف القاسمي يحارب بمدفع يضربه وهو على كتفه، وانجلت الحرب عن هزيمتهم ونصرة المصريين عليهم، وذلك عند جبانة أسيوط، فتشتتوا في الجهات وانضموا إلى كبار الهوارة، وملك المصريون أسيوط ودفنوا القتلى ومحمد بك أبو شنب، واغتم محمد بك أبو الدهب لموته وفرح لوقوع الزايرجة عليه ومفاداته له؛ لأنه كان يعلم ذلك أيضًا، وأقاموا بأسيوط أيامًا، ثم ارتحلوا إلى قبلي بقصد محاربة همام والهوارة، واجتمع كبار الهوارة مع من انضم إليهم من الأمراء المهزومين، فراسل محمد بك أبو الدهب إسماعيل أبو عبد الله وهو ابن عم همام واستماله ومناه وواعده برياسة بلاد الصعيد عوضًا عن شيخ العرب همام حتى ركن إلى قوله وصدق تمويهاته وتقاعس وتثبط عن القتال وخذل طوايفه، ولما بلغ شيخ العرب همام ما حصل ورأى فشل القوم خرج من فرشوط، وبعد عنها مسافة ثلاث أيام ومات مكمودًا مقهورًا. ووصل محمد

بك ومن معه إلى فرشوط، فلم يجدوا مانعًا فملكوها ونهبوها وأخذوا جميع ما كان بدواير همام وأقاربه وأتباعه من ذخاير وأموال وغلال، وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد الصعيد من ذلك التاريخ كأنها لم تكن، ورجع الأمراء إلى مصر ومحمد بك أبو الدهب وصحبته درويش ابن شيخ العرب همام، فإنه لما مات أبوه وانكسر ظهر القوم بموته وعلموا أنهم لا نجاح لهم بعده، أشاروا على ابنه بمقابلة محمد بك وانفصلوا عنه وتفرقوا في الجهات، فمنهم من ذهب إلى درنة ومنهم من ذهب إلى الروم ومنهم ذهب إلى الشام وقابل درويش بن همام محمد بك، وحضر صحبته إلى مصر وأسكنه في مكان بالرحبة المقابلة لبيته، وصار يركب ويذهب لزيارة المشاهد ويتفرج على مصر، ويتفرج عليه الناس ويعدون خلفه وأمامه لينظروا ذاته، وكان وجيهًا طويلًا أبيض اللون أسود اللحية جميل الصورة، ثم إن علي بك أعطاه بلاد فرشوط والوقف بشفاعة محمد بك، وذهب إلى وطنه فلم يحسن السير والتدبير، وأخذ أمره في الانحلال وحاله في الاضمحلال وأرسل من طالبه بالأموال والذخاير، فأخذوا ما وجدوه وحضر إلى مصر والتجأ إلى محمد بك فأكرمه وأنزله وبمنزل بجواره، فلم يزل مقيمًا به حتى خرج محمد بك من مصر مغاضبًا لأستاذه فلحق به وسافر إلى الصعيد.

وخلص الإقليم المصري بحري وقبلي إلى علي بك وأتباعه، فشرع في قتل المنافي الذين أخرجهم إلى البنادر، مثل: دمياط ورشيد والإسكندرية والمنصورة، فكان يرسل إليهم ويخنقهم واحدًا بعد واحد، فخنق علي كتخدا الخربطلي برشيد وحمزة بك تابع خليل بك بزفتا، وقتلوا معه سليمان أغا الوالي وإسماعيل بك أبا مدفع بالمنصورة وعثمان بك تابع خليل بك هرب إلى مركب البليك، فحماه وذهب إلى إسلامبول ومات هناك، ونفى أيضًا جماعة وأخرجهم من مصر وفيهم سليمان كتخدا المشهدي وإبراهيم أفندي جمليان.

ومات الباشا المنفصل بالبيت الذي نزل فيه ولحق بمن قبله.

(ومما) اتفق أن علي بك صلى الجمعة في أوايل شهر رمضان بجامع الداردية، فخطب الشيخ عبد ربه ودعا للسلطان ثم دعا لعلي بك، فلما انقضت الصلاة وقام علي بك يريد الانصراف أحضر الخطيب، وكان رجلًا من أهل العلم يغلب عليه البله والصلاح، فقال له: من أمرك بالدعاء باسمي على المنبر أقيل لك: إني سلطان؟ فقال: «نعم أنت سلطان وأنا أدعو لك»، فأظهر الغيظ وأمر بضربه فبطحوه وضربوه بالعصي، فقام بعد ذلك متألمًا من الضرب وركب حمارًا وذهب إلى داره وهو يقول في طريقه: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ»، ثم إن علي بك أرسل إليه في ثاني يوم بدراهم وكسوة استسمحه.

وأما من مات في هذه السنة من العلماء والأمراء

مات الإمام الولي الصالح المعتقد المجذوب العالم العامل الشيخ علي بن حجازي بن محمد البيومي الشافعي الخلوتي، ثم الأحمدي ولد تقريبًا سنة ثمان وماية وألف، حفظ القرآن في صغره وطلب العلم وحضر دروس الأشياخ وسمع الحديث والمسلسلات على عمر بن عبد السلام التطاوني، وتلقن الخلوتية من السيد حسين الدمرداشي العادلي وسلك بها مدة، ثم أخذ طريق الأحمدية عن جماعة ثم حصل له جذب ومالت إليه القلوب، وصار للناس فيه اعتقاد عظيم وانجذبت إليه الأرواح ومشى كثير من الخلق على طريقته وأذكاره، وصار له أتباع ومريدون، وكان يسكن الحسينية ويعقد حلقة للذكر في مسجد الظاهر خارج الحسينية، وكان يقيم به هو وجماعته لقربه من بيته، وكان ذا واردات وفيوضات وأحواله غريبة، وألف كتبًا عديدة منها شرح الجامع الصغير وشرح الحكم لابن عطاء الله السكندري وشرح الإنسان الكامل للجيلي، وله مؤلف في طريق القوم خصوصًا في طريق الخلوتية الدمرداشية، ألفه سنة أربع وأربعين وماية وألف، وشرح الأربعين النووية ورسالة في الحدود وشرح على الصيغة الأحمدية وعلى الصيغة المطلسمة، وله كلام عال في التصوف، وإذا تكلم أفصح في البيان، وأتى بما يبهر الأعيان، وكان يلبس قميصًا أبيض وطاقية بيضاء ويعتم عليها بقطعة شملة حمراء لا يزيد على ذلك شتاءً وصيفًا، وكان لا يخرج من بيته إلا في كل أسبوع مرة لزيارة المشهد الحسيني وهو على بغلة وأتباعه بين يديه وخلفه، يعلنون بالتوحيد والذكر، وربما جلس شهورًا لا يجتمع بأحد من الناس، وكان له كرامات ظاهرة، ولما عقد الذكر بالمشهد الحسيني في كل يوم ثلاثاء، ويأتي بجماعته على الصفة المذكورة ويذكرون في الصحن إلى الضحوه الكبرى إلى ما قبل الظهر، قامت عليه العلماء وأنكروا ما يحصل من التلوث في الجامع من أقدام جماعته، إذ غالبهم كانوا يأتون حفاة ويرفعون أصواتهم بالشدة، وكاد أن يتم لهم منعه بواسطة بعض الأمراء، فانبرى لهم الشيخ الشبراوي وكان شديد الحب في المجاذيب وانتصر له، وقال للباشا والأمرا: «هذا الرجل من كبار العلما والأوليا فلا ينبغى التعرض له»، وحينئذ أمره الشيخ بأن يعقد درسًا بالجامع الأزهر فقرأ في الطيبرسية الأربعين النووية، وحضره غالب العلماء وقرر لهم ما بهر عقولهم فسكتوا عنه وخمدت نار الفتنة.

ومن كلامه في آخر رسالة الخلوتية ما نصه: «فمن منن الله عليَّ وكرمه أني رأيت الشيخ دمرداش في السماء وقال لي: لا تخف في الدنيا ولا في الآخرة، وكنت أرى النبي ﷺ

في الخلوة في المولد، فقال لي في بعض السنين: لا تخف في الدنيا ولا في الآخرة، ورأيته يقول لأبي بكر رضي الله عنه: اسع بنا نطل على زاوية الشيخ دمرداش وجاءا حتى دخلا لي في الخلوة، ووقفا عندي وأنا أقول: «الله الله» وحصل لي في الخولة وهم في رؤية النبي ﷺ، فرأيت الشيخ الكبير يقول لي عند ضريحه: «مد يدك إلى النبي ﷺ فهو حاضر عندي».

ورأيت في خلوة الكردي يعني الشيخ شرف الدين المدفون بالحسينية بين اليقظة والنوم، وأنا جالس فانتبهت فرأيت النور قد ملأ المحل فخرجت منا هائمًا فحاشنى بعض من كان في المحل، فوقفت عند الشيخ ولم أقدر على العود إلى الخلوة من الهيبة إلى آخرة الليل، وتبسم في وجهي مرة وأعطاني خاتمًا، وقال لي: «والذي نفسي بيده في غد يظهر ما كان مني وما كان منك»، وأخذني الشيخ الكردي وأوصلني إلى مكة وأرانيها عيانًا، ودخلت على السيد أحمد البدوي وعنده النبي ﷺ، فحكم في وأنا أستغيث بالنبي ﷺ، وكان سبب ذلك التردد في نزولي مولده فأغاثني الله بعد ذلك ببركة النبي ﷺ وكان قبل ألبسني بيده الزي الأحمر مرتين مرة في بركة الحج، ومرة في مقامه داخل الضريح وقال: اذهب إلى الكردي».

قال: ورأيت نفسي مرة خارج المدينة وقلت: لا أدخل حتى أعلم رضاه عني والقبول، فأرسل لي إنسانًا بمروحة يروح بها عليَّ ويقول القبول حاصل، ورأيته يقول لي: أنا أحب محادثتك، وأوقفني بين يده وقال لي: «أتعترض على حكم الربوبية، فاستيقظت وأنا أجد أثر ذلك ولم أعرف السبب».

ورأيت بهامش تلك الرسالة ما صورته: ورأيته ﷺ في آخر رمضان ليله الإثنين سنة سبعة وخمسين وماية وألف في الطبقة التي بجانب الرواق، وهو مسرع في المشي فسعيت خلفه وقلت: «لا تفتني يا رسول الله»، فوقف في فضا واسع فأدركته ووقفت بجانبه وقلت: لمن كان حاضرًا «أنظر إلى لحيته الشريفة وعد ما فيها من الشعرات البيض».

(ومن كراماته) أنه كان يتوب العصاة من قطاع الطريق ويردهم عن حالهم فيصيرون مريدين له، وذا سمعته من الثقات، ومنهم من صار من السالكين، وكان تارة يربطهم بسلسلة عظيمة من حديد في عمدان مسجد الظاهر، وتارة بالطوق في رقبتهم يؤدبهم بما يقتضيه رأيه. وكان إذا ركب ساروا خلفه بالأسلحة والعصي، وكانت عليه مهابة الملوك وإذا ورد المشهد الحسيني يغلبه الوجد في الذكر حتى يصير كالوحش يرى وجهه تارة كالوحش، وتارة كالعجل وتارة كالغزال.

ولما كان بمصر مصطفى باشا مال إليه واعتقد وزاره، فقال له: «إنك ستطلب إلى الصدارة في الوقت الفلاني»، فكان كما قال له الشيخ، فلما ولي الصدارة بعث إلى مصر

وبنى له المسجد المعروف به بالحسينية وسبيلًا وكتابًا وقبة، وبداخلها مدفن للشيخ على يد الأمير عثمان أغا وكيل دار السعادة، ولما مات خرجوا بجنازته وصُلي عليه بالأزهر في مشهد عظيم ودفن بالقبر الذي بني له بداخل القبة بالمسجد المذكور.

ومات علامة وقته وأوانه الآخذ من كميت البلاغة بعنانه الولي الصوفي، من صفا فصوفي، الشيخ حسن الشيبيني ثم الفوي، رحل من بلدته فوة إلى الجامع الأزهر فطلب العلم وأخذ عن الشيخ الديربي فجعله ممليًا عليه في الدرس فقيل له في ذلك فقال: هذا عالم ما جاء من بلده حتى قرأ الأشموني والمختصر ونحو ذلك»، وأخبر عن نفسه أنه كان ملازمًا لولي من أوليا الله تعالى، فحين تعلقت نفسه بالمجي إلى الجامع الأزهر توجه مع هذا الولي لزيارة ثغر دمياط، فنام إلى جانبه ليلة فرآه في النوم وقد سقاه لبنًا من إبريق وقال له: «هذا علم النحو وهو أصعب العلوم في الأزهر» قال: ثم انتبهت فقلت له: «يا مولانا الشيخ رأيت كذا وكذا»، فقال لي على الفور: «اسكت أضغاث أحلام»؛ لأن الولي المذكور كان من الملامتية لا يحب أن يظهر لنفسه حالًا، ثم إنه جاور عقيب ذلك. فحين اشتغل بهذا العلم فتح الله عليه في أقرب مدة، ثم اشتغل بالفقه وغيره من أصول ومنطق ومعان وبيان وتفسير وحديث وغير ذلك، حتى فاق على أقرانه وصار علامة زمانه، ثم أخذ عن الشيخ الحفني الطريق، وتلقن الأسماء وسار على حسب سلوكه وسيره وألبسه التاج وأجازه بأخذ العهود والتلقين والتسليك، وصار خليفة محضًا فأدار مجالس الأذكار، ودعا الناس إليها في ساير الأقطار، وفتح الله عليه باب العرفان، حتى صار ينطق بأسرار القرآن ويتكلم في الحقايق، نقل عن الشيخ الحفني أنه ورد عليه منه مكتوب فقال: «الحمد لله الذي في أتباعنا من هو كمحيي الدين بن العربى»، وسمع منه أيضًا أنه يقول في حقه: «الشيخ حسن الشبيني هذا أكبر، أعطاه الله قوة في معرفة أهل العرفان، وأنه أعلم مني بهذا الفن وإذا تكلمت معه فيه، فإنما هي مشاركة وإلا فأنا لا أفهم كفهمه». وناهيك بهذه الشهادة. توفي رحمه الله تعالى في هذه السنة، وخلف ولده السيد أحمد موجود في الأحياء بارك الله فيه، وممن أخذ عنه صاحبنا العمدة العالمة الصالح السيد علي المعروف بزبارة الرشيدي وهو خليفة الخلوتية الآن بثغر رشيد نفع الله به.

ومات الجناب المبجل الفريد الكاتب الماهر المنشئ البليغ المجيد/محمد أفندي ابن إسماعيل السكندري العارف بالألسنة الثلاثة العربية والفارسية والتركية، وكان لديه محاورات ولطايف أدبية، وميل شديد إلى علم اللغة، وبحث عن الأدوات المتعلقة به،

ورسايله في الألسن الثلاثة غايه في الفصاحة مع حسن خط ووفور حظ ومهابة عند الأمراء وقبول عند الخواص، ووالده كان إسرائيليًّا فأسلم وحسن إسلامه، وتولى مناصب جليلة بالثغر، وله هناك شهرة فولد هذا هناك وهدبه وأدبه حتى صار إلى ما صار، واستقر بمصر وما زالت له أملاك هناك وقرابة، رأيته يأتي لزيارة الشيخ الوالد وقد اكتهل وتناهى في السن، وأبقى الدهر في زواياه خبايا مستحسنة، ورأيت بخط يده كتاب بهارستان، لمولانا جامي قد أحسن كتابته وأتقن في سياقه، ومجموعًا فيه النوادر من أشعار الألسن الثلاثة، وبالجملة لم يكن في عصره من يدانيه في الفنون التي كان تجمل بها، وقد ذكره، الأديب الشيخ عبد الله الإدكاوي في بضاعة الأريب وأثنى على محاسنه، وكانت بينهما ألفة تامة ومصافاة ومصادقة ومحاورات أدبية، قال فيه: وكتبت لحضرة أخينا المولى الأكرم محمد أفندي ابن المرحوم إسماعيل أغا السكندري رحم الله والده، وأدام لنا فوائده وعوائده، كتاب الفتح القدسي تأليف العماد الكاتب وكتبت بعد إتمامه وحسن ختامه ما نصه:

قد يسر الله سبحانه إتمام هذا الكاتب بل العجب العجاب، بل الروض المستطاب، فكم فيه من فضل ينبي عن فضل، ومن نوع بديع يحمل نور ربيع إلى آخر ما أطال في مدحه إلى أن قال: «وقد كتبته برسم الماجد الكامل والهمام الفاضل ملاذ الأفاضل، ومعاذ الأماثل، ومحل الفواضل ومحط الفضايل، أوحد أهل العصر للإنشاء صياغة، وأبرعهم بالألسن الثلاثة براعة وبلاغة، حتى كأنه المعنى بقول من قال وأحسن في المقال:

إن هز أقلامه يومًا ليعملها أنساك كل كمي هز عامله
وإن أقر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الأنام له

وهو الآن بمصرنا، أوحد المنشئين بمصرنا، فلا أحد في فنه يماثله، ولا يضاهيه ولا يشاكله، ولا يستطيع يساجله أو يناضله، فلو رأى ما يخبره منشئ هذا الكتاب العماد، لقال: والله هذا الذي عليه الاعتماد، وسلم له القياد، وأذعن لبلاغته وانقاد، ولو أدركه الشيرازيان سعدى وحافظ، لاقتفى كل منهما ما هو به لافظ، ولو سمع بديع إنشائه النامي، الملآ جامي، لقال: ههنا جل مرامي، وأصابة المراي، ولو رام ويس مضاهاة غرره ومحاكاة درره لقيل له: يا ويس ويسك لقد أتعبت نفسك، وكددت وأوهنت حدسك، ولوقفا زركشي أثره لا ستحسن الأفاضل نظمه ونثره، ولو عاصره نفعي، قال: لقد رق بلطايفه طبعي، ولو طلب النابي مجارته لنبا عن مباراته، وأذعن لبراعاته، وبديع

عباراته، من هو أخي وصديقي، وعلى الحقيقة هو أشفق من شقيقي، فكم له على من أياد لا أقدر أعددها ولا أحصررها فأسردها، المولى الأمجد، الأكمل الأوحد، من هو كل وصف جميل حرى، حضرة محمد أفندي الإسكندري، فهو الآن أوحد الكتاب، والآتي في صناعة الإنشاء بالعجب العجاب، والمعظم عند أرباب الدولة الكرام، والمخصوص بينهم بالتبجيل والإعظام، والمعول عليه دون ساير الكتاب، والمنظور إليه لسعة دايرته في الآداب، ثم أتبعه بنظم فقال:

فعلت أعين الظباء السواجي
بفؤادي فعل العدو المداجي
قلت كفى كفى فقالت أقالتك شراكي فسر لربك ناجي
قلت إني لي النجاة وإني
بك أصبحت موثق الأوداج
يا عيونا أسرن لبي وأسهر
ن جفوني من هدبها في دياجي
بفتور فيكن بالقتل والفتك غدا في القتال نامي الهياج
وفنون به الخلي لقد زا
د افتتانًا وكان صلد المزاج
ولحاظ أمضى فعالًا وأقضى
في الورى من صوارم الحجَّاج
هل سبيل إلى الوصول إلى مو
لاك أو منحة إلى محتاج
قلن نرجو معًا ونمنح مانر
جوه فاقصد بالمدح كهف الراجي
هو نامي العلا محمد المحمود فعلًا بدا كضوء السراج
وهو في فرد الزمان نثرًا ونظمًا
ما قريض الكميت والعجاج
وهو في الخط أوحد فإذا مد
يراعًا في صفحة الأرياج

جــــاءك الـــــروض مـــثـــمـــرًا ولـــديـــه
كــل حــرف مــثــل الــهــزار يــنــاجــي
والمعاني التي تعز عن الغير ابتكارًا عفوًا بغير علاج
ذو السنا والسناء والراحة الطلقة بالجود كالحيا الثجاج
حــــفــــظ الـــلـــه ذاتـــه وعـــلاه
ووقـــاه شــــرور كــــل مـــنـــاجـــي
ســيــدي قــد خــدمــت بــالــفــتــح عــلــيــا
ك وتــنــمــيــقــه فــســرى انــزعــاجــي
فــتــنــزهــه فـــي روضـــه دمـــت مـــولـــى
هـــو لـــي عـــدة إذا عـــز حـــاجـــي
هـــو نـــعـــم الـــكـــتـــاب كـــم فـــقـــرة
فـــيـــه لـــهـــا رونـــق كـــدرة تـــاج
كـــيـــف لا والـــعـــمـــاد مـــنـــشـــيـــه قـــد كـــا
ن لــه الــقــصــد مــن جــمــيــع الــفــجــاج
قـــد صـــفـــا خـــاطـــري بـــمـــا قـــد حـــواه
مـــــن بـــــديـــــع الإنـــــشـــــاء والإزدواج
وذكـــا مـــنـــطـــقـــي فـــرحـــت أؤرخ
فــيــح فــتــح الــعــمــاد زاد ابــتــهــاجــي

(وأهدى) إليه الشيخ عبد الله الإدكاوي رحمهما الله رسالة تصحيفية، وسماها بالمقامة السكندرية، أشار فيها بقوله: «وفيها خل جل شأنه ببيانه» إلى المترجم، والمقامة هذه ومن خطة نقلت: حدثنا خدننا حديثًا جذبنا بحسنه تحسبه للطافته كل طايفة أنه آية قال قال: أمني أمنت حين جيت سكندرية سكن دربه غيم غنم أنسي أنست فيه فئة علت غلت آدابهم، إذا بهم أخلاء أجلاء حكماء حلماء يحلو بحلو بلاغتهم تلاعبهم صفا ضفا سايع سايغ وقتهم، وفيهم خل جل شأنه ببيانه، مهذب مهدب ظرف طرف آدابه أداته عذب غدت تذيع بديع صفائه صفاته، يجلب بحلى مزحه مرحه، فمازجني فما رخيت عنان عيان ناظري بأطرب منه منة وفاه وقاه خلاتي خلاني، وقال: وقاك واجب وأحب لإجلالك لاخلالك ريع أني أبث لك كل بشر يسر للقايك كلفًا بك تيمن بيمن جبين حبيب غرير عزيز بديع يذيع سرى بنيري، جبينيه جننت به سباني شباني بجفن يخفي

سحره بت سهران شهران، أهيف أهتف باسمه باسمه أيامه، أن أمه أحد أخذ بلحظ يلحظ بعين تعين بهدبها تهديها لمبتلي، لم ينكث عقده عقده قانص، قابض يبخل بنحل شهدة شهده.

قاتل فاتك أعز أغر　　حسنه جيشه كثير كبير
ساحر ساخر تجنب يجني　　شايق سايق منير مبير
حبه جنة يحلي بحلي　　لينه ليته ببشر يشير
ماثل مايل يجور بجور　　تايه نابه بزور يزور
نشره بشره بهاه نهاه　　سيره سيرة يجبر يجير
رايق راتق قلاني فكانت　　منيتي ميتتي بحور تجور

جاير جايز. حبه حبة. قلبي قليت. عدوه غدوة. شنع يبتغ. معانية معايبه. مشرق مشرف. نزق ترف. تعرقه بعرفه. أوحد أوجد. بسر بشر. جناني حياتي. تلفظه بلفظة. تحيي نحبي. يجيب نجيب. نجني بجني. تفاح نفاح نسم يشم عبيره عنبرة. عربي عزني. غريب عريب. حسنه حسبه. ذاك زال. بلبي بليت. بصدوده بضد وده عاملني عامل. بت استخبره. آس تجبره. على غلب. فكرتي فكري ينمو بنمو بعده بعده. فليت قلبي. بعده بعدة نورده بوردة. مخبأة محياه. لكنه لليه. مطلبي مطلني. ثم نم بوجدي توحدي. وبعدي وتعدي. حسن حبيبي. الحد الحد جسمي حين نمي. همي همت. حين خيب ظني ظبي. راتع رائع. رائغ زائغ. حسني حبشي اللون الكون. يشهد بشهد ثغره. بغرة قمرية قمرته. بلا لاء بها بلاء؛ لأنها تحبس بحسن ضيائها صبابها. نيرة تنزه فتي فني في فيء مغانيها. تزهو بزهو. ظبيها طيبها. فايح قانح. نحوها يحوها ترى ثرى. يطيب بطيب. رياه رباه يجلو بحلو. مرآه مرآة. قلبك فلتك. من. من. عشقه عشقة. عذرية عذرته. حين. جبن. عن غي. حمل جمل. الآثام. الأنام. وقبل أن يقدمها له كتب بظاهرها ما نصه: طرفة ظرفت وهديت هديت لمحمد كم. حمد. خلقة. خلفه. ماجد. ماحد منطقه منطقة. نجوم تحوم حول حوك. يراعته براعته. يبدي بيدي بنانه بيانه. لبيب كتبت برسمه برسمة حالته. جالبة لك كل خير. خير جبر. كسرى كسرت. على علي. محلة مجلة. مدحتى مذ حبب إلى آلت إلي. إغذاذ إعداد. محاسنه مجانيته معاليه مغالبة. وقتي وقيت. عن غب. ذائه ذاته بمن يمن. الحليم الحكيم.

فلما قدمها إليه قلبها وقبلها وأجازها بما جملتها. ثم قرظ عليها من جنسها تقريظًا بديعًا، ملأه بيانًا وبديعًا (وهذا نصه) ...

هذه عروس حسن جليت على منصة البراعة، افتضها فارس اليراعة أتحفني بها المولى الوحيد في فنه، والبليغ الذي تكبو جياد هذه الصناعة من حدة ذهنه، من هو لمحاسن البلاغة مالك وحاوي، مولانا الشيخ عبد الله الإدكاوي، فتلقيتها بالراحتين، وفديتها وعوذتها من العين بكل عين، وتطفلت على تقريظها بنوع من فنها فقلت: وإن لم أبلغ مراقي حسنها، تحف تحف بحق لدى لذت بحسنها تحسبها لجودتها كخود بها جلاها حلاها، وسوغها وشوعها بحلى تجلت بغير تغير، صيغه صنعة، ترام برام يعيبها، يعي بها صنفها صنعها فاضل فاصل أريب، أربت بلاغاته بلا غاية، تنور بنور تأدية ناديه، بقيت تفتن معاينة معانيه.

وقد كتب عليها جملة من أفاضل العصر كما تقدم بعض ذلك في تراجمهم، وبالجملة فإن المترجم كان أوحد عصره ووحيد مصره لم يدانيه في مجموعة الفضايل أحد، ولم يزل حميد المسعى جميل السيرة بهيًّا وقورًا مهيبًا عند الأمرا والوزرا، حتى وافاه الحمام في يوم الجمعة حادي عشر المحرم من السنة.

ومات الأستاذ العارف سيدي علي بن العربي بن علي بن العربي الفارسي المصري الشهير بالسقاط، ولد بفاس وقرأ على والده، وعلى العلامة محمد بن أحمد بن العربي بن الحاج الفاسي، سمع منه الأحياء جميعًا بقراءة ولد عمه النبيه الكاتب أبي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن علي السقاط، وعلى ولده أبي العباس أحمد بن محمد العربي بن الحاج، وعلى سيدي محمد بن عبد السلام البناني، كتب العربية والمعقول والبيان، ولما ورد مصر حاجًّا لازمه فقرأ عليه لفظه من الصحيح إلى الزكاة والشمايل بطرفيه بالجامع الأزهر، وكثيرًا من المسلسلات والكتب التي تضمنتها فهرست ابن غازي، قراءة بحث وتفهيم، وأجازه حينئذ بأواسط جمادى الثانية سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، وجاور بمكة فسمع على البصري الصحيح كاملًا ومسلمًا بفوت، وجميع الموطأ رواية يحيى بن يحيى، وذلك خلف المقام المالكي عند باب إبراهيم وأجازه، وعلى النخلي أوايل الكتب الستة وأجازه، وعاد إلى مصر فقرأ على الشيخ إبراهيم الفيومي أوايل البخاري، وعلى أحمد بن أحمد الغرقاوي وأجازه، وعلى عمر بن عبد السلام التطاوني جميع

الصحيح وقطعة من البيضاوي بجامع الغوري سنة ست وثلاثين وماية وألف، وجميع المنح البادية في الأسانيد العالية، وأضافه على الأسودين وشابكه وصافحه وناوله السبحة وأجازه بساير المسلسلات، وعلى محمد القسطنطيني رسالة ابن أبي زيد برواق المغاربة، وعلى محمد بن زكري شرحه على الحكم بجامع الغوري؛ وعلى سيدي محمد الزرقاني كتاب الموطأ من باب العتق إلى آخره وأجازه به يوم ختمه، وذلك ثامن شعبان سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، وروى حديث الرحمة عن سيدي السيد مصطفى البكري في سنة ستين وماية وألف، وأجازه ابن الميت في العموم، واجتمع به شيخنا السيد مرتضى في منزل السيد على المقدسي، وكان قد أتى إليه لمقابلة المنح البادية على نسخته وشاركهما في المقابلة، وأحبه وباسطه وشافهه بالأجازه العامة وكان إنسانًا مستأنسًا بالوحدة منجمعًا عن الناس للانفراد غامضًا مخفيًّا، ولا زال كذلك حتى توفي في أواخر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وماية وألف، ودفن بالزواية بالقرب من الفحامين.

ومات الجناب الأجل والكهف الأظل الجليل المعظم، والملاذ المفخم، الأصيلي الملكي ملجأ الفقرا والأمرا ومحط رحال الفضلا والكبرا شيخ العرب الأمير شرف الدولة همام بن يوسف بن أحمد بن محمد بن همام بن صبيح بن سيبيه الهواري، عظيم بلاد الصعيد، ومن كان خيره وبره يعم القريب والبعيد، وقد جمع فيه من الكمال ما ليس فيه لغيره مثال، تنزل بحرم سعادته قوافل الأسفار، وتلقى عنده عصى التسيار، وأخباره غنية عن البيان، مسطرة في صحف الإمكان، منها أنه إذا نزل بساحته الوفود والضيفان تلقاهم الخدم، وأنزلوهم في أماكن معدة لأمثالهم وأحضروا لهم الاحتياجات واللوازم من السكر وشمع العسل والأواني وغير ذلك، ثم مرتب الأطعمة في الغذا والعشا والفطور في الصباح والمربيات والحلوى مدة إقامتهم لمن يعرف ومن لا يعرف، فإن أقاموا على ذلك شهورًا لا يختل نظامهم ولا ينقص راتبهم، وإلا قضوا أشغالهم على أتم مرادهم وزادهم إكرامًا وانصرفوا شاكرين، وإن كان الوافد ممن يرتجي البر والإحسان أكرمه وأعطاه، وبلغه أضعاف ما يترجاه، ومن الناس من كان يذهب إليه في كل سنة ويرجع بكفاية عامه وهذا شأنه في كل من كان من الناس، وأما إذا كان الوافد عليه من أهل الفضايل أو ذوي البيوت قابله بمزيد الاحترام، وحياه بجزيل الإنعام، وكان ينعم بالجواري والعبيد والسكر والغلال والتمر والسمن والعسل، وإذا ورد عليه إنسان ورآه مرة وغاب عنه سنين ثم نظره وخاطبه عرفه وتذكره، ولا ينساه، وحاله فيما ذكر من الضيفان. والوافدين والمسترفدين أمر مستمر على الدوام لا ينقطع أبدًا، وكان الفراشون والخدم يهيئون أمر

الفطور من طلوع الفجر فلا يفرغون من ذلك إلا صحوة النهار، ثم يشرعون في أمر الغدا من الضحوة الكبرى إلى قريب العصر، ثم يبتدون في أمر العشا فلا يفرغون من ذلك إلا بعد العشا وهكذا، وعنده من الجواري والسراري والمماليك والعبيد شيء كثير، ويطلب في كل سنة دفتر الإرقاء ويسأل عن مقدار من مات منهم فإن وجده خمسماية أو أربعماية استبشر، وانشرح وإن وجده ثلثماية أو أقل أو نحو ذلك اغتم وانقبض خاطره، ورأى أن ربنا كانت في أعظم من ذلك، وكان له برسم زراعة قصب السكر وشركه فقط اثنا عشر ألف ثور، وهذا بخلاف المعد للحرث ودراس الغلال والسواقي والطواحين والجواميس والأبقار الحلابة وغير ذلك، وأما شون الغلال وحواصل السكر والتمر بأنواعه والعجوة شيء لا يعد ولا يحد وكان الإنسان الغريب إذ رأى شون الغلال من البعد ظنها مزارع مرتفعة لطول مكث الغلال وكثرتها، فينزل عليها ماء المطر ويختلط بالتراب فتنبت وتصير خضراء كأنها مزرعة وكان عنده الأجناد والقرانصه وأكثرهم من بقايا القاسمية انضموا إليه وانتسبوا له، وهم عدة وافرة وتزوجوا وتوالدوا وتخلقوا بأخلاق تلك البلاد ولغاتهم، وله دواوين وعدة كتبة من الأقباط والمستوفيين والمحاسبين لا يبطل شغلهم ولا حسابهم ولا كتابتهم ليلًا ونهارًا، ويجلس معهم حصة من الليل إلى الثلث الأخير بمجلسه الداخل يحاسب ويملي ويأمر بكتابة مراسيم ومكاتبات لا يعزب عن فكره شيء قل ولا جل، ثم يدخل إلى الحريم فينام حصة لطيفة ثم يقوم إلى الصلاة، وإذا جلس مجلسًا عامًّا وضع بجانبه فنجانًا فيه قطنة وماء ورد، فإذا قرب منه بعض الأجلاف وتحادثوا معه وانصرفوا مسح بتلك القطنة عينيه وشمها بأنفه حذار من رائحتهم وصنانهم، وكان له صلات وإغداقات وغلال يرسلها للعملاء وأرباب المظاهر بمصر في كل سنة، وكان ظلًّا ظليلًا بأرض مصر، ولما ارتحل لزيارته شيخنا السيد محمد مرتضى وعرف فضله أكرمه إكرامًا كثيرًا وأنعم عليه بغلال وسكر وجوار وعبيد، وكذلك كان فعله مع أمثاله من أهل العلم والمزايا، ولم يزل هذا شأنه حتى ظهر أمر علي بك وحصل ما تقدم شرحه من وقايعه مع خشداشينه، وذهابه إلى الصعيد وصلحه مع صالح بك وانضمامه إليه، وكان المترجم صديقًا لصالح بك وعشيرته، فأمدهما بالمال والرجال مرعاة لسعي صالح بك حتى تم لهما الأمر وغدر علي بك بصالح بك وخرجت رجاله وأتباعه إلى الصعيد، وأعلموه بما أوقعه بهم فاغتم على فقد صالح بك غمًّا شديدًا وحمله ذلك على أن أشار عليهم بذهابهم إلى أسيوط وتملكهم إياها فإنها باب الصعيد، فذهبوا إليها مع جملة المنافي من مصر والمطرودين كما تقدم وأمدهم شيخ العرب المترجم حتى ملكوها،

وأخرجوا من كان بها واستوحش منه علي بك بسبب ذلك وتابع إرسال التجاريد وقدر الله بخذلان القبالي ورجوعهم إلى قبلي على تلك الصورة، فعند ذلك علم همام أنه لم يبق مطلوبًا لهم سواه وخصوصًا مع ما وقع من فشل كبار الهوارة وأقاربه ونفاقهم عليه، فلم يسعه إلا الارتحال من فرشوط وتركها بما فيها من الخيرات وذهب إلى جهة إسنا، فمات في ثامن شعبان من السنة ودفن في بلدة تسمى قمولة فقضي عليه بها رحمه الله، وخلف من الأولاد الذكور ثلاثة وهم درويش وشاهين وعبد الكريم، ولما مات انكسرت نفوس الأمراء، ثم إن أكابر الهوارة قدموا ابنه درويشًا لكونه أكبر إخوته، وأشاروا عليه بمقابلة محمد بك ففعل، وأما الأمرا فمنهم من أخذ أمانًا من محمد بك وقابله وانضم إليه، ومنهم من ذهب إلى ناحية درنة ونزل البحر وسافر إلى الشام والروم، ومنهم من انزوى إلى الهوارة بالصعيد، وحضر درويش صحبة محمد بك إلى مصر وقابل علي بك وأعطاه بلاد فرشوط ورجع مكرمًا إلى بلاده فلم يحسن السير ولم يفلح، وأول ما بدأ في أحكامه أنه صار يقبض على خدم أبيه وأتباعه، ويعاقبهم ويسلب أموالهم وقبض على رجل يسمى زعيتر وكيل البصل المرتب لمطابخ أبيه، فأخذ منه أموالًا عظيمة في عدة أيام على مرار، أخذ منه في دفعة من الدفعات من جنس الذهب البندقي أربعين ألفًا وكذلك من يصنع البرد للجواري السود والعبيد، وذلك خلاف وكلا الغلال والأقصاب والسكر والسمن والعسل والتمر والشمع والزيت والبن والشركا في المزارع، ووصلت أخباره بذلك إلى علي بك فعين عليه أحمد كتخدا، وسافر إليه بعدة من الأجناد والمماليك وطالبه بالأموال حتى قبض منه مقادير عظيمة، ورجع بها إلى مخدومه واقتدى به بعد ذلك محمد بك في أيام إمارته، وأخذ منه جملة وكذلك أتباعه من بعده حتى أخرجوا ما في دورهم من المتاع والأواني والنحاس قناطير مقنطرة، ثم تتبعوا الحفر لأجل استخراج الخبايا حتى هدموا الدور والمجالس ونبشوها وأخربوها. وحضر درويش المذكور. بآخرة إلى مصر جاليًا عن وطنه ولم يزل بها حتى مات كآحاد الناس، واستمر شاهين وعبد الكريم يزرعان بأرض الوقف أسوة المزارعين ويتعيشون حتى ماتا، فأما شاهين فقتله مراد بك في سنة أربع عشرة ومايتين وألف أيام الفرنسيس لأمور نقمها عليه، وخلف ولدًا يدعى محمدًا، وأما عبد الكريم فإنه مات على فراشه قريبًا من ذلك التاريخ وترك ولدًا يدعى همامًا دون البلوغ يوصف وبالنجابة حسبما نقل إلينا من السفار، وكاتبني وكاتبته في بعض المقتضيات، ورأيت ابن عمه محمدًا المذكور حين أتى إلى مصر بعد ذهاب الفرنسيس وتردد عندي مرارًا، وسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ومات الجناب الكبير والمقدام الشهير من سرت بذكره الركبان، وطار صيته بكل ما كان، الفارس الضرغام النجيب، شيخ العرب سويلم بن حبيب، من أكابر عظماء مشايخ العرب بالقليوبية ومسكنهم دجوة على شاطئ البحر النيل، وهو كبير نصف سعد مثل أبيه حبيب بن أحمد، وليس لهم أصل مذكور في قبايل العرب، وإنما اشتهروا بالفروسية والشجاعة، وحبيب هذا أصله من شطب قرية قريبة من أسيوط، ولما مات حبيب خلف ولديه سالمًا وسويلمًا، وكان سالم أكبر من أخيه وهو الذي تولى الرياسة بعد أبيه واشتهر بالفروسية وعظم أمره وطار صيته، وكثرت جنوده وفرسانه ورجاله وخيوله، وأطاعته جميع المقادم وكبار القبايل ونفذت كلمته فيهم، وعظمت صولته عليهم وامتثلوا أمره ونهيه ولا يفعلون شيئًا بدون إشارته ومشورته، وصار له خفارة البرين الشرقي والغربي من ابتداء بولاق إلى رشيد ودمياط، وكان هو وفرسه مقومًا على انفراده بألف خيال، وكان ظهور حبيب هذا في أوايل القرن، واتفق له ولابنه سالم هذا وقايع وأمور مع إسماعيل بك إيواظ وغيره لا بأس بذكر بعضها في ترجمته، منها أن في سنة خمس وعشرين وماية وألف أرسل حبب ولده سالمًا إلى خيول الأمير إسماعيل بك ابن إيواظ، وهجم عليها بالمربع وجم معارفها وأذنابها، وتركها وذهب ولم يأخذ منها شيئًا وذلك بإغراء بعض الناس مثل قيطاس بك وخلافه، وكانت الخيول بالغيط جهة القليوبية، وحضر أمير أخور وأخبر مخدومه فاغتاظ لذلك وعزم على الركوب عليه، فلاطفه يوسف بك الجزار حتى سكن غيظه ثم أحضر حسنًا أبا دفية زعيم مصر سابقًا من القاسمية مشهور بالشجاعة وجعلوه قايممقام الأمانة، فسافر بجبخانة ومدفعين وصحبته طوايف ورجال، وأمره بأن يطلب شرحبيب وإن قدر على قتله فليفعل، وكتب مكاتبات للنواحي بأن يكونوا مطيعين للمذكور فلم يزل حتى نزل في غيط برسيم عند ساقية خراب، وعمل هناك متراسًا ووضع المدفعين وغطاهما بلباد وأقام رصد خيالة بالطرق، وإذا بسالم بن حبيب ركب في عبيده ورجاله متوجهين إلى الجزيرة، فنزل بطريقة بغيط الأوسية فحضر الخيالة الرصد إلى الأمير حسن أبي دفية وأخبروه، فركب برجاله وأبقى عند المدافع عشرة من السجمانية وأوصاهم بأنهم إذا انهزموا من القوم، فإنهم يرمون بالمدفعين سواء ففعلوا ذلك ما لاقاهم ورمى منهم رجالًا، ووقع منهم أيضًا عند رمي المدافع والرصاص ثلاثة عشر خيالًا، وأخذوا منهم نحو ستى قلايع ورجع سالم بن حبيب بمن بقي من طايفته إلى أبيه وعرفه بما وقع له مع الأمير حسن أبي دفية، فأرسل إلى عرب الجزيرة، فأحضر منهم فرسانًا كثيرة وكذلك من إقليم المنوفية، وركب الجميع

قاصدين مناوشته، ووصلته أخبار ذلك فركب بمن معه وفعل كالأول، وركب مبحرًا وانعطف عليهم وحاربهم فرمى منهم فرسانًا، فانهزموا أمامه فوقف مكانه فرجعت عليه العرب والعبيد، فانهزم أمامهم فرمحوا خلفه طمعًا منهم حتى وصل المدافع، فرموا بهم وأتبعوهم بطلق الرصاص فولوا هاربين، وسقط من عرب الجزيرة وغيرها عدة فرسان، وأخذوا منهم خيولًا وسلاحًا، وحضرت نساؤهم ورفعوا القتلى ورجع سالم إلى أبيه وعرفه بما جرى عليهم من حرقهم، وقتل فرسانهم فأرسل حبيب إلى قيطاس بك يقول له: إنك أغريتنا بابن إيواظ وتولد من ذلك أنه وجه علينا قايممقامه وحرقنا بالنار وقتل منا أجاويد، فأرسل إليه مكاتبة خطابًا للقصاصين بمعاونته ومساعدته، فحضر إليه منهم عدة فرسان ضاربي نار وجمع إليه عربان الجزيرة وخيالة كثيرة من المنوفية، وركب حبيب وأولاده وجموعه إلى جسر الناحية، ونزل هناك وأرسل أولاده بخيول يطلبون شر أبي دفية وإذا ركب عليهم انهزموا أمامه حتى يصلوا إلى محل رباطهم بالجسر، ففعلوا ذلك إلى أن وصلوا إلى الجسر فضربت القناصة بنادقهم طلقًا واحدًا، فرموا نحو ثلاثين جنديًّا من الكبار، والذي ما أصيب في بدنه أصيب حصانه وردت عليهم الخيول، وانهزم الأمير حسن أبو دفية بمن بقي معه إلى دار الأوسية، فأخذت العرب الخيول الشاردة وغزوا الغز ورموعم في مقطع من الجسر، وأرسل العبيد أتوا بالجراريف وجرفوا عليهم التراب من غير غسل ولا تكفين، ورجع إلى بلده وخلص ثأره وزيادة، وحضرت الأجناد إلى مصر، وأخبروا الصنجق بما وقع لهم مع حبيب وأولاده، فعزل الأمير حسن أبا دفية من قايممقامية وولى خلافه، وأخذ فرمانًا بضرب حبيب وأولاده، وركب عليهم من البر والبحر. ووصلت النذيرة إلى حبيب، فرمى مدافع أبي دفية في البحر ووضع النحاس في أشناف وألقاها أيضًا في البحر، وقيل: إن حبيب قبل هذه الواقعة بأيام أحضر ستة قناديل وعمرها بعدما عاير فتايلها ووزنها بالميزان عيارًا واحدًا، وكتب على كل قنديل باسمه واسم أخيه وأولاده واسم ابن إيواظ وأسرجها دفعة واحدة، فانطفأ الذي باسمه واسم أخيه وأولاده واسم ابن إيواظ، وأسرجها دفعة واحدة فانطفأ الذي باسمه أولًا، ثم انطفأ قنديل ابن إيواظ ثم قناديل أخيه وأولاده شيئًا بعد شيء، فقال: أنا أموت في دولة ابن إيواظ. ولما وصل إليه الخبر بحركة ابن إيواظ وركوبه عليه، فركب بأخيه وأولاده وخرجوا هاربين، ووصل ابن إيواظ إلى دجوة ورمحوا على دواويرهم ورموا الرصاص، وكانت المراكب وصلت إلى البر الغربي تجاه دجوة ورسوا هناك وموعدهم سماع البنادق، فعند ذلك عدوا إلى البر الشرقي وطلعوا إليه، فأمر ابن إيواظ بهدم دواوير الحبايبة

فهدموها بالقزم والفوس، وأنشأ كفرًا بعيدًا عن البحر بساقية وحوض دواب وجامع وميضة وطاحونين وجمع أهل البلد، فعمروا مساكنهم في الكفر وسموه كفر الغلية، ورجع الأمير إسماعيل بك إلى مصر وأخذ الغز والأجناد أبقارًا وعجولًا وأغنامًا وجواميس وأمتعةً وفرشًا وأخشابًا شيئًا كثيرًا، ووسقوه في المراكب وحضروا به من البر أيضًا إلى مصر، وكتب مكاتبات إلى ساير القبايل من العربان بتحذيرهم من قبولهم حبيبًا وأولاده، وأن لا ينجمع عليه أحد ولا يؤويه، فلم يسعهم إلا أنهم ذهبوا عند عرب غزة، فأكرموهم ولم يزل بها حتى مات، وحضر سالم ابنه بعد ذلك إلى قليوب ببيت الشواربي شيخ الناحية سرًّا، وأخذ له مكاتبة من إبراهيم بك أبي شنب خطابًا إلى ابن وافى المغربي بأن يوطن أولاد حبيب عنده حتى يأخذ لهم إجازة من أستاذهم، فأرسل أحضر عمه وأخاه سويلمًا وعدوا إلى الجبل الغربي وساروا عند ابن وافي شيخ المغاربة، فرحب بهم وضرب لهم بيوت شعر وأقاموا بها إلى سنة ثلاثين وماية وألف، فمات إبراهيم بك أبو شنب وكان يواسي أولاد حبيب، ويرسل لهم وصولات بغلال يأخذونها من بلاده القبلية، فلما مات في الفصل، ضاقت معيشتهم، فحضر سالم بن حبيب من عند ابن وافي خفية، وذلك قبل طلوع ابن إيواظ بالحج سنة إحدى وثلاثين ودخل بيت السيد محمد دمرداش، وسلم عليه وعرفه بنفسه فرحب به وشكا له حال غربته، وبات عنده تلك الليلة وأخذه في الصباح إلى ابن إيواظ، فدخل عليه وقبل يده ووقف، فقال السيد محمد للصنجق: «عرفت هذا الذي قبل يدك؟» قال: لا، قال: هذا الذي جم أذناب خيولك، قال: سالم قال: لبيك قال: أتيت بيتي ولم تخف، قال له: نعم أتيت بكفني إما أن تنتقم وإما أن تعفو، فإننا ضقنا من الغربة وها أنا بين يديك فقال له: مرحبًا بك أحضر أهلك وعيالك وعمر في الكفر واتق الله تعالى وعليكم الأمان، وأمر له بكسوة وشال، وكتب له أمانًا وأرسل به عبده، وركب سالم وذهب عند إبراهيم الشواربي بقليوب، فأقام عنده حتى وصل العبد بالأمان إلى عمه وأخيه في بني سويف، فحملوا وركبوا وساروا إلى قليوب ونزلوا بدار أوسيه الكفر حتى بنوا لهم دواوير وأماكن ومساكن، وأتتهم العربية ومشايخ البلاد ومقادمها للسلام والهدايا والتقادم، فأقام على ذلك حتى تولى محمد علي بك بن إسماعيل بك أمير الحاج، فأخذ منه إجازة بعمار البلد الذي على البحر، وشرع في تعمير الدور العظيمة والبساتين والسواقي والمعاصر والجوامع، وذلك سنة أربع وثلاثين وماية وألف، واستقام حال سالك واشتهر ذكره وعظم صيته، واستولى على خفارة البرين ونفذت كلمته بالبلاد البحرية من بولاق إلى البغازين، وصارت المراكب والرؤساء تحت حكمه،

وضرب عليهم الضرايب والعوايد الشهرية والسنوية، وأنشأ الدواير الواسعة والبستان الكبير بشاطئ النيل، وكان عظيمًا جدًّا وعليه عدة سواق وغرس به أصناف النخيل والأشجار المتنوعة، فكانت ثماره وفاكهته وعنبه تجتنى بطول السنة، وأحضرها لها الخولة من الشام ورشيد وغير ذلك، ولما وقعت الوقايع بين ذي الفقار بك ومحمد بك جركس المتقدم ذكرها، وحضر جركس بمن معه من اللموم إلى قرب المنشية، وخرجت إليه عساكر مصر وأرسلوا إلى سالم بن حبيب، فجمع العربان وحضر بفرسانه وعبيده إلى ناحية الشيمي وحارب مع الأجناد المصرية حتى قتل سليمان بك في المعركة، وولى جركس ورجعت التجريدة وتبعه سالم بن حبيب والأسباهية وذهبوا خلفه فعدى الشرق فعدوا خلفه، وطلعت تجريدة أخرى من مصر فتلاقوا معهم وتحاربوا مع محمد بك جركس، فكانت بينهم وقعة عظيمة فكانت الهزيمة على جركس وحصل ما حصل من وقوع جركس في الروبة وموته، ودفنوه بناحية شرونه كما تقدم، ورجع سالم بن حبيب بما غنمه في تلك الوقايع إلى بلده، واشتهر أمره واشترى السراري البيض، ولم يزل حتى توفي سنة إحدى وخمسين وماية وألف، وخلف ولدًا يسمى عليًّا اشتهر أيضًا بالفروسية والنجابة والشجاعة، ولما مات سالم ترأس عوضه أخوه سويلم في مشيخة نصف سعد، فسار بشهامة واشتهر ذكره، وعظم صيته، في الإقليم المصري زيادة عن أخيه سالم، ووسع الدواوير والجالس، ولما سافر الأمير عثمان بك الفقاري بالحج ورجع سنة إحدى وخمسين المذكورة، فأرسل هدية إلى سويلم المذكور وأرسل له الآخر التقادم، ثم إن الأمير عثمان بك تغير خاطره على سويلم لسبب من الأسباب، فركب عليه على حين غفلة ليلًا وتعالى به الدليل ونزل على دجوة طلوع الشمس، وكان الجاسوس سبق إليهم وعرفهم بركوب الصنجق عليهم. فخرجوا من الدور ووقفوا على ظهور خيولهم بالغيط بعيدًا عن البلد، فلما حضر الصنجق ورمح على دورهم ورمى الطوايف بالرصاص فلم يجدوا أحدًا، فلم يتعرض لهم بشي ومنع الغز والطوائف عن أخذ بشي، وبلغ خبر ركوب الصنجق عمر بك رضوان وإبراهيم بك فركبا خلفة حتى وصلا إليه، وسلما عليه فعرفهما أنه لم يجدهم بالبلد، فركب عمر بك، وأخذ صحبته مملوكين فقط وسار نحو الغيط فرآهم واقفين على ظهور الخيل، فلما عاينوه وعرفوه نزلوا عن الخيل وسلموا عليه، فقال لهم: لأي شيء تهربون من أستاذكم؟ وعرفهم أنه أتى بقصد النزهة وأحضر صحبته علي بن سالم فقابل به الأمير وقبل يده، ورجع إلى دواره وأحضر أشياء كثيرة من أنواع المآكل حتى اكتفى الجميع، وعزموا عليهم تلك الليلة، فبات الصنجق وباقي الأمراء وذبح لهم

أغنامًا كثيرة وعجلين جاموس وتعشى الجميع، وأخرجوا لهم في الصباح شيئًا كثيرًا من أنواع الفطورات، ثم قدم لهم خيولًا صافنات وركبوا ورجعوا إلى منازلهم.

ولما هرب إبراهيم بك قطامش في أيام راغب محمد باشا، وكان سويلم مركونًا عليه فجمع سويلم عرب بلي وضرب ناحية شبرا المعدية، فوصل الخبر إلى إبراهيم جاويش القازدغلي فأخذ فرمانًا بضرب ناحية دجوة والخروج من حق أولاد حبيب، فعين عليهم ثلاثة صناجق؛ هم عثمان بك أبو سيف وأحمد بك كشك وآخر، ووصلتهم النذيرة بذلك فوزعوا دبشهم وحريمهم في البلاد، وركبوا خيولهم ونزلوا في الغيط ونزلت لهم التجريدة، ومعهم الجبخانة والمحاربون وهجموا على البلد فوجدوها خالية، ولما رأى الحبايبة كثرة التجريدة فوسعوا وذهبوا إلى ناحية الجبل الشرقي، وأرسل إبراهيم جاويش إلى عثمان بك أبي سيف أمير التجريدة بأنه ينادي في البلاد عليهم، ولم يدع أحدًا منهم ينزل الريف، فركب عثمان بك وطاف بالبلاد يتجسس عليهم، وظفر لهم بقومانية وذخيرة ذاهبة إليهم من الريف على الجمال، فحجزها وأخذها وذلك مرتين، ورجع عثمان بك ومن معه إلى مصر وصحبتهم ما وجدوه للحبايبة في البلاد من مواش، وسكر وعسل وأخشاب، وهدموا جانبًا من بيوتهم وكان علي بن سالم لم يذهب مع سويلم إلى الجبل بل أخذ عياله وذهب عند أولاد فودة، فلما سمع بالتقريط على أصحاب الدرك، فأتى إلى مصر ودخل إلى بيت إبراهيم جاويش وعرفه بنفسه وطلب منه الأمان، فعفا عنه بشرط أن لا يقرب دجوة ويسكن في أي بلد شاء يزرع مثل الناس، ثم إن سويلمًا ومن معه أرسلوا إلى حسين بك الخشاب بأن يأخذ لهم أمانًا من إبراهيم جاويش ففعل، وقبل شفاعة حسين بك بشرط إبطال حماية المراكب وأذية بلاد الناس، ويكفيهم الخفارة التي أخذوها بالقوة، واستخلص لهم المواشي التي كان جمعها عثمان بك أبو سيف، واستقر سويلم كما كان بدجوة، وبنى له دوارًا عظيمًا ومقاعد مرتفعة شاهقة في العلو يحمل سقوفها عدة أعمدة، وعليها بوايك مقوصرة ترى من مسافة بعيدة في البر والبحر، وبها عدة مجالس ومخادع ولواوين وفسحات علوية وسفلية وجميعه مفروش بالبلاط الكدان، وبنى بداخل ذلك الدوار مسجدًا ومصلى وبداخل حوش الدوار مساطب ومضايف لأجناس الناس الأفاقية وغيرهم، وبنى تحت ذلك الدوار بشاطئ النيل رصيفًا متينًا ومساطب يجلس عليها في بعض الأوقات، وأنشأ عدة مراكب تسمى الخرجات، ولها شرافات وقلوع عظيمة وعليها رجال غلاظ أشداد فإذا مرت بهم سفينة صاعدة أو حادرة صرخ عليها أوليك الرجال قايلين: البر، فإن امتثلوا وحضروا أخذوا منهم ما أحبوه

من حمل السفينة وبضايع التجار، وإن تلكأوا في الحضور قاطعوا عليهم بالخرجات في أسرع وقت وأحضروهم صاغرين، وأخذوا منهم أضعاف ما كان يؤخذ منهم أضعاف ما كان يؤخذ منهم لو حضروا طايعين من أول الأمر، وكان له قواعد وأغراض وركايز وأناس من الأمرا وأعوانهم بمصر يراسلهم ويهاديهم، فيذبون عنه ولا يسمعون فيه شكوى. وله عدة من العبيد السود النجارية الفرسان ملازمين له مع كل واحد حرمدان، مقلد به ملآن بالدنانير الذهب، وكان لا يبيت في داره ويأتى في الغالب بعد الثلث الأخير، فيدخل إلى حريمه حصة ثم يخرج بعد الفجر فيعمل ديوانًا، ويحضر بين يديه عدة من الكتبة ويتقدم إليه أرباب الحاجات ما بين مشايخ بلاد وأجناد وملتزمين وعرب وفلاحين وغير ذلك، والجميع وقوف بين يديه. والكتاب يكتبون الأوراق والمراسلات إلى النواحي، وغالب بلاد القليوبية والشرقية تحت حمايته وحماية أقاربه وأولاده، ولهم فيها الشركا والزروع والدواوير الواسعة المعروفة بهم والمميزة عن غيرها بالعظم والضخامة، ولا يقدر ملتزم ولا قايممقام على تنفيذ أمر مع ملاحيه إلا بإشارته أو بإشارة من البلد في حمايته من أقاربه؛ وكذلك مشايخ البلاد مع أستاذيهم وكان لهم طرايق وأوضاع في الملابس والمطاعم، فيقول الناس: «سرج حبايبي وشال حبايبي ومركوب حبايبي» إلى ذلك وكان مع شدة مراسه وقوة بأسه يكرم الضيفان، ويحب العلماء وأرباب الفضايل ويأنس إليهم ويتكلم معهم في المسايل ويواسيهم ويهاديهم وخصوصًا أرباب المظاهر، واتفق أن الشيخ عبد الله الشبراوي أضافه فقدم له جملًا، ولم يزل على ما ذكرنا حتى جرد عليهم علي بك، وهرب سويلم إلى البحيرة في السنة الماضية، ثم جرد عليه في هذه السنة وعلى الهنادي، وقتل شيخ العرب سويلم وخمسة وأربعون شخصًا من الحبايبة وأتوا برأسه وعلقت بالرميلة ثلاثة أيام، وبقي من أولادهم خمسة وهم: سيد وأحمد وسالم ومحمد وأحمد فنزلوا على حكم إسماعيل بك إلى محمد بك، فكلم علي بك في ذلك وترضى خاطره فأمنهم بشرط أن لا يسكنوا محلهم ولا يكون لهم ذكر، وشتت قبيلتهم إلى أن عمرهم مراد بك تابع محمد بك أبي الدهب، وترأس عليهم شيخ العرب أحمد بن علي بن سويلم ولكن دون الحالة الأولى بكثير، ومن غير صولة ولا مقارشة ولا تعد ولا خفارة، وكان إنسانًا حسنًا وجيهًا محتشمًا مقتصرًا على حاله وشأنه ملازمًا على قراءة الأوراد والمذاكرة، ويحب أهل الفضل والصلاح ليتبرك بهم وبدعائهم، وترددنا عليه وتردد إلينا بمصر كثيرًا وبلونا منه خيرًا وحسن عشرة، وكان معه أخوه شيخ العرب محمد على مثل حاله ويزيد عنه الإنجماع عن الناس لغير ما يعنيه ويعانيه في خاصة

نفسه، وكان أبوهما على نزل بقليوب بدار فيحاء، وكان حسن الخلق والخلق وله حشم وأتباع كثيرة وله هيبة عندهم، وكان طيب السيرة فصيحًا مفوهًا في حفظه أشعار ونوادر ولديه معرفة، وكان يفهم المعنى ويحقق الألفاظ، ويطالع الكتب ومقامات الحريري ونحو ذلك.

ومات الأمير المبجل علي كتخدا مستحفظان الخربطلي، وهو من مماليك أحمد كتخدا الخربطلي. الذي جدد جامع الفاكهاني الذي بخط العقادين، وصرف عليه من ماله ماية كيس وذلك في سنة ثمان وأربعين وماية وألف، وأصله من أبناء الفايز بالله الفاطمي، وكان إتمامه في حادي عشر شوال من السنة المذكورة، وكان المباشر على عمارته عثمان جلبي شيخ طايفة العقادين الرومي، وفي تلك السنة ألبس مملوكه المترجم على أوده باشه الضلمة وجعله ناظرًا ووصيًّا، ومات سيده في واقعة محمد بك الدفتردار في جملة الأحد عشر أميرًا المتقدم بيانهم، وعمل جاويش في الباب ثم عمل كتخدا، واشتهر ذكره بعد انقضاء دولة عثمان بك الفقاري، واستقلال إبراهيم كتخدا ورضوان كتخدا الجلفي بإمارة مصر، وزوج ابنته لعلي بك الغزاوي وعمل لها فرحًا عظيمًا ببركة الرطلي عدة أيام كانت من مقترحات مصر، وبعد انقضاء أيام الفرح زفت العروس في زفة عظيمة اجتمع العالم من الرجال والنساء والصبيان للفرجة عليها، ودخل بها علي بك المذكور وولد منها حسن جلبي المشهور، وأنشأ علي كتخدا المترجم داره العظيمة برأس عطفة خشقدم جهة الباطلية وداره المطلة على بركة الرطلي، والقصر على الخليج الناصري والقباب المعروفة به وغير ذلك، ونفاه علي بك إلى جهة قبلي كما تقدم، فلما ذهب علي بك إلى قبلي صالحه وانضوى إليه وكان هو السفير بينه وبين صالح بك في الصلح، وبذل جهده في ذلك هو وخليل بك الأسيوطي حتى أتموه على الوجه المتقدم، وحضر صحبة علي بك إلى مصر وسكن بداره، وأقبلت عليه الناس وقصدوه في الدعاوي والشكاوي، وأمن جانب علي بك واعتقد صداقته، وظن أنه قلده منته فلم يلبث إلا أيامًا وأخرجه منفيًّا إلى رشيد، ثم أرسل من خنقه هناك، وكان أميرًا جليلًا وجيهًا جميل الصورة واسع العينين أبيض اللحية ضخمًا مهاب الشكل بهي الطلعة، ودفن هناك.

ومات الأمير محمد بك أبو شنب، وهو من مماليك علي بك، وقتل في معركة أسيوط كما تقدم، ودفن هناك، وكان من الشجعان المعروفين.

سنة أربع وثمانين وماية وألف/ ١٧٧٠م

فيها ورد على علي بك الشريف عبد الله من أشراف مكة، وكان من أمره أنه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف أحمد أخي الشريف مساعد منازعة في إمارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد، فتغلب عليه الشريف أحمد واستقل بالإمارة، وخرج الشريف عبد الله هاربًا وذهب إلى ملك الروم واستنجد به، فكتب مكاتبات لعلي بك بالمعونة والوصية والقيام معه، وحضر إلى مصر بتلك المكاتبات في السنة الماضية، وكان علي بك مشتغلًا بتمهيد القطر المصري ووافق ذلك غرضه الباطنى وهو مطمعه في الاستيلاء على الممالك، فأنزله في مكان وأكرمه ورتب له كفايته، وأقام بمصر حتى تمم أغراضه بالقطر وخلص له قبلي وبحري، وقتل من قتله وأخرج من أخرجه، فالتفت عند ذلك إلى مقاصده البعيدة وأمر بتجهيز الذخاير والإقامات، وعمل البقسماط الكثير حتى ملوا منه المخازن ببولاق ومصر القديمة والقصور البرانية وبيوت الأمراء المنافي الخالية، ثم عبوا ذلك وأرسل مع باقي الاحتياجات واللوازم من الدقيق والسمن والزيت والعسل والسكر والأجبان في البر والبحر، واستكتب أصناف العساكر أتراكًا ومغاربة وشوامًا ومتاولة ودروزًا وحضارمة ويمانية وسودانًا وحبوشًا ودلاة وغير ذلك، وأرسل منهم طوايف في المقدمات والمشاة أنزلوهم من القلزم في المراكب، وصحبتهم الجبخانات والمدافع وآلات الحرب، وخرجت التجريدة في شهر صفر بعد دخول الحجاج في تجمل زايد ومهيا عظيم وسارى عسكرها محمد بك أبو الدهب، وصحبته حسن بك ومصطفى بك وخلافهم.

وفي ثاني وعشرين ربيع الأول وردت الأخبار من الأقطار الحجازية بوقوع حرابة عظيمة بين المصريين، وعرب الينبع وخلافهم من قبايل العربان والأشراف، ووقعت الهزيمة على المذكورين وانتصر عليهم المصريون، وقتل وزير الينبع المتولى من طرف شريف مكة وقتل معه خلايق كثيرة.

وفي تاسع من شهر ربيع الآخر وصل نجاب إلى مصر من الديار الحجازية، وأخبر بدخول محمد بك ومن معه إلى مكة، وانهزام الشريف أحمد وخروجه هاربًا. ونهب المصريون دار الشريف ومن يلوذ به وأخذوا منها أشياء كثيرة من أمتعة وجواهر وأموال لها قدر، وجلس الشريف عبد الله في إمارة مكة، ونزل حسن بك إلى بندر جدة وتولى إمارتها عوضًا عن الباشا الذي تولاها من طرف ملك الروم؛ ووصلت الأخبار والبشائر بذلك وأرسلت إليه الملاقاة بالعقبة وخلافها، فلما ورد الخبر بوصوله إلى العقبة خرجت الأمرا إلى بركة الحاج والدار الحمرا لانتظار قدومه، فوصل في أواخر شهر رجب ودخل إلى مصر في ثامنه في موكب عظيم، وأتت إليه العلما والأعيان للسلام وقصدته الشعراء بالقصايد والتهاني.

وفي منتصف رجب المذكور عزل علي بك عبد الرحمن أغا مستحفظان، وقلد عوضه أغا الوالي، وقلد عوض الوالي موسى أغا من أتباعه، وأمر عبد الرحمن أغا بالسفر إلى ناحية غزة وهي أول حركاته إلى جهة الشام، وأمر بقتل سليط شيخ عربان غزة، فلم يزل يتحيل عليه حتى قتله هو وإخوته وأولاده، وكان سليط هذا من العصاة العتاة له سير وأخبار.

وفيه زاد اهتمام علي بك بالتحرك على جهة الشام واستكثر من جميع طوايف العسكر، وعمل البقسماط والبارود والذخاير والمون وآلات الحرب، وأمر بسفر تجريدة وأميرها إسماعيل بك وصحبته علي بك الطنطاوي وعلي بك الحبشي، فبرزوا إلى جهة العادلية وخرجوا بما معهم من طوايف العسكر والمماليك والأحمال والمطابخ والجبخانات والعربات والضوية، وقرب الماء الكثيرة على الجمال، والكرارات والمطابخ والطبول والزمور والنقاقير وغير ذلك، فلما تكامل خروجهم أقاموا بالعادلية أيامًا حتى قضوا لوازمهم وارتحلوا وسافروا إلى جهة الشام.

وفي حادي عشرينه برزت تجريدة أخرى وعليها سليمان بك وعمر كاشف وجملة كثيرة من العساكر، فنزلوا من طريق البحر على دمياط.

وفي عاشر شهر القعدة وردت أخبار من جهة الشام، وأشيع وقوع حرابات بينهم وبين حكام الشام وأولاد العظم.

وفي منتصفه خرجت تجريدة أخرى وسافرت على طريق البر على النسق السابق.

(وفي سابع عشر) طلب علي بك حسن أغا تابع الوكيل والروزنامجي وباش قلفة وإسماعيل أغا الزعيم وآخرين، وصادرهم في نحو أربعماية كيس بعد ما عوقوهم أيامًا.

وفي أواخره عمل علي بك دراهم على القرى وقرر على كل بلد مائة ريال وثلاثة ريال حق طريق؛ فضجت الناس من ذلك، وطلب من النصارى والقبط مائة ألف ريال، ومن اليهود أربعين ألفًا وقبضت جميعها في أسرع وقت.

ذكر من مات في هذه السنة (١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م)

مات الشيخ العمدة الفاضل الكامل الأديب الماهر الناظم الناثر الشيخ عبد الله بن سلامة الإدكاوي المصري الشافعي الشهير بالمؤذن، ولد بإدكو وهي قرية قرب رشيد سنة أربع ومائة وألف كما أخبر من لفظه، بها حفظ القرآن وورد إلى مصر، فحضر دروس علماء مصر وأدرك الطبقة الأولى، واشتهر بفن الأدب وانضوى إلى فخر الأدباء في عصره السيد علي أفندي برهان زاده نقيب السادة الأشراف، فأنزله عنده في إكرام واحتفل به وكفاه المؤنة من كل وجه، وصار يعاطيه كؤوس الآداب، ويصافيه بمطارحة أشهى من ارتشاف الرضاب، وحج بصحبته بيت الله الحرام، وزار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، وذلك سنة سبع وأربعين ومائة وألف، وعاد إلى مصر وأقبل على تحصيل الفنون الأدبية، فنظم ونثر ومهر وبهر، ورحل إلى رشيد وفوة والإسكندرية مرارًا، واجتمع على أعيان كل منها وطارحهم ومدحهم، وفي سنة تسع وثمانين رأيت من نظمه بيتين بخطه في جدار جامع ابن نصر بفوه تاريخ كتابتها سنة خمس وأربعين، وبعد وفاة السيد النقيب تزوج وصار صاحب عيال وتنقلت به الأحوال، وصار يتأسف على ما سلف من عيشة الماضي في ظل ذلك السيد قدس سره، فلجأ إلى أستاذ عصره الشيخ الشبراوي ولازمه واعتنى به وصار لا ينفك عنه ومدحه بغرر قصائده، فحصلت له العناية والإعانة، وواساه بما حصلت به الكفاية والصيانه، وله تصانيف كلها غرر، ونظم نظامه عقود الدرر، فمنها الدرة الفريدة والمنح الربانية في تفسير آيات الحكم العرفانية، والقصيدة اللازردية في مدح خير البرية، ألفها لعلي باشا الحكيم، ومختصر شرح بانت سعاد للسيوطي، والفوائح الجنانية في المدائح الرضوانية، جمع فيها أشعار المادحين للمذكور، ثم أورد في خاتمها ماله من الأمداح فيه نظمًا ونثرًا، وهداية المنهومين في كذب المنجمين، والنزهة الزهية بتضمين الرحبية، نقلها من الفرائض إلى الغزل، وعقود الدرر في أوزان الأبحر الستة عشر، التزم في كل بيت منها الاقتباسات الشريفة، والدر الثمين في محاسن التضمين، وبضاعة الأريب في شعر الغريب، وذيلها بذيل يحكي دمية القصر، وله المقامة التصحيفية والمقامة القمرية في المجون، وله تخميس بانت سعاد وصدرها بخطبة بديعة

وجعلها تأليفًا مستقلًّا. وديوانه المشهور على حروف التهجي وغير ذلك. وقد كتب بخطه الفايق كثيرًا من الكتب الكبار ودواوين الأشعار، وكمل عدة أشياء من غرايب الأسفار رأيت من ذلك كثيرًا، وقاعدة خطه بين أهل مصر مشهورة لا تخفى، ورأيت مما كتب كثيرًا، فمن الدواوين: ديوان حسان رضي الله عنه رأيته بخطه وقد أبدع في تنميقه وكتب على حواشيه شرح الألفاظ الغريبة، ونزهة الألباب، الجامع لفنون الآداب، وله مطارحات لطيفة مع شعراء عصره، والواردين على مصر، ولم يزل على حاله حتى صار أوحد زمانه، وفريد عصره وأوانه، ولما توفي الأستاذ الحفني اضمحل حاله، ولعب بلباله، واعترته الأمراض ونضب روض عزه وغاض، وتعلل مدة أيام، حتى وافاه الحمام، في نهار الخميس خامس جمادى الأولى من السنة، وأخرج بصباحه، وصُلي عليه بالأزهر، ودفن بالمجاورين قرب تربة الشيخ الحفني، ومما اخترته من شعره قوله متوسلًا بالنبي ﷺ:

يا رب بالهادي الشفيع محمد　　　من قد بدا هذا الوجود لأجله
وبآله الأمجاد ثم بصحبة الـ　　　أخيار يا مغني الورى من فضله
كن لي معينًا في معادي واكفني　　　هم المعاش وما أرى من ثقله
واستر بفضلك زلتي واعفر بعد　　　لك سيئتي واشف الحشا من غله

(وله):

سل الله ذا المن العظيم ولا تسل　　　سواه فإن الله يعطيك ما تبغي
ومهما تنل ما رمته يا أخا الحجا　　　من الأمل المطلوب فاقنع ولا تَبغي

وله في آل البيت وفيه اقتباس:

آل طه يا أُولي كلِّ هُدى　　　نزل القرآن في تطهيركم
نوركم يجلو دجا كل عنا　　　انظرونا نقتبس من نوركم

ومن غرر صنايعه النوع المخترع المسمى بوسع الاطلاع، وقد قسمه إلى أربعة أقسام:

الأول: أن يكون أول كل كلمة أولًا لأختها (وفيه قوله):

بـهـي بـدا بـالـوصـل   بزورته بانت بلابل باله

الثان: حرف عاطل وحرف منقوط سوى القافية (وفيه قوله):

جميل بديع جل ذاتًا بهيه   به زدت حبًّا فاتك بمجاله

الثالث: كلمة منقوطة وكلمة عاطلة ويسمى الأخيف (وفيه قوله):

جُنِنْتُ ولوعًا في هواه، شُغفت، كم   فُتِنت عساه يُجتنَى لكماله

الرابع: جميع الكلمات منقوطة (فيه قوله):

شفيق شقيق شنب شفَى   بغنج، بجفن شفَّنى بنباله

له فيما لا يستحيل بالانعكاس بانعكاس قولنا لم يَنْعَكِسْ:

الْغ مَنْ نمّ فمن نم غلا

وله فيه أيضًا:

ارع لخل إن أسا   وأس إن الخلّ عرا
ارث لمن مل قلا   والق لمن ملَّ ثرا
ارم عدوًّا ذا حمًا   وامحُ أذًا ودع مِرا

وله فيه أيضًا:

صديقي في الأنام حليف حلم   عليه الجهل حتمًا لا يُحُومُ
منته تنم لهجو ذا   م إذ وجهل مئنته تنم

وله في وسع الاطلاع، وهو أن الحرف الذي تختم به الكلمة تبتدأ به الكلمة التي بعدها إلى آخر قوله:

تأمَّل لما أبداه هذا المُهفهف   فريد دلالٍ لا انفصال لحسنه
هناي يؤاتي يومَ مَولاي يسعفُ   حبيب بهي يوم مَلقَاه هَنني
يمينًا إذا ألقاه همِّي يكشف   به هام مثلي يا أخلاء آية
تمنوا إذا أموا الحمى يتعطف   وكم ملكوه هائمين نفوسهم
مرامُهُمُ منهم هباتٌ تؤلف   رشا أتمنَّى يصطفيني يودني
يواصلني يومًا إذا اتلهّفُ   فينعم متعوب برته همومُه
هيامي ينادي يا ميلحًا أتعطف   فزاد دلالًا إذ ذكرت تعطفًا
أظلمًا إذا أصبحت تسخو وتسْعفُ

(وله في النوع المسمى بالعود):

دلالة بولاة الحب زاد فلو   قد عاد بالقرب يا صحبي شفى سقمي
دلاله زاد صحبي   بالقرب زاد دلاله
وصاله طبَّ لبي لو يعود عسى   بالوصل يحسم دائي بل يصون دمي
وصاله طب دائي   عسى يعود وصاله
نباله قد أبادت عاشقيه فكم   عادت بهم نافذات العود فانتقم
نباله نافذات   فكم أصابت نباله
قتاله في الرعايا لا يطاق فلا   تهزا فقد عاد جدًّا ذاك فاعتصم
قتاله في الرعايا   فلا يطاق قتاله

وله في بناء مسجد الشيخ مطهر بيت تأريخ:

إنما يعمر المساجد من آ   من بالله موقنًا بالمفاز

(وله تشطير ذالية ظافر الحداد):

لو كان بالصبر الجميل ملاذ	ما ضل عنه هجوعه ولذاذه
خلا ولولا برق ثغر جبينه	ما سح وابل جفنه ورذاذه

إلى آخرها وله من قصيدة يمدح بها بعض أمراء مصر، ويهنيه بعام أربع وستين فيها تاريخ، كل مصراع منه تاريخ على حدته، ومنقوط المصراعين تاريخ ومهملهما تاريخ، ومنقوط الأول مع مهمل الثاني تاريخ وبالعكس، فالجملة ستة تواريخ في البيت الواحد مطلعها:

سلوه عن جفني ما أرقه	وخاطري المشغوف من شوقه

«وبيت التاريخ»:

عام بكم فرقد إشراقه	بسوحكم راق فما أشرقه

(وله):

وافى المحب إليكم يرجو اللقا	كم مرة فأبى قضاء الله
فلئن مننتم بالتلاقي مرة	ألبستموه حلة المتباهي

وكان في مجلس وفيه أعيان الكتاب من الخطاطين، فطلب منه وصفهم فقال:

انظر لمجلس ذا الكتاب تلقهم	مثل النجوم التي يسري بها الساري
قد أحرزوا قصب الأرقام واقتطفوا	جنى حروف لقد زينت بأسفار
ما منهم من يرى يومًا يراعته	إلا وقيل له ما أحكم الباري

(وله مؤرخًا عذار محبوب):

يا رعى الله دهر أنس تقضى	بك يا أيها الظريف الشمايل

حيث ورد الخدود زاه نضير   مثمر بالجمال يا غصن مايل
ولَّى الدهر ما سعيت مطيع   مسعدات بكوره والأصايل
إن أقل آمرًا أجاب وحظى   بتمليك في حلى السعد رافل
مذ تبدى مسلسلًا آس خديـ   ـك وأمسى لماء وردك ناهل
مل عني ظنًّا بأني سالٍ   مع أن الحشا بحبك ذاهل
قال ما ملت عنك لكن ما لا   تشتهيه بدا فما أنت فاعل؟
ليت يا منيتي خدودك أضحت   جنة تجذب الحشا بسلاسل
قال إيه شبه عذاري وأرخ؟   قلت مسك للورد قد جاء سايل

«وله وهو منقول من معنى فارسي»:

شكا لي أهل الكيف شهر الصيام إذ   أتى ودم الأجفان قد سفحوه
فقلت لهم يا قوم إن جاء نحوكم   يطالبكم بالصوم فيه كلوه

(وله أيضًا):

جلس الرقيب حذاء آ   س الخد في الوجه البديع
فكأنه برد العجو   ز مقابل فصل الربيع

(وله مستعطفًا):

يا سيدي بقديم ود بيننا   بحديثنا الممزوج بالسراء
بسميك الكرار قصر مد هـ   ـذا الصد واحفظ صحبتي وإخائي
فالصبر عني قد نأى والشوق   مني قد دنا وتشتت آرائي
وجفاك قد هد القوى ونواك قد   أضنى الحشا وعلى يديك شفائي
ووحق ما لاقيته أنا ذلك الـ   ـخل الوفي وإن أطلت جفائي
والذنب ذنبي فاعف عني سيدي   فالعفو شأن السادة الكرماء

(وله):

ليت شعري ماذا تقولون في حب مغزيّ بكم لا ينام؟

(وله في المواعظ):

ليت شعري إذا دنا يا رفاقي   أجلي ثم هيئوا لي ترابي
واغتدوا بي إلى محل به صحـ   ـبي جفوني وليس يرجى إيابي
هل إذا غربلوا التراب أيلقوا   ذرة من عظمي فيا لمصابي
ويح هذي الدنيا التي تحرق الأكبا   دَ قد مزقت بلحدي إهابي
وبذاك القفر اغتديت رهينًا   ليس لي من زاد ولا من ركاب
فإذا رمت يا دغستان تدري   شقوة من سعادة في المآب
فانظره ما خطت يمينك في لو   حك لما تأتي غدًا للحساب

(وقال لأمر اقتضى):

وعصبة سوء تجافيتهم   ونزهت نفسي عن دائهم
لحاني قوم على تركهم   وقالوا ألست من أكفائهم؟
فقلت لهم عذرنا واضح   على ترك ساحة أحيائهم
فنحن نعيش بأقلامنا   وهم عائشون بأقفائهم

(وقال في الرد على المنجمين):

الله يعلم ما يكون وما به   تسري الرياح وما له يجري الفلك
فدع المنجم في ضلالته وما   ينبيك عنه ففي مقالته أفك
واحذر تصدقه فتهلك جاهلًا   يا مدعي الإيمان فيمن قد هلك
علم الإله محجب إلا على   من يرتضيه من رسول أو ملك
هذا اعتقادي والذي ألقى به   ربي لأسلك ناجيًا مع من سلك
ثم الصلاة على النبي وآله   والصحب ما انشق الضياء من الحلك

وأنشده بعض أدباء الروم تاريخًا بالتركية يخرج منه ستة تواريخ، وزعم أن شعراء العرب لا يحسنون مثل ذلك فعمل تلك الليلة قوله وهو أول ما عمل من هذا النوع:

عام جديد بالهنا مقبل وكل خير ذكره يؤثر
أتى لنا أهلًا وسهلًا به ربي أنلنا فيه ما يجبر
قال لي الوقت وقد راق من منهله المورد والمصدر
صفه بمدح رائق لائق فهو بما تمدحه يشهر
على لساني قلت: أرخته في بيت شعر حسن يذكر
إبان عامي روحه يثمر ووعد مثلي نوره يبهر

فكل مصراع تاريخ، ومهمل المصراع الأول مع مهمل الثاني تاريخ، ومنقوط الأول مع منقوط الثاني تاريخ، ومهمل الأول مع منقوط الثاني تاريخ، وعكسه فليعلم.

وله تشطير على لامية ابن الوردي مشهور. وله في الزهديات:

الله ربي لا شريك له ولا ند ولا ضد ولا أعوان
يقضي ويفعل ما يشاء كماله سبحانه في كل يوم شان

(وله تخميس بيتي الرقمتين):

وحوراء النواظر أسهرتني ليالي هجرها بل حيرتني
ومذ حصل الوفاء وبشرتني
رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين
وأبدت لي شمائلها الفواتن ووجهًا نيرًا للبدر فاتن
وقال لي وخوفي صار آمن:
كلانا ناظر قمرًا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

وقال:

لم أقل: قد نام حظي إنما نام أهل الحظ في وقت انتباهه

لـكـن الـلـه تـعـالـى قـادر   في بقائي في توليه وجاهه

وقال في تضمين المصراع الأخير الفارسي:

وخود من بنات الفرس ألقت   محبتها لهيبًا في حشائي
وقد ملكتها رقي وحلت   محل السر مني والوفاء
تعاملني بما يسبي فؤادي   وتمنحني سرورًا باللقاء
سطا فينا النوى فأتيتها كي   أمتع ناظري قبل التنائي
وقالت لي وقد أذرفت دموعًا   على الخد المكلل بالبهاء
بألفاظ تحاكي عقد در   جه بودي كرنبودي آشنائي

وله قصيدة ليس فيها حرف منقوط من أسفل منها:

كلمت محاسنه فتاها   وسمت تفاخر من عداها
رشا لواحظه غدت   فتاكة أو ما كفاها؟

وله أخرى ليس فيها حرف منقوط من أعلى منها:

يا مليجًا يهوى دوامًا صدودي   لم؟ يا باهي الجمال الوحيد
أحرام لو ميلوك لوصل   لمحب يرى الوصال كعيد؟

وله نظم البحور على ترتيبها في الدوائر بأسمائها:

أطلت مدير الهجر فابسط لوافر   الوداد بقرب كامل وارث مالكي
وكن هزجًا أو ارجز بوصلي وارملن   سريع انسراح يا خفيف المسالك
وضارع إذا رمت اقتضاب حسودنا   لتجتثه أصلًا وقارب ودارك

وله في التضمينات نبذه صغيرة جمعها على حروف المعجم للمرحوم الشيخ محمد سعيد السمان الدمشقي، حين قدم مصر واجتمع به سنة اثنتين وسبعين وماية وألف، منها على حرف الألف:

قال لي من هويت يا ذا المعالي إن تكن تشتهي حصول لقائي
صف كلامي وحسن نطقي بديها قلت حسن الكلام نصف الوفاء

(وعلى حرف الباء):

أفدي حبيبًا سباني وقد حباني قربه
عاتبته قال دعني فالعتب نصف المسبَّه

(وعلى حرف التاء):

قلت للشادن المليح وقد حل بخديه ما رماه بقوت
نبت الشعر فوق خديـ ـك وهذا والله نصف الموت

(وعلى حرف الشين):

قلت للمسرف المبذر دبر أمر دنياك تدركن خير عيشه
إن ساداتنا الأفاضل قالوا إن حسن التدبير نصف المعيشه

وقال في تفضيل القديم على الجديد والجديد على القديم:

كن للمعاصر خير ناصر كم للأوائل في مفاخر
لا تحقرن جديدهم كم في جديدهم جواهر
ودع التعصب للأوا نل يافتى أو للأواخر
من كان منهم مبدعًا فاعقد عليه من الخناصر

وقال يمدح الشمس الحفني قدس الله سره:

فـي كـل شـارقـة طـرفـي أردده   في روضة أنف من وجهك الحسن
يا بهجة العصر يا منهاج كل علا   يا محيي الدين بالآثار والسنين
فـأحـمـد الـلـه إذ بـالـحـب قـربـنـي   من قلبك النير الصافي من الدرن
وأرتجي منه بعد الحب ما بقيت   روحـي تـردد مـنـي داخـل الـبـدن
آمين قل سيدي كي يستجاب دعا   راج بـقـاءك يـاعـلامـة الـزمـن

فلما سمعه الممدوح ووعاه، قال بلفظه المبين: آمين اللهم آمين.
وقال مخمسًا أبيات ابن منجك المشهورة:

طاف بـالـراح مشتهانا المدلل   يـنـثـنـي مـثـل بـانـة تـتـمـيـل
قلت مذ زمزم الكئوس وأقبل   نتفداك ساقيًا قد كساك الـ
ـحسن من فرقك المضيء لساقك
في معانيك حار فكري ووصفي   فـلأي الـصـفـات أبـدى وأخـفـى
وعجيب من حيث تبدو لطرفي   تشرق الشمس من يديك ومن فيـ
ـك الثريا والبدر من أطواقك

وقال مضمنًا وقد بلغ عمره سبعين من السنين:

قد شبت مولاي والسبعون قد كملت   قلا تتلني في جسمي الضعيف أذى
وإنني لك عبد فاقض لي كرمًا   بـالـعـتق يا سـيدي إن الـمـلوك إذا

وله مضمنًا:

قالوا: تغربت يا هذا فقلت لهم   دعوا ملامي فإني غير مستمع
إذ تـغـربـت والـديـنـار يـصـحـبـنـي   لم أدر ما غربة الأوطان وهو معي

وله في المجون مضمنًا:

ورب صغير من بني الترك جاءني وفي خده ورد تشوق كمائمه
فساومته وصلًا ولاطفت خلقه إلى أن دنا نحوي ولانت شكائمه
فلما رأى توقاه خائفًا كما يتوقى ريض الخيل حازمه

وقال أيضًا من هذا النوع:

أقول وقد طالت يدي من هويت ويا طالما قد مال عني بالقبض
أيا عطفةً للصب يا فاتر المها فأدرك مطلوبي ومال إلى الأرض
ولكنه لما رأى الأير راعه وقال وبرق الشوق يزداد في الومض
بحقك لا تدخله فيَّ جميعه حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقال مضمنًا:

بقبله جاد حبي وكان مني يفر
فقلت يا قلب أبشر فأول الغيث قطر

وله تقريظ بديع على شرح رسالة اسم الجنس والعلم لسيدنا الشيخ السادات حفظه الله تعالى، والمتن للشيخ العيدروس رحمه الله تعالى: هذا علم علامة علم، فعلم وفهم فهامة فهم ففهم، وجنس خاص من خاص الخواص، ودرة من بحر علم لا من بحر غواص، وأديب أبرز غامض تحف أتحف بها طالبيها، ولبيب كشف النقاب عن وجه جسناء تمنعت عن غير عارفيها، فنزهت طرفي في محاسن ما أبدع وحبست طرف نظري متأملًا بدائع ما أودع، وقلت: عين الله عليه من رئيس أمعن نظره، وأنعم في تنقيح أبحاثها فكرة، وأتقن ضم المتن لشرحه المجيد، حتى صار في الالتئام كعقد در دار بالجيد، كيف لا وهو من نخبة قوم عارفين، ولكل وجهة خير هممهم صارفين، وعن كل شر عازفين:

قوم هم زينة الدنيا وبهجتها بهم نغاث إذا خطب لنا زحفا
لا سيما حبرنا ذا الفرع سيدنا محمد سبط أهل الصدق آل وفا

أدامه من حباه الفضل يتحفنا | بكل أعجوبة تنحو لها اللطفا
وحاطه من عيون الحاسدين وأو | لاه المنى ووقاه ربه وكفى

وله هذه الأبيات الثلاثة أودع في أوايل كل كلمة منها حرفًا من حروف الهجايه:

إلى باب تواب ثنيت جوارحي | حليم خبير درء ذنبي رضاؤه
زكا سر شاني صف ضفا طال ظله | عنايته غاثت فجل قضاؤه
كفاني لفيض ما عداني نواله | هدايته وافت لأمر يشاؤه

وقال مؤرخًا وصول العين بالماء الكثير إلى مكة شرفها الله:

جاد بالعين الإله لنا | بعدما كنا فقدناها
وجرب بالماء طافحة | فغدونا نحمد الله
فلذا قل إذ تؤرخه | هو فيض الله أجراها

وكان الأغا المعين عليها من الدولة يقال له: فيض الله.

وله تشطير بيتي الشقايق لمولانا العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله مسئولًا في ذلك، وكان قد ورد على السائل جملة تشاطير عليهما لأدباء الشام فقال:

وشقايق قالت لنا بين الربا | ببديع لفظ بالعقول يسام
إن كنت ترغب في شميم عبيرنا | دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا | ذا منظر تهفو له الأحلام
حزنا الفخار على الزهور بهجة | قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال أيضًا:

وشقايق قالت لنا بين الربا | رد روضنا هو جنة وسلام
من أمنا واشتم نفحتنا يقل | دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا | حسنًا وإشراقًا هواه يرام
أو ما استحت من عرفنا الذاكي شذا | قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال أيضًا:

وشقايق قالت لنا بين الربا ببهاها شغف الملوك وهاموا
وبنا غدا النعمان يعجب قايلًا دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا زهرًا تحار لوصفه الأفهام
أو ما درت أنا نفوق محاسنًا قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال أيضًا:

وشايق قالت لنا بين الربا أنا للزهور إذا حضرت إمام
بي يفخرون ومن رأى حسني يقل دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا والورد فيها قد علاه قتام
وشقيقنا يزهو على طول المدى قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال أيضًا وفيه توجيه علم المنطق:

وشقايق قالت لنا بين الربا بمقدمات ما بها إبهام
برهان سعدي الآن أنتج قايلًا دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا حتى أضيف لها هوى وغرام
لكنها حصل التمانع عندها قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال أيضًا وفيه توجيه النحو:

وشقايق قالت لنا بين الربا إن جئت نحوي سرك الإقدام
وإن ابتغيت لعائدي صلة الوفا دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا حتى أضيف لها هوى وغرام
لكنها قد عطلت من عامل قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال في توجيه النجوم:

وشقايق قالت لنا بين الربا   ميزان عزي لا يزال يقام
والزهرة الغراء قالت للسها   دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا   نجمًا أضاء بنوره بهرام
أوما ترانا كالثريا بهجة؟   قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال يخاطب الأستاذ الحفني قدس سره:

يا سيدًا عظمت جلالة قدره   ولجاهه انحازت جميع الناس
قد أذهب الله الكريم بفضله   وبلطفه ما حل بي من باس
وأزال شكواي التي قد أوهنت   عظمي فلا أشكو سوى الإفلاس

وقال متغزلًا:

يمر عليَّ من أهوى التفـ   ـاتا منه نحوي إذ يمر
فيعرض حين يلحظني دلالًا   فيا عجبي يمر ولا يمر

وكان قد مرض مرضًا أعيا الأطباء ورثى له فيه الأعداء فضلًا عن الأحباء، فلما عوفي قال:

قد حصل اللطف في القضاء وقد   أزال ربي ما كنت أخشاه
ولست أشكو لغيره أبدًا   فأحمد الله ليس إلا هو

وقال أيضًا:

رب بالمصطفى رسولك طه   المصفى من ساير الأدناس
حفني منك يا إلهي بلطف   وأزل ما يسوؤني من باس

وقال أيضًا:

لطف إلهي حفني مما دهاني في البدن
فالحمد لله الذي أذهب عن الحزن

وقال أيضًا:

لطف الله بحالي بعد أن أوهن عظمي
فله الحمد على ما زال من همي وغمي

وقال وهو معنى منقول من الفارسية:

أعيذك أن تكون لدى البرايا تسمى سارقًا يا ذا المعاني
ولكن إن سرقت فدر معنى به تزدان لا در الغواني

وقال مؤرخًا وقد كتب على حنفية للوضوء:

يا ناظرًا في حسن وضعي لقد صرت سبيلًا لطريق النجاة
لسان حال قايلًا أرخوا سبيل ماء للوضو والصلاة

وقال في غرض:

نحن قوم إذا رأينا مليحًا جامعًا في جماله كل بهجه
وأردنا بالاحتيال نراه نجعل الشرب للتفرج حجه

وقال يخطاب الشمس الحفني في يوم عيد:

عيد بكم يزهو سرورًا ويزيد إشراقًا ونورا
فأدامكم رب العلا لمعاقل الإسلام سورا

ولما زوجني المرحوم الوالد في سنة اثنتين وثمانين وماية، وألف كتب إليه مهنيًا ومؤرخًا قوله:

يـا مـاجـدًا أقـوالـه	وفعاله طابا بذكرك
يا كنز طلاب المعا	رف جلها من در بحرك
يهنيك نجلك عابد الرحمـ	ن زاد علا بفخرك
هـنـيـتـه مـلـيـتـه	متعته يا فرد عصرك
زوجته بكر المحا	سن فانثنى بتلو لشكرك
أبقاهما الله الكر	يم منعمين بطول عمرك
هذا هناء محبك الدا	عي لكم بسمو قدرك
والحال قد أرخته	شمس البها زفت لبدرك

وفي سنة ثلاث وسبعين وماية وألف) لما اختلف خدام المشهد النفيسي وكبيرهم إذ ذاك الشيخ عبد اللطيف في أمر العنز، وذلك أنهم أظهروا عنزًا صغيرة مدره زعموا أن جماعة من الأسرى ببلاد الإفرنج توسلوا بالسيدة نفسية، وأحضروا تلك العنز وعزموا على ذبحها في ليلة يجتمعون فيها يذكرون ويدعون ويتوسلون في خلاصهم ونجاتهم من الأسر، فاطلع عليهم الكافر فزجرهم وسبهم ومنعهم من ذبح العنز، وبات تلك الليلة فرأى رؤيا هالته، فلما أصبح أعتقهم وأطلقهم وأعطاهم دراهم وصرفهم مكرمين، ونزلوا في مركب وحضروا إلى مصر وصحبتهم تلك العنز، وذهبوا إلى المشهد النفسي بتلك العنز، وذكروا في تلك العنز غير ذلك من اختلاقهم وخورهم كقولهم: إنهم في يوم كذا أصبحوا فوجدوها عند المقام أو فوق المنارة وسمعوها تتكلم، أو أن السيدة تكلمت وأوصت عليها، وسمع الشيخ المذكور كلامها من داخل القبر وأبرزها للناس وأجلسها بجانبه، ويقول للناس ما يقوله من الكذب والخرافات التي يستجلب بها الدنيا، وتسامع الناس بذلك فأقبل الرجال والنسا من كل فج لزيارة تلك العنز، وأتوا إليها بالنذور والهدايا، وعرفهم أنها لا تأكل إلا قلب اللوز والفستق وتشرب ماء الورد والسكر المكرر ونحو ذلك، فأتوه بأصناف ذلك بالقناطير، وعمل النساء للعنز القلايد الذهب والأطواق والحلي ونحو ذلك، وافتتنوا بها، وشاع خبرها في بيوت الأمرا وأكابر النسا وأرسلن على قدر مقامهن من النذور والهدايا، وذهبن لزيارتها ومشاهدتها وأزدحمن عليها، فأرسل عبد الرحمان كتخدا إلى الشيخ عبد اللطيف المذكور والتمس منه حضروه إليه بتلك

العنز ليتبرك بها هو وحريمه، فركب المذكور بغلته وتلك العنز في حجره ومعه طبول وزمور وبيارق ومشايخ، وحوله الجم الغفير من الناس ودخل بها بيت الأمير المذكور على تلك الصورة، وصعد بها إلى مجلسه وعنده الكثير من الأمرا والأعيان، فزارها وتلمس بها، ثم أمر بإدخالها إلى الحريم ليتبركن بها، وقد كان أوصى الكلارجي قبل حضوره بذبحها وطبخها، فلما أخذوها ليذهبوا بها إلى جهة الحريم، أدخلوها إلى المطبخ وذبحوها وطبخها قيمه وحضر الغذاء وتلك العنز في ضمنه فوضعوها بين أيديهم وأكلوا منها والشيخ عبد اللطيف كذلك صار يأكل منها والكتخدا يقول: «كل يا شيخ عبد اللطيف من هذا الرميس الثمين»، فيأكل منها ويقول: «والله إنه طيب ومستو ونفيس»، وهو لا يعلم إنه عنزه وهم يتغامزون ويضحكون، فلما فرغوا من الأكل وشربوا القهوة وطلب الشيخ العنز، فعرفه الأمير أنها هي التي كان بين يديه في الصحن وأكلها، فبهت، فبكته الأمير ووبخه وأمره بالانصراف، وأن يوضع جلد العنز على عمامته ويذهب به كما جاء بجمعيته وبين يديه الطبول والأشاير، ووكل به من أصله محله على تلك الصورة، فقال في ذلك المترجم:

ببنت رسول الله طيبة الثنا   نفيسة لذ تظفر بما شئت من عز
ورم من جدها كل خير فإنها   لطلابها يا صاح أنفع من كنز
ومن أعجب الأشياء تيس أراد أن   يضل الورى في حبها منه بالعنز
فعالجها من نوَّر الله قلبه   بذبح وأضحى التيس من أجلها مخزي

ورأيت كثيرًا من قصايده في طيارات وأوراق لم تدون، وسمعت كذلك من إنشاداته لنفسه ولغيره لو كنت تيقظت لجمع ذلك لكان ديوانًا كبيرًا ولكن كان ما كان. فما علق بالبال مما أنشده لغيره وفيه تورية:

هيأ البلان موسى   خلوة تحيي النفوسا
قيل: ما تعمل فيها؟   قلت: أستعمل موسى

وله:

إذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل　　　عليه ولم تخطر عليه ببال
فصوره في وسط الكنيف بفحمة　　　وشرشر عليه عند كل مبال

وقد خمسها ما بين المصراعين فقال:

(إذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل)　　　عليه بما قد كان يرجو ويأمل
وأضحى بثوب التيه والكبر يرفل　　　وصار يرى منك المودة تنقل
«عليه ولم تخطر عليه ببال»
فصوره في وسط الكنيف بفحمة　　　وكن حالة التصوير في وقت ظلمة
ومر كل مبطون وصاحب تخمة　　　على رأسه يَخْرَى بعزم وهمة
«وشرشر عليه عند كل مبال»

ومما أنشده لنفسه وفيه اقتباس:

يا صباح الوجه يا بيض الثنا　　　راقبوا الرحمن في مأسوركم
وإذا أظلم دهر جائر　　　انظرونا نقتبس من نوركم

ولم يزل المترجم حتى تعلل بالأمراض والأسقام، واضمحل منه الجسم واكتوا بالآلام، حتى وافاه الحمام، في يوم الخميس خامس جمادى الأولى من السنة رحمه الله، وابنه العلامة السيد أحمد المعروف بكتيكت مفتي الشافعية بثغر سكندرية، والسيد هلال الكتبر توفيا بعده بسنتين، والشيخ صالح الصحَّاف موجود مع الأحياء أعانه الله على وقته.

ومات الإمام الشيخ الفصيح البارع الفقيه الشيخ/جعفر بن حسن بن عبد الكريم بن رسول الحسيني البرزنجي المدني مفتي الشافعية بها، ولد بالمدينة وأخذه عن والده، والشيخ محمد حيوة السندي وأجازه السيد مصطفى البكري، وكان يقرأ دروس الفقه داخل باب السلام وكان عجيبًا في حسن الإلقاء والتقرير ومعرفة فروع المذهب، تولى الإفتاء والخطابة مدة تزيد على عشرين سنة وكان قوالًا بالحق أمارًا بالمعروف، واجتمع به الشيخ سليمان بن يحيى شيخ المشايخ وذكره في رحلته وأثنى عليه، وله

مؤلفات منها: البر العاجل بإجابة الشيخ محمد غافل، والفيض اللطيف بإجابة نائب الشرع الشريف، وفتح الرحمن على أجوبة السيد رمضان وتوفي في شهور هذه السنة قيل: مسمومًا، والله أعلم.

(ومات) الوالي العارف أحد المجاذيب الصادقين الأستاذ الشيخ/أحمد بن حسن النشرتي الشهير بالعريان، كان من أرباب الأحوال والكرامات، ولد في أول القرن وكان أول أمره الصحو ثم غلب عليه السكر فأدركه المحو، وكانت له في بدايته أمور غريبة وكان كل من دخل عليه زايرًا يضربه بالجريد، وكان ملازمًا للحج في كل سنة، ويذهب إلى موالد سيدي أحمد البدوي المعتادة وكان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وإذا قرأ قارئ بين يديه وغلط يقول له: قف فإنك غلطت. وكان رجلًا جلاليًّا يلبس الخشنة وهي جبة صوف وعمامة صوف حمراء يعتم بها على لبدة من صوف، ويركب بغلة سريعة العدو، وملبسه دايمًا على هذه الصفة شتاءً وصيفًا، وكان شهير الذكر يعتقده الخاصة والعامة، وتأتي الأمراء والأعيان لزيارته والتبرك منه، ويأخذ منهم دراهم كثير ينفقها على الفقرا المجتمعين عليه، وأنشأ مسجده تجاه الزاهد جوار داره وبنى بجواره صهريجًا وعمل لنفسه مدفنًا، وكذلك لأهله وأقاربه وأتباعه، واتحد به شيخنا السيد أحمد العروسي واختص به اختصاصًا زايدًا فكان لا يفارقه سفرًا ولا حضرًا، وزوجة إحدى بناته وهي أم أولاده وبشره بمشيخة الجامع الأزهر والرياسة، فعادت عليه بركته، وتحققت بشارته، وكان مشهورًا بالاستشراف على الخواطر. توفي رحمه الله في منتصف ربيع الأول وصُلي عليه بالأزهر ودفن بقبره الذي أعده لنفسه في مسجده، نفعنا الله به وبعباده الصالحين.

(ومات) الفقيه الصالح الشيخ/علي بن أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي الشافعي روى عن أبيه عن البابلي. توفي في غاية ربيع الثاني من السنة.

(ومات) الشيخ المبجل الصالح المفضل الدرويش/أحمد المولوي شيخ المولوية بتكية المظفر، وكان إنسانًا حسنًا لا بأس به مقبلًا على شأنه منجمعًا عن خلطة كثير من الناس إلا بحسب الدواعي، توفي في سابع عشرين ربيع الآخر من السنة ولم يخلف بعده مثله.

(ومات) المقدام الخير الكريم صاحب الهمة العالية والمروة التامة/شمس الدين حمودة شيخ ناحية برمه بالمنوفية، أخذ عن الشيخ الحفني وكان كثير الاعتقاد فيه والإكرام له ولأتباعه وله حب في أهل الخير واعتقاد في أهل الصلاح، ويكرم الوافدين والضيفان، وكان جميل الصورة طويلًا مهيبًا حسن الملبس والمركب، توفي يوم الخميس حادي عشر رجب من السنة، وخلف أولادًا منهم محمد الحفني الذي سماه على اسم الشيخ لمحبته فيه وأحمد شمس الدين.

(ومات) بقية السلف ونتيجة الخلف الشيخ/أحمد سبط الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وشيخ السجادة كان إنسانًا حسنًا وقورًا سالكًا منهج الاحتشام والكمال منجمعًا عن خلطة الناس إلا بقدر الحاجة، توفي يوم السبت ثامن صفر من السنة وخلف ولده سيدي عبد الرحمن مراهقًا، تولى بعده على السجادة مع مشاركة قريبه الشيخ أحمد الذي تزوج بوالدته.

ومات الإمام العلامة الفقيه الصالح الناسك صايم الدهر الشيخ/محمد الشوبري الحنفي، تفقه على الشيخ الإسقاطي والشيخ سعودي وبعد وفاة المذكورين لازم الشيخ الوالد وتلقى عنه كثيرًا، وكان إنسانًا حسنًا وجيهًا لا يتداخل فيما لا يعنيه مقبلًا على شأنه، صايم الدهر، ملازمًا لداره بعد حضور درسه، وكان بيته بقنطرة الأمير حسين مطلًّا على الخليج.

سنة خمسة وثمانين ومائة وألف/١٧٧١م

فيها أخرج علي بك تجريدة عظيمة وسر عسكرها وأميرها محمد بك أبو الدهب وأيوب بك ورضوان بك، وغيرهم كشاف وأرباب مناصب ومماليكهم وطوايفهم وأتباعهم، وعساكر كثيرة من المغاربة والترك والهنود واليمانية والمتاولة، وخرجوا في تجمل زايد واستعداد عظيم ومهيًا كبير ومعهم الطبول والزمور والذخاير والأحمال والخيام والمطابخ والكرارات والمدافع والجبخانات، ومدافع الزنبلك على الجمال وأجناس العالم ألوفًا مؤلفة، وكذلك أنزلوا الاحتياجات والأثقال وشحنوا بها السفن، وسافرت من طريق دمياط في البحر، فلما وصلوا إلى الديار الشامية، فحاصروا يافا وضيقوا عليها حتى ملكوها بعد أيام كثيرة، ثم توجهوا إلى باقي المدن والقرى وحاربهم النواب والولاة وهزموهم وقتلوهم وفروا من وجوههم، واستولوا على المماليك الشامية إلى حد حلب، ووردت البشاير بذلك فنودي بالزينة فزينت مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاث أيام بلياليها، وتفاخروا في ذلك إلى الغاية، وعملت وقدات وأحمال قناديل وشموع بالأسواق وساير الجهات، وعملوا ولايم ومغانى وآلات وطبولًا وشنكًا وحراقات وغير ذلك وذلك، في شهر ربيع أول من السنة وتعاظم علي بيك في نفسه ولم يكتف بذلك، فأرسل إلى محمد بيك يأمره بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التي افتتحوها وملكوها، وأن يستمر في سيره ويتعدى الحدود ويستولي على الممالك إلى حيث شاء، وهو يتابع إليه إرسال الإمدادات واللوازم والاحتياجات، ولا يثنون عنانهم عما يأمرهم به، فعند ذلك جمع محمد بيك أمراءه وخشداشينه الكبار في خلوة، وعرض عليهم الأوامر فضاقت نفوسهم وسئموا الحرب والقتال والغربة، وذلك ما في نفس محمد بيك أيضًا ثم قال لهم: ما تقولون؟ قالوا: وما الذي نقوله والرأي لك فأنت كبيرنا ونحن تحت أمرك وإشارتك ولا نخالفك فيما تأمر به؟» فقال: ربنا يكون رأيي مخالف لأمر أستاذنا: قالوا: ولو مخالفا لأمره،

فنحن جميعًا لا نخرج عن أمرك وإشارتك فقال: لا أقول لكم شيئًا حتى نتحالف جميعًا ونتعاهد على الرأي الذي يكون بيننا: ففعلوا ذلك وتعاهدوا وحلفوا على السيف والكتاب، ثم إنه قال لهم: «إن أستاذنا يريد أن تقطعوا أعماركم في الغربة والحرب والأسفار والبعد عن الأوطان، وكلنا فرغنا من شيء فتح علينا غيره فرأيي أن نكون على قلب رجل واحد ونرجع إلى مصر ولا نذهب إلى جهة من الجهات، وقد فرغنا من خدمتنا، وإن كان يريد غير ذلك من المماليك يولي أمراء غيرنا، ويرسلهم إلى ما يريد ونحن يكفينا هذا القدر ونرتاح في بيتونا وعند عيالنا»، فقالوا جميعًا: ونحن على رأيك وأصبحوا راحلين وطالبين إلى مصر، فحضروا في أواخر شهر رجب على خلاف مراد مخدومهم وبقي الأمر على السكوت، ثم إن علي بيك قلد أيوب بيك إمارة جرجا وقضى أشغاله، وسافر إلى الصعيد بطائفته وأتباعه وانقضى شهر شعبان ورمضان وعلي بيك مصمم على رجوع محمد بيك إلى جهة الشام، وذلك مصمم على خلاف ذلك، وبدت بينهما الوحشة الباطنية، فلم كان ليلة رابع شهر شوال بيت علي بك مع على بيك الطنطاوي وخلافه واتفق معهم على غدر محمد بيك فركبوا عليه ليلًا وأحاطوا بداره، ووقفت له العساكر بالأسلحة في الطرق فركب في خاصته وخرج من بينهم، وذهب إلى ناحية البساتين وارتحل إلى الصعيد، فحضر إليه بعض الأمراء أصحاب المناصب وعلى كاشف تابع سليمان أفندي كاشف شرقي أولاد يحيى، وقدموا له ما معهم من الخيال والمال والاحتياجات، ولم يزل في سيره حتى وصل إلى جرجا واجتمع عليه أيوب بيك خشداشه وأظهر له المصافاه والمؤاخاة، وقدم له هدايا وخيولًا وخيامًا فلم يلبث إلا وقد أحضر عيون محمد بيك الذين أرصدهم بالطريق رجلًا، ومعه مكاتبة من علي بك خطابًا لأيوب بيك ويستحثه على عمل الحيلة، وقتل محمد بيك بأي وجه أمكنه ويعده إمارته وبلاده وغير ذلك، فلما قرأ المراسلة وفهم مضمونها أكرم الرجل وقال له: «تذهب إليه بالكتاب واتني بجوابه ولك مزيد الإكرام، فذهب ذلك الساعي واوصل الكتاب إلى أيوب بيك وطلب منه رد الجواب، وأعطاه الجواب وذكر فيه أنه مجتهد في تتميم الغرض ومترقب حصول الفرصة، فحضر به الى محمد بك فعند ذلك استعد محمد بك وتحقق خيانته ونفاقه، فاتفق مع خاصته وأمرائه بالاستعداد والوثوب، وأنه إذا حضر إليه في صبحها أيوب بيك أخذ أرباب المناصب نظراهم وتحفظوا عليهم، فلما حضر في صبحها أيوب بيك جلس معه في خلوة، وأخذ كل من الخازندار والكتخدا والجوخدار والسلحدار نظراهم من جماعة محمد بيك، ثم قال محمد بيك يخاطب أيوب بيك: يا هل ترى نحن مستمرون على الأخوة والمصافاة

والصداقة والعهد واليمين الذي تعاقدنا عليه بالشام! قال: نعم وزيادة قال: ومن نكث ذلك وخان اليمين ونقض العهد؟ قال: يقطع لسانه الذي حلف به ويده التي وضعها على المصحف، فعند ذلك قال له: بلغني أنه أتاك كتاب من أستاذنا علي بك، فجحد ذلك فقال: لعل ذلك صحيح وكتبت له الجواب أيضًا، قال: لم يكن ذلك أبدًا، ولو أتاني منه جواب، لأطلعتك عليه ولا يصح أني أكتمه عنك أو أرد له جوابًا فعند ذلك أخرج له الجواب من جيبه، وأحضر إليه ذلك الرسول فسقط في يده، وأخذ يتنصل ببارد العذر، فعند ذلك قال له حينئذ: لا تصح مرافقتك معي وقم فاذهب إلى سيدك وأمر بالقبض عليه وأنزلوه إلى المركب وأحاط بوطاقه وأسبابه، وتفرقت عنه جموعه، فلما صار وحيدًا في قبضته أحضر عبد الرحمن أغا، وكان إذ ذاك بناحية قلبي وانضم إلى محمد بك فقال له: «اذهب إلى أيوب بك واقطع يده ولسانه كما حكم على نفسه بذلك». فأخذ معه المشاعلي وحضر إليه في السفينة وقطعوا يمينه ثم شبكوا في لسانه سنارة وجذبوه ليقطعوه، فتخلص منهم وألقى بنفسه إلى البحر فغرق ومات، وكان قصد محمد بك أن يفعل به ذلك ويرسله على هذه الصورة إلى سيده بمصر، ثم إنهم أخرجوه وغسلوه وكفنوه ودفنوه، فعند ما وقع ذلك أقبلت الأمراء والأفراد المتفرقون بالأقاليم على محمد بك، وتحققوا عند ذلك الخلاف بينه وبين سيده، وقد كانوا منجمعين عن الحضور إليه ويظنون خلاف ذلك. وحضر إليه جميع المنافي وأتباع القاسمية والهوارة الذين شردهم علي بك، وسل نعمتهم فأنعم عليهم وأكرمهم وتلقاهم بالبشاشة والمحبة، واعتذر لهم وواساهم وقلدهم الخدم والمناصب، وهم أيضًا تقيدوا بخدمته وبذلوا جهدهم في طاعته، ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر، وحضر إليه كثير من مماليك أيوب بك وأتباعه سوى من انضم منهم والتجأ إلى محمد بك وأتباعه، فعند ذلك نزل بعلي بك من القهر والغيظ المكظوم ما لا يوصف، وشرع في تشهيل تجريدة عظيمة وأميرها وسر عسكرها إسماعيل بك واحتفل بها احتفالاً كثيرًا، وأمر بجمع أصناف العساكر واجتهد في تنجيز أمرها في أسرع وقت، وسافروا برًّا وبحرًا في أواخر ذي القعدة، فلما التقى الجمعان خامر إسماعيل بك وانضم بمن معه من الجموع إلى محمد بك، وصاروا حزبًا واحدًا ورجع الذين لم يميلوا وهم القليل إلى مصر، فعند ذلك اشتد الأمر بعلي ولاحت على دولته لوايح الزوال، وكان يموت من الغيظ والقهر، وقلد سبع صناجق والكل مزلقون وسماهم أهل مصر السبع بنات، وهم مصطفى بك وحسن بك ومراد بك وحمزة بك ويحيى بك وخليل بك كوسة ومصطفى بك أوده باشه، وعمل لهم يرقًا وداقمًا ولوازم وطبلخانات في يومين،

وضم إليهم عساكر وطوائف ومماليك وأتباعًا، وبرز بنفسه إلى جهة البساتين وشرع في تشهيل تجريدة أخرى، وأميرها علي بك الطنطاوي وأخرج الجبخانات والمدافع الكثيرة، وأمر بعمل متاريس من البحر إلى جهة الجبل وانقضت السنة.

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر

(ومات) الإمام الفقيه الصالح الخير الشيخ/علي صالح بن موسى بن أحمد عمارة الشاوري المالكي مفتي فرشوط، قرأ بالأزهر العلوم ولازمه العلامة الشيخ علي العدوي وتفقه عليه، وسمع الحديث من الشيخ أحمد بن مصطفى السكندري وغيره، ورجع إلى فرشوط، فولي افتاء المالكية بها، فسار فيها سيرًا مقتصدًا، ولما ورد عليه الشيخ ابن الطيب راجعًا من الروم تلقى عنه شيئًا من الكتب وأجازه، وكان لشيخ العرب همام بن يوسف في حقه عناية شديدة وصحبة أكيده، وكانت شفاعات العلماء مقبولة عنده، بعنايته؛ ولذلك راج أمره واشتهر ذكره وطار صيته وكان حسن المذاكرة والمحاورة محتشمًا في نفسه، متجملًا في ملابسه وجيهًا معتبرًا في الأعين، وألف شيخنا السيد محمد مرتضى باسمه (نشق الغوالي من المرويات العوالي) وذلك أيام رحلته إلى فرشوط ونزوله عنده، ورفع من شأنه عند شيخ العرب وأكرمه إكرامًا كثيرًا، ولما تغيرت أحوال الصعيد، قدم إلى مصر مع ابن مخدومه، وما زال بها حتى توجه إلى طندتا. كان يعتريه حصر البول فيجلس أيامًا وهو ملازم للفراش فزار وعاد. توفي يوم دخوله إلى بولاق نهار الثلاثاء ثالث عشر شعبان من السنة، وكان يومًا مطيرًا ذا رعد وبرق، فوصل خبره إلى الجامع الأزهر، فخرج إليه الشيخ علي الصعيدي وكثير من العلماء، وتخلف من تخلف لذلك العذر، فجهزوه هناك وكفنوه وأتوابه إلى الأزهر، وأردا الشيخ الصعيدي دفنه في مدفن عبد الرحمن كتخدا، لصعوبة الذهاب به إلى القرافة، ثم دفنوه بالمجاورين بجانب تربة الشيخ الصعيدي التي دفن فيها.

ومات الفقيه الفاضل العلامة الشيخ/علي بن عبد الرحمن بن سليمان بن عيسى بن سليمان الخطيب الجديمي العدوي المالكي الأزهري الشهير بالخرايطي، ولد في أول القرن وقدم الجامع الأزهر، فحضر دروس جماعة من فضلاء العصر ولازم بلديه الشيخ علي الصعيدي ملازمة كلية، ودرس بالأزهر ونفع الطلبة، وكان إنسانًا حسنًا منور الشيبة ذا خلق حسن وتودد وبشاشة ومروة كاملة، وكان له ميل تام في علم الحديث ويتأسف

على فوات اشتغاله به، ويحب كلام السلف ويتأمل في معانيه مع سلامة الاعتقاد وكثرة الإخلاص. توفي عشية يوم الأربعاء ثاني المحرم افتتاح سنة خمس وثمانين وماية وألف.

ومات الإمام العلامة الفاضل المحقق الدراك المتفنن الشيخ/محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن خضر النفرواي المالكي، كان والده من أهل العلم والصلاح والزهد عن جانب عظيم، وعمر كثيرًا حتى جاوز الماية وانحنى ظهره، وتوفي سنة ثمان وسبعين وماية وألف، ربي المترجم في حجر أبيه وحفظ القرآن والمتون وحضر دروس الشيخ سالم النفراوي والشيخ خليل المالكي وغيرهما، وتفقه وحضر المعقول على كثير من الفضلاء ومهر وأنجب ودرس، وكان جيد الحافظة قوي الفهم والغوص على عويصات المسايل ودقايق العلوم، مستحضرًا للمسايل الفقهية والعقلية، ولما بلغ المنتهى في العلوم المشهورة تاقت نفسه للعلوم الحكمية والرياضية، فأحضره والده للشيخ الوالد سنة إحدى وسبعين وماية وألف، والتمس منه مطالعته عليه فأجابه إلى ذلك ورحب به، وكان عمره إذ ذاك نيفًا وعشرين سنة، ولما رأى ما فيه من الذكا والنجابة والقوة الاستعدادية والجد في الطلب، اعتبط به كثيرًا وصرف إليه همته، وأقبل عليه بكليته وأعطاه مفتاح خزانة بالمنزل يضع فيها كتبه ومتاعه، واشترى له حمارًا ورتب له مصروفًا وكسوة ولازمه ليلًا ونهارًا، حتى اشتهر بنسبته إليه، فكان يرسله في مهماته وأسراره إلى أكابر مصر وأعيانها مثل: علي بك وعبد الرحمن كتخدا وغيرهما، فيحسن الخطاب والجواب مع الحشمة وحسن المخاطبة، مع معرفتهم بفضله وعلمه وكانوا يكرمونه، ومدحهم بقصايد لم أعثر على شيء منها للإهمال وطول العهد، فكان لا يذهب إلى داره إلا في النادر ثم يعود في الضحوة الكبرى، فيقيم إلى بعد العصر فيذهب إلى الجامع فيقرأ درسًا في المعقول ثم يعود، وهكذا كان دأبه إلى أن مات! وتلقى عنه فن الميقات والهيئة والهندسة وهداية الحكمة وشرحها لقاضي زاده والجغميني، والمبادي والغايات والمقاصد في أقل زمن مع التحقيق. وحضر عليه المطول والمواقف، والزيلعي في الفقه برواق الجبرت بالأزهر وغير ذلك. كل ذلك بقراءته، وعانى علم الأوفاق وتلقاه عن الشيخ المرحوم حتى أدرك أسراره، وأقبلت عليه روحانيته وأجازه الملوي والجوهري والحفني والعفيفى وغيرهم، ولما نفي علي بك إلى النوسات، أرسل إلى الشيخ الوالد فطلب منه أشياء يرسلها إليه مع المترجم، فأرسله إليه وأقام عنده أيامًا ورجع من غير أن يعلم أحد بذهابه ورجوعه، وكان يكتب الخط الجيد، وجوده على الشيخ أحمد المعروف بأبي العز، وكتب بخطه كثيرًا، وألف حاشية على شرح العصام على السمرقندية وأجوبة عن الأسئلة الخمسة التي أوردها

الشيخ أحمد الدمنهوري على علماء العصر، وأعطاها إلى علي بيك وقال له: أعطها للعلما الذين يترددون عليك يجيبوني عنها إن كانوا يزعمون أنهم علما، فأعطاها علي بك للشيخ الوالد وأخبره بمقالة الشيخ الدمنهوري، فقال له: هذه وإن كانت من عويصات المسائل يجيب عنها ولدنا الشيخ محمد النفراوي»، والخمسة الأسئلة المذكورة؟ الأولى: في إبطال الجزء الذي لا يتجزأ، الثاني: في قول «ابن سينا» ذات الله نفس الوجود المطلق ما معناه، الثالث: في قول أبي منصور «الماتريدي» معرفة الله واجبة بالعقل مع أن المجهول من كل وجه يستحيل طلبه، الرابع: في قول «البرجلي»: إن من مات من المسلمين لسنا نتحقق موته على الأسلام، الخامس: في الاستثناء في الكلمة المشرفة هل هو متصل أو منفصل، فأجاب عنها بأجوبة منطوية على مطارح الإنظار دلت على رسوخه وسعة اطلاعه، وغوصه ومعرفته بدقايق كلام أذكيا الحكماء والمتكلمين، وفضلاء الأشعرية والماتريدية، وعانى الرسم فرسم عدة بسايط ومنحرفات وحسب كثيرًا من الأصول والدساتير، وتصدى لتعليم الطلبة الذين كانوا يردون من الآفاق لطلب العلوم الغربية، وكتب شرحًا على متن نور الإيضاح في الفقه الحنفي باسم الأمير عبد الرحمن كتخدا، وله رسالة سماها (الطراز المذهب في بيان معنى المذهب، وهي عبارة عن سؤال ورد من ثغر سكندرية نظمًا، وكان له سليقة جيدة في النثر والنظم، ولما ورد إلى مصر محمد أفندي سعيد قاضيًا في سنة إحدى وثمانين وماية وألف امتدحه بقصيدة بليغة لم أعثر عليها، ومن نظمه ما كتب على باب ضريح السيدة نفيسة بالذهب على الرخام.

عرش الحقايق مهبط الأسرار   قبر النفيسة بنت ذي الأنوار
حسن بن زيد الحسن ابن الإما   م على ابن عم المصطفى المختار

وذلك حين جدد بناه الأمير عبد الرحمن كتخدا، ومنه ما كتب على باب القبة:

عبد الرحمن لعفو قد ترجى   قد بناها روضة للزائرين
فلذا أرختها يارايديها   ادخلوها بسلام آمنين

وله غير ذلك كثير لم يحضرني منه إلا هذان البيتان؛ لكوني حفظتهما وأنا صغير أيام العمارة المذكورة، وكان به حدة طبيعة وهي التي كانت سببًا لموته، وهو أنه حصل بينه وبين الشيخ سليمان البجيرمي منافسة فشكاه إلى الشيخ الدمنهوري وهو إذ ذاك شيخ الجامع، فأرسل إليه فلما حضر عنده في مجلسه بالأزهر، فتحامل عليه فقام، من عنده وقد أثر فيه القهر، ومرض أيامًا وتوفي في شهر جمادى الثانية من السنة، واغتم عليه الشيخ المرحوم غمًّا شديدًا، وتأثر لفراقه وحزن لموته وتوعك أيامًا بسبب ذلك، ومن مآثره هذه الصيغة: اللهم صل على مظهر الجمال، ومنبع الكمال، مهبط الوحي، ومصدر الأمر والنهي، وعلى آله وصحبه وسلم)، وتذكرت له هذين البيتين أيضًا:

بالعز سيروا وبالسلامه فالسعد أضحى لكم علامه
واللطف حصن مع الكرامه لكم دوامًا إلى القيامه

ومات الإمام الفقيه العلامة المفتي الشيخ/إبراهيم ابن الشيخ عبد الله الشرقاوي الشافعي تفقه على علماء عصره، وحضر دروس الأشياخ المتقدمين كالملوي والحفني والبراوي، والشيخ أحمد رزه والشيخ عطية الأجهوري، وأنجب في الأصول والفروع الفقيهة، وتصدر ودرس وانقطع للإفادة والإفتاء والقضاء بين المتخاصمين من أهل القرى، وأكثرهم من أهل بلاده، وكان لا يفارق محل درسه بالأزهر من الشروق إلى الغروب، وانفرد بالافتاء مدة طويلة على مذهبه، وقلما يرى فتوى وليس عليها جوابه، ولم يزل هذا دأبه حتى تعلل أيامًا وتوفي ثالث ربيع الثاني من السنة.

ومات أحد أذكيا العصر ونجباء الدهر من جمع متفرقات الفضايل وحاز أنواع الفواضل، الصالح الرحلة الشيخ/علي بن محمد الجزايرلي المعروف بابن الترجمان، ولد بالجزاير سنة ثلاثين وماية وألف. وكان ينتمي إلى الأشراف، وزاحم العلماء بمناكبه في تحصيل أنواع العلوم، وأجازه الشيخ سيدي محمد المنور التلمساني رحمه الله، ودخل الروم مرارًا، وحظى بأرباب الدولة وأتى إلى مصر وابتنى بها دارًا حسنة قرب الأزهر، وكان يخبر عن نفسه أنه لا يستغني عن الجماع في كل يوم؛ فلذلك ما كان يخلو عن إمراة واثنتين حتى في أسفاره، ولما ورد الأمير أحمد أغا أمينًا على دار الضرب بمصر المحروسة الذي صار فيما بعد باشا، كان مختصًّا بصحبته لا يفارقه ليلًا ولا نهارًا، وله عليه إغداقات جميلة، وهو حسن العشرة يعرف في لسانهم قليلًا، وبآخرة توجه إلى دار السلطنة، وكانت إذ ذاك حركة السفر إلى الجهاد وكتب عرضحالًا إلى السلطان مصطفى

صورته: «إن من قرأ استغاثة أبي مدين الغوث في صف الجهاد حصلت النصر»، وقدمه إلى السلطان، فاستحسن أن يكون صاحب هذا العرض هو الذي يتوجه بنفسه يقرأ هذه الاستغاثة تبركًا، ففاجأه الأمر من حيث لا يحتسب وأخذ في الحال وكتب مع المجاهدين وتوجه رغمًا عن أنفه ووصل إلى معسكر المسلمين، وصار يقرأ فقدر الله الهزيمة على المسلمين لسوء تدبير أمرا العسكر، فأسر مع من أسر، وذهب به إلى بلاد موسقو وبقي أسيرًا مدة، ولم يغثه أحد بخلاصة منهم، لاشتغال الناس بما هو أهم حتى توفي هناك شهيدًا غريبًا في هذه السنة رحمه الله.

(ومات) الشيخ الصالح العلامة/علي الفيومي المالكي شيخ رواق أهل بلاده؛ حضر دروس الشيخ إبراهيم الفيومي وشيخنا الشيخ علي الصعيدي، ودرس برواقهم وكان سريع الإدراك متين الفهم له في علم الكلام باع طويل، وتزوج ابنة الشيخ أحمد الحماقي الحنفي، وتوفي ثاني شهر رمضان من السنة ودفن بالمجاورين.

(ومات) الشيخ الفاضل الصالح/علي الشيبيني الشافعي نزيل جرجا، قرأ على جماعة من مشايخ عصره، وتكمل في العربية والفقه، وتوجه إلى الصعيد فخالط أولاد همام من الهوارة في بيج القرمون، فأحبوه وسكن عندهم مدة ثم سكن جرجا وكان يتردد أحيانًا إلى مصر وكان كثير الاجتماع بصهرنا على أفندي درويش المكتب، وكان يحكي لي عنه أشياء كثيرة من مآثره من الصلاح والعلم وحسن المعاشرة ومعرفة التجويد ووجوه القراءات، فلما تغيرت أحوال الصعيد أتى المترجم إلى مصر، وكان حسن المذاكرة والمرافقة مع مداومة الذكر وتلاوة القرآن غالبًا، توفي تاسع عشر رمضان في بيت بعض أحبابه بعلة البطن، وصلى عليه الشيخ أحمد بن محمد الراشدي ودُفن بالمجاورين.

ومات العمدة الفاضل اللغوي الماهر المنشئ الأديب الشيخ/عبد الله بن منصور التلباني الشافعي المعروف بكاتب المقاطعة، وهو ابن أخت الشيخ المعمر أحمد بن شعبان الزعبلي، ولد سنة ثمان وتسعين وألف تقريبًا، وأدرك الطبقة الأولى من الشيوخ كالعزيزي والعشماوي والنفراوي، وكانت له معرفة تامة بعلم اللغة والقراءة، واقتنى كتبًا نفيسة في ساير الفنون كان سموحًا بإعارتها لأهلها، وكان يعرف مظنات المسايل في الكتب، وكان الأشياخ يجلونه ويعرفون مقامه، ولما دخل الشيخ ابن الطيب أحبه واغتبط به وبصحبته، وحصل حاشيته على القاموس في مجلدين حافلين استكتابًا، وقرظ على شرح البديعية لعلي بن تاج الدين القلعي ذكر فيه من نوع وسع الاطلاع له.

سعاد دعتني يوم مرت تواصلًا الا أيها الحادون نيخوا المطا بنا

وكتب على المقامة التصحيفية للشيخ عبد الادكاوي وقد أهدى إليه نسخة منها ما نصه:

عبد الله. عند الله. وجيه. وحبه. مجتم. مخيم. بقلوبنا. تعلو بنا. سماته. سما به. عمله. عماله. التواب. الثواب. ولا حرمنا. ولاء حرمنا. الأبهج. الأنهج. مهدى. مهذب. نواله. نوّاله. مااالهم. مألهم. دونه. دونه. بقالب. تعالى. نبية. بنية. فاحلا لنا. اخلالنا. لحبر. حبّر. بفصاحة. قضاحبه. وخير. جبر. أحبابنا. أحيابنا. ثره. بره. ومثال محب. من المحب. من. من. السلام. السلام.

واتفق أن بعض المعترضين في مجلسه قد وضع من هذا الوضع.
فرد عليه المترجم وانتصر لصاحب المقامة، فلما بلغ ذلك كتب إليه يشكره.

عبد الله. عند الله. اوجه. اوّجه. لجمته. لحّ هتّه. نخبة. تحية. ندية. نديه. ينبيه. ببينة. ثابتات. بائيات. حبي. حيث. نصرني. نصيرين. بنيئر ينير. بينر. سير. ذكي. دلت. معاينه. معانيه. علئ. عليّ. رتبة. زينته. حلة. خلة. ودفاني. ودقاني. عيب. عي. غبي يعيب. يعين. حاسد. حاشد. قوله. فوله. ودعه. ودغه. فاتهما. فأتهما. حسن. جنس. المعنى. المعين. بفصاحته. تفض ايحه. بقيت. تفتي. بحق. يحف. بتحف. تتحف. بها نهاء. محب. محب. اذاه. اداة. ادبك. اذيك. آسي. أسى. قلبه. اراحه. ازاحه. فصل. فضل. سيده. شيده. البصير. النصير.

ولم يزل حتى فاجأته المنون في ثالث عشرين شعبان من السنة، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن شرقي مقام سيدي عبد الله المنوفي بالمجاورين رحمه الله.
ومات الأمير الجليل إبراهيم أفندي الهياتم جمليان مطعونًا في نهار الأربع ثالث عشرين المحرم من السنة.

سنة ست وثمانين ومایة وألف/١٧٧٢م

فيها في المحرم خرج علي بك إلى جهة البساتين كما تقدم في أواخر العام الماضي، وعمل متاريس ونصب عليها المدافع من البحر إلى الجبل، واجتهد في تشهيل تجريدة وأميرها علي بك الطنطاوي وصحبته باقي الأمراء الذين قلدهم والعسكر، فعدوا في منتصفه لمحاربة محمد بك أبي الدهب وإسماعيل بك ومن معهما وكانوا سايرين يريدون مصر، فتلاقوا معهم عند بياضه قرب المعادي ووقعت بيهم معركة قوية ظهر فيها فضل القاسمية، وخصوصًا أتباع صالح بك وعلي أغا المعمار، ووقعت الهزيمة على عسكر علي بك وساق خلفهم القبالى مسافة، فمانعوا عن أنفسهم وعدوا على دير الطين، وكان علي بك مقيمًا به، فلما حصل ما حصل اشتد القهر بالمذكور وتحير في أمره، وأظهر التجلد وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع وأقام إلى آخر النهار، وتفرق عنه غالب عساكره من المغاربة وغيرهم، وحضر محمد بك إلى البر المقابل لعلي بك ونصب صيوانه وخيامه تجاهه، فتفكر علي بك في أمره، وركب عند الغروب وسار إلى جهة مصر، ودخل من باب القرافة وطلع إلى باب العزب فأقام به حصة من الليل، وأشيع بالمدينة أن مراده المحاصرة بالقلعة ثم إنه ركب إلى داره وحمل حموله وأمواله، وخرج من مصر وذهب إلى جهة الشام، وذلك ليلة الخامس والعشرين من شهر المحرم، وصحبته علي بك الطنطاوي وباقي صناجقة ومماليكه وأتباعه وطوايفه، فلما أصبح يوم الخميس سادس عشرينه عدى محمد بك إلى بر مصر، وأقدوا النار في ذلك اليوم في الدير بعدما نهبوه، ودخل محمد بك إلى مصر وصار أميرها، ونادى أصحاب الشرطة على أتباعه أي: أتباع علي بك بأن لا أحد يؤويهم ولا يتاويهم. فكانت مدة غيبته سبعين يومًا، وأرسل عبد الرحمن أغا مستحفظان إلى عبد الله كتخدا الباشا، فذهب إليه بداره وقبض عليه وقطع رأسه ونادى بإبطال المعاملة التي

ضربها المذكور بيد رزق النصراني، وهي قروش مفرد ومجوز، وقطع صغار تصرف بعشرة أنصاف قرش، وكان أكثر ما نحاسا وعليها علامة علي بك ...

وأما من مات في هذه السنة من العظماء

فمات السيد الإمام العلامة الفقيه المحدث الفهامة الحسيب النسيب السيد علي بن موسى بن مصطفى بن محمد بن شمس الدين بن محب الدين بن كريم الدين بن بهاء الدين داود بن سليمان بن شمس الدين بن بهاء الدين داود الكبير بن عبد الحافز بن أبي الوفا محمد البدري بن أبي الحسن على ابن شهاب الدين أحمد بن بهاء الدين داود بن عبد الحافظ بن محمد بن بدر، ساكن وادي النسور ابن يوسف بن بدران بن يعقوب بن مطربن زكي الدين سالم بن محمد بن محمد بن زيد بن حسن بن السيد عريض المرتضى الأكبر ابن الإمامززيد الشهيد بن الإمام علي زين العابدين ابن السيد الشهيد الإمام الحسين ابن الامام علي بن أبي طالب الحسييني المقدسي الأزهري المصري ويعرف بابن النقيب؛ لأن جدوده تولوا النقابة ببيت المقدس، ولد تقريبًا سنة خمس وعشرين وماية وألف ببيت المقدس وبها نشأ وقرأ القرآن على الشيخ مصطفى الأعرج المصري والشيخ موسى كبيبة على عود ومحمد بن نسيبة الفضلى المكي، وأخذ العلم عن عم أمه صاحب الكرامات حسين العلمي نزيل مدينة اللد وأبي بكر بن أحمد العلمي مفتي القدس والشيخ عبد المعطي الخليلي، ووصل إلى الشام فحضر دروس الشيخ أحمد المتيني والشيخ إسماعيل العجلوني والشيخ عبد الغني النابلسي واجتمع على الشيخ صالح البشيري الآخذ عن الخضر عليه السلام وعامر بن نعيم وأحمد القطناني ومصطفى بن عمرو الدمشقي، وكان من الأبدال وأحمد النحلاوي، وكان من أرباب الكشف ومحمد بن عميرة الدمشقي وعمران الدمشقي وزيد اليعبداوي وخلفه بن علي اليعبداوي ورضوان الزاوي وأحمد الصفدي المجذوب والشيخ مصطفى بن سوار، ودخل حماه فأخذ عن القطب السيد ياسين القادري، وحلب فأخذ بها عن أحمد البني وعبد الرحمن السمان، كلاهما من تلاميذ الشيخ أحمد الكتبي وعن الشيخ محمد بن هلال الرامهداني والشيخ عبد الكريم الشرباتي، وعاد إلى بيت المقدس فاجتمع بالشيخ عبد الغني النابلسي أيضًا وبالسيد مصطفى البكري بحلب حين كان راجعًا من بغداد، فأخذ عنه الطريقة ورغبه في مصر فوردها، وحضر على الشمسي السجيني ومصطفى العزيزي والسيد علي الضرير الحنفي وأحمد مصطفى الصباغ والشهابين الملكي والجوهري والشمس الحفني وأحمد

العماوي، وشيخ المذهب سليمان المنصوري، وأجازه سيدي يوسف بن ناصر الدرعي وأحمد العربي وأحمد بن عبد اللطيف زروق وسيد محمد العياشي الأطروش والشيخ ابن الطيب، ورأس في المذهب وتمهر في الفنون ودرس بالمشهد الحسيني في التفسير والفقه والحديث واشتهر أمر وطار صيته، وكان فقيهًا في المذهب بارعًا في معرفة فنونه عارفًا بأصوله وفروعه، يستنبط الأحكام بجودة وذهنه وحسن حافظته، ويكتب على الفتاوي برايق لفظه، وكانت له في النثر طريقة غريبة لا يتكلف في الأسجاع، وإذا سئل عن مسئلة كتب عليها الجواب أحسن من الروض جاد به الغمام، وأغزر من الوبل ساعده نوء النعام، ويكتب في الترسل على سجية بادرة، وفكرة على السرعة صادرة، وكان ذا جود وسخاء وكرم ومروة ووفاء، لا يدخل في يده شى من متاع الدنيا إلا وبذله لسائليه وأغدق به على معتفيه. وكان منزله الذي قرب المشهد الحسيني موردًا للآملين، ومحطًّا لرحال الوافدين، مع رغبته في الخيل المنسوبة وحسن معرفته لأنسابها وعزوه لأربابها، وكان اصطبله دائمًا لا يخلو من اثنين أو ثلاثة يركب عليها ويضمرها، ويعتني بأحوالها ويرغب في شرائها لمعرفته بالفروسية ورمي السهام واستعمال السلاح، واللعب بالرماح وغير ذلك. ولما ضاق عليه منزله لكثرة الوفاد عليه ولكثرة ميله إلى ربط الخيول، انتقل إلى منزل واسع بالحسينية في طرف البلد، بناء على أن الأطراف مساكن الأشراف، فسكنه وعمر فيه وفي الزاوية التي قرب بيته، وصرف عليها مالًا كثيرًا، وفي سنة سبع وسبعين وماية وألف استخار الله تعالى في التوجيه إلى دار السلطنة لأمور أوجبت رحلته إليها، منها أنه ركبت عليه الديون وكثر مطالبوها، وضاق صدره من عدم مساعدة الوقت له، وكان إذ ذاك محل تدريسه بالمشهد الحسيني، وعزم عبد الرحمن كتخدا على هدمه وإنشائه على هذه الصورة، ورأى أن هذه البطالة تستمر أشهرًا فوجد فرصة وتوجه إليها، وقرأ دروسًا في الحديق في عدة جوامع، واشتهر هناك بالمحدث وأقبلت عليه الناس أفواجًا للتلقي وأحبت الأمراء وأرباب الدولة وصارت له هناك وجاهة، إلا أنه كان في درسه ينتقل تارة إلى الرد العنيف على أرباب الأموال والأكابر وملوك الزمان، وينسبهم إلى الجور والعدوان، وانحرافهم عن الحق، فوشى به الحاسدون فبرز الأمر بخروجه من البلد وكان قد تزوج هناك فعاد إلى مصر، فلما وصل إلى بولاق ذهب إليه جماعة من الفضلاء واستقبلوه واستقر في منزله، وعاد إلى دروسه في المشهد، وذلك سنة ثلاث وثمانين وماية وألف، ولم يترك عادته المألوفة من إكرام الضيوف، وبذل المعروف، وكان لا يصبر على الجماع وعنده ثلاث نسوة شامية ومصرية ورومية، وإذا خرج إلى الخلاء أو بعض

المتنزهات أخذ صحبته من يريدها منهم ونصب لها خيمة وآلة الاغتسال مدة إقامته يومًا أو يومين أو أكثر، واتفق له في آخر أمره أنه ذهب عند محمد بك أبي الدهب، وكان في ضائقه فحادثه الأمير على سيل المباسطة وقال له: «كيف رأيت أهل إسلامبول»، فقال له: يبق بإسلامبول ولا بمصر خير ولا يكرمون إلا شرار الخلق، وأما أهل العلم فإنهم يموتون جوعًا، ففهم الأمير تعريضه وأمر له بماية ألف نصف فضة من الضربخانة فقضى منها بعض ديونه وأنفق باقيها على الفقراء، وعاش بعدها أربعين يومًا وتعلل بخراج أيامًا وأحضروا له رجلًا يهوديًّا، ففصده بمشتر مشرط قيل: إنه مسموم فكان سببًا لموته، وتوفي عصر يوم الأحد سادس شهر شعبان من السنة، وجهز في صبح يوم الإثنين وصُلي عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن بمقبرة باب النصر على أكمة هناك، ولما مات أحضر له الناس من الأعيان عدة أكفان، وكل منهم يريد أن لا يوضع إلا في كفنه فأخذ من كل كفن قطعة وكفنوه في مجموع ذلك جبرًا لخواطرهم، وأعطى الأمير محمد بك لأخيه مولانا السيد بدر الدين، عندما أخبره بموته خمسماية ريال لتجهيزه ولوازمه، وجلس مكانه في الدار أخوه السيد بدر المذكور، وتصدر مكانه لإملاء درس الحديث النبوي بمسجد المشهد الحسيني، وأقبلت عليه الناس والأعيان، ومشى على قدم أخيه وسار سيرًا حسنًا وجرى على نسقه وطبيعته في مكارم الأخلاق، وإطعام الطعام وإكرام الضيفان والتردد إلى الأعيان والأمراء، والسعي في حوايج الناس والتصدي لأهل حارته وخطته في دعاويهم وفصل خصوماتهم، وصلحهم والذب عنهم ومدافعة المتعدي عليهم ولو من الأمراء والحكام في شكاويهم وتشاجرهم وقضاياهم حتى صار مرجعًا وملجأً لهم في أمورهم ومقاصدهم، وصار له وجاهة ومنزلة في قلوبهم ويخشون جانبة وصولته عليهم، ثم إنه هدم الزاوية وما بجانبها وأنشأها مسجدًا نفيسًا لطيفًا وعمل به منبرًا وخطبة، ورتب به إمامًا وخطيبًا وخادمًا، وجعل بجانبه ميضأة ومصلى لطيفة يسلك إليهما من باب مستقل وبها كراسي راحة، وأنشأ بجانب المسجد دار نفيسة وانتقل إليها بعياله، وترك الدار التي كانت سكنه مع أخيه؛ لأنها كانت بالأجرة، وبنى لأخيه ضريحًا بداخل ذلك المسجد ونقله إليه وذلك سنة خمس ومايتين وألف، فلما كانت الحوادث في سنة ثلاث عشرة ومايتين وألف واستيلاء الفرنسيين على الديار المصرية، وقيام سكان الجهة الشرقية من أهل البلد وهي القومة الأولى التي قتل فيها دبوي قايمقام تحركت في السيد بدر الدين المذكور الحمية وجمع جموعه من أهل الحسينية والجهات البراني، وانتبذ لمحاربة الإفرنج ومقاتلهم وبذل جهده في ذلك، فما ظهر الإفرنج على المسلمين

لم يسع المذكور الإقامة، وخرج فارًّا إلى جهة البلاد الشامية وبيت المقدس، وفحص عنه الإفرنج وبثوا خلفه الجواسيس فلم يدركوه، فعند ذلك نهبوا داره وهدموا منها طرفًا وكمل تخريبها أوباش الناحية، وخربوا المسجد وصارت في ضمن الأماكن التي خربها الفرنسي بهدم ما حول السور من الأبنية، ثم في الواقعة الكبيرة الثانية عندما حضر الوزير والعساكر الرومية ورجعوا بعد نقض الصلح بدون طايل كما يأتي تفصيل ذلك، فلما حضروا ثانيًا بمعونة الإنكليز وتم الأمر وسافر الفرنسيس إلا بلادهم ورجع المذكور إلى مصر، وشاهد ما حصل لداره ومسجده من التخريب أخذ في أسباب تعميرها وتجديدهما حتى أعادهما أحسن مما كانا عليه قبل ذلك، وسكن بها حتى أعادهما أحسن مما كانا عليه قبل ذلك، وسكن بها وهو الآن بتاريخ كتابة هذا المجموع سنة عشرين ومايتين والف ١٨٠٥ قاطن بها وحله مجمع شمل المحبين، ومحط رجال القاصدين بارك الله فيه.

ومات الفقيه المفنن الشيخ/علي بن شمس الدين محمد بن زهران علي الشافعي الرشيدي الشهير بالخضري، ولد بالثغر سنة أربع وعشرين وأمه آمنه بنت الحاج عامر بن أحمد العراقي، وأمها صالحة بنت الشريف الحاج علي زعيتر أحد أعيان التجار برشيد، حفظ المترجم الزبد والخلاصة وسبيل السعادة والمنهج إلى الديات، والجزرية والجوهرة، وسمع على الشيخ يوسف القشاشي الجزرية وابن عقيل والقطر، وعلى الشيخ عبد الله بن مرعي الشافعي. في شوال سنة إحدى وأربعين جمع الجوامع والمنهج، وألقى منه دروسًا بحضرته ومختصر السعد واللقاني على جوهرته، وشرح ابنه عبد السلام والمناوي على الشمايل والبخاري وابن حجر على الأربعين والمواهب، وعلى شمس محمد بن عمر الزهيري معظم البخاري دراية والمواهب وابن عقيل والأشموني على الخلاصة، وجمع الجوامع والمنصف على أم البراهين، ونصف النفراوي على الرسالة والبيضاوي إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾ فكلمه بعد موته.

وفي سنة ثمان وثلاثين وفد على الثغر الشيخ عطية الأجهوري، فقرأ عليه العصام في الاستعارات مع الحفيد وعلى الشيخ محمد الإدكاوي شرح السيوطي على الخلاصة والشنشوري على الرحبية والتحرير لشيخ الإسلام، ثم قدم الجامع الأزهر سنة ثلاث وأربعين فجاور ثلاث سنوات فسمع على الشيخ مصطفى العزيزي شرح المنهج مرتين والخطيب والشمايل، وأجازه بالإفتاء والتدريس في رجب سنة ست وأربعين، وكان به بارًّا رحيمًا شفوقًا. بمنزلة الوالد حتى بعد الوفاة، وجرب له معه وقائع كثيرة تدل على

حسن توجهه له دون غيره من الطلبة، وسمع على السيد علي الحنفي الضرير الأشموني، وجمع الجوامع والمغني، وبعض المنفرجة، والقسطلاني على البخاري، وتصريف العزي. وعلى الشمس محمد الدلجي المغني كله قراءة بحث، والخطيب وجمع الجوامع، وعلى الشيخ علي قايتباي الخطيب فقط، وعلى الشيخ الحفني الخطيب والمنهج وجمع الجوامع والأشموني ومختصر السعد، ألفية المصطلح ومعراج الغيطي، وعلى أخيه الشيخ يوسف الأشموني والمختصر ورسالة الوضع، وعلى الشيخ عطية الأجهوري المنهج والمختصر والسلم، وعلى أحمد الشبراملسي الشافعي المختصر والتحرير وبعض العصام ومنظومة في أقسام الحديث الضعيف، وعلى الشيخ محمد السجيني الشمائل ومواضع من المنهج، وأجازه الشيخ الشبراوي بالكتب الستة بعد أن سمع عليه بعضًا منها، ورجع عن فتواه مرتين في وقفين، وعلى الشيخ أحمد بن سابق الزعبلي المنهج كله مرتين وعلى الشيخ أحمد المكودي كبرى السنوسي وبعض مختصره دارية، وعلى الشيخ محمد المنور التلمساني شيخ المكودي المذكور أم البراهين دراية، وعلى الشيخ أحمد العماوي المالكي بعض سنن أبي داودو جمع الجوامع والمغني والأزهرية، ولما رجع إلى الثغر لازم الشيخ شمس الدين الفوِّي خطيب جامع المجلي، فسرد عليه معظم متن الزبد والمنهج وشرحه والشنشوري ومتن العباب وهو الذي عرفه به وبطريق تركيب الفتاوي أسئلة وأجوبة، وكان يقول: لا بد للمبتلي بالإفتاء من العباب لوضوحه واستيعابه، وأجازه الشيخ شلبي البرلسي والشيخ عبد الدايم بن أحمد المالكي وأحمد بن قاسم الوني، وله مؤلفات جليلة منها: شرح لقطة العلجان وحاشية على شرح الأربعين النووية للشبشيري أجاد فيها كل الإجادة، وقد رأيت كلًّا منها بالثغر عند ولده السيد أحمد، توفي في خامس عشرين شعبان من السنة.

(ومات) الشاب الصالح، والنجيب الأريب الفالح العلامة المستعد النبيه الذكي، الشيخ/ محمد بن عبد الواحد بن عبد الخالق البناني، أبوه وجده وعمه من أعيان التجار والثروة بمصر، نشأ في عفة وصلاح، حفظ القرآن والمتون وحبب إليه طلب العلم فتقشف لذلك وتجرد، ولازم الحضور والطلب، ودأب واجتهد في التحصيل وسهر الليل، وكان له حافظة جيدة وفهم حاد وقوة استعدادية وقابلية، فأدرك في الزمن اليسير ما لم يدركه غيره في الزمن الكثير، لازم شيخنا الشيخ محمد الجناجي المعروف بالشافعي ملازمة كلية، وتلقى عنه غالب تحصيله في الفقه والمعقول والمنطق والاستعارات والمعاني والبيان والفرايض والحساب وشباك ابن الهائم وغير ذلك، وحضر دروس الشيخ الصعيدي والدردير وغيرهم حتى مهر وأنجب ودرس، واشتهر بالفضل وعمل الختوم، وحضره

أشياخ العصر، وشهدوا بفضله وغزارة علمه، وانتظم في عداد أكابر المحصلين والمفيدين والمستفيدين، ولم يزل هذا حاله حتى وافاه الحمام، انمحق بدره عند التمام، ومات مطعونًا في هذه السنة وهو مقتبل الشبيبة لم يجاوز الثلاثين عوضه الله الجنة، وهو ابن عم الإمام العلامة الشيخ مصطفى بن محمد بن عبد الخالق من أعيان العلماء المشاهير بمصر الآن بارك الله فيه.

(ومات) الفقيه الفاضل المحقق الشيخ/أحمد بن أحمد الحمامي الشافعي الأزهري، ولد بمصر واشتغل بالعلم من صغره ومال بكليته إليه وحبب إليه مجالسة أهله، فلازم الشيخ عيسى البراوي حتى مهر وتفقه عليه، وحضر دروس الشمس الحفني والشيخ علي الصعيدي وغيرهما، وأجازوه، وحج في سنة خمس وثمانين مرافقًا لشيخنا الشيخ مصطفى الطائي ورجعا إلى مصر وتصدر للتدريس والإفتاء في حياة شيوخه، ودرس وأفاد وكان أكثر ملازمته لزاوية الشيخ الخضيرى، ويقرأ درسًا بالصرغمتشيه وانتفع به جماعة، وله حاشية على الشيخ عبد السلام مفيدة، وأخرى على الجامع الصغير للسيوطي لم تتم، وكان ذا صلاح وورع وخشية من الله وسكون ووقار، توفي يوم الأربعاء تاسع ربيع الأول من السنة، ودفن ثاني يوم بمشهد عظيم بالقرب من السادة المالكية.

ومات الإمام الصوفي العارف المعمر الشيخ/علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القدوس ابن القطب شمس الدين محمد الشناوي الروحي الأحمدى المعروف ببندق، ولد قبل القرن وأخذ عن عميه محمد العالم وعلي المصري، وهما عن عمهما الشمس محمد بن عبد القدوس الشهير بالدناطي عن ابن عمه الشهاب الخامي، ومسكنهم بمحلة روح قرب طنطا، وهو شيخ مشايخ الأحمدية في عصره، وانتهت إليه الرياسة في زمنه، وعاش كثيرًا حتى جاوز الماية ممتعًا بالحواس، وكان له خلوة في سطح منزله ولها كوة مستقبلة طندتاء، بين يديها فضاء واسع يرى منها آثار طندتاء طنطا وهو مستقبل القبلة في حال جلوسه ونومه ونظره إلى تلك الكوة، وأخبرني أولاده أنه هكذا هو مستمر على هذه الطريقة من مدة طويلة، وتوفي في أوايل جمادى الأول من السنة، واجتمع بمشهده غالب أهل البلاد من المشايخ والأعيان والصلحاء من الآفاق، والسيد محمد مجاهد الأحمدي، والشيخ محمد الموجه، والسيد أحمد تقي الدين وغيرهم، ودفن عند أسلافه بمحلة روح.

(ومات) الأمير/خليل بك ابن إبراهيم بك بلفيا، تقلد الإمارة والصنجقية بعد موت والده وفتح بيتهم وأحيا مآثرهم، وكان أهلًا للإمارة ومحلًّا للرياسة، وتقلد إمارة الحج في سنة إحدى وثمانين ورجع في أمن وسخا، وطلع أيضًا في هذه السنة، ومات بالحجاز ورجع بالحج أخوه عبد الرحمن أغا بلفيا.

(ومات) الأجل المكرم الريس/محمد تابع المرحوم محمد أوده باشه طبال مستحفظان ميسو الجداوي، وهو زوج الجدة أم المرحوم الوالد تزوج بها بعد موت الجد في سنة أربع عشرة ومائة ألف، وقطن بها ببندر جدة وأولدها حسينًا ومحمد، وتوفي سنة أربع وخمسين عن ولديه المذكورين وأخيهما محمود من أبيهما وعتقائه ومنهم المترجم، فرباه ابن سيده وهو العم حسين، فأنجب وعانى التجارة ورئاسة المراكب الكبار ببحر القلزم، حتى صار من أعيان النواخيذ الكبار، واشتهر صيته وذكره وكثر ماله وبنى دارًا بمصر بجوار المدارس الصالحية، واشترى المماليك والعبيد والجواري وصار له دار بمصر وبجدة، ولم يزل حتى توفي بالشام وهو راجع إلى مصر ووصل نعيه في سابع عشرين ربيع الثاني رحمه الله.

(ومات) الخواجا الصالح المعمر الحاج/محمد بن عبد العزيز البنداري، وكان إنسانًا حسنًا وهو الذي عمر العمارة والمساكن بطندتا واشتهرت به، توفي في غرة ربيع أول بعد تعلل رحمه الله تعالى.

سنة سبع وثمانين ومائة وألف/ ١٧٧٣م

فيها تواترت الأخبار والإرجافات بمجي علي بك من البلاد الشامية بجنود الشام وأولاد الظاهر عمر، فتهيأ محمد بك للقائه وبرز خيامه إلى جهة العادلية ونصب الصيوان الكبير هناك، وهو صيوان صالح بك وهو في غاية العظم والاتساع والعلو والارتفاع، وجميعه بدوائره من جوخ صاية وبطانته بالأطلس الأحمر وطلائعه وعساكره من نحاس أصفر مموه بالذهب، فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر، ووصل الخبر بوصول علي بك بجنوده إلى الصالحية، فارتحل محمد بك في خامس شهر صفر، فالتقيا بالصالحية وتحاربا فكانت الهزيمة على علي بك وأصابته جراحة في وجهه، فسقط عن جواده فاحتاطوا به وحملوه إلى مخيم محمد بك، وخرج إليه وتلقاه وقبَّل يده وحمله من تحت إبطه حتى أجلسه بصيوانه، وقتل علي بك الطنطاوي وسليمان كتخدا وعمر جاويش وغيرهم، وذلك يوم الجمعة ثامن شهر صفر، ووصل خبر ذلك إلى مصر في صبح يوم السبت، وحضروا إلى مصر وأنزل محمد بك أستاذه في منزله الكاين بالأزبكية بدرب عبد الحق، وأجرى عليه الأطبا لمداواة جراحاته.

وفي خامس عشر صفر وصل الحجاج ودخلوا إلى مصر، وأمير الحاج إبراهيم بك محمد (وفي تلك الليلة) توفي الأمير علي بك، وذلك بعد وصوله بسبعة أيام قيل: إنه سم في جراحاته، فغسل وكفن ودفنوه عند أسلافه بالقرافة.

(وفي سابع عشر ربيع الأول) وصل الوزير خليل باشا والي مصر وطلع إلى القلعة في موكب عظيم، وذلك يوم الخميس تاسع عشره وضربوا له مدافع وشنكًا من الأبراج وكان وصوله من طريق دمياط، فعمل الديوان وخلع الخلع.

ذكر من مات في هذه السنة

ومات في هذه السنة الشيخ الإمام الصالح العلامة المفيد الشيخ أحمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسن الجوهري الخالدي الشافعي، ولد بمصر سنة اثنتين وثلاثين وماية وألف وبها نشأ، وسمع الكثير من والده ومن شيخ الكل الشهاب الملوي وآخرين، وتصدر في حياة أبيه للتدريس وحج معه وجاور سنة، وكان إنسانًا حسنًا ذا مودة وبر وشهامة ومروة تامة وأخلاق لطيفة. توفي بعد أن تعلل أيامًا في حادي عشر ربيع الأول، وصُلي عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل ودفن على والده بالزاوية القادرية بدرب شمس الدولة.

ومات المبجل المفضل الإمام العارف صاحب المعارف علي بن محمد ابن القطب الكامل السيد محمد مراد الحسيني البخاري الأصل الدمشقي الحنفي، ويعرف بالمرادي نسبة لجده المذكور، ولد بدمشق وأخذ عن أبيه وغيره من العلماء كعلي بن صادق الداغستاني وغيره، وكان إنسانًا عظيم الشأن، ساطع البرهان، طيب الأعراق، كريم الأخلاق، منزله مأوى القاصدين، ومحط رحال الواردين، وهو والد خليل أفندي المفتي بدمشق، نزل عنده السيد العيدروس فأكرمه وبره، ولم يزل حتى توفي في هذه السنة. وتوفي بعده بشهرين أيضًا أخوه حسين أفندي المرادي رحمهما الله.

ومات الماهر الأديب الشاعر الكاتب المنشئ الشيخ إبراهيم بن محمد سعيد بن جعفر الحسني الإدريسي المنوفي المكي الشافعي، ولد في آخر القرن الحادي عشر بمكة، وأخذ عن كبار العلماء كالبصري والنخلي وتاج الدين القلعى والعجمي، ثم من الطبقة التي تليه مثل علي السخاوي وابن عقيلة وآخرين من الواردين على الحرمين من آفاق البلاد، وأعلى ما عنده إجازة الشيخ إبراهيم الكوراني له، وله شعر نفيس. وقد جمع في ديوان، وبينه وبين السيد جعفر البيتي والسيد العيدروس مخاطبات ومحاورات، وكان الشيخ يقول في حقه: إنه أديب جزيرة الحجاز ولا استثنى، وفيه يقول:

إن إيراهيم أضحى أمة ... قانتا لله رب العالمين
عالم أخلص في أعماله ... هكذا شأن العباد المخلصين

وله معارضة القصيدة الحائية لابن النحاس، أبدع فيها وأعرب، ودخل الهند بسفارة صاحب مكة فأكرم، وعاد إلى مكة وولى كتابة السر لملكها، وكان يكاتب رجال الدولة على لسانه على اختلاف طبقاتهم، وكان قلمه كلسانه سيالًا، وربما شرع في كتابة سورة من القرآن، وهو يتلو سورة أخرى بقدرها فلا يغلط في كتابته ولا في قراءته، حتى تتما معًا وهذا من أعجب ما سمعت، وكان له مهارة ومعرفة في علم الطب. وأما إنشاءاته فإليها المنتهى في العذوبة. وتناسب القوافي، وأما نظمه فهو فريد عصره لا يجاريه في مجار ولا يطاوله مطاول، فمن مشهور كلامه:

أعاتب ريم البر في لفتاته ... وأعذره إن قام في خلواته
تراه رأى ظبي الأوانس آنسًا ... فأشرب حبًّا في رنى لحظاته
أم اغتاظا لما أن رأى كل عاشق لحا الله ... يوحده في ذاته وصفاته
صبًّا حاول القلب سلوة ... ولم يدر أن الموت عين حياته
ولولا النوى لم يطعم الوصل ذائقًا ... أو الفرق لم يرغب لجمع شتاته
ولولا مجازي ما علمت حقيقتي ... وعلمي بجهلي زاد عن شبهات

ومن كلامه بيتان من قصيدة اشتهر على الألسنة وهما:

كيف يقوى على المقام محب ... قد أتاه الندا من المحبوب
قد رحمناك إننا نقبل العذ ... ر ونمحو بالعفو رين العيوب

وله ديوان سماه (السبع السنابل في مدح سيد الأواخر والأوائل) ورسالة في علم الطب مفيدة. توفي في هذه السنة بمكة.

ومات البارع المقرئ المجوِّد المحدث الشيخ عبد القادر بن خليل بن عبد الله الرومي الأصل المدني المعروف بكدك زاده، ولد بالمدينة سنة أربعين وماية وألف، وبها نشأ وحفظ القرآن وجوده على شيخ القراء شمس الدين محمد السجاعي نزيل المدينة تلميذ البقري الكبير، وحفظ الشاطبية واشتغل بالعمل على علماء بلده والواردين عليه، سمع أكثر كتب الحديث على الشيخين ابن الطيب ومحمد حياة بقراءته عليهما في الأكثر، ولازم الشيخ ابن الطيب ملازمة كلية حتى صار معيدًا لدروسه، وكان حسن النغمة طيب الأداء، ولي الخطاية والإمامة بالروضة المطهرة، وكان إذا تقدم إلى المحراب في الصلوات

الجهرية تزدحم عليه الخلق لسماع القرآن منه، ثم ورد إلى مصر فأدرك الشيخ المعمَّر داود بن سليمان الخربتاوي، فتلقى عنه أشياء وأجازه وذلك في سنة ثمان وستين وماية وألف، وحضر الشيخ الملوي والجوهري والحفني والبليدي وحمل عنهم الكثير، وتزوج ثم توجه إلى الروم ثم عاد إلى المدينة فلم يقر له بها قرار، ثم أتى إلى مصر ودار على الشيوخ البقية ثانيًا، وأخذ عنهم، وأخبه السيد إسماعيل بن مصطفى الكماخي، وصار يجلس عنده أيامًا في منزله الملاصق لجامع قوصون، فشرع في أخذ خطابته له فاشترى له الوظيفة فخطب به على طريقة المدينة، وازدحمت عليه الناس وراج أمره، وتزوج ثم توجه إلى الروم وباع الوظيفة، وانخلع عما كان عليه وجلس هناك مدة وسمع السلطان قراءته في بعض المواضع في حالة التبديل، فأحب أن يكون إمام لديه وكاد أن يتم ذلك فأحس أمام السلطان بذلك، فدعاه إلى منزله وسقاه شيئًا مما يفسد الصوت حسدًا عليه، فلما أحس بذلك خرج فارًّا فعاد إلى مصر واشتغل بالحديث، وشرع في عمل المعجم لشيوخه الذين أدركهم في بلده وفي رحلاته إلى البلاد، ودخل حلب فاجتمع بالشيخ أبي المواهب القادري وقرأ عليه شيئًا من الصحيح وأجازه، وأخذ عن السيد المعمّر إبراهيم بن محمد الطرابلسي النقيب ومن درويش مصطفى الملقي، ودخل طرابلس الشام وأخذ الاجازة من الشيخ عبد القادر الشكعاوي، ودخل «خادم» إحدى قرى الروم فاجتمع بالشيخ المعروف بمفتي «خادم» ورام أن يسمع منه الأولية فلم يجد عنه إسنادًا وإنما هو من أهل المعقول فقط، ورجع إلى مصر، فاجتمع بشيخنا السيد مرتضى وتلقى عنه الحديث، واهتم في جمع رجاله وتمهر في الإسناد وجمع من ذلك شيئًا كثيرًا في مسودات بخطه، ثم عاد إلى الحرمين ومنهما إلى أرض اليمن فاجتمع بمن بقي من الشيوخ، وأخذ عنهم ودخل صنعاء ومدح كلا من الوزير والإمام بقصيدة فأكرم بها، واجتمع على علمائها، وتلقى عنهم وصار بينه وبين الشيخ أحمد قاطن أحد علمائها محاورات، ثم دخل كوكبان فاجتمع على فريد عصره السيد عبد القادر بن أحمد الحسني من بيت الأئمة، ودخل شبام فاجتمع على السيد إبراهيم بن عيسى الحسين، واللحية فاجتمع بها على الشيخ عيسى زرايق، وذلك في سنة خمس وثمانين ومائة وألف وعاد إلى مصر بالفوايد الغزار بما حمل في طول غيبته من النوادر والأسرار، وفي هذه الخطوات التي ذكرت دخل الصعيد من طريق القصير، واجتمع على مشايخ عربان الهوارة ومدحهم بقصايد طنانة وأكرموه، وله ديوان جمع فيه شعره وما مدح به الأكابر الأولياء، وكان عنده مسودة بخطه وهذا قبل أن يسافر إلى الشام والروم واليمن والصعيد، فقد تحصل له في

هذه السفرات كلام كثير مفرق لم يلحقه بالديوان، وكان كلما نزل في موضع ينشئ فيه قصيدة غريبة في بابها، وكان يغوص على المعاني بفكره الثاقب فيستخرجها ويكسوها حلة الألفاظ ويبرزها أعجوبة تلعب بالعقول، وتعمل عمل الشمول فلله دره من بليغ لم يبلغ معاصروه شأوه، ولو أقام في موضوع كغيره لأطلع ضياه، ولكنه ألف الغربة، وهانت عنده الكربة، فلم يبال بخشن ولا لين، ولم يكترث بصعب ولا هين، وأجازه الشيخ محمد السفاريني إجازه طويلة في خمسة كراريس فيها فوايد جمة، ومن كلامه ما كتبه لبعض أحبابه:

ولما نما سُقمي تنشقت تُربكم ... ومنه شممت البرء غبّ التنشق
فزدني نشوقًا من تراب به الشفا ... ولا تصف الإجزاء للمتشوق

ولم يزل تتنقل به الأحوال حتى سافر إلى القدس الشريف، فمكث هناك قليلًا وزار المشاهد الكرام، ومراقد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم ارتحل إلى نابلس فنزل في دار السيد موسى التميمي وهو إذ ذاك قاضي البلد فأكرمه وآواه، واحترمه ومرض أيامًا وانتقل إلى رحمة الله تعالى في سلخ جمادى الثانية منها، ووصل نعيه إلى مصر وكانت معه كتبه وما جمعه في سفره من شعره، والمعجم الذي جمعه في الشيوخ والأجزاء والأمالي التي حصلها، وضاع ذلك جميعه ولله في خلقه ما أراد.

ومات العمدة الشاب الصالح الشيخ محمد بن حسن الجزايرلي ثم المدني الحنفي الأزهري، ولد بمكة إذ كان والده يتجر بالحرمين في حدود الستين، وقدم به إلى مصر فلازم الشيخ حسن المقدسي مفتي الحنفية ملازمة كلية، وانضوى إليه فقرأ عليه المتون الفقهية ودرّجه في أدنى زمن إلى معرفة طرق الفتوى، حتى كان معيدًا لدروسه وكاتبًا لسؤالاته، وربما كتب على الفتوى بإذن شيخه، وفي أثناء ذلك حضر في المعقول على الشيخ الصعيدي والشيخ البيلي والشيخ محمد الأمير وغيرهما من مشايخ الوقت، وحصل طرفا من العلوم، وصارت له الشهرة في الجملة وأعطاه شيخه تدريس الحديث بالصرغتمشية فكان في كل جمعة يقرأ فيه البخاري، وزوجه امرأة موسرة لها بيت بالأزبكية، وبعد وفاة شيخه تصدر للإقراء في محله، وصار ممن يشار إليه، ولم يزل حتى مات في عنفوان شبابه في هذه السنة ويقال: إن زوجته سمَّته.

ومات الأمير الكبير علي بك الشهير صاحب الوقايع المذكورة والحوادث المشهورة، وهو مملوك إبراهيم كتخدا تابع سليمان جاويش تابع مصطفى كتخدا القازدغلي، تقلد

الإمارة والصنجقية بعد موت أستاذه في سنة ثمام وستين وماية وألف، وكان قوي المراس شديد الشكيمة عظيم الهمة لا يرضى لنفسه بدون السلطنة العظمى والرياسة الكبرى، لا يميل لسوى الجدولا يحب اللهو ولا المزح ولا الهزل، ويحب معالي الأمور من صغره، واتفق أن بعض ولاة الأمور تشاوروا في تلقيده الإمارة، فنقل إليه مجلسهم وذكر له مساعدة فلان وممانعة فلان فقال: «أنا لا أتقلد الإمارة إلا بسيفي لا بمعونه أحد». ولم يزل يرقى في مدراج الصعود حتى عظم شأنة وانتشر صيته ونما ذكره، وكان يلقب (يجن على) ولقب أيضًا (ببلوط قبام) وانضم إلى عبد الرحمن كتخدا، وأظهر له خلوص المحبة واغتر هو أيضًا به وظن صحة خلوصه فركن إليه وعضده وساعده، ونوه بشأنه ليقوى به على نظرائه من الاختيارية والمتكلمين، واتفق أنه وقع بين أحمد جاويش المجنون تابعه وبين أهل وجاقه حادثة نقموا عليه فيها وأوجبوا عليه النفي بحسب قوانينهم واصطلاحهم، وأعرضوا الأمر على عبد الرحمن كتخدا أستاذه، فعارض في ذلك ولم يسلم لهم في نفي أحمد جاويش، ورأى أن ذلك نقصًا في حقه، فتلطف به بعضهم وترجوا في إخراجه ولو إلى ناحية ترسا بالجيزة أيامًا قليلة مراعاة وحرمة للوجاق، فلم يرض وحنق واحتد، فلما كان في اليوم الثاني واجتمع عليه الأمراء والأعيان على عادتهم قال لهم: «أيها الأمراء من أنا؟» أجابه الجميع بقولهم: «أنت أستاذنا وابن أستاذنا وصاحب ولائنا» قال: «إذا أمرت فيكم بأمر تنفذوه وتطيعوه؟» قالوا: «نعم» قال علي بك: «هذا يكون أميرنا وشيخ بلدنا ومن بعد هذا اليوم يكون الديوان والجمعية بداره، وأنا أول من أطاعه وآخر من عصي عليه»، فلم يسعهم إلَّا قبول ذلك بالسمع والطاعه وأصبح راكبًا إلى بيت علي بك وتحول الديوان والجمعية إليه من ذلك اليوم واستفحل أمره، ولم يمض على ذلك إلا مدة يسيرة حتى أخرج أحمد جاويش المذكور وحسن كتخدا الشعراوي وسليمان بك الشابوري كما تقدم، ثم غدر به أيضًا أي: غدر بعبد الرحمان كتخدا، وأخرجه إلى الحجاز من طريق السويس، وأرسل معه صالح بك ليوصله إلى ساحل القلزم، فلما شيعه هناك أرسل بنفي صالح بك إلى غزة ثم رد إلى رشيد ومنها ذهب إلى منية ابن خصيب وتحصن بها، وجرد عليه المترجم التجاريد ولم يزل ممتنعًا بها حتى تعصب على المترجم خشداشينه وأخرجوه منفيًّا إلى النوسات، ثم وجهوه إلى السويس بعد قتل حسن بك الأزبكاوي، ثم منها إلى الجهة القبلية بعد قتل عثمان بك الجرجاوي، وانضم إلى صالح بك وتعاقد معه وحضر معه إلى مصر وقتل الرؤساء من أقرانه، ثم غدر بصالح بك أيضًا كما تقدم مجمل ذلك، ثم نفي باقي الأعيان

وفرق جمعهم في القرى والبلدان وتتبعهم خنقًا وقتلًا، وأبادهم فرعًا وأصلًا، وأفنى باقيهم بالتشريد، وجلوا عن أوطانهم إلى كل مكان بعيد؛ واستأصل كبار خشداشينه وقبيلته، وأقصى صغارهم عن ساحته وسدته، وأخرب البيوت القديمة وأخرم القوانين الجسيمة والعوايد المرتبة، والرواتب التي من سالف الدهر كانت منظمة، وقتل الرجال، واستصفى الأموال، وحارب كبار العربان والبوادي، وعرب الجزيرة والهنادي، وأعاظم الشجعان، ومقادم البلدان، وشتت شملهم، وفرق جمعهم، واستكثر من شراء المماليك وجمع العسكر من ساير الأجناس واستخلص بلاد الصعيد، وقهر رجالها الصناديد، ولم يزل يمهد لنفسه حتى خلص له ولأتباعه الإقليم المصري من الإسكندرية إلى أسوان، ثم جرد عساكره إلى البلاد الحجازية ونفذ أغراضه بها، ثم التفت إلى البلاد الشامية وتابع إرسال البعوث والسرايا والتجاريد إليها، وقتل عظماها وولاتها، واستولت أتباعه على البلاد الشامية حتى إنهم أقاموا في حصار يافا أربعة أشهر حتى ملكوها، وعمر قلاع الإسكندرية ودمياط وحصنها بعساكره ومنع وروج الولاة العثمانيين، وكان يطالع كتب الأخبار والتواريخ وسير الملوك المصرية ويقول لبعض خاصته: إن ملوك مصر كانوا مثلنا مماليك الأكراد مثل السلطان بيبرس والسلطان قلاوون وأولادهم، وكذلك ملوك الجراكسة وهم مماليك بني قلاوون إلى آخرهم كانوا كذلك، وهؤلاء العثمانية أخذوها بالتغلب ونفاق أهلها»، وينوه ويشير بمثل هذا القول بما في ضميره وسريرته ولو لم يخنه مملوكه محمد بك لرد الأمور إلى أصولها، وكان لا يجالس إلا أهل الوقار والحشمة والمسنين، مثل محمد أفندي كاتب كبير الينكجرية، ومصطفى أفندي توكلي، وعبد الله كتخدا محمد باشا الراقم، ومرتضى أغا وأحمد أفندي، يجالسونه بالنوبة في أوقات مخصوصة مع غاية التحرز في الخطاب والمامرة بوجيز القول، وكاتب إنشائه العربي الشيخ محمد الهلباوي الدمنهوري، وكاتبه الرومي مصطفى أفندي الأشقر ونعمان أفندي وهو منجمه أيضًا، ويجل من العلما المرحوم الوالد والشيخ أحمد الدمنهوري والشيخ علي العدوي والشيخ أحمد الحماقي، وكاتبه القبطي المعلم رزق بلغ في أيامه من العظمة ما لم يبلغه قبطي فيما رأينا، ومن مسقاته كرع المعلم إبراهيم الجوهري وأدرك ما أدركه بعده في أيام محمد بك وأتباعه من بعده؛ وتتبع المفسدين والذي يتداخلون في القضايا والدعاوي ويتحيلون على إبطال الحقوق بأخذ الرشوات والجعالات وعاقبهم بالضرب الشديد والإهانة والقتل والنفي إلى البلاد البعيدة، ولم يراع في ذلك أحدًا سواء كان متعممًا أو فقيهًا أو قاضيًا أو كاتبًا أو غيرها من البنادر والقرى، وكذلك المفسدون

وقطاع الطريق من العرب وأهل الحوف، وألزم أرباب الأدراك والمقادم بحفظ نواحيهم وما في حوزهم وحدودهم، عاقب الكبار بجناية الصغار، فأمنت السبل وانكفت أولاد الحرام وانكمشوا عن قبايحهم وإيذايهم، بحيث إن الشخص كان يسافر بمفرده ليلًا راكبًا أو مشايًا ومعه حمل الدراهم والدنانير إلى أي جهة ويبيت في الغيط أو البرية آمنا مطمئنًّا لا يرى مكروهًا أبدًا، وكان عظيم الهيبة اتفق لأناس ماتوا فرقًا من هيبته، وكثيرًا من كان يأخذه الرعدة بمجرد المثول بين يديه فيقول له: «هون عليك» ويلاطفه حتى ترجع له نفسه، ثم يخاطبه فيما طلبه بصدده، وكان صحيح الفراسة شديد الحذق، يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين ولا يحتاج في التفهيم إلى ترجمان أومن يقرأ له الصكوك والوثايق، بل يقرؤها بنفسه كالماء الجاري ولو كان خطها سقيمًا، ولا يختم ورقة حتى يقرأها ويفهم مضمونها ثم يمضيها أو يمزقها، وألبس سراجينه قواويق فتلى بالفاء من جوخ أصفر تمييزًا لهم عن غيرهم من سراجين أمرائه، ولم يزل منفردًا في سلطنة مصر لا يشاركه مشارك في رأيه ولا في أحكامه، وأمراؤها وحكامها مماليكه وأتباعه فلم يقنع بما أعطاه مولاه، وخوله من ملك مصر بحريها وقبليها الذي افتخرت به الملوك والفراعنة على غيرها من الملوك، وشرهت نفسه لزيادة وسعة المملكة، وكلف أمراءه الأسفار وفتح البلاد حتى ضاقت أنفسهم، وسئموا الحروب والغربة والبعد عن الوطن، فحالف عليه كبير أمرائه محمد بك ورجع بعد فتح البلاد الشامية بدون استئذان منه، واستوحش كل من الآخر فوثب عليه وفر إلى الصعيد، وكان ما كان من رجوعه بمن انضم إليه وخامر معه، وكانت الغلبة له على مخدومه، وفر منه إلى الشام وجند الجنود وقصد العود لملكته ومحل سيادته فوصل إلى الصالحية، وخرج إليه محمد بك وتلاقيا وأصيب المترجم بجراحة في وجهه وأخذ أسيرًا، وقتل من قتل من أمرائه، ورجع محمد بك وصحبته مخدومه المذكور محمولًا في تحت فأنزلوه في داره بدرب عبد الحق فأقام سبعة أيام ومات، والله أعلم بكيفية موته، وكان ذلك في منتصف شهر صفر من السنة، فغسل وكفن وخرجوا بجنازته وصُلي عليه بمصلى المؤمنين في مشهد حافل، ودفن بتربة أستاذه إبراهيم كتخدا بالقرافة الصغرى بجوار الإمام الشافعي، ومدفنهم مشهور هناك وبواجهته سبيل يعلوه قصر مفتح الجوانب؛ ومن مآثره العمارة العظيمة بطنتدا وهي المسجد الجامع والقبة على مقام سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه، والمكاتب والميضأة الكبيرة والحنفيات وكراسي الراحة المتسعة والمنارتان العظيمتان والسبيل المواجه للقبة والقيسارية العظيمة النافذة من الجهتين وما بها من الحوانيت

للتجار، وسميت هناك بالغورية لنزول تجار أهل الغورية بمصر في حوانيتها أيام مواسم الموالد المعتادة لبيع الأقمشة والطرابيش والعصايب، وكان المشد على تلك العمارة المعلم حسن عبد المعطي وكان من الرجال أصحاب الهمم، وولاه سدانة الضريح عوضًا عن أولاد سعد الخادم لسو سيرتهم وظلمهم فنكبهم المترجم، وأخذ ما أمكنه أخذه من مالهم وهو شيء كثير وأنفقه في هذه العمارة، وأوقف عليها أوقافًا اورتب بالمسجد عدة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاورين، وجعل لهم خبزًا وجرايات وشوربة في كل يوم. وجدد أيضًا قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه وكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبي في القرن الخامس، وقد تشعث وصدِي لطول الزمان فجدد ما تحته من خشب القبة البالي بغيره من الخشب النقي الحديث، ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة وهو عمل كثير، وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ وكتب بإفريزها تاريخًا منظومًا بخط صالح أفندي، وهدم أيضًا الميضأة التي كانت من عمارة عبد الرحمن كتخدا، وكانت صغيره مثمنة الأركان ووسعها وعمل عوضها هذه الميضأة الكبيرة وهي مربعة مستطيلة متسعة وبجانبها حنفية وبزابيز يصب منها الماء، وحول الميضأة كراسي راحة بحيضان متسعة تجري مياهها إلى بعضها وماؤها شديد الملوحة. ومن إنشائه أيضًا العمارة العظيمة التي أنشأها بشاطئ النيل ببولاق، حيث دكك الحطب تحت ربع الخرنوب وهي عبارة عن قيسارية عظيمة ببابين يسلك منها من بحري إلى قلبي وبالعكس خانًا عظيمًا يعلوه مساكن من الجهتين، وبخارجه حوانيت وشونة غلال حيث مجرى النيل، ومسجد متوسط فحفروا أساس جميع هذه العمارة حتى بلغوا الماء، ثم بنوا لها خنازير مثل المنارات من الأحجار واستعلوا عليه بعد ذلك بالبناء المحكم بالحجر النحيت، وعقدوا العقود والقواصر والأعمدة والأخشاب المتينة، وكان العمل في ذلك سنة خمس وثمانين، ومات المترجم قبل إتمامها وبناء أعاليها، وكانت هذه العمارة من أشام العماير؛ لأن النيل انحسر بسببها عن ساحل بولاق وبطل تياره واندفع إلى ناحية إنبابة، ولم تزل الأرض تعلو والأتربة تزيد فيما بين زاوية تلك العمارة إلى شون الغلال ويزيد نموها في كل سنة حتى صار لا يركبها الماء إلا في سني الغرق، ثم فحش الأمر وبنى الناس دورًا وقهاوي في بحري العمارة وسبحوا إلى جهة قرب الماء مغربين، وألقوا أتربة العمائر وما يحفرونه حول ذلك، واقتدى بهم الترابة وغيرهم ولم يجدوا مانعًا ولا رادعًا، وكلما فعلوا ذلك هرب الماء وضعف جريانه وربت الأرض وعلت وزادت حتى صارت كيمانًا تنقبض النفوس

من رؤيتها وتمتلئ المنافس من عجاجها، وخصوصًا في وقت الهجير بعد أن كانت نزهة للناظرين، ولقد أدركنا فيما قبل ذلك تيار النيل يندفع من ناحية بولاق الدكرور إلى تلك الجهة، ويمر بقوته تحت جدران الدور والوكايل القبلية وساحل الشون ووكالة الأبزار، وخضرة البصل وجامع السنانية وربع الخرنوب إلى الجيعانية، وينعطف إلى قصر الحلي والشيخ فرج صيفًا وشتاءً ولا يعوقه عائق ولا يقدر أحد أن يرمي بساحل النيل شيًّا من التراب. فإن اطلع الحاكم على ذلك نكل به أو بخفير تلك الناحية، وهذا شيء قد تؤدع منه ومن أمثاله، وآخر من أدركنا فيه هذا الالتفات والتفقد للأمور الجزئية التي يترتب بزيادتها الضرر العام عبد الرحمن أغا مستحفظان، فإنه كان يحذو طريق الحكام السالفين إلى أن ضعفت شوكته بتأمر الأصاغر، وقيد حكمه بعد الإطلاق وتُركَ هذا الأمر ونُسي بموته وتقليد الأغاشم، وتضاعف الحال حتى إن بعض الطرق الموصلة إلى بولاق استدت بتراكم الأتربة التي يلقيها أهل الأطارف خارج الدروب، ولا يجدون من يمنعهم أو يردعهم، وقدرت علو الأرض بسبب هذه العمارة زيادة عن أربع قامات، فإننا كنا نعد درج وكالة الإبزاريين من ناحية البحر عندما كنا ساكنين بها قبل هذه العمارة نيفًا وعشرين درجة، وكذلك سلم قيطون بيت الشيخ عبد الله القمري وقد غابت جميعها تحت الأرض وغطتهاالأتربة ولله عاقبة الأمور.

ومن إنشاء المترجم داره المطلة على بركة الأزبكية بدرب عبد الحق التي مات بها والحوض والساقية والطاحون بجوارها، وهي الآن مسكن الست نفيسة، بالجملة فأخبار المترجم ووقايعه وسيرته لو جمعت من مبدأ أمره إلى آخره لكانت مجلدات، وقد ذكرنا فيما تقدم لُمعًا من ذلك بحسب الاقتضاء مما استحضره الذهن القاصر، والفكر المشوش الفاتر، بتراكم الهموم، وكثرة الغموم، وتزايد المحن واختلاط الفتن واختلال الدول، وارتفاع السفل، ولعل العود يخضر بعد الذبول، ويطلع النجم بعد الأفول، أو يبسم الدهر بعد كشارة أنيابه أو يلحظنا من نظره المتغابي في إيابه (شعر):

زمن كأحلام تقضى بعده   زمن نعلل فيه بالأحلام

ولله في خلقة من قديم الزمان عادة، وانتظار الفرج عبادة، نسأله انقشاع المصايب، وحسن العواقب.

ومات سلطان الزمان السلطان مصطفى بن أحمد خان، تولى السلطنة في سنة إحدى وسبعين وماية وألف، فكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة وكانت له عناية ومعرفة

بالعلوم الرياضية والنجومية ويكرم أرباب المعارف، وكان يراسل المرحوم الوالد والشيخ أحمد الدمنهوري ويهاديهما، ويرسل إليهما الصلات الكتب، وأرسل مرة إلى الشيخ الوالد ثلاثة كتب مكلفة من خزانته، هو كتاب القهستاني الكبير، وفتاوي أنقروي، ونور العين في إصلاح جامع الفصولين كلاهما في الفقه الحنفي، وله مؤلف في الفن الدقيق ينسب إليه، وتولى بعده السلطان عبد الحميد خان جعل الله أيامه سعيدة.

ومات الأمير علي بك الشهير بالطنطاوي وهو من مماليك علي بك الذكور وكان من الشجعان المعروفين، والفرسان المشهورين، ولم ينافق على سيده مع المنافقين، ولم يمرق مع المارقين، ولم يزل مع مخدومه فيما وجه إليه، حتى قتل بالصالحية بين يديه.

ومات الرئيس المبجل الأمير إسماعيل أفندي الروزنامجي رئيس الكتبة بمصر، وكان إنسانًا حسنًا منور الوجه والشيبة ضابطًا محرر أخيرًا، أصيب بوجع في عينيه فوعده الحاج سليمان الحكاك بشيء من الكحل وأودعه في ورقة وضعها في طي عمامته، وكان بها ورقة أخرى فيها شيء من السليماني لم يتذكرها وهو أبيض والكحل أيضًا أبيض، فلما حضر عنده أخرج الورقة التي بها السليماني من عمامته وأعطاها له، وأمره أن يكتحل منا وقت النوم يظنها أنها ورقة الكحل، ثم انصرف إلى داره فلما نزع عمامته وقت النوم رأى ورقة الكحل، وتذكر عن ذلك الأخرى فلم يمكنه الذهاب والتدارك ليلًا لبعد المكان وفوات الوقت، والمسكين صلَّى العشاء واكتحل من الورقة فزال بصره في الحال، واستمر مكفوفًا إلى أن مات سحر ليلة الأحد سادس عشر ذي الحجة من آخر السنة وصُلي عليه من الغد بسبيل المؤمنين، ودفن بقبره الذي أعده لنفسه بالقرب من ابن أبي جمرة عوضه الله الجنة.

ومات الرجل الصالح الأمير/مراد أغا تابع قيطاس بك القطامشي، وكان منجمعًا عن الناس راضيًا بحاله قانعًا بمعيشته، ملازمًا على حضور الجماعة صلاة الجمعه والصلوات في المسجد. توفي يوم الأربعاء سابع عشرين شوال وصُلي على بمصلى أيوب بك ودفن بالقرافة عند الطحاوي.

ومات الأمير/حسن كتخدا مستحفظان القازدغلي الملقب بقرا، وكان من الأمراء الكبار أصحاب الحل والعقد بمصر في الزمن السابق، وانقطع في بيته عن المقارشة والتداخل في الأمور، وكان مريضًا بمرض الأكلة في فمه؛ ولذلك تركه علي بك وأهمله حتى مات يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة من السنة عن ذلك المرض وورم في رجليه أيضًا، ودفن في يومه ذلك بالقرافة.

ومات أيضًا مصطفى أفندي الأشقر كاتب ديوان/علي بك، خنقه خليل باشا بالقلعة في سابع عشرين جمادى الأولى بموجب مرسوم من الدولة؛ حضر بطلب رأسه ورأس عبد الله كتخدا ونعمان أفندي ومرتضى أغا، فوجد محمد بك أمضى الأمر في عبد الله كتخدا، ونعمان أفندي ومرتضى اغا؛ ونعمان أفندي ذهب إلى الحجاز إثر موت علي بك، وكذلك مرتضى أغا اختفى وتغيب وذهب من مصر ولم يعلم له مكان، واستمر المترجم فطلبه الباشا إلى الميري فلما حضر إليه أمر بخنقه فخنقو وسلخوا رأسه ودفنوه بالقرافة، وأخذ موجوداته الباشا إلى الميري.

ومات الأجل المبجل المجيد الضابط الماهر/إسماعيل بن عبد الرحمن الرومي الأصل، ثم المصري المكتب الملقب بالوهبي شيخ الخطاطين بمصر، كتب الخط وجوده على شيخ عصره السيد محمد النووي، وبرع واجتهد، واشتغل قليلًا بالعلم كت بيده المصاحف مرارًا، وأما نسخ الدلائل والأحزاب والأوراد السبعة فمما لا يحصى كثرة، وكان إنسانًا حسنًا بشوشًا محبًّا للناس فيه مكارم الأخلاق وطيب النفس، كتب عليه غالب من بمصر من أهل الكتابة، وكان صاحب نفس وهمة عالية وكان يلي منصب سيد في الخدمة العسكرية، وكتب عدة ألواح كبار وتوجه بها بإشارة بعض أمراء مصر إلى المدينة المنورة، فعلقها في المواجهة الشريفة بيده، ونال بهذه الزيارة الشريفة والخدمة المنيفة سرورًا وشرفًا، ولما كان سنة إحدى وثمانين ومائة وألف أتى الأمر من صاحب الدولة بتوجيه بعض عساكر مصرية تقوية للمجاهدين، فكان هو من جملة المعينين فيهم رئيسًا في طائفتهم، فتوجه إلى الاسكندرية وركب منها إلى الروم وأبلى في تلك السفرة بلاءً حسنًا وبعد مدة أذن لهم بالانصراف، فعاد إلى مصر وقد وهنت قواه واعترته الأمراض وزاد شكواه، وهو مع ذلك يكتب ويقيد، ويجيز ويعيد، ويحضر مجالس أهلي الخط على عادتهم، وجلس ملازمًا لفراشه مدة حتى وافاه الحمام ليلة الأحد سادس عشر ذي الحجة، فجهز وصُلي عليه بمشهد حافل في مصلى المؤمنين، ودفن عند أبي جمرة قرب العياشي في قبر كان أعده لنفس منذ مدة ولم يخلف بعد مثله رحمه الله.

سنة ثمان وثمانين وماية وألف/١٧٧٤م

استهلت ووالي مصر خليل باشا محجوز عليه، وليس له في الولاية إلا الاسم والعلامة على الأوراق، والتصرف الكلي للأمير الكبير محمد بك أبو الذهب والأمرا وأعيان الدولة ومماليكه وإشراقاته، والوقت في هدو وسكون وأمن، والأحكام في الجملة مرضية والأسعار رخية وفي الناس بقية، وستائر الحياء عليهم مرخية، شعر:

وما الدهر في حال سكون بساكن　　ولـكـن مـسـتـجـمـع لـوثـوب

ذكر من مات في هذه السنة

ومات في هذه السنة الإمام العلامة، والنحرير الفهامة، حامل لواء العلوم على كاهل فضله، ومحرر دقايق المنطوق والمفهوم بتحريره ونقله، من تكحلت بحبره عيون الفتوى، وتشنف المسامع بما عنه يروى، وارتفع من حضيض التقليد إلى ذر الفضايل، وسابق في حلبة العلوم قصب الفواضل، الروض النضير، الذي ليس له في ساير العلوم نظير، وهو في فقه النعمان الجامع الكبير، عمدة الأنام، وفيلسوف الإسلام، سيدي ووالدي بدر الملة والدين أبو التداني/حسن بن برهان الدين إبراهيم بن الشيخ العلامة حسن بن الشيخ نور الدين علي بن الولي الصالح شمس الدين محمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحمن الزيلعي الجبرتي العقيلي الحنفي، وبلاد الجبرت هي بلاد الزيلع بأراضي الحبشة تحت حكم الحطي ملك الحبشة، وهم عدة بلاد معروفة تسكنها هذه الطايفة وهم المسلمون بذلك الإقليم ويتمذهبون بمذهب الحنفي والشافعي لا غير، وينسبون إلى سيدنا أسلم بن عقيل بن أبي طالب، وكان أميرهم في عهد النبي ﷺ النجاشي المشهور

الذي آمن به ولم يره، وصلى عليه النبي صلاة الغيبة كما هو مشهور في كتب الأحاديث، وهم قوم يغلب عليهم التقشف والصلاح، ويأتون من بلادهم بقصد الحج والمجاورة في طلب العلم، ويحجون مشاة، ولهم رواق بالمدينة المنورة، ورواق بمكة المشرفة، ورواق بالجامع الأزهر بمصر، وللحافظ المقريزي مؤلف في أخبار بلادهم وتفصيل أحوالهم ونسبهم.

ومنهم القطب الكبير والمعتقد الشهير الشيخ إسماعيل بن سود كين الجبرتي تلميذ الشيخ ابن العربي ويسمى قطب اليمن، والشيخ عبد الله الذي ترجمه الحافظ السيوطي في حسن المحاضرة، وهو الذي كان يعتقده الملك الظاهر برقوق، وأوصى عند موته بأن يدفن تحت قدمه بالصحراء، ومنهم الولي العارف الشيخ علي الجبرتي الذي كان يعتقده السلطان الأشراف قايتباي وارتحل إلى بحيرة إدكو فيما بين رشيد والاسكندرية، وبنى هناك مسجدًا عظيمًا ووقف عليه عدة آماكن وقيعان وأنوال حياكة وبساتين ونخيل كثيرة، وهو موجود إلى الآن عامر بذكر الله والصلاة، وهو تحت نظر الفقير إلا أن غالب أماكنه زحفت عليها الرمال وطمستها وغابت تحتها، وفيه إلى الآن بقية صالحة، وبنى أيضًا مسجدًا شرقي عمارة السلطان قايتباي ودفن به، وقد خرب وانطمس معالمه ولم يبق إلا مدفنه، وحوله حايط متهدم بغير باب ولا سقف، وقبره ظاهر مكشوف يزار وللناس فيه اعتقاد عظيم، ومن كراماته التي أكرمه الله بها أنه يرى على قبره في بعض الليالي المظلمة نور مثل قنديل المستنير، يرى ذلك سكان العمارة وغيرهم وهو أمر مشهور، ومنها أن السفار وقوافل الأعراب ينزلون بأحمالهم حول قبره في الحوطة ويتركونها من غير حارس ليالي وأيامًا آمنين، فلا يتعدى عليها سارق ألبتة، ويعتقدون العطب للجاني في بدنه أو ماله، وهو أمر مشهور أيضًا مقرر في أذهانهم إلى الآن.

ومنهم الإمام الحجة الفقيه الجدلي صاحب التصحيح والترجيح، فخر الدين أبو عمر وعثمان الحنفي الزيلعي شارع الكنز المسمى بتبيين الحقايق شرح كنز الدقايق المدفون بحوطة سيدي عقبة بن عامر الجهني والشيخ الزيلعى الشافعي المدفون بالقرافة الكبرى، وغير هؤلاء كثير ببلادهم وأرض الحجاز ومصر، والقصد بذلك التعريف بالنسبة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾. والنجاشي أول من آمن بالنبي ﷺ من الملوك ولم يره، وأسلم على يد ابن عمه جعفر بن أبي طالب وزوجه أم حبيبه رضي الله عنها وجهزها من عنده وأرسلها للنبي من الحبشة إلى المدينة، ومن أراد الاطلاع على أخبار النجاشي رضي الله عنه مع النبي ﷺ وهداياه إلى النبي

وهدايا النبي إليه، وبعض أخبار الحبشة وما ورد فيهم من الآيات والأحاديث والآثار، فلينظر في كتاب الطراز المنقوش في محاسن الحبوش للإمام العلامة علاء الدين بن محمد بن عبد الله البخارى خطيب المدينة المنورة، «رفع شأن الحبشان» للعلامة جلال الدين السيوطي، «وتنوير الغبش في فضايل السودان والحبش» لابن الجوزي، وفي تفسير البغوي أخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور، وفي «أزهار العروش» من عرف اسمه من الصحابة من الحبوش ومن عبيده ﷺ.

ومنهم أحد كبار المجاهدين والمهاجرين بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ ومولى أبي بكر الصديق، وهو أول من أذن في الإسلام وأول من ثوب أي: قال: الصلاة خير من النوم في الفجر كما في الأوايل للسيوطي، وكان خازن رسول الله ﷺ على بيت المال كما في تهذيب الأسماء واللغات، وكان يبدل الشين بالسين، فقال رسول الله ﷺ في شأنه: «شين بلال سين عندي وعند الله» وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «كان أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا» يعني بلالًا، وروى عنه كثير من الصحابة. ومنهم ابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وأسامة بن زيد وجابر وأبو سعيد الخدري وكعب بن عرفجة والبراء بن عازب وغيرهم وجماعة من التابعين رضي الله عنهم أجمعين. ومنهم شقران بضم الشين المعجمة مولى رسول الله وأما خدمه من الحبشة الأحرار فكثيرون، وكذلك الصحابيات من إمائه وأهل بيته، ومنهم أم أيمن ذات الهجرتين وهي مرضعته وحاضنته، وحليمة السعدية وثويبة وبركة جارية أم حبيبة، وبريرة مولاة عائشة رضي الله عنها، ونبعة جارية أم هانئ بنت أبي طالب، وغفرة وسعيرة، وكذلك عبيد الصحابة، ومنهم مهجع بكسر الميم وفتح الميم مولى عمر بن الخطاب، وهو أول من استشهد ببدر وكان من المهاجرين الأولين، وعده النبي ﷺ من سادات أهل الجنة وقال في شأنه: «يوم قتل سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة». ومنهم أسلم مولى عمر بن الخطاب وأيمن الحبشي المكي والد عبد الواحد بن أيمن، ويسار مولى المغيرة بن شعبة، أخرج الحسن بن محمد الخلال في كرامات الأوليا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «دخلت على النبي ﷺ فقال لي: يا أبا هريرة يدخل عليَّ الساعة من هذا الباب رجل من أجل السبعة الذين يدفع الله عز وجل عن أهل الأرض بهم الأذى. فإذا حبشي قد طلع من ذلك الباب أقرع أجدع على رأسه جرة فيها ماء، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة هو هذا ثم قال: مرحبًا بيسار ثلاث مرات وكان يرش المسجد ويكنسه،

ومات في عهده ﷺ». وأما الصحابة الأحرار من الحبوش الأخيار الذين كانوا يخدمون الرسول وأصحابه وأهل بيته، فكثيرون جدًّا لا يمكن استيعابهم في هذا الاطراد ضبطًا وعددًا، وكذلك أبناء الحبشيات من قريش من الصحابة والتابعين وأهل البيت الطاهرين والخلفاء العباسيين، ومن ولد بأرض الحبشة من الصحابة من الحبشيات مثل: صفوان بن أمية بن خلف الجمحي وعمرو بن العاص وغيرهما مثل: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو أول مولود في الإسلام بأرض الحبشة بالاتفاق، وكان يسمى بحر الجود وأخباره في السخاء والكرم مشهورة، والحرث بن حاطب الصحابي ومحمد بن حاطب وعمرو بن أبي سلمة.

وفي الحبوش أخلاق لطيفة وشمايل ظريفة، وفيهم الحذق والفطانة ولطافة الطباع وصفاء القلوب لكونهم من جنس لقمان الحكيم، وهم أجناس منهم السحرتي والأمحري الأمهري، وهم أحسن أجناس الحبوش الموصوفين بالصباحة والملاحة والفصاحة والسماحة والنعومة في الخد والرشاقة في القد، ولله در الشيخ العلامة القاضي عبد البر بن الشحنة الحنفي حيث يقول:

حبشية ساءلتها عن جنسها فتبسمت عن در ثغر جوهري
فطفقت أسأل عن نعومة ما خفى قالت: فما تبغيه جنسي أمحري

والأمحرية تفوق على السحرتية باللطف والظرف، والسحرتية تفوق على الأمحرية بالشدة والعنف، فبينهما عموم وخصوص مطلق، وقيل: إن النجاشي منهم رضي الله عنه، ويقال: إن بني أرفدة الذين لعبوا بحرابهم بين يدي رسول الله ﷺ وفازوا بخطابه أعني قوله لهم: «دونكم يا بني أرفدة» منهم، ويقرب من هذين النوعين نوعان آخران نوع الدموات وبلين ونوعان آخران وهما قمو وقتر ونوع آخر يسمى أزاره، وقال الشيخ شهاب الدين البزاعي من أبيات:

وخذ ما حلا من بنات الحبو ش من جلب زيلع أو من أزاره

وقال غيره:

يا سائلي عن زيلع   وعن طريق الحبشه
صحبتها وصيفه   بحسنها مشربشه
تذكر أن أصلها   من فتيات الأنجشه
وعمها الخال فيا   طوبى لمن قد خمشه
وخدها لو مر فيـ   ـه الوهم يومًا خدشه

عودة وانعطاف

إن الشيخ عبد الرحمن وهو الجد السابع لجامعه وإليه ينتهي علمنا بالأجداد، هو الذي ارتحل من بلاده ووصل إلينا خبره سلفًا عن خلف، فقدم من طريق البحر إلى جدة وانتقل إلى مكة فجاور بها وحج مرارًا، وذهب أيضًا إلى المدينة المنورة فجاور بها سنتين، ولقي من لقي بالحرمين من الأشياخ وتلقى عنهم، ثم رجع إلى جدة وحضر إلى مصر من طريق القلزم فدخل إلى الجامع الأزهر في أوايل العاشر، وجاور بالرواق ولازم حضور الأشياخ واجتهد في التحصيل وتولى شيخًا على الرواق والتكلم على طايفته وتزوج وولد لهن. فلما مات خلف ولده الشيخ شمس الدين محمد، ونشأ على قدم الصلاح والاشتغال بطلب العلم، وتولى مشيخة الرواق كوالده، وأنجب وأقرأ دروسًا في الفقه والمعقول بالرواق وكان على غاية من الصلاح وملازمة الجماعة والسنن، ولا يبيت عند عياله إلا ليلة أو ليلتين في الجمعة، وغالب لياليه يبيتها بالرواق لأجل الاشتغال بالمطالعة أول الليل على السهارة والتهجد آخره، ومما اتفق له وعد من كراماته أن السراج انطفأ في بعض الليالي الشتوية فأيقظ النقيب ليسرج له سراجًا فقام من نومه منكرهًا وأخذ قنديلًا، وذهب ليسرجه فلما عاد به وقرب من الرواق رأى نورًا فستر ذلك القنديل، ونظر إليه من بعد لينظر من أين أتاه الإسراج فوجده يطالع في الكراس وهو في يده اليسار وسبابة يده اليمنى رافعها وهي تضيء مثل الشمعة المستنيرة، ويطالع في نورها ثم دخل النقيب بالقنديل فاختفى ذلك الضوء، وعلم الشيخ ذلك من النقيب فعاتبه على التجسس وآشار إليه بكتمان سره، ولم يعش الشيخ بعد ذلك إلا قليلًا، وتوفي إلى رحمة الله تعالى وخلف ابنه الشيخ علي فنشأ أيضًا على قدم أسلافه في ملازمة العلم والعمل، وصار له شهرة وثروة

وتزوج بزينب بنت الإمام العلامة القاضي عبد الرحيم الجويني، ومات في حياة أخيه سنة تسع وثمانين وألف، وكان لزينب الجوينية أماكن جارية في ملكها وقفتها على ولدي زوجها المذكورين، ولما توفي الشيخ حسن أعقب الجد إبراهيم رضيعًا، فكفلته والدته الحاجة مريم بنت الشيخ العمدة الضابط محمد بن عمر المنزلي الأنصاري، فنشأ أيضًا نشوءًا صالحًا حتى بلغ الحلم فزوجوه بستيتة بنت عبد الوهاب أفندي الدلجي في سنة ثمان وماية وألف، وبنى بها في تلك السنة وحملت بالمترجم وولدته في سنة عشر ومائة وألف، ومات والده وعمره شهر واحد وسن والده إذ ذاك ست عشرة سنة فربته والدته بكفالة جدته أم أبيه المذكورة ووصاية الإمام العلامة الشيخ محمد النشرتي، وقرروه في مشيخة الرواق كأسلافه والمتكلم عنه الوصي المذكور فتربى في حجورهم حتى ترعرع وحفظ القرآن وعمره عشر سنين، واشتغل بحفظ المتون فحفظ الألفية الجوهرية ومتن كنز الدقايق في الفقه ومتن السلم والرحبية، ومنظومة ابن الشحنة في الفرايض وغير ذلك، واتفق له في أثناء ذلك وهو ابن ثلاث عشرة سنة أنه مر مع خادمه بطريق الأزهر، فنظر إلى شيخ مقبل منور الوجه والشيبة، وعليه جلالة ووقار طاعن في السن والناس يزدحمون على تقبيل يده ويتبركون به، فسأل عنه وعرف أنه ابن الشيخ الشرنبلالي، فتقدم إليه ليقبل يده كغيره فنظر إليه الشيخ وتوسمه وقبض على يده وقال: «من يكون هذا الغلام ومن أبوه؟ فعرفوه عنه، فتبسم وقال: عرفته بالشبه، ثم وقف وقال: اسمع يا ولدي أنا قرأت على جدك وهو قرأ على والدي وأحب أن تقرأ عليَّ شيا وأجيزك وتتصل بيننا سلسلة الإسناد وتحلق الأحفاد بالأجداد، فامتثل إشارته ولازم الحضور عنده في كل يوم وقرأ عليه متن نور الإيضاح تأليف والده في العبادا وكتب له الإجازة ونصها: «الحمد لله الذي أنعم على عبده بتوفيقه، وأرشده إلى سواء طريقه، وأذاقه حلاوة التفقه في دينه وتمام تحقيقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنعم بلطايف الإنعام وعظيمه ودقيقه، وأشهد أن سيدنا وسندنا محمد عبده ورسوله الهادي إلى الخير الكامل، والجبر الشامل، فأصبح كل أحد مغمورًا في بحر وجوده، محفوظًا من كيد الشيطان وجنوده وتعويقه، على آله الأطهار، وصحابته الأخيار، وبعد فقد حضر لدي الولد النجيب، الموفق اللبيب، الفطن الماهر، الذكي الباهر، سليل العلما الأعلام، ونتيجة الفضلا العظام، نور الدين حسن بن برهان الدين ابراهيم بن العلامة مفتي المسلمين وإمام المحققين، الشيخ حسن الجبرتي الحنفي رحم الله أسلافه وبارك فيه، وقرأ على متن نور الإيضاح من أوله إلى آخره تأليف والدي المندرج إلى رحمة الله تعالى سيدي وسندي الإمام العلامة الشيخ

حسن بن عمار الشرنبلالي، وأجزته أن يروي ذلك عني وجميع ما يجوز لي روايته إجازة عامة كما أجازني به وبفقه أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه كما تلقى ذلك هو عن الشيخ علي المقدسي شارح نظم الكنز عن العلامة الشلبي شارح الكنز عن القاضي عبد البر بن الشحنة عن المحقق الكمال بن الهمام عن سراج الدين قارئ الهداية عن علاء الدين السيرامي عن السيد جلال الدين شارح الهداية، عن علاء الدين بن عبد العزيز البخاري، عن حافظ الدين صاحب الكنز، عن شمس الأئمة الكردي، عن برهان الدين صاحب الهداية، عن فخر الإسلام البزدوي، عن شمس الأئمة السرخسي، عن شمس الأئمة الحلواني، عن القاضي ابن علي النسفي، عن الإمام محمد بن الفضل البخاري، عن عبد الله السندموني.

عن الأمير عبد الله بن أبيه حفص البخارى عن أبيه المذكور، عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني، عن الإمام أبي يوسف عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه، عن الإمام حماد بن سليمان، عن إبراهيم النخعي، عن الإمام علقمة، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ، عن أمين الوحي جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل، وأوصى الولد الأعز بالتقوى ومراقبة الله في السر والنجوى، والله تعالى يوفقه وينفع به وبعلومه ويهدينا وأياه لما كان عليه السلف الصالح في أساس الدين ورسومه. قال ذلك الفقير إلى الله تعالى حسن بن حسن الشرنبلالي الحنفي في ثالث ربيع الأول من سنة ثلاث وعشرين وماية وألف، وتوفي الشيخ في آخر تلك السنة وقد جاوز التسعين، واشتغل المترجم واجتهد في طلب العلوم، وحضر أشياخ العصر وتفقه على الإمام العلامة السيد علي السيواسي الضرير، وحضر عليه شرح الكنز للعيني والدر المختار وكتاب الأشباه والنظاير لابن نجيم وشرح المنار لابن فرشته وشرح التحرير للكمال بن الهمام وشرح جمع الجوامع ومختصر السعد، وعلى العلامة الشيخ أحمد التونسي المعروف بالدقدوسي الحنفي شرح الكنز للعلامة الزيلعي والدرر لملا خسرو، والسيد على السراجية في الفرائض وشرح منظومة بن الشحنة في الفرايض والشنشوري على الرحيبة والتلخيص ومتن الحكم وشرح التحفة، وعلى الشيخ علي العقدي الحنفي ملامسكين على الكنز ومتن الهداية والسراجية والمنار والنزة في علم الغبار والقلصادي ومنظومة ابن الهايم وعلى الفقيه محمد بن عبد العزيز الزيادي الحنفي ملتقى الأبحر وفتح القدير، والحكم لابن عطاء الله والقدوري وعقود الجمان في المعاني والبيان وإيساغوجي، وعلى الشيخ الفقيه المحدث الشهاب أحمد بن مصطفى الاسكندري الشهير بالصباغ

شرح الكبرى وأم البراهين وشرح العقايد والمواقف وشرح المقاصد للسعد والكشاف والبيضاوي والشمايل والصحيحين رواية ودراية والأربعين النووية والمشارق، والقطب على الشمسية، والمواهب اللدنية وشرح النخبة، وعلى الشيخ منصور المنوفي شرح ابن عقيل على الألفية والشيخ خالد على الآجرومية والأزهرية والتوضيح، وشرح تصريف العزى وشرح التلمسانية والخبيصي على التهذيب، وشيخ الإسلام على الخزرجية، وعلى الشيخ عيد النمرسي شرح الورقات والسمرقندية وآداب البحث والعضدية والعصام على السمرقندية، وعلم الجبر والمقابلة والعروض وأعمال المناسخات والكسورات والأعداد الصم والغربال والمساحة والحساب، وعلى الشيخ شلبي البرلسي تلخيص المفتاح والمطول والتجريد، وعلى الشيخ محمد السجيني الضرير المكودي على الألفية والفاكهي وشرح الشذور وملاجامي، وشرح مختصر ابن الحاجب والمطول، وعلى الشيخ أحمد العماوي شرح الجوهرة لعبد السلام والسكتاني على الصغرى وشرح مختصر السنوسي والكافي ونوادر الأصول والجامع الصغير وشرح المقاصد، وعلى الشيخ حسن المدابغي الأشموني على الألفية وشرح المراح وقواعد الإعراب والمغني، وعلى الشيخ الملوي شرحه على السلم وشرح معراج الغيطي، وأوضح المسالك وأوايل الكتب الستة والمسلسلات والمسندات.

وحضر أيضًا دروس الشيخ عبد الرءوف البشبيشي وأبو العز العجمي وغيرهما، وجد في التحصيل حتى فاق أهل عصره وباحث وناضل ودرس بالرواق في الفقه والمعقول وبالسنانية ببولاق، وكان لجدته أم أبيه مكان مشرف على النيل بربع الخرنوب عندما كان النيل ملاصقًا لسدته فسكنها مدة فكان يغدو إلى الجامع، ثم يعود إلى بولاق، وله حاصل بربع الخرنوب يجلس فيه حصة، ثم يعود إلى السنانية فيملي هنا درسًا ثم احترق ذلك المنزل بما فيه، وتلفت فيه أشياء كثيرة من المتاع والصيني القديم فانتقلت إلى مصر، وكانوا يذهبون إلى مكان لها بمصر العتيقة في أيام النيل بقصد النزاهة، وهي التي أعانته على تحصيل العلوم حتى إنه كان يقول: «ما عرفت المصرف واحتياجات المنزل والعيال إلا بعد موتها»، ومع اشتغاله بالعلم كان يعاني التجارة والبيع والشراء والمشاركة والمضاربة والمقايضة، وكانت جدته ذا غنى وثروة ولها أملاك وعقارات ووقفت عليه أماكن منها الوكالة بالصنادقية والحوانيت بجوارها وبالغورية ومرجوش، ومنزل بجوار المدرسة الأقبغاوية، ورتبت في وقفها عدة خيرات ومكتب لإقراء أيتام المسلمين بالحانوت المواجه للوكالة المذكورة وربعة تقرأ في كل يوم وختمات في ليالى المواسم وقصعتين ثريد في كل ليلة من ليالي رمضان وثلاث جواميس تفرق على الفقهاء والأيتام

والفقراء في عيد الأضحية، وتزوج بجدته المذكورة بعد موت جده الأمير علي أغا باش اختيار متفرقة المعروف بالطوري، وتزوج المترجم بابنته وله حكم قلاع الطور والسويس والمويلح وكانت إذ ذاك عامرة وبها المرابطون، ويصرف عليهم العلوفا والاحتياجات، ولما مات علي أغا المذكور سنة سبع وثلاثين تقلد ذلك بعده المترجم مدة مع كونه في عداد العلماء، وربى معتوقيه عثمان وعليًّا ولم يزالا في كنفه حتى ماتا بعد مدة طويلة وأرسل خادمًا له يسمى سليمان الحصافي جربجيًّا على قلعة المويلح، فقتلوه هناك فتكدر لذلك وترك هذا الأمر وأعرض عنه، وأقبل على شأنه من الاشتغال، وماتت زوجته بنت الأمير علي أغا المذكور في حياة أبيها فتزوج ببنت رمضان جلبي بن يوسف المعروف بالخشاب تابع كور محمد وهم بيت مجد وثروة ببولاق ولهم أملاك وعقارات ووأوقاف. ومن ذلك وكالة وربع وحوانيت تجاه جامع الزردكاش وبيت كبير بساحل النيل وآخر تجاه جامع مرزة جربجي، وهو سكن رمضان جلبي المذكور وكان إنسانًا حسنًا رقيق الحاشية وفيه فضيلة وسليقة جيدة، ومن نظمه في إعارة الكتب قوله:

كتابك لا تعره ولا لألف — فإنك لا تعود لذاك تلفي
فخذ قولي وشد يدًا عليه — فإن خالفت فقدك فيه يكفي
ولست مقلدًا في النصح بل قد — تكرر فقد ما أعطته كفي
فإن ألجأت للإعطاء فاقبض — نظيرًا مثله إن كان يكفي
وإن ترم اسم ناظمه حسابًا — فضف أحدًا إلى تسعين ألف

ومات رمضان جلبي المذكور سنة تسع وثلاثين وماية وألف، واستمرت ابنته في عصمة المترجم حتى ماتت في المحرم سنة اثنتين وثمانين وماية وألف وعمرها ستون سنة، وكان من الصالحات الخيرات المصونات، وحجت صحبته في سنة إحدى وخمسين، وكانت به بارة وله مطيعة، ومن جملة برها له وطاعتها أنها كانت تشتري له من السراري الحسان من مالها وتنظمهن بالحلي والملابس، وتقدمهن إليه وتعتقد حصول الأجر والثواب لها بذلك، وكان يتزوج عليها كثيرًا من الحرائر ويشتري الجواري فلا تتأثر من ذلك ولا يحصل عندها ما يحصل في النساء من الغيرة، ومن الوقايع الغريبة أنه لما حج المترجم في سنة ست وخمسين، واجتمع به الشيخ عمر الحلبي بمكة، أوصاه بأن يشتري له جارية بيضاء تكون بكرًا دون البلوغ وصفتها كذا وكذا، فلما عاد من الحج طلب اليسرجية الجواري لينتقي منهن المطلوب فلم يزل حتى وقع على الغرض

فاشتراها، وأدخلها عند زوجته المذكورة حتى يرسلها مع من أوصاه بإرسالها صحبته، فلما حضر وقت السفر أخرها بذلك لتعمل لهم ما يجب من الزوادة ونحو ذلك، فقالت: إنى أحببت هذه الوصيفة حبًّا شديدًا ولا أقدر على فراقها، وليس لي أولاد وقد جعلتها مثل ابنتي والجارية بكت أيضًا وقالت: لا أفارق سيدتي ولا أذهب من عندها أبدًا، فقال: وكيف يكون العمل؟ قالت: ادفع ثمنها من عندي واشتر أنت غيرها ففعل. ثم إنها اعتقتها وعقدت له عليها وجهزتها وفرشت لها مكانًا على حدتها، وبنى بها في سنة خمس وستين وكانت لا تقدر على فراقها ساعة مع كونها صارت ضرتها وولدت له أولادًا، فلما كان في سنة اثنتين وثمانين المذكورة مرضت الجارية، فمرضت لمرضها وثقل عليها المرض فقامت الجارية في ضحوة النهار فنظرت إلى مولاتها، وكانت في حالة غطوسها فبكت وقالت: «إلهي وسيدي إن كنت قدرت بموت سيدتي اجعل يومي قبل يومها، ثم رقدت وزاد بها الحال وماتت تلك الليلة فأضجعوها بجانبها، فاستيقظت مولاتها آخر الليل وجستها بيدها وصارت تقول: زليخا زليخا فقالوا لها: إنها نائمة فقالت: إن قلبي يحدثني أنها ماتت ورأيت في منامي ما يدل على ذلك فقالوا لها: حياتك الباقية، فلما تحققت ذلك قامت وجلست وهي تقول: لا حياة لي بعدها وصارت تبكي وتنتحب حتى طلع النهار وشرعوا في تشهيلها وتجهيزها، وغسلوها بين يديها وشالوا جنازتها ورجعت إلى فراشها، ودخلت في سكرات الموت وماتت آخر النهار وخرجوا بجنازتها أيضًا في اليوم الثاني، وهذا من أعجب ما شاهدته ورأيته ووعيته، وكان سني إذ ذاك أربع عشرة سنة.

واشتغل المترجم في أيام اشتغاله بتجويد الخط فكتب على عبد الله أفندي الأنيس وحسن أفندي الضيائي طريقة الثلث والنسخ حتى أحكم ذلك، وأجازه الكتبة وأذنوه أن يكتب الإذن على اصطلاحهم ثم جود في التعليق على أحمد أفندي الهندي النقاش لفصوص الخواتم حتى أحكم ذلك، وغلب على خطه طريقته ومشى عليها، وكتب الديواني والقرمة وحفظ الشاهدي واللسان الفارسي والتركي، حتى إن كثيرًا من الأعاجم والأتراك يعتقدون أن أصله من بلادهم لفصاحته في التكلم بلسانهم ولغتهم، وفي سنة أربع وأربعين اشتغل بالرياضات، فقرأ على الشيخ محمد النجاحي رقايق الحقايق للبسط الماريديني والمجيب والمقنطر ونتيجة اللاذقي والرضوانية والدر لابن المجدي ومنحرفات السبط، وإلى هنا انتهت معرفة الشيخ النجاحي وعند ذلك انفتح له الباب، وانكشف عنه الحجاب، وعرف السمت والارتفاع والتقاسيم والأرباع والميل الثاني والأول والأصل الحقيقي والمعدل، وخالط أرباب المعارف، وكل من كان من بحر الفن غارف، وحل الرموز، وفتح الكنوز،

واستخرج نتايج الدر اليتيم، والتعديل والتقويم، وحقق أشكال الوسايط في المنحرفات والبسايط والزيج والمحلولات وحركات التداوير والنطاقات والتسهيل والتقريب والحل والتركيب والسهام والظلال ودقائق الأعمال، وانتهت إليه الرياسة في الصناعة، وأذعنت له أهل المعرفة بالطاعة، وسلم له عطارد وجمشيد الراصد وناظره المشتري وشهد له الطوسي والأبهري، وتبوأ من ذلك العلم مكانًا عليًّا وزاحم بمنكبه العيوق والثريا، وقد القدوة العلامة والحكيم الفهامة الشيخ حسام الدين الهندي. وكان متضلعًا من العلوم الرياضية والمعارف الحكمية والفلسفية، فنزل بمسجد في مصر القديمة واجتمع عليه بعض الطلبة مثل: الشيخ الوسيمي والشيخ أحمد الدمنهوري وتلقوا عنه أشياء في الهيئة، فبلغ خبره المترجم فذهب إليه للأخذ عنه، فاغتبط به الشيخ وأحبه، وأقبل بكليته عليه فلم يزل به حتى نقله إلى داره وأفرد له مكانًا، وأكرم نزله وقام بأوده وطالع عليه الجغميني وقاضي زاده والتبصرة والتذكرة وهداية الحكمة لأثير الدين الأبهري وما عليها من المواد والشروح مثل السيد والميبدي قراءة بحث وتحقيق، وأشكال التأسيس في الهندسة وتحرير إقليدس والمتوسطات والمبادي والغايات والأكر، وعلم الإرتماطيقي والجغرافيا وعلم المساحة وغير ذلك، ثم أراد أن يلقنه علم الصنعة الإلهية وكان من الواصلين فيها، فغالطه عن ذلك وأبت نفسه الاشتغال بسوى العلوم المهذبة للنفس، وكان يحكى عنه أمورًا وعبارات وإشارات تشعر بأنه كان من الكمَّل الواصلين في كل شيء، ولم يزل عنده حتى عزم على الرحلة وسافر إلى بلاده. وقد إلى مصر الإمام العلامة الشيخ محمد الغلاني الكشناوي وسكن بدرب الأتراك، فاجتمع عليه المترجم، وتلقى عنه علم الأوفاق وقرأ عليه شرح منظومة الجزنائية للقوصوني والدر والترياق والمرجانية في خصوص المخمس الخالي الوسط، والأصول والضوابط والوفق المئيني وعلم التكسير للحروف وغير ذلك، وسافر الشيخ إلى الحج وجاور هناك، فلما رجع أنزله عنده وصحبته زوجته وجواره وعبيده، وكمل عنده غالب مؤلفاته، ولم يزل حتى مات كما تقدم ذكر ذلك في ترجمته، ولقي المترجم في حجاته الشيخ النخلي وعبد الله بن سالم البصري وعمر بن أحمد بن عقيل المكي والشيخ محمد حياة السندي الكوراني وأبو الحسن السندي والسيد محمد السقاف وغيرهم، وتلقى عنهم وأجازوه وتلقوا هم عنه أيضًا عنه، ولقنه أبو الحسن السندي طريق السادة النقشبندية والأسماء الإدريسية. وهذه صورة إجازة الشيخ عمر بن أحمد بن عقيل ومن خطه نقل: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى خصوصًا أفضل أنبيائه وعترته الطاهرين، وصحابته أجمعين

وبعد، فإن مما تطابقت عليه النصوص وتوافقت عليه ألسنة العموم والخصوص، أن الباحث عن السنة الغراء لا تباع هدى سيد الأنبياء، الموجب لمحبة ذي الآلاء والنعماء، هو الفائز بالقدح المعلى، والمرفوع إلى المقام الأعلى. ومن المعلوم أنه لم يبق في زماننا ما يتداول منها إلا التعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد، فذو الهمة هو الذي يثابر على تحصيل أعلاه، وينافس في فهم متنه ويفحص عن معناه، ويناقش في رجاله الذين عليهم مغناه، ألا وهو الشيخ الأجل الراقي بعزمه المتين من العلم والعمل إلى أعلى محل سيدنا وأستاذنا الشيخ حسن بن المرحوم إبراهيم بن الشيخ حسن الجبرتي، أمده الله بالمدد الإلهي فطلب من هذا الفقير أن أجيزه. فلما لم أجد بدًّا من الامتثال، قلت سايلًا التوفيق في القول والفعال: أجزت مولانا الشيخ حسن المذكور المنوه بذكره أعلى السطور، أجزل الله تعالى له الأجور ما يجوز لي وعنى روايته من مقروء ومسموع، وأصول وفروع، بشرطه المعتبر من تقوى الله والصيانة وضبط الألفاظ وسير الرجال والديانة، حسبما أجازني بذلك شيوخ أكابر عدة، هم في الشدائد عدة؛ ومنهم بل ومن أجلهم سيدي وجدي لأمي بعد أن قرأت عليه جانبًا كبيرًا من كتب الحديث وغيره قراءة تحقيق وتدقيق، وغيره من الشيوخ أهل التوفيق، وقد سمع مولانا الشيخ حسن مني أوايل البخارى ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والموطأ، فليرو عني المجاز المذكور متى شاء مما اتصلت بي روايته متى أراد رفع سند أو كتاب لمن هو من أهل الدراية، وهو دام أنسه وزكا قدسه في غنية عن ذلك، ولكن جرت العادة بأخذ الأكابر عن الأصاغر تكثيرًا لسوادنا، فهي سند سيد الأوايل والأواخر، وكذلك أجزت له بالصلاة المشهورة النفع بهذه الصيغة: اللهم صل على سيدنا محمد وآله كما لا نهاية لكمالك وعد كماله بنصب عدو جره، جسبما أجازني بها مولانا الشيخ طاهر بن الملا ابراهيم الكوراني عن شيخه الشيخ حسن المنوفي مفتي الحنفية بالمدينة سابقًا عن شيخه مولانا الشيخ علي الشبراملسي عن بعض أجلاء شيوخه، وأمره أن يصلي بها بين المغرب والعشاء بلا عدد معين وبالمواظبة عليها يظهر نتايج فتحها خصوصًا لمبتغي هذا العلم المجد في طلبه من ذويه نفعه الله تعالى بالعلم وجعله من أهليه. وقد أجزت الشيخ المذكور ضاعف الله تعالى له الأجور، بالأسماء الأربعينية الإدريسية السهروردية بقراءتها وإقرائها لخل صادق إن وجد، كما أجازني بذلك جملة من الشيوخ، وقد اتصل سندي بها أيضًا عن مولانا وسيدنا الأمجد مولانا الشيخ أحمد بن محمد النخلي أنزل عليه شآبيب الرحمة والغفران الواحد العلي، وهو يرويها عن الشيخ حجازي الديربي عن الشيخ شهاب الدين

أحمد بن علي الخامي الشناوي، وأجازه شيخه أيضًا بشرحها للشيخ عثمان النحراوي، قال الشيخ عثمان: أجازني بالأسماء الإدريسية العظام الشيخ كمال الدين السوداني، وهو يرويها عن شيخه أبي المواهب أحمد الشناوي عن السيد صبغة الله أحمد عن السيد وجيه الدين العلوي عن الحاج حميد الشهير بالشيخ محمد الغوث عن الحاج حصور، عن أبي الفتح هدية الله سيرمست عن الشيخ قاضن السناري عن الشيخ ركن الدين أبي الفتح عن الشيخ صدر الدين أبي الفضل عن الشيخ السهرودي، عن سيدي وجيه الدين المعروف بعمويه، عن الشيخ أحمد أسود الدينوري عن الشيخ ممشاد الدينوري عن الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي عن خاله سري السقطي عن الشيخ معروف الكرخي، عن الشيخ داود الطائي عن الشيخ حبيب العجمي عن سيد التابعين حسن البصري، عن إمام المشارق والمغارب سيدنا علي بن أبي طالب عن سيدنا ومولانا سيد الخلق حبيب الحق عبده ورسوله وحبيبه، وصفيه وخليله النبي الرسول الحاوي لجميع الكمالات الأصلية والفرعية، الجامع لكل الصفات السنية والمراتب العلية، المبعوث لكل الخلق، المتخصص بالقرب من العالم الحق، سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم، محمد ﷺ، قال ذلك بفمه وكتبه، تعلمه أسير ذنبه عمر بن أحمد بن عقيل السقاف باعلوي، وحفيد مولانا الشيخ عبد الله بن سالم البصري عفا الله تعالى عنهم أجمعين، سايلًا من الشيخ المذكور أن لا ينساني وأصولي ومشايخي في الدين وجميع أقاربي من صالح الدعوات في خلواته، وجلوات وحركاته وسكناته، وأوصي بما أوصي به نفسي وساير المسلمين من ملازمة التقوى وكمال الاستعداد، وأتباع سبيل الهدى والرشاد، وأسأل الله تعالى الكريم المنان أن يوفقني وإياه والمسلمين لصالح القول والعمل، ويجنبنا الخطأ والزلل. ويجعلنا من العلماء العاملين والهداة الراشدين، وأن يميتنا على سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته أجمعين، في كل وقت وحين. وللمترجم أشياخ غير هولاء كثيرون اجتمع بهم، وتلقى عنهم وشاركهم وشاركوه، مثل علي أفندي الداغستاني، والشيخ عبد ربه سليمان بن أحمد القشتالي الفاسي، والشيخ عبد اللطيف الشامي، والجمال يوسف الكلارجي، والشيخ رمضان الخوانكي، والشيخ محمد النشيلي، والشيخ عمر الحلبي، والشيخ حسين عبد الشكور المكي، والشيخ إبراهيم الزمزمي، وحسن أفندي قطة مسكين، وأحمد أفندي الكرتلي، والأستاذ عبد الخالق بن وفا، وكان خصيصًا به، وأجازه بالأحزاب، وهو الذي كناه بأبي التداني، وولده السيد عبد الرحمن، والسيد عبد الله العيدروسي، والشيخ علي بندق الشناوي الأحمدي، وكثير من المشايخ

الأزهرية مثل: السيد محمد البنوفري، والشيخ عمر الإسقاطي، والشيخ أحمد الجوهري، والشيخ أحمد الدلجي بن خال المترجم، والشيخ أحمد الراشدي، والشيخ ابراهيم الحلبي صاحب حاشية الدر، والسيد سعودي محشَّى ملا مسكين، وغيرهم من الأكابر والأخيار، وأهل الأسرار والأنوار، حتى كمل في المعارف والفنون، ورمقته بالإجلال العيون، وعلا شأنه على علماء الزمان، وتميز بين الأقران، وأذعنت له أهل الأذواق، وشاع ذكره في الآفاق، ووفد عليه الطلاب البلدانية، والواردون من النواحي الأفاقية، وأتوا إليه من كل فج يسعون لميقاته، ولزموا الطواف بكعبة فضله والوقوف بعرفاته، فمنهم من ينفر بعد إتمام نسكه وبلوغ أمينته، ومنهم من يواظب على الاعتكاف بساحته، وكان رحمه الله عذب المورد للطالبين، طلق المحيا للواردين، يكرم كل من أن حماه ويبلغ الراجي مناه، والمعتفي جدواه، والرغب أقصى مرماه، مع البشاشة والطلاقة وسعة الصدر والريافة وعدم رؤية المنة على المجتدي، ومسامحة الجاهل والمعتدي، مع حسن الأخلاق والصفات، التي سجدت لها الخناصر كأنها أيات سجدات:

لـه صـحـائـف أخـلاق مـهـذبـة   منها العلا والحجا والفضل ينتسج

وكانت ذاته جامعة للفضايل والفواضل، منزهة عن النقائص والرذايل، وقورًا محتشمًا مهيبًا في الأعين معظمًا في النفوس محبوبًا للقلوب، ولا يعادي أحدًا ولا يخاصم على الدنيا؛ فلذلك لا تجد من يكرهه ولا من ينقم عليه في شيء من الأشياء، وأما مكارم الأخلاق والحلم والصفح والتواضع والقناعة وشرف النفس، وكظم الغيط والانبساط إلى الجليل والحقير كل ذلك سجيت وطبعه من غير تكلف لذلك، ولا يرى لنفسه مقامًا أصلًا، ولا يعرف التصنع في الأمور، ولا دعوى علم ولا معرفة ولا مشيخة على التلاميذ والطلبة، ولا يرضى التعاظم ولا تقبيل اليد، وله منزلة عظيمة في قلوب الأكابر والأمرا والوزرا والأعيان، ويسعون إليه ويذهب إليهم لبعض المقتضيات والشفاعات، ويرسل إليهم فلا يردون شفاعته ولا يتوانون في حاجة يتكلم فيها، وله عندهم محبة ومنزلة في قلوبهم وزيادة عن نظراته من الأشياخ لمعرفته بلسانهم ولغتهم واصطلاحهم، ورغبتهم فيما يعلمونه فيه من المزايا والأسرار والمعارف المختص بها دون غيره، وخصوصًا أكابر العثمانيين والوزرا وأهل العلوم والفضلا منهم، مثل علي باشا ابن الحكيم وراغب باشا وأحمد باشا الكور وغيرهم، ويأتون إليه أحيانًا في التبديل، وأكرموه وهادوه، وكل ذلك مع العفة والعزة وعدم التطلع لشي من أسباب الدنيا بوظيفة أو مرتب أو فايظ أو

نحو ذلك، وكان بينه وبين الأمير عثمان بك ذي الفقار صحبة ومحبة، وحج في أيام إمارته على الحج مرافقًا له مرات من ماله وصلب حاله، ولم يصله منه سوى ما كان يرسله إليه على سبيل الهدية، وكان منزل سكنه الذي بالصنادقية ضيقًا من أسفل وكثير الدرج، فعالج ابراهيم كتخدا على أن يشتري له أو يبني له دارًا واسعة فلم يقبل، وكذلك عبد الرحمن كتخدا وكان له ثلاثة مساكس أحدها هذا المنزل بالقرب من الأزهر، وآخر بالإبزارية بشاطئ النيل ومنزل زوجته القديمة تجاه جامع مرزة، وفي كل منزل زوجة وسرار وخدم، فكان ينتقل فيها مع أصحابه وتلامذته، وكان يقتني المماليك والعبيد والجواري البيض والحبوش والسود، ومات له من الأولاد نيف وأربعون ولدًا ذكورًا وإناثًا كلهم دون البلوغ، ولم يعش له من الأولاد سوى الحقير، وكان يرى الاشتغال بغير العلم من العبثيات، وإذا أتاه طالب فرح به وأقبل عليه ورغبه واكرمه، وخصوصًا إذا كان غريبًا وربما دعاه للمجاورة عنده، وصار من جملة عياله. ومنهم من أقام عشرين عامًا قيامًا ونيامًا لا يتكلف إلى شيء من أمر معاشه حتى غسل ثيابه من غير ملل ولا ضجر، وأنجب عليه كثير من علماء وقته المحققين طبقة بعد طبقة مثل: الشيخ أحمد الراشدي، والشيخ إبراهيم الحلبي، والشيخ مصطفى أبي الاتقان الخياط، والسيد قاسم التونسي، والشيخ العلامة أحمد العروسي، والشيخ إبراهيم الصيحاني المغربي، والطبقة الأخيرة التي أدركناها مثل الشيخ أبي الحسن القلعي، والشيخ عبد الرحمن البناني. وأما الملازمون له فهم الشيخ محمد بن إسماعيل النفراوي، والشيخ محمد الصبان، والشيخ محمد عرفة الدسوقي، والشيخ محمد الأمير، والشيخ محمد الشافعي الجناحي المالكي، والشيخ مصطفى الريس البولاقي، والشيخ محمد الشوبري، والشيخ عبد الرحمن العريشي، والشيخ محمد الفرماوي. وهؤلاء كانوا المختصين به الملازمين عنده ليلًا ونهارًا، وخصوصًا الشيخ محمد النفراوي، والصبان ومحمود أفندي النيشي والفرماوي والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد عرفه، فإنهم كانوا بمنزلة أولاده وخصوصًا الأولين، فإنهما كانا لا يفارقانه إلا وقت إقراء دروسهما، وكان يباسط أخصاءه منهم ويمازحهم ويروحهم بالمناسبات والأدبيات والنوادر والأبيات الشعرية والمواليات والمجونيات والحكايات اللطيفة والنكات الظريفة، وينتقلون صحبته في منازل بولاق ومواطن النزهة فيقطعون الأوقات ويشغلونها حصة في مدارسة العلم وأخرى في مطارحات المسايل، وأخرى للمفاكهة والمباسطة والنوادر الأدبية، ومن الملازمين على الترداد عليه والأخذ عنه الشيخ محمد الجوهري والشيخ سالم القيرواني ومحمد أفندي

مفتي الجزاير والسيد محمد الدمرداش وولداه السيد عثمان والسيد محمد. وممن تلقى عنه شيخ الشيوخ الشيخ علي العدوي، تلقى شرح الزيلعي على الكنز في الفقه الحنفي وكثيرًا من المسائل الحكمية، ولما قرأ كتاب المواقف فكان يناقشه في بعض المسائل محققو الطلبة فيتوقف في تصويرها لهم، فيقوم من حلقته ويقول لهم: اصبروا مكانكم حتى أذهب إلى من هو أعرف مني بذلك وأعود إليكم، ويأتي إلى المترجم فيصورها له بأسهل عبارة، ويقوم في الحال فيرجع إلى درسه ويحققها لهم.

وهذا من أعظم الديانة والإنصاف، وقد تكرر منه ذلك غير مرة، وكان يقول عنه: لم نر ولم نسمع من توغل في علم الحكمة والفلسفة وزاد إيمانه إلا هو، رحم الله الجميع أولئك أبائي فجئني بمثلهم.

وممن تلقى عنه من أشياخ العصر العلامة الشيخ محمد المصيلحي، والعلامة الشيخ حسن الجداوي، والشيخ محمد المسودي والشيخ أحمد بن يونس والشيخ محمد الهلباوي، والشيخ أحمد السجاعي، لازمه كثيرًا وأخذ عنه في الهيئة والفلكيات والهداية وألف في ذلك متونًا وشروحًا وحواشي، وأما من تلقى عنه من الآفاقيين وأهالي بلاد الروم والشام وداغستان والمغاربة والحجازيين فلا يحصون، وأجل الحجازيين الشيخ إبراهيم الزمزمي، وأما ما اجتمع عنده وما اقتناه من الكتب في ساير العلوم فكثير جدًّا قلما اجتمع ما يقاربها في الكثرة عند غيره من العلماء أو غيرهم، وكان سموحًا بإعارتها وتغييرها للطلبة وذلك كان السبب في إتلاف أكثرها وتخريمها وضياعها، حتى إنه كان أعد محلًّا في المنزل ووضع فيه نسخًا من الكتب المستعملة التي يتداول علماء الأزهر قراءتها للطلبة مثل: الأشموني وابن عقيل، والشيخ خالد وشروحه، والأزهرية وشروحها، والشذور، وكذلك من كتب التوحيد مثل شروح الجوهرة والهدهدي وشروح السنوسية والكبرى والصغيرى، وكتب المنطق والاستعارات والمعاني والبيان، وكذلك كتب الحديث والتفسير والفقه في المذاهب وغير ذلك، فكانوا يأتون إلى ذلك المكان، ويأخذون ويغيرون وينقلون من غير استئذان، فمنهم من يأخذ الكتاب ولا يرده ومنهم من يهمل التغييرة فتضيع الكراريس، ومنهم من يسافر ويتركها عند غيره، ومنهم من يهمل آخر الكتاب، ويتفق أن الاثنين والثلاثة يشتركون في الكتاب الواحد والنسخة الواحدة، ولا بد من حصول التلف من أحدهم، ولا بد من حصول الضياع والتلف في كل سنة وخصوصًا في أواخر الكتب عندما تفتر هممهم، وأكثر الناس منحرفو الطباع، معوجو الأوضاع، واقتنى أيضًا كتبًا نفيسة خلاف المتداولة، وأرسل إليه السلطان مصطفى نسخًا من

خزائنه، وكذلك أكابر الدولة بالروم ومصر وباشة تونس والجزاير، واجتمع لديه من كتب الأعاجم مثل الكلستان وديوان حافظ وشاه نامه، وتواريخ العجم وكليلية ودمنة ويوسف وزليخا وغير ذلك، وبها من التشاويه الزخارف والتصاوير البديعة الصنعة الغريبة الشكل، وكذلك الآلات الفلكية من الكرا النحاس التي كان اعتنى بوضعها حسن أفندي الروزنامجى بيد رضوان أفندي الفلكي كما تقدم في ترجمتهما، ولما مات حسن أفندي المذكور اشترى جميعها من تركته، وكذلك غيرها من الالات الارتفاعية والميالات وحلق الأرصاد والإسطرلابات والأرباع والعدد الهندسية، وأدوات غالب الصناع مثل: النجارين والخراطين والحدادين والسمكرية والمجلدين والنقاشين والصواغ والات الرسم والتقاسيم، ويجتمع به كل متقن وعارف في صناعته مثل: حسن أفندي الساعاتي وكان ساكنًا عنده، وعابدين أفندي الساعاتي وعلي أفندي رضوان وكان من أرباب المعارف في كل شيء ومحمد أفندي الاسكندراني والشيخ محمد الأقفالي، وابراهيم السكاكيني والشيخ محمد الزبداني وكان فريدًا في صناعة التراكيب والتقاطير واستخراج المياة والأدهان، وغير هؤلاء ممن رأيت ومن لم أرَ، وحضر إليه طلاب من الإفرنج وقروا عليه علم الهندسة وذلك سنة تسع وخمسين، وأهدوا له من صنايعهم والاتهم أشياء نفيسة، وذهبوا إلى بلادهم ونشروا بها ذلك العلم من ذلك الوقت، وأخرجوه من القول إلى الفعل واستخرجوا به الصنايع البديعة مثل طواحين الهواء وجر الأثقال واستنباط المياة وغير ذلك، وفى أيام اشتغاله بالرسم رسم ما لا يحصى من المزاول على الرخامات والبلاط الكدان، ونصبها في أماكن كثيرة ومساجد شهيرة مثل: الأزهر والأشرفية وقوصون ومشهد الإمام الشافعي والسادات، وفي الآثار منها ثلاثة واحدة بأعلى القصر وأخرى على البوابة وأخرى عظيمة بسطح الجامع، بقي منها قطعة وكسر باقيها فراشوا الأمراء الذين كانوا ينزلون هناك للنزهة؛ ليمسحوا بها صواني الأطعمة الصفر، وكذلك بوردان بالتماس مصطفى أغا الورداني وكذلك بحوش مدفن الرزازين بالتماس رضوان جربجي الرزاز رحمه الله، ونقش عيها تاريخًا منظومًا ينوه فيه بذكر رضوان المذكور وهو هذا:

رضواننا الرزاز حاز دعاء من   صلى وراعى كل وقت والتزم
ليساره بحذاء مزولة أتى   تاريخها حسن الجبرتي قد رسم

وغير ذلك بمنازله وغيرها حتى إن الخدم تعلموا ذلك، فصاروا يقطعون البلاط المناشير ويمسحونه بالمماسح الحديد والمبارد، ويهندسون اعتداله بالمساطر والقياسات بالبياكير، بل ويرسمونه أيضًا. وأما ما كان على الرخامات فيباشر صناعته وحفره صناع الرخام بالأزمير بعد التعليم على مواضع الرسم ومقادير أبعاد المدارات والظلال، وما عليها من الكتابة والتعاريف، ولما تمهر الآخذون عنه والملازمون عنده ترك الاشتغال بذلك، وأحال الطلاب عليهم فإذا كان الطالب من أبناء العرب تقيد بتلميذه الشيخ محمد بن إسماعيل النفراوي، وإن كان من الأعاجم والأتراك تقيد بمحمود أفندي النيشي، واشتغل هو بمدارسة الفقه وإقرائه ومراجعة الفتاوي والتحري في الفروع الفقهية والمسايل الخلافية، وانكب عليه الناس يستفتونه في وقايعهم ودعاويهم، وتقرر في أذهانهم تحريه الحق والنصوص حتى إن القضاة لا يثقون إلا بفتواه دون غيره، وتقيد للمراجعة عنده الشيخ عبد الرحمن العريشي فانفتحت قريحته وراج أمره وترشح بعد للإفتاء، وكان المترجم لا يعتني بالتأليف إلا في بعض التحقيقات المهمة، منها «نزهة العينين في زكاة المعدنين» و«رفع الإشكال بظهور العشر في العشر في غالب الأشكال» و«الأقوال المعربة عن أحوال الأشربة»، و«كشف اللثام عن وجوه مخدرات النصف الأول من ذو الأرحام» و«الوشي المجمل في النسب المحمل»، و«القول الصايب في الحكم على الغايب»، و«بلوغ الآمال في كيفية الاستقبال» و«الجداول البهية برياض الخزرجية»، في علم العروض و«إصلاح الأسفار عن وجوه بعض مخدرات الدر المختار»، و«مأخذ الضبط، في اعتراض الشرط على الشرط» و«النسمات الفيحية على الرسالة الفتحية» و«العجاله على أعدل آلة» و«حقايق الدقايق على دقايق الحقايق» و«أخصر المختصرات على ربع المقنطرات» و«الثمرات المجنية من أبواب الفتحية» و«المفصحة فيما يتعلق بالأسطحة»، «الدر الثمين في علم الموازين»، وحاشية على «شرح قاضي زاده على الجغميني» لم تكمل وحاشية «الدر المختار» لم تكمل و«مناسك الحج»، وغير ذلك حواش وتقييدات على العصام والحفيد والمطول والمواقف والهداية في الحكمة والبرزنجي على قاضي زاده، وأمثلة وبراهين هندسية شتى، وما له من الرسومات المخترعة، والآلات النافعة المبتدعة. ومنها الآلة المربعة لمعرفة الجهات، والسمت والانحرافات، بأسهل مأخذ وأقرب طريق، والدايرة التاريخية وبركار الدرجة، واتفق أنه في سنة ثنتين وسبعين وقع الخلل في الموازين والقبابين، وجهل أمر وضعها ورسمها، وبعد تحديدها وريحها ومشيلها واستخراج مامينها، وظهر فيها الخطأ واختلفت مقادير الموزونات وترتب على ذلك ضياع الحقوق وتلاف الأموال، وفسد

على الصناع تقليدهم الذي درجوا عليه، فعند ذلك تحركت همة المترجم لتصحيح ذلك وأحضر الصناع لذلك من الحدادين والسباكين وحرر المثاقيل والصنج الكبار والصغار والقرسطونات، ورسمها بطريق الاستخراج على أصل العلم العملي والوضع الهندسي، وصرف على ذلك أموالًا من عنده ابتغاءً لوجه الله، ثم أحضر كبار القبانية والوزانين مثل الشيخ علي خليل والسيد منصور والشيخ علي حسن والشيخ حسن ربيع وغيرهم وبين لهم ما هم عليه من الخطأ، وعرفهم طريق الصواب في ذلك، وأطلعهم على سر الوضع والصنعة ومكنونها، وأحضروا العدد وأصلحوا منها ما يمكن إصلاحه، وأبطلوا ما تقادم وضعه وفسدت لقمه ومراكزه، وقيدوا بصناعة ذلك الأسطى مراد الحداد ومحمد بن عثمان حتى تحررت الموازين، وانضبط أمرها وانصلح شأنها وسرت في الناس العدالة الشرعية المأمورين بإقامتها، واستمر العمل في ذلك أشهرًا، وهذا هو السبب الحامل له على تصنيف الكتاب المذكور، وهذا هو ثمرة العلم ونتيجة المعرفة والحكمة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

وأما النظم فنروي عنه القليل في بعض فوايد وضوابط، منها في معاني الإعراب اللغوي قوله:

وفي اللغة الإعراب جاء مفصلًا بثنتين مع عشر يعد مفاده
إبان وتحسين وجول تحبب إزالة عرب الشيء وهو فساده
تكلم بالفصحى أو الفحش أو ولد له عربي اللون صارت جياده
عرابًا ولم يلحن كلامًا تغير وإعطاء عربون لينجو فؤاده

(وله في نظم ساعات النهار):

إذا رمت ساعات النهار وحصرها مرتبة فاقبل عليها الاعتنا
شروق بكور ثم غدوة ضحوة فهاجرة ثم الهجير فظهرنا
ظهيرته ثم الرواح فعصره أصيل غروب بالهناء أتى لنا

(وله في ساعات الليل):

وإن رمت ساعات لليل فأول   بها شفق يأتيك في العد بينا
غسيق عشاء ثم عتمة جَهْمَة   فزلفته ثم السديفة فافطنا
فبهرته ثم السحير فصبحه   صباح فإسفار فخدها بلاعنا

(وله فيما لا يسوغ الشرب بعده):

توق لشرب الماء من بعد عشرة   طعام وحمام وحلو مجامع
ومتعبة من بعد مسهل فاكهه   ويقظتها من بعد سخن وجائع

(وله في الدم الطاهر):

فطاهره باق بلحم وعرقه   وكبد وقلب مع طحال بلا شك
وما لم يسل منا وبق وقمل   وألحق براغيثًا كذلك والسمك

(وله في وضع الكتب فوق بعضها):

إذا رمت وضعًا للعلوم مرتبًا   فبادر إلى حوز وحفظ لشارده
فنحو فتعبير كلام ففقهم   كذلك أخبار ودعوات وارده
ومن بعد ذا علم القراءة فوقها   ومن فوقه التفسير فادر موارده

(وله في ألقاب البناء والإعراب):

ألا إن ألقاب البناء بيانها   سكون وكسر ثم فتح كذا ضم
فألقاب إعرب أتت يا مسامري   برفع ونصب ثم جر كذا جزم

(وله في لفظ شفة على ما في المصباح):

وشفة لكل ذات تنطق   قد وضعت فاحفظ لما قد حققوا

جحفلة مقمة ومشفر　　لحافر ظلف وخف حرروا
ومنسر لذي جناح صائد　　منقار موضوع لغير الصائد
خطم وخرطوم لسبع ثبتا　　فنطيسة لكل خنزير أتى

(وله في ياء المخاطبة على مذهب الأخفش):

وأخفش في يا لضربي مخالف　　وتضربين قائلًا: ذي أحرف

(وله في تفصيل الثياب):

لتفصيل الثياب بيوم سبت　　سقام قد تزايد أو تجدد
وفي التالي لهم مع غموم　　وفي الإثنين مبروك ومسعد
ويسرق أو يحرق في الثلاثا　　وتاليه لجلب الرزق يعهد
وفي يوم الخميس لرزق علم　　وفي الغرا لطول العمر يقصد

وله في العقود التي تتعين فيها النقود كما في الفصول العمادية:

خذ عين مالك في مواطن عشرة　　هبة وغصب ثم شركة السلم
وكذلك المقبوض في دعوى غدت　　يتصادق من غير ما أصل حتم
وكذلك العبد المعين إذا قضى　　قاض برد وهو في باب السلم
وكذلك المشري بثوب ثم قبـ　　ـل القبض مات فعين ثوب تلتزم
وكذلك في البيع الذي هو فاسد　　من أصله كالبيع في حر حكم

(وله فيما يصح مع الإكراه):

طلاق عتاق والنكاح ورجعة　　يمين وإسلام وعفو عن العمد
ظهار وإيلاء وفيء ونذره　　رضاع وإيمان وتدبير للعبد
طلاق على جعل كذا العتق صلحهم　　عن العمد الاستيلاد إيجاب للمسدي
قبول لإيداع فخذها فكلها　　تصح مع الإكراه عشرون في العد

(وله في أصول المطعومات):

طعومنا أصولها البسيطة حرافة مرارة ملوحة
حموضة عفوصة قبوضة دسومة حلاوة تفاهة

ورأيت بخطه عند هذه الأبيات ما نصه: قال في شرح المواقف حدوث الطعوم على هذا الوجه المخصوص، مما لم يقم عليه برهان ولا أمارة عند غلبة الظن؛ ولذا قيل: مباحث الطعوم دعاوي خالية عن الدلايل. وكتب بهامشها أيضًا نقلًا عن مجموعة الحفيد: الفرق بين العفص والقبض أن القابض يقبض ظاهر اللسان والعافص يقبض ظاهره وباطنه، والتفاهة المعدومة مثل ما في الخبز واللحم وقد يقال: التف لما لا طعم له أصلًا كالحديد وهذا هو المشهور. انتهى (وله):

إدراك كلي كذا مركب ملكة لكل شيء يطلب
قواعد تصاحبت مع أصل كذا اعتقاد جازم يا خلي
علمًا عليهما أطلقوا يا صاح فاحفظ تفز بغرة الإصباح
وخصصوا الجزئي قل: بالمعرفة كذا البسيط يا سميري فاعرفه
كذا إدراك جديد قد أتى أواخر إدراكين فاحفظ مثبتا

وله في نظم أصول الحلال:

صول حلال جئن في العد عشرة فخذها لكي تحظى بخير نباهه
تجارة ذي صدق ونصح إجاره ومهدى أخ زاك وطيب وراثه
وخمس لغنم حيث قسم عادل وإحيا موات ثم نبت مباحه
وصيد لبر ثم صيد لأبحر كذاك سؤال عند مس لحاجه

والأصل فيه أنه اجتمع الإمام الطرطوشي والإمام ابن السيد البطليوسي رحمهما الله تعالى، وتذاكرا في الحلال هل بقي منه شيء؟ فقال البطليوسى: أصول الحلال عشرة وسع الله تعالى بها على عباده: تجارة بصدق وإجارة بنصح، وهدية من أخ صالح، وميراث من أصل طيب، وإحياء الموات وما أنبتته أرض غير مملوكة، وخمس الغنايم إذا قسمت بعدل وصيد البر، وصيد البحر، والسؤال عند مسيس الحاجة، فقال الإمام الطرطوشي: يجب

على كل مسلم تقييد هذه الأصول؛ ليكون على أهبة من الحلال الذي هو أهم المهمات والله تعالى الموفق للصواب.

(فايدة) رأيت بخط المترجم قال: رأيت بخط الشيخ عثمان النجدي قال: رأيت بخط الشيخ أحمد العجمي ما صورته، وإن من شيء إلا يسبح بحمده إلا الحمار والكلب كما في الدر المنثور عن أبي الشيخ عن ابن عباس، وفيه أيضًا عن عمرو بن عنبسة ما تستقل الشمس، فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح بحمده إلا ما كان من الشيطان وأغبياء بني آدم، والأغبياء جمع غبي وهو القليل الفطنة، وفي فتاوي الجلال السيوطي رحمه الله:

قد خصصت آية الإسرا لمتصف   وصف الحياة كرطب الزرع والشجر
فيابس مات لا تسبيح منه كذا   ما زال من موضع كالقطع للحجر

فزاد عليها المترجم ما تقدم ذكره، وألحقها بها في هذا البيت فقال:

والأغبياء كذا في العد قد ثبتوا   كلب حمار وإبليس بلا نكر

وله في عد من يدخل الجنة من الحيوان:

وفي الجنة الفيحاء قد كان عشرة   من الحيوان اعدد وكن متأملا
فأولًا في العد ناقة صالح   وعجلًا لإبراهيم كبش الفدا تلا
وحوت ابن متَّى بقرة لكليمهم   ونمل سليمان بن داود ذي العلا
وهدهد بلقيس وإبل محمد   عليه صلاة نشرها ضاع في الملا
يلي ذا الحمار للعزيز وكلبهم   وحسبي ربي ناظمًا متوكلا
براق لطه ثم ذئب ليوسف   مزادان فيها فاحفظ العد مكملا

وهذا ما حصلته وعثرت عليه من نظمه، وأما ما قيل فيه من المدائح فلم أعثر بشئ من ذلك مع كثرت إلا بقصيدة من نظم تلميذه العلامة الشيخ شمس الدين محمد الصبان وجدتا مثبتة بديوانه، وسبب ذلك أنه كان رحمه الله لا يرى لنفسه مقامًا، وإذا أتاه إنسان بأبيات أو قصيدة قبلها، وأجاز قايلها ثم أحرقها والقصيدة هي هذه:

يا من بأفئدة العشاق قد لعبا رفقًا بحالي فإن الصبر قد هربا
كم يا ظلومي تسقيني كئوس أسى وكم تحمل قلبي في الهوى كربا
مهلًا رويدك يكفي ما صنعت فقد صيرتني في الهوى بين الورى عجبا
أما كفاك لهيب لو قرب به لشاطئ البحر أضحى ملتهبا؟
أما كفاك سهاد لا بديل له ومدمع كلما قلت: ارتفع سكبا؟
وفرط حزن به الأسقام قد قرنت أمسى وأصبح بين الناس مكتئبا
لك المحاسن خافيها وظاهرها ولي الهوى ما نأى منه وما قربا
أفدي بنفسي وبالدنيا منير دجى الشمس والبدر من أنواره اكتسبا
أغن أغيد بالأرواح ممتزج مهفهف مارنًا إلا سطا وسبا
ظبي بسفك دم العشاق ذو ولع كأنه عنده من بعض ما وجبا
إن كان ينكر قتل المغرمين به فخده بدم العشاق قد خصبا
الحسن مملوكه واللطف خادمه والذل عبد له فانظر ترى العجبا
من لي برشف عتيق الراح من فمه وقطف ورد على خديه قد ركبا
يا فتنة الخلق يا حلو الشمايل صل متيمًا ملت أحشاؤه وصبا
لم يستمع فيك عذال الهوى أبدًا ولا إلى جهة السلوان عنك صبا
لا والذي زانت الأيام طلعته وفاق ساير أرباب العلا رتبا
ركن الأنام فريد العصر أوحده معيد دهر المعالي بعدما ذهبا
شمس الكمال ولكن لا كسوف له بحر العلوم ولكن ماؤه عذبا
حبر أطاعته أصناف الفنون ففي كل الفنون تراه الحايز القصبا
هو الغياث إذا ما المشكلات عصت هو الملاذ إذا ما معضل صعبا
يحج كعبته طلاب جوهره فينفرون وكل أدرك الأربا
لفضل تذعن الأعيان قاطبة إذ كل ما وهبوه بعض ما وهبا
أفديه من سيد لم يبق محمدة إلا وكان لها دون الأنام أبا
العلم والحلم والتقوى بضائعه واللطف والحذق منه حقًّا اكتسبا
لكفه كرم إن قل أشبهه هتان ودق على كل الورى سكبا
ما جاءه طالب يرجو نوافحه إلا ونال من الآمال ما طلبا
لنفسه همم من قاس أصغرها بهمة الدهر فاعلم أنه كذبا

كنز الفصاحة أستاذ البلاغة إن　　يسمعه قس يقل: سبحان من وهبا
تكاد جلاسه من حسن منطقه　　ومن لطافته أن يرقصوا طربا
مهذب النفس ما مر النسيم به　　إلا وكان من الأخلاق مكتسبا
وكم له من كمالات ومن شيم　　يجعل معشارها عن حصر من حسبا
فاحضر مجالسه تنظر محاسنه　　واجلس بحضرته يومًا تر العجبا
محاسن الناس جزد من محاسنه　　ولم أقل فيه إلا بعض ما وجبا
ته يا زمان وفاخر إن سيدنا　　قد قلدتك يداه الدر والذهبا
يا من بطلعته زان الجبرت ومن　　كادت جبرت به أن تفضل العربا
ومن تسمى كأخلاق له حسنًا　　هاك امتداحًا بذكراك اعتلى رتبا
أتاك يرفل في أثواب عزته　　لكنه من حياء أسبل الحجبا
فجد له بقبول منك يجبره　　وغض عن عيبه فالعفو قد طلبا
واشمل محمدًا الصبان ناظمه　　بلحظة منك من تلحظ ينل أربا
لا زالت في حلل الأفراج مرتفلا　　ولافتئت عن الأسواء محتجبا
ولا برحت بعين السعد ملتحظًا　　وكل من لك يا أستاذنا صحبا

وقال فيه أيضًا تهنئة له بمولد الحسنين سنة أربع وسبعين:

بمولد الحسنين السعد هنا كا　　والوقت بالعز والإقبال وافاكا
وأصبحت مصرنا الغراء مشرقة　　بنور ذاك ونور من محياكا
والورق بالمولد الأسنى تهنئنا　　طورًا وطورًا تهادينا بذاكراكا
أولاك مولاك ما يرضيك في فرح　　وفي هناء وأبقى الله محياكا
وهاك مولاي تاريخًا وتهنئة　　في ضمن بيت يفوق الدر إن حاكا
يا أزيد الناس في علم وفي عمل　　بمولد الحسنين السعد هناكا

وللعلامة الشيخ سالم القيرواني:

إمام إن ظفرت به فلازم　　حماه وقل لنفسك: قد ظفرتي
يذل له الجموح من المعاني　　لكل يا قريحته بهرتي

ولما انقاد كل عويص علم   له جبرًا تسمى بالجبرتي

ذكرها في ديباجة حاشيت التي كتبها على لقط الجواهر، وقد كان قرأ عليه طرفًا من العلوم الحكمية. وهذا ما عثرت عليه، وللشيخ قاسم والشيخ محمد شبانة وغيرهما فيه مدايح كثيرة وتواريخ أعوام ومواسم لم أعثر على شيء منها، ولما وصل إلى مصر الشيخ إبراهيم بن أبي البركات العباسي البغدادي الشهير بابن السويدي في سنة خمس وسبعين وماية وألف، وكان إمامًا فاضلًا فصيحًا مفوهًا ينظم الشعر بالإملاء ارتجالًا في أي قافية من أي بحر من غير تكلف، فأنزله المترجم وأكرمه، واغتبط به وصار يتنقل صحبته مع الجماعة بمنازل بولاق والمتنزهات، واتفق أنه تمرض أيام فأقام بمنزل بولاق المشرف على النيل، فقيد به من يعوله ويخدمه ويعلل مزاجه، فكان كلما اختلى بنفسه وحبت عليه النسمات الشمالية والنفحات البحرية أخذ القلم ببنانه، ونقش على أخشابه وحيطانه، فكتب نحو العشرين قصيدة على قواف عديدة كلها مدايح في المذكور، والرياض والزهور، والكوثر والسلسبيل، وجريان النيل، وتركت بحالها، وذهب كغيرها، وفي سنة تسع وسبعين توفي ولده أخي لأبي أبو الفلاح علي، وقد بلغ من العمر اثنتي عشر سنة، فحزن عليه وانقبض خاطره وانحرف مزاجه، وتوالت عليه النوازل، وأوجاع المفاصل، وترك الذهاب إلى بولاق وغيرها، ونقل العيال من هناك، ولازم البيت الذي بالصنادقية واقتصر عليه وفتر عن الحركة إلا في النادر، وصار يملي الدروس بالمنزل، ويكتب على الفتاوي ويراجع المسايل الشرعية والقضايا الحكيمة، مع الديانة والتحري والمراجعة والاستباط والقياس الصحيح ومراعاة الأصول والقواعد، ومطارحات التحقيقات والفوايد، وتلقي الوافدين وإكرام الواردين وإطعام الطعام، وتبليغ القاصد المرام، ومراعاة الأقارب والأجانب، مع البشاشة ولين الجانب، وسعة الصدر وحسن الأخلاق، مع الخلان والأصحاب والرفاق، ويخدم بنفسه جلاسه. ولا يمل معهم إيناسه، ولا يبخل بالموجود، ولا يتكلف المفقود، ولا يتضع في أحواله، ولا يتمشدق في أقواله، ويلاحظ السنة في أفعاله، ومن أخلاقه أنه كان يجلس بآخر المجلس على أي هيئة كان بعمامة وبدونها، ويلبس أي شيء كان، ويتحزم ولو بكنار الجوخ أو قطعة خرقة أو شال كشميري أو محزم، ولا ينام على فراش ممهد، بل ينام كيفما اتفق، وكان أكثر نومه وهو جالس، وله مع الله جانب كبير، كثير الذكر، دايم المراقبة والفكر، ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلي ما تيسر من النوافل والوتر، ثم يشتغل بالذكر. حتى يطلع الفجر فيصلي الصبح ويجلس كذلك إلى طلوع الشمس، فيضطجع قليلًا أو ينام وهو جالس مستندًا،

وهذا دأبه على الدوام، ويحاذر الرياء ما أمكن، وكان يصوم رجب وشعبان ورمضان، ولا يقول: إنى صايم، وربما ذهب إلى بعض الأعيان أو دعى إلى وليمة فيأتون إليه بالقهوة والشربات فلا يرد ذلك، بل يأخذها ويوهم الشرب، وكذلك الأكل ويضايع ذلك بالمؤانسة والمباسطة مع صاحب المكان والجالسين، وكان مع مسايرته للناس وبشاشته ومخاطبته لهم على قدر عقولهم عظيم الهيبة في نفوسهم وقورًا محتشمًا ذا جلال وجمال. وسمعت مرة شيخنا سيدي الشيخ محمود الكردي يقول: أنا عندما كنت أراه داخلًا في دهليز الجامع يداخلني منه هيبة عظيمة، وأدخل إلى رواقنا وأنظر إليه من داخل، وأسأل المجاورين عنه فيقولون لي: «هذا الشيخ الجبرتي»، فأتعجب لما يداخلني من هيبته دون غيره من الأشياخ، فلما تكرر على ذلك أخبرت الأستاذ الحفني، فتبسم وقال لي: «نعم إنه صاحب أسرار».

وكان صفته مربوع القامة ضخم الكراديس أبيض اللون، عظيم اللحية منور الشيبة واسع العينين غزير شعر الحاجبين وجيه الطلعة، يهابه كل من يراه، ويود أنه لا يصرف نظره عن جميل محياه، ولم يزل على طريقته المفيدة، وأفعاله الحميدة، إلى أن آذنت شمسه بالزوال، وغرب بعدما طلع من مشرق الإقبال، وتعلل اثني عشر يومًا بالهيضة الصفراوية الالتهاب الكبدي، فكان كلما تناول شيئًا قذفته معدته عندما يريد الاضطجاع إلى أن اقتصر على المشروبا فقط، وهو مع ذلك لا يصلي إلا من قيام ولم يغب عن حواسه، وكان ذكره في هذه المدة يقرأ الصمدية مرة، ثم يصلي على النبي ﷺ بالصيغة السنوسية كذلك، ثم الاسم العشرين من الأسماء الإدريسية وهو (يا رحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاذه)، هكذا كان دأبه ليلًا ونهارًا حتى توفي يوم الثلاثاء فبيل الزوال غزة شهر صفر من السنة، وجهز في صبح يوم الأربعاء وصُلي عليه بالأزهر بمشهد حافل جدًّا، ودفن عند أسلافه بتربة الصحراء بجوار الشمس البابلي والخطيب الشربيي، ومات له من العمر سبع وسبعون سنة، ورثاه تلميذه العلامة الشيخ محمد الصبان بهذه الأبيا، وأنشدت وقت حضور الجنازة:

ويحك يا نفسي كيف القرار ... ودولة الفضل بها البين سار
وكيف يصفو العيش من بعدما ... كأس الردى بين ذوي المجد دار
إن لهذا الدهر أقضية ... فيهن للمستبصرين اعتبار
كم سل أسياف المنايا على ... قوم إليهم كان يعزى الفخار

وكم رماهم بسهام النوى كأنما يأخذ منهم بثار
وما كفاه ما جرى سابقًا منه وما صال علينا وجار
حتى أذاق الناس نائبة بالبعض منها اسود وجه النهار
فقد إمام المسلمين الذي بنوره كان الوجود استنار
شيخ الشيوخ المجتبى المتقي رحلة أهل العلم من كل دار
شمس الهدى بحر السخاء الذي تغرق في جود يديه البحار
أنعم به من لوذعي حوى مكارم الأخلاق ما فيه عار
وطود حلم زانه خلق لطف الصبا من لطفه مستعار
وروض فضل طالما قطفت أهل التقى منه جنى الثمار
ذاك الذ مثل اسمه حسن أعني الجبرتي إمام الوقار
يا سيدًا ساد بني دهره وفاضلًا ما لعلاه انحصار
سرت إلى جنة عدن وقد أضرمت من فقدك في القلب نار
أبشر من الله بنيل المنى في مقعد الصدق وحسن الجوار
يارب حقق ما نرجي له يجاه طه تجاه أهل الفخار
صلى عليه خالق الخلق مع تسليمه ما حل ركب وسار
والآل والأصحاب ما سكب أعين محزون دموعًا غزار

(وللشيخ أحمد الخامي):

بك العيون لفقد هذا الأمجد العالم الحبر الهمام الأوحد
شيخ الشيوخ ومعدن الجود الذي كانت به كل الأفاضل تقتدي
كهف المحاويج الضعف إذا بهم محل ألم وصاحب الكف الندي
شمس المعارف والتقى حسن الجبر تي الذي قد كان رحب المورد
حزنت عليه عيوننا وقلوبنا حزن الدروس على الرءوس الرشد
بكت المحافل والدروس لفقده إذ كان فيها قامعًا للمعتدي
وكذا البروج مع الكواكب أظهرت أسفًا على ذاك الإمام المفرد
من للمسائل والفنون مهذبًا؟ من للفتاوي بعد هذا السيد؟
كم أبرز المكنون ثاقب فهمه ولكم أفاد الطالبين بمعهد

واهًا على ذاك العزيز وحلمه ... وبشاشة الوجه الجميل المسعد
وا حسرتاه قد عدمنا شيخنا ... من كان للطلاب أقوى مسند
يا عين سحي بالبكا لا تبخلي ... يا عين شحي بالكرى لا ترقدي
يا عين قد مات الذي تبغيه ... من كان عوني في الخطوب ومقصدي
رحمات مولانا العظيم جلاله ... تغشاه دومًا سرمدًا في سرمد
وجزاه رب العرش خير جزائه ... وحباه في الفردوس أسنى مقعد
ثم الصلاه مع السلام على الذي ... كل الورى ترجوه حقًّا في غد
وعلى صحابته الكرام وآله ... من هم نجوم في الظلام المهتدي
ما أن محزون وحن فؤاده ... لسماع ذكر حبيبه في مشهد

(ولغيره أيضًا):

لحا الله دهرًا كل أيامه محن ... وكل سرور في أويقاته حزن
وما الناس في ذا الدهر إلا شواخص ... وكل له من دهره ما به افتتن
فمنحة هذا الدهر لا شك محنة ... وإدباره صعب وإقباله فتن
فيا طالبًا من ذلك الدهر راحة ... وريدك من ذا نالها أو بها اطمأن؟
لقد صال هذا الدهر صولة ظالم ... وسل سيوف البغي في السر والعلن
وأفجعنا في مفرد العصر شيخنا ... كريم السجايا صاحب المجد والسنن
وذاك الجبرتي الذي كان قدوة ... على منهج التحقيق والشرع يؤتمن
إمام له في كل فن براعة ... وفهم ذكي واجتهاد له حسن
لقد كان هذا الحبر قطب زماننا ... فأحرمنا من شخصه ذلك الزمن
نعته غوادي السحب وانهل دمعها ... كذا الفلك الدوار قد مسه شجن
وأظلمت الدنيا وغارت نجومها ... وشمس الضحى غابت وبدر الدجى وهن
فمن للفتاوي والمسائل بعده ... ومن ذا الذي في كل فن له فطن؟
لئن مات فالذكر الجميل مخلد ... وإن غاب عن أبصارنا في الحشا استكن
ولم أنسه والطالبون ببيته ... وكل إلى ذاك المهذب قد ركن
يدير عليهم من سلاف علومه ... كئوسًا من التسنيم أشهى وأعذبن
فوا حسرتاه قد عدمنا بيننا ... وصرنا حيارى لا نعي بعده الوطن

فيا عين سحي واندبي فقد ماجد   وسوحي ونوحي واهجري لذة الوسن
عدمنا فتى قد كان مأوى وملجأً   فواهًا وآهًا لا نرى مثله فتن
ولما دعاه ذو الجلال لقربه   ولم يبق في دار الفناء له وطن
أجاب سريعًا ثم ولى مودعًا   وسار لجنات بها فاز من سكن
فناديته من عظم وجد مؤرخًا   بمقعد صدق قد قدمت أيا حسن
هنيئا مريئا فزت فوزًا مؤبدًا   بجنا عدن وهي من أعظم المنن
عليك من المولى الكريم تحية   كذا رحمات لا يكدرها حزن
وصل مع تسليم رب العلا على   نبي أتانا بالفروض وبالسنن
محمد المبعوث للناس رحمة   ومن قد بكى جذع على فقده وحن
صلاةً وتسليمًا يدومان سرمدًا   مدى الدهر ما وجد تحرك أو سكن
كذا الآل والأصحاب ما كوكب سرى   وما دمعت عين على فقد من طعن

وقوله: نعته (غوادي السحب) البيت وما بعده، وذلك أن يوم وفاته غيمت السماء وأرعدت وأمطرت مطرًا خفيفًا، وكان الوقت صيفًا فأشار إلى ذلك في الأبيات (ورثاه أيضًا الخامي بهذه القصيدة):

مهج بالخطوب تعيا وتعدم   وفؤادي من الضنا يتألم
وعيون مكحولة بسهاد   قد كساها من النوى ثوب عندم
وقلوب مملوة حسرات   نارها لا تزال تقوى وتضرم
ويح دهري فكم أذاب قلوبًا   وبرى أعظمًا وأضنى وأسقم
لا يبالي وليس يرعى ذمامًا   وعلى ما جناه لم يتندم
طالما صال واستطال علينا   وغزانا من حيث لا قط نعلم
ورمانا فصادف الهم قلبًا   كان أقوى القلوب دينًا وأقوم
خاننا فيه ذا الزمان فلا كا   ن زمان على الخيانة يقدم
كان بدرًا فأسرعت كسفه الأر   ض فزال الضياء والجو أظلم
لهف قلبي على امرئ كان فينا   عقله بالورى يقاس وأعظم
حسن الاسم والصفا كريم الـ   ـخلق والخلق ذي العطاء المفخم
يا له من ممجد لوذعي   بحر جود وكنز در منظم

يا له من معظم قل أن يو جد في الكون مثله من معظم
عالم فاضل عزيز مهاب بين أقرانه كبير مقدم
ما عسى أن أقول في مدح شخص كان في الله لم يخش لوم لوم
أقفرت بعده ربوع المعالي وعليها سرادق الحزن خيم
ونعته مجالس العلم إذ كا ن لديها كفارس فوق أدهم
وبكته نكاتها والفتاوي بدموع كغيث سحب تركم
كم قلوب لفقده قد أتاها ما دهاها من حيث لا تتوهم
أي قلب يطيق فقد عزيز كان للواردين أعظم مغنم
سامه وارد النوى فلعمري كم زوى ذا النوى نكالًا وأبرم
فلو أن المنون يقبل جعلًا كان لكنه قضاء محتم
منذ وافى لربه وحباه في جنان تفوق ما يتوهم
صح تاريخه فيا أهل ودي الجبرتي في الجنان ينعم
فعليه من ربه رحمات كل وقت على الدوام وأدوم
وصلاة من المهيمن تهدى مع سلام على النبي المكرم
أشرف المرسلين أزكى البرايا من عليه الإله صلى وسلم
وعلى آله الكرام وصحب وذويهم وكل من قد تقدم
ما بكت أعين على مثل هذا أو نعاه قلب عليه تألم
أو رثاه الخامي إذ قال فيه مهج بالخطوب تعيا وتعدم

ومات الإمام العلامة الفقيه المعمر الشيخ/أحمد بن محمد محمد الحماقي الحنفي، كان أبوه من كبار علماء الشافعية فتحنف هذا بإذن الإمام الشافعي رضي الله عنه لرؤيا رآها، وكان يخبر بها من لفظه، وتلقى عن أئمة عصره كالشيخ أحمد الدسوقي والشيخ علي العقدي، ومحمد عبد العزيز الزيادي، والشيخ أحمد البنوفري، والشيخ سليمان المنصوري وغيرهم، وتصدر للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر مدة سنتين، ثم تولى مشيخة إفتاء الحنفية بعد موت الشيخ حسن المقدسي، وفي ذلك يقول الشيخ عبد الله الإدكاوي:

رجع الحق بعد طول ثناء لإمام له الخناصر تعقد

في جميع الفنون فقهًا ونحوًا وبيانًا بمنطق ليس يجحد
هو ذو الفضل ليس ينكر هذا غير قدم بجهله قد تفرد
ويراع الفتوى استمر مقيمًا عند مولى له الفضائل تسند
والورى بالدعاء قالت تؤرخ دام في كف أحمد الفضل أحمد

وكان إنسانًا حسنًا دمث الأخلاق حسن العشرة صافي الطوية عارفًا بفروع المذهب، لين الجانب لا يتحاشى الجلوس في الأسواق والقهاوي، وكان إخوانه من أهل العلم ينقمون عليه في ذلك فلا يبالي باعتراضهم، ولم يزل حتى توفي في سحر ليلة الجمعة خامس عشرين صفر من السنة رحمه الله.

ومات الإمام الفقي العلامة المحدث الفرضي الأصولي الورع الزاهد الصالح الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن شاهين الراشدي الشافعي الأزهري، ولد بالراشدية وهي قرية بالغربية سنة ثمان عشرة وماية وألف، وبها نشأ وحفظ القرآن وجوده، وقدم الأزهر فتفقه على الشيخ مصطفى العزيزي، والشيخ مصطفى العشماوي، وأخذ الحساب والفرايض على الشيخ محمد الغمري، وسمع الكتب الستة على الشيه عيد النمرسي بطرفيها وبعضها على الشيخ عبد الوهاب الطندتاوي، وسيدي محمد الصغير، وله شيوخ كثيرون، ورافق الشيخ الوالد وعاشره مدة طويلة وتلقى عنه وهو أحد أصحابه من الطبقة الأولى، ولم يزل محافظًا على وده وتردده ومؤانسته ويتذكر الأزمان السالفة والأيام الماضية، وله شيوخ كثيرون، وكان من جملة محفوظاته البهجة الوردية، وقد انفرد في عصره بذلك واعتنى بالكتب الستة كتابةً ومقابلةً وتصحيحًا، وكان حسن التلاوة للقرآن، حلو الأداء مع معرفته بأصول الموسيقى؛ ولذلك ناطت به رغبة الأمرا، فصلى إمامًا بالأمير محمد بك ابن إسماعيل بك، مع كمال العفة والوقار والإنجماع عن الناس حتى إن كثيرًا منهم يود أن يسمع منه حزبًا من القرآن فلا يمكنه ذلك، ثم أقلع عن ذلك وأقبل على إفادة الناس فأقرأ المنهج مرارًا وابن حجر على المنهاج مرارًا، وكان يتقنه ويحل مشكلاته بكمال التؤدة والسكينة، فاستمر مدة يقرأ دروسه بمدرسة السنانية قرب الأزهر، ثم انتقل إلى زاوية قرب المشهد الحسيني، وكان تقريره مثل سلاسل الذهب في حسن السبك، ولما بنى المرحوم يوسف جربجي الهياتم المسجد قرب منزله بخط أبي محمود الحنفي رتب فيه خطيبًا وإمامًا، وأعاد دروس الحديث فيه، فمما قرأ فيه صحيح مسلم وسنن أبي داود، هذا مع صيامة الدهر وقيامه الليل من مدة طويلة، ويقوم الليل بالقرآن، وفيه جذبة إلى الله تعالى، وقد انتفع به كثير من الأعلام، ولما بنى المرحوم محمد

بك أبو الدهب المدرسة تجاه الجامع الأزهر في هذه السنة راوده أن يكون خطيبًا بها، فامتنع فألح عليه وأرسل له صرة فيها دنانير لها صورة، فأبى أن يقبل ذلك ورده فألح عليه، فلما أكثر عليه خطب بها أول جمعة وألبسه فروة سمور، واعطاه صرة فيها دنانير فقبلها كرها ورجع إلى منزله محمومًا، يقال فيما بلغني أنه طلب من الله أن لا يخطب بعد ذلك، فانقطع في منزله مريضًا إلى أن توفي ليلة الثلاثاء ثاني شوال من السنة، وجهز ثانى يوم وصُلي عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن بالقرافة الصغرى تجاه قبة أبي جعفر الطحاوي، ولم يخلف بعده في جميع الفضايل مثله، وكان صفته نحيف البدن منور الوجه والشيبة ناتئ الجبهة، ولا يلبس زي الفقهاء ولا العمامة الكبيرة بل يلبس قاووقًا لطيفًا فتلي، ويركب بغلة وعليها سلخ شاة أزرق، وأخذ كتبه الأمير محمد بك ووقفها في كتبخانته التي جعلها بمدرسته، وكان لها جرم كلها صحيحة مخدومة وسرق غالبها.

ومات الشيخ الصالح/سعد بن محمد بن عبد الله الشنواني، حصل في حياته شيًّا كثيرًا من العلوم، ومال إلى فن الأدب فمهر فيه، وتنزل قاضيًا في محكمة باب الشعرية بمصر، وكان إنسانًا حسنًا بينه وبين الفضلا مخاطبات ومحاولات، وشعره حسن مقبول، وله قصايد ومدايح في الأوليا وغيرهم أحسن فيها، ولم أعثر على شيء منها، وجدد له شيخنا السيد مرتضى نسبة إلى الشيخ شهاب الدين العراقي دفين شنوان، توفي يوم السبت خامس جمادى الثانية من السنة وقد جاوز السبعين رحمه الله.

ومات العلامة الفقيه لصالح الدين الشيخ/علي بن حسن المالكي الأزهري، وقرأ على الشيخ العدوي وبه تخرج وحضر غيره من الأشياخ ومهر في الفقه والمعقول، وألقى دروسًا بالأزهر ونفع الطلبة، وكان ملازمًا على قراية الكتب النافعة للمبتدين مثل أبي الحسن وابن تركي والعشماوية في الفقه، وفي النحو الشيخ خالد والأزهرية والشذور، وحلقة درسه عظيمة جدًّا، وكان لسانه أبدًا متحركًا بذكر الله، توفي ليلة الخميس منتصف ربيع الأول من السنة ودفن بالمجاورين.

ومات الشيخ الإمام المحدث البارع الزاهد الصوفي محمد بن أحمد بن سالم أبو عبد الله السفاريني النابلسي الحنبلي، ولد كما وجد بخطه سنة أربع عشرة وماية وألف تقريبًا بسفارين، وقرأ القرآن في سنة إحدى وثلاثين في نابلس، واشتغل بالعلم قليلًا وارتحل إلى دمشق سنة ثلاث وثلاثين، ومكث بها قدر خمس سنوات فقرأ بها على الشيخ عبد القادر التغلبي دليل الطالب للشيخ مرعي الحنبلي من أوله إلى آخره قراءة تحقيق،

والإقناع للشيخ موسى الحجازي، وحضره في الجامع الصغير للسيوطي بين العشاءين وغيره مما كان يقرأ عليه في ساير أنواع العلوم، وذاكره في عدة مباحث من شرحه على الدليل، فمنها ما رجع عنها ومنا ما لم يرجع لوجود الأصول التي نقل منها، وكان يكرمه ويقدمه على غيره، وأجازه بما في ضمن ثبته الذي خرجه له الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزي في سنة خمس وثلاثين، وعلى الشيخ عبد الغني النابلسي الأربعين النووية وثلاثيات البخاري والإمام أحمد، وحضر دروسه في تفسير القاضي وتفسيره الذي صنفه في علم التصوف، وأجازه عمومًا بساير ما يجوز له وبمصنفاته كلها، وكتب له إجازه مطولة وذكر فيها مصنفاته، وعلى الشيخ عبد الرحمن المجلد ثلاثيات البخاري، وحضر دروسه العامة وأجازه، وعلى الشيخ عبد السلام بن محمد الكاملي بعض كتب الحديث وشيًّا من رسايل إخوان الصفا، وعلى ملا الياس الكوراني كتب المعقول وعلى الشيخ إسماعيل بن محمد العجلواني الصحيح بطرفيه مع مراجعة شروحه الموجودة في كل رجب وشعبان ورمضان كل سنة مدة إقامته بدمشق، وثلاثيات البخارى وبعض ثلاثيات أحمد وشيا من الجامع الصغير مع مراجعة شرحه للمناوي والعلقمي وشيئًا من الجامع الكبير وبعضًا من كتاب الإحياء مع مراجعة تخريج أحاديثه للزين العراقي، والأندلسية في العروض مع مطالعة بعض شروحها وبعضًا من شرح شذور الذهب، وشرح رسالة الوضع مع حاشيته التي ألفها وحاشية ملا الياس، وأجازه بكل ذلك وبما يجوز له روايته، وعلى الشيخ أحمد بن على المنيني شرح جمع الجوامع للمحلي، وشرح الكافية لملا جامي، وشرح القطر للفاكهي وحضر دروسه للصحيح وشرحه على منظومة الخصايص الصغرى للسيوطي، وقد أجازه بكل ذلك مطولة كتبها بخطه، وعلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزي بعضًا من شرح ألفية العراقي لزكريا وأول سنن أبي داود. وعلى قريبه الشيخ أحمد الغزي غالب الصحيح بالجامع الأموي بحضرة جملة من كبار شيوخ المذاهب الأربعة، وعلى الشيخ مصطفى بن سوار أول صحيح مسلم، وعلى حامد أفندي مفتي الشام المسلسل بالأولية وثلاثيات البخاري وبعض ثلاثيات أحمد، وحج سنة ثمان وأربعين فسمع بالمدينة على الشيخ محمد حياة المسلسل بالأولية وأوايل الكتب الستة، وتفقه على شيخ المذهب مصطفى بن عبد الحق اللبدي، وطه بن أحد اللبدي، ومصطفى بن يوسف الكرمي، وعبد الرحيم الكرمي، والشيخ معمر السيد هاشم الحنبلي، والشيخ محمد السلفيني وغيرهم، ومن شيوخه الشيخ محمد الخليلي سمع عليه أشياء، والشيخ عبد الله البصروي سمع عليه ثلاثيات أحمد مع المقابلة بالأصل المصحح،

والشيخ محمد الدقاق أدركه بالمدينة وقرأ عليه أشياء، واجتمع بالسيد مصطفى البكري، فلازمه وقرأ عليه مصنفاته وأجازه بماله وكتب له بذلك، وله شيوخ أخر غير من ذكرت وله مؤلفات منها شرح عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني في مجلدين، وشرح ثلاثيات أحمد في مجلد ضخم، وشرح نونية الصرصري الحنبلي سماه معارج الأنوار في سيرة النبي المختار، وبحر الوفا في سيرة النبي المصطفى، وغذا الألباب في شرح منظومة الآداب والبحور الزاخرة في علوم الآخرة، وشرح الدرة المضية في اعتقاد الفرقة الأثرية ولوايح الأنوار السنية في شرح منظومة أبي بكر بن أبي داود الحائية، ومما وجدته من نظمه ونقلته من خطه:

لكل امرئ عند الإله وسيلة ستنحيه في يوم الجزا من عذابه
وما لي سوى ذلي وفقر وفاقتي وحسن رجائي وانكساري ببابه
عسى خالقي يمحو ذنوبي بمنه ويقبضي مستمسكًا بكتابه

وله أيضًا:

إذا رأيت ذوي ظلم فقل لهم ستندمون إذا ما جئتمو سقرا
عنفهم بشنيع من قبايحهم وأقرأ لهم آية في آخر الشعرا

وله أيضًا:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بمكة حولي صالح وزميل
وهل أردن يومًا مياها لزمزم وهل يبعدون لي في الطراف قبول

وله أيضًا:

وشادن من بني الأتراك قلت له قصدي أقبل يا كل المنى شفتك
فقال لي كف عن هذا الكلام ولو قبلتها يا صريع الحب ما شفتك

(والأضل فيه قول من سبق):

وشادن قلت له　　دعني أقبل شفتك
فقلت له كم مرة　　قبلتها ما شفتك

وله أيضًا:

ظن العواذل أني　　من قلة المال أشقى
فقلت لا، ذاك إفك　　فالله خير وأبقى

وكان المترجم شيخًا ذا شبية منورة مهيبًا جميل الشكل ناصرًا للسنة، قامعًا للبدعة قوالًا بالحق مقبلًا على شانه مداومًا على قيام الليل في المسجد ملازمًا على نشر علوم الحديث، محبًّا في أهله ولا زال يملي ويفيد ويجيز من سنة ثمان وأربعين إلى أن توفي يوم الإثنين ثامن شوال من هذه السنة بنابلس، وجهز وصُلي عليه بالجامع الكبير، ودفن بالمقبرة الزاركنية وكثر الأسف عليه ولم يخلف بعده مثله، رحمه الله رحمة واسعة.

ومات العمدة المبجل الفاضل الشيخ/أحمد بن محمد بن عبد السلام الشرفي، المغربي الأصل، المصري المولد، وكن والده شيخًا على رواق المغاربة بالجامع الأزهر، ومن شيوخ الشيخ أحمد الدمنهوري، وولده هذا.

إن له معرفة بعلم الميقات ومشاركة حسنة وفيه صداقة ود وحسن عشرة مع الإخوان ومكارم أخلاق، ويدعو الناس والعلماء في المولد النبوي إلى بيته بالأزبكية، ويقدم لهم الموايد والحلوى وشراب السكر، وكان لديه فوايد ومآثر حسنة، توفي سابع عشر ربيع الأول من السنة، وقد جاوز السبعين رحمه الله.

ومات العمدة الفاضل الشيخ زين الدين/قاسم العبادي الحنفي، تفقه على الشيخ سليمان المنصوري والشيخ أحمد بن عمر الإسقاطي إلى أن صار يقرأ درسًا في المذهب، ولم يزل ملازمًا شانه حتى توفي ثالث عشر الحجة من السنة، وقد ناهز الثمانين رحمه الله.

ومات العمدة الشيخ/عبد الله الموقت قوصون وكان يعرف بالطويل، وكان إنسانًا صالحًا ناسكًا ورعًا، توفي فجأة في الحمام ثاني عشر الحجة عن سبع وثمانين سنة.

ومات العمدة الفاضل الأديب الماهر الشيخ/علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن عامر العطشي الفيومي، وهو أخو أحمد العطشي وكان له مذاكرة حسنة وحشر على الشيخ الحفني وغيره، وكان نعم الرجل توفي في جمادى الآخرة.

ومات السيج الشريف المعمر/محمد بن حسن محمد الحسني الوفائي باش جاويش السادة الأشراف، أخذ عن الشيخ المعمر يوسف الطولوني، وكان يحكى عنه حكايا مستحسنة وغرايب، وكان متقيدًا بالسيد محمد أبي هادي الوفائي في أيام نقابته على الأشراف ولديه فضيلة وفوايد، توفي في هذه السنة عن نحو ثمانين سنة.

ومات الشيخ الصالح/سليمان بن داود بن سليمان بن أحمد الخربتاوي، وكان من أهل المروة والدين، توفي ثامن عشرين المحرم من السنة في سن الثمانين.

ومات الجناب المكرم الأمير/أحمد أغا البارودي وهو من مماليك ابراهيم كتخدا القازدغلي، وتزوج بابنته التي من بيت البارودي، وسكن معها في بيتهم المشهور خارج باب سعادة والخرق، وولد له منها أولاد ذكور وإناث ومنهم صاحبنا ابراهيم جلبي وعلي مصطفى وهو أستاذ محمد أغا الآتي ذكره، تقلد المترجم في أيام علي بك مناصب جليلة مثل أغاوية المتفرقة وكتخدا الجاويشية، وكان إنسانًا حسنًا صافي الباطن لا يميل طبعه لسوى فعل الخير، ويحب أهل العلم وممارستهم، وكان له ميل عظيم واعتقاد حسن في المرحوم الشيخ الوالد ويزوره في كل جمعة مع غاية الأدب والامتثال، ومما شاهدته من كمال أدبه وشدة اعتقاده وحبه أنه صادفه مرة بالطريق وهو إذ ذاك كتخدا الجاويشية، وهو راكب في أبهته وأتباعه، والشيخ راكب على بغلته، فعندما رآه ترجل ونزل عن جواده وقبل يده، فأنكر عليه فعله واستعظمه واستحى منه، والتمس منه أن يقيد به بعض الطلبة ليقريه شيًّا من الفقه والدين، فقيد به الشيخ عبد الرحمن العريشي، فكان يذهب إليه ويطالع له القدوري وغيره، وكان يكرمه ويواسيه ولم يزل على حسن حالته حتى توفي في سابع جمادى الأول من السنة، وكان له في منزله خلوة ينفرد فيها بنفسه، ويخلع ثياب الأبهة ويلبس كساء صوف أحمر على بدن، ويأخذ بيده سبحة كبيرة يذكر ربه عليها.

ومات الأمير الصالح/خليل أغا مملوك عثمان بك الكبير تابع ذي الفقار وهو أستاذ الأمير علي خليل، توفي ببلد له بالفيوم، وجيء به ميتًا في عشية نهار السبت حادي عشرين جمادى الثانية من السنة فغسل وكفن ودفن بالقرافة، وكان إنسانًا دينًا خيرًا محبًّا للعلماء والصلحاء.

ومات الأمير إسماعيل أفندي تابع المرحوم الشريف محمد أغا كاتب البيورلدي وكان إنسانًا خيرًا صالحًا، توفي يوم الأحد ثاني عشرين جمادى الثانية.

ومات السيد المعمر الشريف عبد اللطيف أفندي نقيب الأشراف بالقدس وابن نقبائها عن تسعين سنة تقريبًا، وتولى بعده أكبر أولاده السيد عبد الله أفندي رحمه الله.

ومات الأمير المبجل/محمد أفندي جاوجان ميسو، وكان حافظًا لكتاب الله موفقًا، وفيه فضيلة وفصاحة يحب العلماء والأشراف ويحسن إليهم، توفي ليلة الإثنين عشرين ربيع الأول، وصُلي عليه بالأزهر ودفن بالمجاورين.

ومات الأمير/مصطفى بك الصيداوي تابع الأمير علي بك القازدغلي كان سبب موته أنه خرج إلى الخلاء جهة قصر العيني وركض جواده فسقط عنه ومات لوقته، وحمل إلى منزله بدرب الحجر، وجهز وكفن ودفن بالقرافة وذلك في منتصف ربيع الأول من السنة.

ومات الأمير/علي أغا أبو قورة من جماعة الوكيل سادس عشر ربيع الأول سنة تاريخه.

ومات الأمير/محمد أفندي الزاملي كاتب قلم الغربية، وكان صاحب بشاشة وتودد وحسن أخلاق، توفي رابع عشرين صفر من السنة، وخلف ولده حسن أفندي قلفة الغربية الآتي ذكره في سنة اثنتين ومايتين وألف.

ومات الخواجا المكرم الحاج/محمد عرفات الغزاوي التاجر، وهو والد عبد الله ومصطفى، توفي يوم الثلاثاء ثامن صفر من السنة، والله تعالى أعلم.

سنة تسع وثمانين ومائة وألف/١٧٧٥م

فيها عزم محمد بك ابو الدهب على السفر والتوجه إلى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر، واستخلاص ما بيده من البلاد، فبرز خيامه إلى العادلية وفرق الأموال والتراحيل على الأمراء والعساكر والمماليك، واستعد لذلك استعدادًا عظيمًا في البحر والبر، وأنزل بالمراكب الذخيرة والجبخانة والمدافع والقنابر والمدفع الكبير المسمى بأبو مايلة، الذي كان سبكه في العام الماضي، وسافر بجموعه وعساكره في أوايل المحرم، وأخذ صحبته مراد بك، وإبراهيم بك طنان، وإسماعيل بك تابع إسماعيل بك الكبير لا غير، ونزل بمصر إبراهيم بك وجعله عوضًا عنه في إمارة مصر، وإسماعيل بك وباقي الأمراء والباشا الذي بالقلعة، وهو مصطفى باشا النابلسي وأرباب العكاكيز والخدم والوجاقلية، ولم يزل في سيره حتى وصل إلى جهة غزة وارتجت البلاد لوروده، ولم يقف أحد في وجهه، وتحصن أهل يافا بها، وكذلك الظاهر عمر تحصن بعكا، فلما وصل إلى يافا حاصرها وضيق على أهلها، وامتنعوا هم أيضًا عليه، وحاربوه من داخل وحاربهم من خارج، ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليالي، فكانوا يصعدون إلى أعلى السور ويسبون المصريين وأميرهم سبًّا قبيحًا، فلم يزالوا بالحرب عليها حتى نقبوا أسوارها، وهجموا عليها من كل ناحية، وملكوها عنوة، ونهبوها وقبضوا على أهلها وربطوهم في الحبال والجنازير، وسبوا النساء والصبيان، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم جمعوا الأسرى خارج البلد ودورو فيهم السيف، وقتلوهم عن آخرهم، ولم يميزوا بين الشريف والنصراني واليهودي والعالم والجاهل والعامي والسوقي ولا بين الظالم والمظلوم، وربما عوقب من لا جنى، وبنوا من رءوس القتلى عدة صوامع ووجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة والرياح والزوابع، ثم ارتحل عنها طالبًا عكا، فلما بلغ الظاهر عمر ما وقع بيافا، اشتد خوفه وخرج من عكا هاربًا وتركها وحصونها. فوصل إليها محمد بك ودخلها من غير

مانع، وأذعنت له باقي البلاد، ودخلوا تحت طاعته وخافوا سطوته، وداخل محمد بك من الغرور والفرح ما لا مزيد عليه وما آل به إلى الموت والهلاك، وأرسل بالبشاير إلى مصر والأمرا بالزينة، فنودي بذلك وزينت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة عظيمة، وعمل بها وقدات وشنكات وحرقات وأفراح ثلاثة أيام بلياليها، وذلك في أوايل ربيع الثاني، فعند انقضاء ذلك ورد الخبر بموت محمد بك، واستمر في كل يوم يفشو الخبر، وينمو ويزيد ويتناقل ويتأكد، حتى وردت السعاة بتصحيح ذلك، وشاع في الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾. وذلك أنه لما تم له الأمر وملك البلاد المصرية والشامية وأذعن الجميع لطاعته، وقد كان أرسل إسماعيل أغا أخا علي بك الغزاوي إلى إسلامبول يطلب إمرية مصر والشام، وأرسل صحبته أموالًا وهدايا فأجيب إلى ذلك، وأعطوه التقاليد والخلع والبرق والداقم، وأرسل له المراسلات والبشائر بتمام الأمر، فوافاه ذلك يوم دخوله عكا، فامتلأ فرحًا، وحم بدنه في الحال، فأقام محمومًا ثلاثة أيام، ومات ليلة الرابع، ثامن ربيع الثاني، ووافى خبر موته إسماعيل أغا عندما تهيأ، ونزل في المراكب يريد المسير إلى مخدومه، فانتقض الأمر وردت التقاليد وباقي الأشياء ولما تم له أمر يافا وعكا وباقي البلاد والثغور، فرح الأمراء والأجناد الذين بصحبته برجوعهم إلى مصر، وصاروا متشوقين للرحيل والرجوع إلى الأوطان، فاجتمعوا إليه في اليوم الذي نزل به ما نزل في ليلته، فتبين لهم من كلامه عدم العود وأنه يريد تقليدهم المناصب والأحكام بالديار الشامية وبلاد السواحل، وأمرهم بإرسال المكاتبات إلى بيوتهم وعيالهم بالبشارات بما فتح الله عليهم وما سيفتح لهم، ويطمنوهم ويطلبوا احتياجاتهم ولوازمهم المحتاجين إليها من مصر، فعند ذلك اغتموا، وعلموا أنهم لا براح لهم، وأن أمله غير هذا، وذهب كل إلى مخيمه يفكر في أمره، قال الناقل: وأقمنا على ذلك الثلاثة أيام التي تمرض فيها، وأكثرنا لا يعلم بمرضه ولا يدخل إليه إلا بعض خواصه، ولا يذكرون ذلك إلا بقولهم في اليوم الثالث: إنه منحرف المزاج، فلما كان في صبح الليلة التي مات بها، نظرنا إلى صيوانه وقد انهدم ركنه، وأولاد الخزنة في حركة، ثم زاد الحال، وجردوا على بعض السلاح بسبب المال، وظهر أمر موته وارتبك العرضي، وحضر مراد بك فصدهم وكفهم عن بعضهم، وجمع كبراهم وتشاوروا في أمرهم، وأرضى خواطرهم، خوفًا من وقوع الفشل فيهم وتشتتهم في بلاد الغربة وطمع الشاميين وشماتتهم فيهم، واتفق رأيهم على الرحيل، وأخذوا رمة سيدهم صحبتهم لما تحقق عندهم أنهم إن دفنوه هناك في بعض المواضع أخرجه أهل البلاد

ونبشوه وأحرقوه، فغسلوه وكفنوه ولفوه في المشمعات ووضعوه في عربة، وارتحلوا به طالبين الديار المصرية، فوصلوا في ستة عشر يومًا، ليلة الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني أواخر النهار، فأرادوا دفنه في القرافة، وحضر الشيخ الصعيدي فأشار بدفنه في مدرسته تجاه الأزهر، فحفروا له قبرًا في الليوان الصغير الشرقي وبنوه ليلًا، ولما أصبح النهار، عملوا مشهدًا، وخرجوا بجنازته من بيته الذي بقوصون، ومشى أمامه المشايخ والعلماء والأمراء وجميع الأحزاب والأوراد وأطفال المكاتب، وأمام نعشه مجامر العنبر والعود سترًا على رائحته ونتنه، حتى وصلوا به إلى مدفنه، وعملوا عنده ختامات وقرايات وصدقات عدة ليال وأيام نحو أربعين يومًا، واستقر أتباعه أمرا مصر وريسهم إبراهيم بك ومراد بك، وباقيهم الذين أمره في حياته، ومات عنهم يوسف بك وأحمد بك الكلارجي ومصطفى بك الكبير وأيوب بك الكبير وذو الفقار بك ومحمد بك الطبال ورضوان بك، والذين تأمروا بعده أيوب بك الدفتردار وسليمان بك الأغا وإبراهيم بك الوالي وأيوب بك الصغير وسليم بك أبو دياب ولاجين بك، وسيأتي ذكر أخبارهم.

ذكر من مات في هذه السنة

(مات) الإمام الهمام، شيخ مشايخ الإسلام، عالم العلما الأعلام، إمام المحققين وعمدة المدققين، الشيخ/علي بن أحمد بن مكرم الله الصعيدي العدوي المالكي، ولد ببني عدى كما أخبر عن نفسه سنة اثنتي عشرة وماية وألف، ويقال له أيضًا: المنسفيسي؛ لأن أصوله منها، وقدم إلى مصر وحضر دروس المشايخ كالشيخ عبد الوهاب الملوي والشيخ شلبي البرلسي والشيخ سالم النفراوي والشيخ عبد الله المغربي والسيد محمد السلموني ثلاثتهم عن الخرشي وأقرانه وكسيدي محمد الصغير والشيخ إبراهيم الفيومي، وقال: وبشرني بالعلم حين قبلت يده وأنا صغير ومحمد بن زكري والشيخ محمد السجيني والشيخ إبراهيم شعيب المالكي والشيخ أحمد الملوي والشيخ أحمد الديربي والشيخ عيد النمرسي والشيخ مصطفى العزيزي والشيخ محمد العشماوي والشيخ محمد بن يوسف والشيخ أحمد الإسقاطي والبقري والعماوي والسيد علي السيواسي والمدابغي والدفري والبليدي والحفني وآخرين، وبآخرة تلقن الطريقة الأحمدية عن الشيخ علي بن محمد الشناوي، ودرس بالأزهر وغيره وقد بارك الله في أصحابه طبقة بعد طبقة كما هو مشاهد، وكان يحكي عن نفسه أنه طالما كان يبيت بالجوع في مبدأ اشتغاله بالعلم، وكان لا يقدر على ثمن الورق، ومع ذلك إن وجد شيًّا تصدق به، وقد تكررت له بشارات حسنة منامًا

ويقظة إذا حكى شيًّا من ذلك قال: هكذا كان الامام مالك يخبر أصحابه بالرويا ويقول: «الرويا تسر ولا تضر» منها ما وقع لشيخنا العارف سيدي محمود الكردي قال: «رأيت النبي ﷺ في المنام يقول: علي الصعيدي خليفتي فلما انتبهت وخطر ببالي الشيخ قلت: علي الصعيدي غيره كثير، فنمت، فرأيته ثانيًا يقول: علي الصعيدي هذا ويشير للشيخ». ورأى بعض الصلحاء النبي ﷺ في المنام في محراب الأزهر والطلبة تعرض عليه تقاييد الأشياخ، فلما رأى ما قيد عن الشيخ، صار يقول بذل وانكسار: يا علي ويكررها، ورأى الشيخ نفسه النبي في المنام فقال له: «أجزني» قال: «أجزتك» وأمثال ذلك كثير ورأى غير واحد من الصلحا النبي ﷺ يأمره بالحضور عليه، وآخر رأى مالكًا والشافعي في مجلس تدريسه، وشهد له بالمعرفة والصلاح أكثر من النصف من أهل عصره، وقال العلامة الشيخ محمد الأمير: «ولقد سمعت شيخنا العفيفي رضي الله عنه في مرض موته يقول: «الشيخ ناج والذي يحضره ناج» أو كلامًا هذا معناه. وله مؤلفات دالة على فضله، منها حاشية على ابن تركي وأخرى على الزرقاني على العزيه وأخرى على شرح أبي الحسن على الرسالة في مجلدين ضخمين، وأخرى على الخرشي وأخرى على شرح الرزقاني على المختصر، وأخرى على الهدهدي على الصغرى وحاشيتان على عبد السلام على الجوهرة كبرى وصغرى، وأخرى على الأخضري على السلم، وأخرى على ابن عبد الحق على بسملة شيخ الإسلام وأخرى على شرح شيخ الإسلام على ألفية المصطلح للعراقي وغير ذلك، وكان قبل ظهوره لم تكن المالكية تعرف الحواشي على شروح كتبهم الفقية، فهو أول من خدم تلك الكتب بها، وله شرح على خطبة كتاب إمداد الفتاح على نور الإيضاح في مذهب الحنفية للشيخ الشرنبلالي، وكان رحمه الله شديد الشكيمة في الدين يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وإقامة الشريعة، ويحب الاجتهاد في طلب العلم ويكره سفاسف الأمور وينهى عن شرب الدخان، ويمنع من شربه بحضرته وبحضرة أهل العلم تعظيمًا لهم، وإذا دخل إلى منزل من منازل الأمرا ورأى من يشرب الدخان شنع عليه وكسر آلته، ولو كانت في يد كبير الأمرا، وشاع عنه بذلك وعرف في جميع الخاص والعام وتركوه بحضرته، فكانوا عندما يرونه مقبلًا من بعيد نبه بعضهم بعضًا ورفعوا شبكاتهم وأقصابهم وأخفوها عنه، وإن رأى شيًّا منها أنكر عليهم ووبخهم وعنفهم وزجرهم، حتى إن علي بك في أيام إمارته كان إذا دخل عليه في حاجة أو شفاعة، أخبروه قبل وصوله إلى مجلسه فيرفع الشبك من يده ويخفوه من وجهه وذلك مع عتوه وتجبره وتكبره، واتفق أنه دخل عليه في بعض الأوقات، فتلقاه على عادته وقبل يده وجلس فسكت الأمير مفكرًا في أمر من

الأمور، فظن الشيخ إعراضه عنه فأخذته الحدة، وقال مخاطبًا له باللغة الصعيدية: «يا مين يا مين يا من هو غضبك ورضاك على حد سواء، بل غضبك خير من رضاك»، وكرر ذلك وقام قايمًا وهو يأخذ بخاطره ويقول: «أنا لم أغضب من شيء»، ويستعطفه فلم يجبه ولم يجلس ثانيًا وخرج ذاهبًا، ثم سأل علي بك عن القضية التي أتى بسببها فأخبروه فأمر بقضاها، واستمر الشيخ منقطعًا عن الدخول إليه مدة حتى ركب في ليلة من ليالي رمضان مع الشيخ الوالد في حاجة عند بعض الأمرا ومرا ببيت علي بك فقال له: «ادخل بنا نسلم عليه»، فقال: «يا شيخنا أنا لا أدخل». فقال: «لا بد من دخولك معي فلم تسعه مخالفته وانسر بذلك علي بك تلك الليلة سرورًا كثيرًا.

ولما مات علي بك واستقل محمد بك أبو الدهب بإمارة مصر كان يجل من شأنه ويحبه ولا يرد شفاعته في شي أبدًا، وكل من تعسر عليه قضا حاجة ذهب إلى الشيخ وأنهى إليه قصته فيكتبها مع غيرها في قايمة حتى تمتلى الورقة، ثم يذهب إلى الأمير بعد يومين أو ثلاثة، فعندما يستقر في الجلوس يخرج القايمة من جيبه، ويقص ما فيها من القصص والدعاوي واحدة بعد واحدة، ويأمر بقضاء كل منها والأمير لا يخالفه ولا ينقبض خاطره في شيء من ذلك، وفي أثناء ذلك يقول له: لا تضجر ولا تأسف على شي يفوتك بغير حق في الدنيا، فإن الدنيا فانية وكلنا نموت ويوم القيامة يسألنا الرب عن تأخرنا عن نصحك، وها نحن قد نصحناك وخرجنا من العهدة. وإذا تلكأ في شي صرخ عليه وقال له: «اتق النار وعذاب جهنم»، ثم يمسك بيده ويقول له: «أنا خايف على هذه اليد الكويسة من النار» وأمثال ذلك، ولما بنى الأمير المذكور مدرسته كان المترجم هو المتعين في التدريس بها داخل القبة على الكرسي، وابتدأ بها البخاري وحضره كبار المدرسين فيها وغيرهم ولم يترك درسه بالأزهر ولا بالبرديكية، وكان يقرأ قبل ذلك بمسجد الغريب عند باب البرقية في وظيفة جعلها له الأمير عبد الرحمن كتخدا، وكذلك وظيفة بعد الجمعة بجامع مرزه، ببولاق وكان على قدم السلف في الاشتغال والقناعة، وشرف النفس وعدم التصنع والتقوي ولا يركب إلا الحمار ويواسي أهله وأقاربه ويرسل إلى فقراهم ببلده الصلات والأكسية والبز والطرح للنساء والعصايب والمداسات وغير ذلك، ولم يزل مواظبًا على الإقراء والإفادة حتى تمرض بخراج في ظهره أيامًا قليلة، وتوفي في عاشر رجب من السنة، وصُلي عليه بالأزهر بمشهد عظيم ودفن بالبستان بالقرافة الكبرى رحمه الله، ولم يخلف بعده مثله ولم أعثر على شي من مراثيه.

(ومات) الإمام العلامة الفقيه الصالح الشيخ/أحمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن محمد الزبيري البراوي الشافعي، ولد بمصر وبها نشأ وحفظ القرآن والمتون وتفقه

على والده وغيره، وحضر المعقول وتمهر وأنجب ودرس في حياة والده، وبعد وفاته تصدر للتدريس في محله وحضره طلبة أبيه واتسعت حلقة درسه مثل أبيه، واشتهر ذكره وانتظم في عداد العلماء وكان نعم الرجل شهامة وصرامة، وفيه صداقة وحب للإخوان، توفي بطندتا ليلة الأربعا ثالث عشر ربيع الأول فجأة، إذ كان ذهب للزيارة المعتادة وجيء به إلى مصر فغسل في بيته وكفن، وصُلي عليه بالجامع الأزهر ودفن بتربة والده بالمجاورين.

(ومات) الإمام الفاضل المسن الشيخ/أحمد بن رجب بن محمد البقري الشافعي المقري، حضر دروس كل من الشيخ المدابغي والحفني، ولازم الأول كثيرًا فسمع منه البخاري بطريفيه، والسيرة الشامية كلها، وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وكان سريع الفهم وافر العلم كثير التلاوة للقرآن مواظبًا على قيام الليل سفرًا وحضرًا، ويحفظ أورادًا كثيرة وأحزابًا، ويجيز بها وكان يحفظ غالب السيرة ويسردها من حفظه، ونعم الرجل كان متانة ومهابة. توفي وهو متوجه إلى الحج في منزلة النخل آخر يوم من شوال من السنة ودفن هناك.

(ومات) عالم المدينة وريسها الشيخ/محمد بن عبد الكريم السمان، ولد بالمدينة ونشأ في حجر والده، واشتغل يسيرًا بالعلم وأرسله والده إلى مصر في سنة أربع وسبعين ومائة وألف لمقتضى، فتلقته تلامذه أبيه بالإكرام وعقد حلقة الذكر بالمشهد الحسيني وأقبلت عليه الناس، ثم توجه إلى المدينة، ولما توفي والده أقم شيخًا في محله، ولم يزل على طريقته حتى مات في رابع الحجة من السنة عن ثمانين سنة.

(ومات) العلامة المعمر الصالح الشيخ/أحمد الخليلي الشامي أحد المدرسين بالأزهر، تلقى عن أشياخ عصره ودرس وأفاد وكان به انتفاع للطلبة تام عام، وألف إعراب الآجرومية وغيره وتوفي في عاشر صفر من السنة.

(ومات) الأمير الكبير/محمد بك أبو الدهب تابع علي بك الشهير، اشتراه أستاذه في سنة خمس وسبعين فأقام مع أولاد الخزنة أيامًا قليلة، وكان إذ ذلك إسماعيل بك خازندار فلما أمر إسماعيل بك قلده الخازندارية مكانه، وطلع مع مخدومه إلى الحج ورجع أوايل سنة ثمان وسبعين، وتأمر في تلك السنة وتقلد الصنجقية وعرف بأبي الدهب، وسبب تلقبه بذلك أنه لما لبس الخلعة بالقلعة صار يفرق البقاشيش ذهبًا، وفي حال ركوبه ومروره جعل ينثر الدهب على الفقرا والجعيدية حتى دخل إلى منزله فعرف بذلك؛ لأنه لم يتقدم نظيره لغيره ممن تقلد الإمريات، واشتهر عنه هذا اللقب وشاع

وسمع عن نفسه شهرته بذلك، فكان لا يضع في جيبه إلا الدهب ولا يعطى إلا الدهب، ويقول: «أنا أبو الذهب فلا أمسك إلا الدهب»، وعظم شأنه في زمن قليل ونوه مخدومه بذكره وعينه في المهمات الكبيرة والوقايع الشهيرة، وكان سعيد الحركات مؤيد العزمات لم يعهد عليه الخذلان في مصاف قط، وقد تقدمت أخباره ووقايعه في أيام أستاذه علي بك وبعده واستكثر من شرا المماليك والعبيد حتى اجتمع عنده في الزمن القليل ما لا يتفق لغيره في الزمن الكثير، وتقلدوا المناصب والإمريات، فلما تمهدت البلاد بسعده المقرون ببأس أستاذه ثم خالف عليه وضم المشردين وغمرهم بالإحسان، واستمال بواقي أركان الدولة واستلين الجميع جانبه وجنحوا إليه وأحبوه وأعانوه، وتعصبوا له وقاتلوا بين يديه حتى أزاحوا علي بك وخرج هاربًا من مصر إلى الشام، واستقر المترجم بمصر وساس الأمور وقلد المناصب وجبى الأموال والغلال، وراسل الدولة العثمانية واظهر لهم الطاعة وقلد مملوكه إبراهيم بك إمارة الحج تلك السنة، وصرف العلايف وعوايد العربان وأرسل الغلال للحرمين والصرر وتحرك علي بك للرجوع إلى مصر، وجيش الجيوش فلم يهتم المترجم لذلك وكاد له كيدًا بأن جمع القرانصه، والذين يظن فيهم النفاق وأسر إليهم أن يراسلوا علي بيك، ويستعجلوه في الحضور وينمقوا مساوي للمترجم ومنفرات ويعدوه بالمخامرة معه والقيام بنصرته متى حضر، وأرسلوها إليه بالشريطة السرية فراج عليه ذلك واعتقد صحته، وأرسل إليهم بالجوابات وأعادوا له الرسالة كذلك باطلاع مخدومهم وإشارته، فعند ذلك قوى عزم علي بك على الحضور وأقبل بجنوده إلى جهة الديار المصرية، فخرج إليه المترجم ولاقاه بالصالحية وأحضره أسيرًا كما تقدم، ومات بعد أيام قليلة وانقضى أمره وارتاح المترجم من قبله، وجمع باقي الأمراء المطرودين والمشردين وأكرمهم واستخدمهم وواساهم واستوزرهم، وقلدهم المناصب ورد إليهم بلادهم وعوايدهم واستعبدهم بالإحسان والعطايا، واستبدلهم العز بعد الذل والهوان، وراحة الأوطان بعد الغربة والتشريد والهجاج في البلدان، فثبتت دولته وارتاحت النواحي من الشرور والتجاريد وهابته العربان وقطاع الطريق وأولاد الحرام، وأمنت السبل وسلكت الطرق بالقوافل والبضايع ووصلت المجلوبات من الجهات القبلية والبحرية بالتجارات والمبيعات، وحضر إلى مصر خليل باشا وطلع إلى القلعة على العادة القديمة، وحضر للمترجم من الدولة المرسومات والخطابات، ووصل إليه سيف وخلعة فلبس ذلك في الديوان، ونزل في أبهة عظيمة شأنه وانفرد بإمارة مصر واستقام أمره، وأهمل أمر أتباع أستاذه علي بك وأقام أكثرهم بمصر بطالًا، وحضر إلى مصر مصطفى

باشا النابلسي من أولاد العظم والتجأ إليه فأكرم نزله، ورتب له الرواتب وكاتب الدولة وصالح عليه وطلب له ولاية مصر، فأجيب إلى ذلك ووصلت إليه التقاليد والداقم في ربيع الثاني سنة ثمان وثمانين ووجه خليل باشا إلى الولاية جدة، وسافر من القلزم في جمادى الثانية وتوفي هناك، وفي أواخر سنة سبعة وثمانين شرع في بناء مدرسته التي تجاه الجامع الأزهر، وكان محلها رباع متخربة فاشتراها من أربابها وهدمها، وأمر ببناها على هذه الصفة وهي على أرنيك جامع السنانية الكاين بشط النيل ببولاق فرتب لنقل الأتربة وحمل الجير والرماد والطين عدد كبير من قطارات البغال، وكذلك الجمال لشيل الأحجار العظيمة كل حجر واحد على جمل، وطحنوا لها الجبس الحلواني المصيص ورموا أساسها في أوايل شهر الحجة ختام السنة المذكورة، ولما تم عقد قبتها العظيمة وما حولها من القباب المعقودة على اللواوين وبيضوها، ونقشوا داخل القبة بالألوان والأصباغ وعمل لها شبابيك عظيمة كلها من النحاس الأصفر المصنوع، وعمل بظاهرها فسحة مفروشة بالرخام المرمر وبوسطها حنفية، وحولها مساكن لمتصوفة الأتراك وبداخلها عدة كراسي راحة وكذلك بدورها العلوي وبأسفل من ذلك ميضا عظية تمتلي بالماء من نوفرة بوسطها تصب في صحن كبير من الرخام المصنوع نقلوه إليها من بعض الأماكن القديمة، ويفيض منه فيملا الميضا، وحول الميضأة عدة كراسي راحة وأنشأ ساقية لذلك فحفروها، وخرج ماؤها في غاية الملوحة، وأنشأ أسفل ذلك صهريجًا عظيمًا يملا في كل سنة من ماء النيل وحوضًا عظيمًا لسقي الدواب، وعمل بأعلى الميضأة ثلاثة أماكن برسم جلوس المفتين الثلاثة هم: الحنفي والشافعي والمالكي يجلسون بها حصة من النهار لإفادة الناس بعد إملاء الدروس، وقرر فيها الشيخ أحمد الدردرير مفتي المالكية والشيخ عبد الرحمن العريشي مفتي الحنفية والشيخ حسن الكفراوي مفتي الشافعية، ولما تم البناء فرشت جميعها بالحصر، ومن فوقها الأبسطة الرومي من داخل وخارج حتى فرجات الشبابيك ومساكن الطباق، ولما استقر جلوس المفتين المذكورين بالثلاثة أماكن التي أعدت لهم أضرت بهم الرائحة الصاعدة إليهم من المراحيض التي من أسفل، وأعلموا الأمير بذلك فأمر بإبطالها وبنوا خلافها بعيدًا عنها، وتقرر في خطابتها الشيخ أحمد الراشدي وغالب المدرسين بالأزهر مثل الشيخ علي الصعيدي مدرس البخاري والشيخ أحمد الدردير والشيخ محمد الأمير والشيخ عبد الرحمن العريشي والشيخ حسن الكفراوي والشيخ أحمد يونس والشيخ أحمد السمنودي وللشيخ علي الشنويهي والشيخ عبد الله اللبان والشيخ محمد الحفناوي والشيخ محمد الطحلاوي والشيخ حسن

الجداوي والشيخ أبي الحسن القلعي والشيخ البيلي والشيخ محمد الحريري والشيخ منصور المنصوري والشيخ أحمد جاد الله والشيخ محمد المصيلحي ودرسًا ليحيى أفندي شيخ الأتراك، وتقرر السيد عباس إمامًا راتبًا بها وفي وظيفة التوقيت الشيخ محمد الصبان، وجعل بها خزانة كتب عظيمة وجعل خازنها محمد أفندي حافظ، وينوب عنه الشيخ محمد الشافعي الجناجي ورتب للمدرسين الكبار في كل يوم ماية وخمسين نصفًا فضة، ومن دونهم خمسون نصفًا وكذلك للطلبة منهم من له عشرة أنصاف في كل يوم، ومنهم من له أكثر وأقل وبقدر عدد الدراهم أرادب من البر في كل سنة، ولما انتهى أمرها وصُلي بها الجمعة في شهر شعبان سنة ثمان وثمانين، فحضر الأمير المذكور واجتمع المشايخ والطلبة وأرباب الوظايف وصلوا بها الجمعة، وبعد انقضاء الصلاة جلس الشيخ الصعيدي على الكرسي، وأملى حديث: (من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة)، فلما انقضى لك أحضرت الخلع والفراوي، فألبس الشيخ الصعيدي والشيخ الراشدي الخطيب والمفتين الثلاثة فراوي سمور، وباقي المدرسين فراوي نافا بيضًا، وأنعم في ذلك اليوم على الخدمة والمؤذنين وفرق عليهم الدهب والبقاشيش، وتنافس الفقها والأشياخ والطلبة تحاسدوا وتفاتنوا. ووقف على ذلك أمانة قويسنا وغيرها والحوانيت، التي أسفل المدرسة ولم يصرف إلا سنة واحدة، فإن المترجم سافر في أوايل سنة تسع وثمانين إلى البلاد الشامية كما تقدم، ومات هناك ورجعوا برمته وتأمر أتباعه وتقاسموا البلاد فيما بينهم ومن جملتها أمانة قويسنا الموقوفة، فبرد أمر المدرسة وعوضوا عن ذلك الوكالة التي أنشأها علي بك ببولاق لمصرف أجر الخدمة، وعليق الأنوار بعدما أضعفوا المعاليم ونقصوها، وزعوا عليهم ذلك الإيراد القليل، ولم يزل الحال يتناقص ويضعف حتى بطل منها غالب الوظايف والخدم إلى أن بطل التوقيت والأذان، بل والصلاة على أكثر الأوقات وأخلق فرشها وبسطها، وعتقت وبليت وسرق بعضها وأغلق أحد أبوابها المواجه للقبوة الموصل للمشهد الحسيني، بل أغلقت جميعًا شهورًا مع كون الأمراء أصحاب الحل والعقد أتباع الواقف ومماليكه. لكن لما فقدت منهم القابلية واستولى عليهم الطمع والتفاخر والتنافس والتغاضي خوف الفشل وتفرق الكلمة، مع الانحراف عن الأوضاع ظهر الخلل في كل شيء حتى في الأمور الموجبة لنظام دولتهم، وإقامة ناموسهم كما يتضح ذلك فيما بعد، وبالجملة فإن المترجم كان آخر من أدركنا من الأمراء المصرين شهامة وصرامة وسعدًا وحزمًا وحكمًا وسماحة وحلمًا، وكان قريبًا للخير يحب العلما والصلحا ويميل بطبعه ويعتقد فيهم ويعظمهم وينصت

لكلامهم ويعطيهم العطايا الجزيلة ويكره المخالفين للدين، ولم يشتهر عنه شيء من الموبقات والمحرمات ولا ما يشينه في دينه أو يخل بمروته، بهي الطلعة جميل الصورة أبيض اللون معتدل القامة والبدن مسترسل اللحية، مهاب الشكل وقورًا محتشمًا قليل الكلام والالتفات ليس بمهدار ولا خوار ولا عجول، مبجلًا في ركوبه وجلوسه، يباشر الأحكام بنفسه، ولولا ما فعله آخر أيامه من الإسراف في قتل أهل يافا بإشارة وزاره لكانت حسناته أكثر من سيئاته، ولم يتفق لأمير مثله في كثرة المماليك، وظهور شأنهم في المدة اليسيرة وعظم أمرهم بعده، وانحرفت طباعهم عن قبول العدالة ومالوا إلى طرق الجهالة، واشتروا المماليك فنشوا على طرايقهم وزادوا عن سوابقهم، وألفوا المظالم وظنوها مغانم، وتمادوا على الجور وتلاحقوا في البغي على الفور، إلى أن حصل ما حصل، ونزل، وسيتلى عليك من ذلك أنباء وأخبار، وما حل بالإقليم بسببهم من الخراب والدمار، والله تعالى أعلم.

سنة تسعين وماية وألف/١٧٧٦م

كان سلطان العصر فيها السلطان عبد الحميد بن أحمد خان العثماني ووالي مصر الوزير محمد باشا عزت الكبير وأمراؤها إبراهيم بك ومراد بك مملوكًا محمد بك أبي الدهب وخشداشينها أيوب بك الصغير ومحمد بك طبل وحسن بك سوق السلاح وذو الفقار بك ولاجين بك ومصطفى بك الصغير بك وعثمان بك الشرقاوي وخليل بك الإبراهيمي، ومن البيوت القديمة حسن بك قصبة رضوان، ورضوان بك بليفيا وإبراهيم بك طنان وعبد الرحمن بك عثمان الجرجاوي وسليمان بك الشابوري، وبقايا اختيارية الوجاقات مثل: أحمد باشجاويش أرنؤد وأحمد جاويش المجنون وإسماعيل أفندي الخلوتي وسليمان البرديسي وحسن أفندي درب الشمسي وعبد الرحمن أغا محرم ومحمد أغا محرم وأغا وأحمد كتخدا المعروف بوزير وأحمد كتخدا الفلاح، وباقي جماعة الفلاح وإبراهيم كتخدا منا وغيرهم والأمر والنهى للأمراء المحمدية المتقدم ذكرهم، وكبيرهم وشيخ البلد إبراهيم بك ولا ينفذ أمر بدون اطلاع قسيمه مراد بك وإسماعيل بك الكبير متنزه، ومنعكف في بيته وقانع بإيراده وبلاده ومنزو عن التداخل فيهم من موت سيدهم وعمر داره التي بالأزبكية وأقام بها.

(وفيها في يوم الخميس سابع شهر صفر) وصل الحج إلى مصر، ودخل الركب وأمير الحاج يوسف بك.

(وفي ليلة الجمعة تاسع صفر) وقع حريق بالأزبكية وذلك في نصف الليل بخطة الساكت احترق فيها عدة بيوت عظام، وكان شيئًا مهولًا ثم إنها عمرت في أقرب وقت، والذي لم يقدر على العمارة باع أرضه فاشتراها القادر وعمرها، فعمر رضوان بك بلفيا دار عظيمة، وكذلك الخواجا السيد عمر غراب والسيد أحمد عبد السلام والحاج محمود محرم، بحيث إنه لم يأت النيل القابل إلا وهي أحسن وأبهج مما كانت عليه.

(وفيها) سقط ربع «بسوق الغورية ومات فيه عدة كثيرة من الناس تحت الردم، ثم إن عبد الرحمن أغا مستحفظان أخذ تلك الأماكن من أربابها شراءً، وأنشأ الحوانيت والربع علوها والوكالة المعروفة الآن بوكالة الزيت، والبوابة التي يسلك منها من السوق.

(وفيها) حضر جماعة من الهنود ومعهم فيل صغير ذهبوا به إلى قصر العينى، وأدخلو بالاسطبل الكبير وهرع الناس للفرجة عليه ووقف الخدم على أبواب القصر يأخذون من المتفرجين دراهم، وكذلك سواسه الهنود جمعوا بسببه دراهم كثيرة وصار الناس يأتون إليه بالكعك وقصب السكر، ويتفرجون على مصه في القصب وتناوله بخرطوم وكان الهنود يخاطبونه بلسانهم، ويفهم كلامهم وإذا أحضروه بين يدي كبير كلموه، فيبرك على يديه، ويشير بالسلام بخرطومه.

(وفيها في شهر رمضان) تعصب مراد بك وتغير خاطره على إبراهيم بك طنان، ونفاه إلى المحلة الكبيرة وفرق بلاده على من أحب ولم يبق له إلا القليل.

(وفيها) شرع الأمير إسماعيل بك في عمل مهم لزواج ابنته وهي من زوجته هانم بنت سيدهم إبراهيم كتخدا، الذي كان تزوجها في سنة أربع وسبعين بالمهم المذكور في حوادث تلك السنة، وكان ذلك المهم في أوايل شهر ذي الحجة وكان قبل هذا المهم حصل بينه وبين مراد بك منازعة ومخاصمة؛ وسببها أن مراد بك أراد أن يأخذ من إسماعيل بك السرو ورأس الخليج فوقع بينهما مشاحجة ومخاصمة كاد يتولد منها فتنة، فسعى في الصلح بينهما إبراهيم بك فاصطلحا على غل، وشرع في إثر ذلك إسماعيل بك في عمل الفرح فاجتمعوا يوم العقد في وليمة عظيمة، ووقف مراد بك وفرق المحارم والمناديل على الحاضرين وهو يطوف بنفسه على أقدامه، وعمل المهم كثيرة ونزل محمد باشا عزت باستدعا إلى بيت إسماعيل بك، وعندما وصل إلى حارة قوصون نزل الأمراء بأسرهم مشاة على أقدامهم لملاقاته، فمشوا جميعًا أمامه على أقدامهم وبأيديهم المباخر والقماقم، ولم يزالوا كذلك حتى طلع إلى المجلس ووقفوا في خدمته مثل المماليك حتى انقضت أيام الولايم زفوا العروس إلى زوجها إبراهيم أغا، الذي صنجقه إسماعيل بك وهو خازنداره ومملوكه يسمونه قشطة، وكانت هذه الزفة من المواكب الجليلة ومشى فيها الفيل وعليه خلعة جوخ أحمر فكان ذلك من النوادر.

ذكر من مات في هذه السنة

ومات في هذه السنة الفقيه المتفنن العلامة الشيخ/أحمد بن محمد بن محمد السجاعي الشافعي الأزهري، ولد بالسجاعية قرب المحلة، وقدم الأزهر صغيرًا فحضر دروس الشيخ العزيزي والشيخ محمد السجيني والشيخ عبده الديوي والسيد علي الضرير، فتمهر ودرس وأفتى وألف وكان ملازمًا على زيارة قبور الأوليا ويحيي الليالي بقراءة القرآن مع صلاح وديانة وولاية وجذب، وله مع الله حال غريب وهو والد الشيخ الأوحد أحمد الآتي ذكره في تاريخ موته، توفي المترجم رحمه الله تعالى في عصر يوم الأربعاء ثامن عشري ذي القعدة.

ومات الشيخ الإمام الفقيه العلامة الشيخ/عطية بن عطية الأجهوري الشافعي البرهاني الضرير، ولد بأجهور الورد إحدى قرى مصر وقدم مصر فحضر دروس الشيخ العشماوي والشيخ مصطفى العزيزي، وتفقه عليهما وعلى غيرهما وأتقن في الأصول وسع الحديث ومهر في الآلات وأنجب ودرس المنهج والتحرير مرارًا، وكذا جمع الجوامع بمسجد الشيخ مطهر وله في أسباب النزول مؤلف حسن في بابه جامع جام لما تشتت من أبوابه وحاشية على الجلالين مفيدة، وكذلك حاشية على شرح الزرقاني على البيقونية في مصطلح الحديث وغير ذلك، وقد حضر عليه غالب علما مصر الموجودين، واعترفوا بفضله وأنجبوا ببركته وكان يتأتى في تقريره ويكرر الإلقا مرارًا مراعاة للمستعملين الذين يكتبون ما يقوله، ولما بنى المرحوم عبد الرحمن كتخدا هذا الجامع المعروف الآن بالشيخ مطهر الذي كان أصله مدرسة للحنفية، وكانت تعرف بالسيوفيين بنى للمترجم بيتًا بدهليزها وسكن فيه بعياله وأولاده توفي في أواخر رمضان.

ومات الشيخ الفاضل النجيب/أحمد بن محمد بن العجمي الشافعي كان شابًّا فهيمًا دراكًا ذا حفظ جيد، حضر على علما العصر، وحصل المعقول والمنقول وأدرك جانبًا من العلوم والمعارف ودرس وأملى ولو عاش لانتظم في سلك أعاظم العلما، ولكن اخترمته المنية في يوم الإثنين حادي عشر جمادى الآخرة.

الشيخ الصالح الورع الناسك/أحمد بن نور الدين المقدسي الحنفي إمام جامع قجماس، وخطيبه بالدرب الأحمر، وهو أخو الشيخ حسن المقدسي مفتي السادة الحنفية شارك أخاه الشيخ حسنًا المذكور في شيوخه واشتغل بالعلم، وكان شيخًا وقورًا بهي الشكل مقبلًا على شأنه منجمعًا عن الناس، توفي ليلة الإثنين سادس عشر ربيع الأول.

ومات الفقيه الفاضل الشيخ/إبرهيم بن خليل الصيحاني الغزي الحنفي، ولد بغزة وبها نشأ وقرأ بعض المتون على فضلا بلده وورد الجامع الأزهر فحضر الدروس، ولازم

المرحوم الوالد حسنًا الجبرتي وتلقى عنه الفقه وبعض العلوم الغربية، ثم عاد إلى غزة وتولى الافتا بالمذاهب، وكان يرسل إلى الوالد في كل سنة جانبًا من اللوز المر في غلق مقدار عشرين رطلًا، فنخرج دهنه ونرفعه في الزجاج لنفع الناس في الدهن ومعالجات بعض الأمراض والجروحات، ولم يزل على ذلك حتى ارتحل إلى دمشق، وتولى أمانة الفتوى بعده الشيخ عبد الشافي، فسار أحسن سير وتوفي بها في هذه السنة في عشر التسعين رحمه الله.

ومات الفقيه الفاضل الصالح الشيخ/علي بن محمد بن نصر بن هيكل بن جامع الشنويهي، تفقه على جماعة من فضلاء العصر، وكان يحضر درس الحديث في كل جمعة على السيد البليدي، ودرس بالأزهر وانتفع به الطلبة وكان مشهورًا بمعرفة الفروع الفقهية، وكان درسه حافلًا جدًّا وله حظ في كثرة الطلبة، وكان الأشياخ يتضايقون من حلقة درسه فيطردونه من المقصورة فيخرج إلى الصحن، فتملأ حلقة درسه صحن الجامع، وفي بعض الأحيان ينتقل إلى مدرسة السنانية بجماعته، وكان يخطب بجامع الأشرفية بالوراقين، وخطبته لطيفة مختصرة، وقرأ المنهج مرارًا، وكان شديد الشكيمة على نهج السلف الأول لا يعرف التصنع، وكان يخبر عن نفسه أنه كان كثير الرؤيا للنبي ﷺ، وأنه لما تنزل مدرسًا في المحمدية من جملة الجماعة انقطع عنه ذلك، وكان يبكي ويتأسف لذلك. توفي في ثامن عشر شعبان وأملى نسبه على الدكة إلى سيدنا علي رضي الله عنه.

ومات الأمير الكبير الشهير/عثمان بك الفقاري بإسلامبول في هذه السنة، وكان مدة غربته ببرصا وإسلامبول نيفًا وأربعًا وثلاثين سنة، وقد تقدم ذكره وذكر مبدأ أمره وظهوره وسبب خروجه من مصر ما يغني عن إعادة بعضه وهو أمر مشهور، وإلى الآن بين الناس مذكور، حتى إنهم جعلوا سنة خروجه تاريخًا يؤرخون به وفياتهم ومواليدهم، فيقولون: ولد فلان سنة خروج عثمان بك، ومات فلان بعد خروج عثمان بك بسنة أو شهر مثلًا.

ومات الأمير عبد الرحمن كتخدا وهو ابن حسن جاويش القازدغلي أستاذ سليمان جاويش أستاذ إبراهيم كتخدا مولى جميع الأمرا المصريين الموجودين الآن. وخبره ومبدأ إقبال الدنيا عليه أنه لما مات عثمان كتخدا القازدغلي، واستولى سليمان جاويش الجوخدار على موجوده، ولم يعط المترجم الذي هو ابن سيد أستاذه شيًّا، ولم يجد من ينصفه في إيصال حق من طايفة باب الينكجرية حسدًا منهم وميلًا لأهوايهم وأغراضهم، فحنق

منهم وخرج من بابهم وانتقل إلى وجاق العزب، وحلف أنه لا يرجع إلى وجاق الينكجرية ما دام سليمان جاويش الجوخدار حيًّا، وبر في قسمه، فإنه لما مات سليمان جاويش ببركة الحاج سنة اثنتين وخمسين وماية وألف، كما تقدم بادر سليمان كتخدا الجاويشية زوج أم عبد الرحمن كتخدا واستأذن عثمان بك في تقليد عبد الرحمن جاويش؛ لأنه وراثه ومولاه، وأحضروه ليلًا وقلدوه ذلك، وأحضر الكاتب والدفاتر وتسلم مفاتيح الخشخانات والتركة بأجمعها، وكان شيئًا يحل عن الوصف، وكذلك تقاسيط البلاد، ولم تطمح نفس عثمان بك لشي من ذلك، وأخذ المترجم غرضه من باب العزب ورجع إلى باب الينكجرية، ونما أمره من حينئذ وحج صحبة عثمان بك في سنة خمس وخمسين، وأقام هناك إلى سنة إحدى وسنتين، فحضر مع الحجاج وتولى كتخدا الوقت ستين، وشرع في بناء المساجد وعمل الخيرات وإبطال المنكرات، وأبطل خمامير حارة اليهود، فأول عماراته بعد رجوعه: السبيل والكتاب الذي يعلوه بين القصرين وجاء في غاية الظرف وأحسن المباني، وأنشأ جامع المغاربة وعمل عند بابه سبيلًا وكتابًا وميضأة تفتح بطول النهار، وأنشأ تجاه باب الفتوح مسجدًا ظريفًا بمنارة وصهريج وكتاب ومدفن السيدة السطوحية، وأنشأ بالقرب من تربة الأزبكية سقاية وحوضًا لسقي الدواب ويعلوه كتاب، وفي الحطابة كذلك، وعند جامع الدشطوطي كذلك، وأنشأ وزاد في مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولًا وعرضًا، يشتمل على خمسين عامودًا من الرخام تحمل مثلها من البوانك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت، وسقف أعلاها بالخشب النقي، وبنى به محرابًا جديدًا ومنبرًا، وأنشأ له بابًا عظيمًا جهة حارة كتامة وبنى بأعلاه مكتبًا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن، وبداخله رحبة متسعة وصهريج عظيم وسقاية لشرب العطاش المارين، وعمل لنفسه مدفنًا بتلك الرحبة وعليه قبة معقودة وتركيبة من رخام بديعة الصنعة، وبها أيضًا رواق مخصوص بمجاوري الصعايدة المنقطعين لطلب العلم يسلك إليه من تلك الرحبة بدرج يصعد منه إلى الرواق، وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزاين كتب، وبنى بجانب ذلك الباب منارة، وأنشأ بابًا آخر جهة مطبخ الجامع وعليه منارة أيضًا. وبنى المدرسة الطيبرسية وأنشأها إنشاءً جديدًا، وجعلها مع مدرسة الآقبغاوية المقابلة لها من داخل الباب الكبير الذي أنشأه خارجهما جهة القبو الموصل للمشهد الحسيني وخان لجراكسة، وهو عبارة عن بابين عظيمين كل باب بمصراعين وعلى يمينهما منارة، وفوقه مكتب أيضًا وبداخله على يمين السالك بظاهر الطيبرسية ميضأة، وأنشأ لها ساقية لخصوص إجراء الماء إليها، وبداخل

باب الميضأة يصعد منه للمنارة ورواق البغداديين والهنود، فجاء هذا الباب وما بداخله من الطبيرسية والآقبغاوية والأروقة من أحسن المباني في العظم والوجاهة والفخامة، وأرخ بعضهم ذلك بهذه الأبيات الركيكة.

تبارك الله باب الأزهر انفتحا وعاد أحسن مما كان وانصلحا
تقر عينًا إذا شاهدت بهجته بإخلاص بانيه للعلماء والصلحا
وأدخل على أدب تلق الهداة به قد قرروا حكمًا ميزانها جحا
بالباب قد بدأ الأكوان أرخه بعبد رحمن باب الأزهر انفتحا

وجدد رواقًا للمكاويين والتكروريين، وبنى المشهد الحسيني على هذه الصفة وعمل به صهريجًا وحنفية بفسحة ولواوين في غاية الحسن ورتب له تراتيب، وزاد في مرتبات الأزهر والأخباز، ورتب لمطبخه في خصوص أيام رمضان في كل يوم خمسة أرادب أرز أبيض وقنطار سمن ورأس جاموس وغير ذلك من التراتيب والزيت والوقود للمطبخ، وأنشي عند باب البرقية المعروف بالغريب جامعًا وصهريجًا وحوضًا وسقايةً ومكتبًا ورتب فيه تدريسًا، وكذلك جهة الأزبكية بالقرب من كوم الشيخ سلامة جامع ومكتب وحوض وميضأة وساقية ومنارة. وعمر المسجد بجوار ضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه في مكان المدرسة الصلاحية. وعمل عند باب القبة الصهريج والمقصورة الكبيرة التي بها ضريح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري فيما بين المسجد ودهليز القبة، وفرش طريق القبة بالرخام الملون يسلك إليه بدهليز طويل متسع، وعليه بوابة كبيرة من داخل الدهليز البراني وعلى الدهليز البراني من كلتا الجهتين بوابتين. وعمر أيضًا المشهد النفيسي ومسجده وبنى الصهريج على هذه الهيئة الموجودة، وجعل لزيارة النساء طريقًا بخلاف طريق الرجال. وبنى أيضًا مشهد السيدة زينب بقناطر السباع، ومشهد السيدة سكينة بخط الخليفة، والمشهد المعروف بالسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة والسيدة فاطمة والسيدة رقية، والجامع والرباط بحارة عابدين، وكذلك مشهد أبي السعود الجارحي على الصفة التي هو عليها الآن ومسجد شرف الدين الكردي بالحسينية. والمسجد بخط الموسكي وبُني للشيخ الحفني دار بجوار ذلك المسجد وينفذ إليه من داخل. وعمر المدرسة السيوفية المعروفة بالشيخ مطهر بخط باب الزهزمة وبنى لوالدته بها مدفنًا. وأنشأ خارج باب القرافة حوضًا وسقاية وصهريجًا. وجدد المارستان المنصوري، وهدم أعلى القبة الكبيرة المنصورية والقبة التي كانت بأعلى الفسحة من خارج، ولم يعد

عمارتها بل سقف قبة المدفن فقط وترك الأخرى مكشوفة، ورتب له خيرات وأخبازًا زيادة على البقايا القديمة، ولما عزم على ترميمه وعمارته أراد أن يحتاط بجهات وقفه، فلم يجد له كتاب وقف ولا دفتر، وكانت كتب أوقافه ودفاتره في داخل خزانة الكتب، فاحترقت بما فيها من كتب العلم والمصاحف ونسخ الوقفيات والدفاتر، ووقفه يشتمل على وقف الملك المنصور قلاوون الكبير الأصلي ووقف ولده الملك الناصر محمد ووقف ابن الناصر أبو الفدا إسماعيل، بل وغيرذلك من مرتبات الملوك من أولادهم، ثم إنه وجد دفترًا من دفاتر الشطب المستجدة عند بعض المباشرين، وذلك بعد الفحص والتفتيش فاستدل به على بعض الجهات المحتكرة. وللمترجم عماير كثيرة وقناطر، وجسور في بلاد الحجاز حين كان مجاورًا هناك. وبنى القناطر بطندتا في الطريق الموصلة إلى محلة مرحوم والقنطرة الجديدة الموصلة إلى حارة عابدين من ناحية الخلوتي على الخليج وقنطرة بناحية الموسكي، ورتب للعميان الفقرا الأكسية الصوف المسماة بالزعابيط، فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء في كل سنة، فيأتون إلى داره أفواجًا في أيام معلومة ويعودون مسرورين بتلك الكساوي، وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الإحرامات الطولونية يرتدون بها وقت التسبيح في ليالي الشتاء، وكذلك يفرق الحبر المحلاوي والبز الصعيدي والملايات والأخفاف والبوابيج القيصرلي على النساء الفقيرات والأرامل، ويخرج عند بيته في ليالي رمضان وقت الإفطار عدة من القصاع الكبار المملوءة بالثريد المسقي بمرق اللحم والسمن للفقراء المجتمعين، ويفرق عليهم النقيب هبر اللحم النضيج، فيعطى لكل فقير جعله وحصته في يده، وعندما يفرغون من الأكل، يعطي لكل واحد منهم رغيفين ونصفي فضة برسم سحوره إلى غير ذلك. ومن عمايره القصر الكبير المعروف به بشاطئ النيل فيما بين بولاق ومصر القديمة، وكان قصرًا عظيمًا من الأبنية الملوكية، وقد هدم في سنة خمس ومايتين بيد الشيخ على بن حسن مباشر الوقف، وبيعت أنقاضه وأخشابه، ومات المذكور بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر. ومن عمايره أيضًا دار سكنه بحارة عابدين وكان من الدور العظيمة المحكمة الوضع والإتقان لا يماثلها دار بمصر في حسنها زخرفة مجالسها، وما بها من النقوش والرخام والقيشاني والذهب المموه واللزورد وأنواع الأصباغ وبديع الصنعة والتأنق والبهجة، وغرس بها بستانًا بديعًا بداخله قاعة متسعة مربعة الأركان بوسطها فسقية مفروشة بالرخام البديع الصنعة، وأركانها مركبة على أعمدة من الرخام، وغير ذلك من العمارات حتى اشتهر ذكره بذلك، وسمى بصاحب الخيرات والعماير في مصر والشام والروم، وعدة

المساجد التي أنشأها وجددها وأقيمت فيها الخطبة والجمعة والجماعة ثمانية عشر مسجدًا، وذلك خلاف الزوايا والأسبلة والسقايات والمكاتب والأحواض والقناطر والمربوط للنساء الفقيرات والمنقطعات، وكان له في هندسة الأبنية وحسن وضع العماير ملكة يقتدر بها على ما يرومه من الوضع من غير مباشرة ولا مشاهدة، ولو لم يكن له من المآثر إلا ما أنشأه بالجامع الأزهر من الزيادة التي تقصر عنها همم الملوك لكفاه ذلك، وأيضًا المشهد الحسيني ومسجده والزينبي والنفيسي، وضم لوقفه ثلاث قرى من بلاد الأرز بناحية رشيد وهي تفينة وديبي وحصة كتامة، وجعل إيرادها وما يتحصل من غلة أرزها لمصارف الخيرات وطعام الفقراء والمنقطعين، وزاد في طعام المجاورين بالأزهر، ومطبخهم الهريسة في يومي الإثنين والخميس، وقد تعطل غالب ذلك في هذا التاريخ الذي نحن فيه لغاية سنة عشرين مايتين وألف؛ بسبب استيلاء الخراب وتوالي المحن وتعطل الأسباب. ولم يزل هذا شأنه إلى أن استفحل أمر علي بك وأخرجه منفيًّا إلى الحجاز، وذلك في أوايل شهر القعدة سنة ثمان وسبعين وماية وألف، فأقام بالحجاز اثنتي عشرة سنة، فلما سافر يوسف بك أميرًا بالحاج في السنة الماضية صمم على إحضاره صحبته إلى مصر، فأحضره في تختروان، وذلك في سابع شهر صفر سنة تسعين وماية وألف، وقد استولى عليه العي والهرم وكرب الغربة، فدخل إلى بيته مريضًا فأقام أحد عشر يومًا ومات، فغسلوه وكفنوه وخرجوا بجنازته في مشهد حافل حضره العلما والأمرا والتجار ومؤذنو المساجد وأولاد المكاتب التي أنشاها، ورتب لهم فيها الكساوي والمعاليم في كل سنة، وصلوا عليه بالأزهر ودفن بمدفنه الذي أعده لنفسه بالأزهر عند الباب القبلي، ولم يخلف بعده مثله، رحمه الله، من مساويه قبول الرشا والتحيل على مصادرة بعض الأغنيا في أموالهم، واقتدى به في ذلك غيره، حتى صارت سنة مقررة وطريقة مسلوكة ليست منكرة، وكذلك وكذلك المصالحة على تركات الأغنياد التي لها وارث ومن سيئاته العظيمة التي طار شررها وتضاعف ضررها وعم الإقليم خرابها، وتعدى إلى جميع الدنيا هبابها، معاضدته لعلي بك ليقوى به على أرباب الرياسة، فلم يزل يلقى بينهم الفتن ويغري بعضهم على بعض، ويسلط عليهم علي بك المذكور، حتى أضعف شوكات الأقويا وأكد العداوة بين الأصفيا، واشتد ساعد علي بك. فعند ذلك التفت إليه وكلب بنابه عليه وأخرجه من مصر وأبعده عن وطنه، فلم يجد عند ذلك من يدافع عنه، وأقام هذه المدة في مكة غريبًا وحيدًا، وأخرج أيضًا في اليوم الذي أخرجه فيه نيفًا وعشرين أميرًا من الاختيارية كما تقدم، فعند ذلك خلا لعلي بك وخشداشينه الجو فباضوا وأفرخوا، وامتد

شرهم إلى الآن الذي نحن فيه كما سيتلى عليك بعضه، فهو الذي كان السبب بتقدير الله تعالى في ظهور أمرهم، فلو لم يكن له من المساوي إلا هذه لكفاه، ولما رجع من الحجاز متمرضًا ذهب إليه إبراهيم بك ومراد بك وباقي خشداشينهم ليعودوه، ولم يكن رأهم قبل ذلك، فكان من وصيته لهم: كونوا مع بعضكم واضبطوا أمركم ولا تدخلوا الأعادي بينكم، وهذا بدل عن قوله: أوصيكم بتقوى الله تعالى وتجنبوا الظلم وافعلوا الخير، فإن الدنيا زايلة وانظروا حالي ومآلي أو نحو ذلك، هكذا أخبرني من كان حاضرًا في ذلك الوقت، وكان سليط اللسان ويتصنع الحماقة، فغفر الله لنا وله، رأيته مرة وأنا إذ ذاك في سن التمييز قبل أن ينفي إلى الحجاز وهو ماش في جنازة مربوع القامة أبيض اللون مسترسل اللحية، ويغلب عليها البياض مترفهًا في ملبسه معجبًا بنفسه يشار إليه بالبنان.

سنة إحدى وتسعين وماية وألف/١٧٧٧م

فيها في أوايل ربيع الأول ورد أغا من الديار الرومية بطلب عساكر لسفر العجم، فاجتمع الأمرا وتشاوروا في ذلك، فاتفق رأيهم على إحضار إبراهيم بك طنان فأحضروه من المحلة وقلدوه إمارة ذلك.

وفيها في أوايل شهر جمادى الأول وقعت حادثة في طايفة المغاربة المجاورين بالجامع الأزهر، وذلك أنه آل إليهم مكان موقوف، وجحد واضع اليد ذلك والتجا إلى بعض الأمرا وكتبوا فتوى في شأن ذلك، واختلفوا في ثبوت الوقف بالإشاعة، ثم أقاموا الدعوى في المحكمة وثبت الحق للمغاربة، ووقع بينهم منازعات، وعزلوا شيخهم، وولوا آخر، وكان المندفع في الخصومة واللسانة شيخًا منهم يسمى الشيخ عباس، والأمير الملتجي إليه الخصم يوسف بك، فلما ترافعوا وظهر الحق على خلاف غرض الأمير، حنق لذلك ونسبهم إلى ارتكاب الباطل، فأرسل من طرفه من يقبض على الشيخ عباس المذكور من بين المجاورين، فطردوا المعينين وشتموهم وأخبروا الشيخ أحمد الدردير، فكتب مراسلة إلى يوسف بك تتضمن عدم تعرضه لأهل العلم، ومعاندة الحكم الشرعي، وأرسلها صحبة الشيخ عبد الرحمن الفرنوي وآخر. فعندما وصلوا إليه وأعطوه التذكرة، نهرهم وأمر بالقبض عليهم وسجنهم بالحبس، ووصل الخبر إلى الشيخ الدردير وأهل الجامع فاجتمعوا في صبحها، وأبطلوا الدروس والآذان والصلوت وقفلوا أبواب الجامع وجلس المشايخ بالقبلة القديمة، وطلع الصغار على المنارات يكثرون الصياح والدعاء على الأمرا، وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت وبلغ الأمرا ذلك فأرسلوا إلى يوسف بك فأطلق المسجونين، وأرسل إبراهيم بك من طرفه إبراهيم أغا بيت المال فلم يأخذ جوابًا، وحضر الأغا إلى الغورية ونزل هناك ونادى بالأمان وأمر بفتح الحوانيت، فبلغ مجاوري المغاربة ذلك، فذهب إليه طايفة منهم وتبعهم بعض العوام وبأيديهم العصي والمساوق،

وضربوا أتباع الأغا ورجموه بالأحجار، فركب عليهم وأشهر فيهم السلاح هو ومماليكه، فقتل من مجاوري المغاربة ثلاثة أنفار وانجرح منهم كذلك ومن العامة، وذهب الأغا ورجع الفريق الآخر، وبقي الهرج إلى ثاني يوم، فحضروا إسماعيل بك والشيخ السادات وعلي أغا كتخدا الجاويشية وحسن أغا أغات المتفرقة والترجمان وحسن أفندي كاتب حواله وغيرهم، فنزلوا الأشرفية وأرسلوا إلى أهل الجامع تذكرة بانفضاض الجمع وتمام المطلوب، وكان ذلك عند الغروب فلم يرضوا بمجرد الوعد وطلبوا الجامكية والجراية فركبوا ورجعوا، وأصبح يوم الأربعا والحال على ما هو عليه وإسماعيل بك مظهر الاهتمام لنصرة أهل الأزهر فحضر مع الشيخ السادات، وجلسوا بالجامع المؤيدي وأرسلوا للمشايخ تذكرة صحبة الشيخ إبراهيم السندوبى ملخصها أن إسماعيل بك تكفل بقضا أشغال المشايخ وقضا حوايجهم وقبول، فتواهم وصرف جماكيهم وجراياتهم وذلك بضمان الشيخ السادات له، فلما حضر الشيخ إبراهيم بالتذكرة وقرأها الشيخ عبد الرحمن العريشي جهارًا وهو قايم على أقدامه، فلما سمعوها أكثروا من الهرج واللغط وقالوا: هذا كلام لا أصل له وترددت الإرساليات والذهاب والمجي بطول النهار، ثم اصطلحوا وفتحوا الجامع في آخر النهار، وأرسلوا لهم في يوم الخميس جانبًا من دراهم الجامكية ومن جملة ما اشترطوه في الصلح عدم مرور الأغا والوالي والمحتسب من حارة الأزهر وغير ذلك شروط لم ينفذ منها شي، وعمل إبراهيم بك ناظرًا على الجامع عوضًا عن الأغا وأرسل من طرفه جنديًّا للمطبخ وسكن الاضطراب، وبعد مضي أربعة أيام من هذه الحادثة مر الأغا وبعده الوالي كذلك، فأرسل المشايخ إلى إبراهيم بك يخبرونه فقال: إن الطريق يمر بها البر والفاجر ولا يستغني الحكام عن المرور.

وفي أوايله أيضًا أحضر مراد بك شخصًا يقال له: سليمان كاشف من أتباع يوسف بك، وضربه علقة بالنبابيت لسبب من الأسباب فحقدها عليه يوسف بك واستوحش من طرفه.

وفي ثاني عشر جمادي الثانية قبض الأغا على إنسان شريف من أولاد البلد يسمى حسن المدابغي وضربه حتى مات، وسبب ذلك أنه كان في جملة من خرج على الأغا بالغورية يوم فتنة الجامع، وكان إنسانًا لا بأس به.

وفي ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الثانية خرج إسماعيل بك جهة العادلية مغضبًا، وسبب ذلك أن مراد بك زاد في العسف والتعدي خصوصًا في طرف إسماعيل بك وإبراهيم بك يسعى بينهما في الصلح، واجتمعوا في آخر مجلس عند إبراهيم بك فتكلم إسماعيل

بك كلامًا مفحمًا، وقال: أنا تارك لكم مصر وإمارتها وجاعلكم مثل أولادي ولا أريد إلا المعيشة وراحة السر وأنتم لا تراعون لي حقًّا وأمثال ذلك من الكلام، فحضر في هذه الأيام إلى إسماعيل بك مركب غلال، فأرسل مراد بك وأخذ ما فيها، وعلم أن إسماعيل بك يغتاظ لذلك، ثم اتفق مع بعض أغراضه أنهم يركبون من الغد إلى إسماعيل بك، ويدخلون عليه في بيته ويقتلونه، فعلم إسماعيل بك بذلك، فركب في الصباح وخرج إلى العادلية بعد أن عزل بيته وحريمه ليلًا، وجلس بالأشبكية وركب مراد بك ذاهبًا إلى إسماعيل بك فوجده قد خرج إلى الأشبكية، وكان إبراهيم بك طلع إلى قصر العيني، فذهب إلى مراد بك ولما أشيع خروج إسماعيل بك ركب يوسف بك وخرج إليه، وتبعه محمد بك طبل وحسن بك وإبراهيم بك طنان وذو الفقار بك وغيرهم، ووصل الخبر إلى إبراهيم بك ومراد بك ومن انضم إليهم، فركبوا وحضروا إلى القلعة وملكوا الأبواب وامتلأت الرميلة والميدان بعساكرهم، وصحبتهم أحمد بك الكلارجي ولاجين بك وأيوب بك ومصطفى بك، واضطربت المدينة وأغلق الناس الدكاكين، واستمروا على ذلك يوم السبت ويوم الأحد ويوم الإثنين ويوم الثلاثا، وتسحب من أهل القلعة جماعة خرجوا إلى إسماعيل بك ويوسف بك ومن معهما وهم إسماعيل أغا أخو علي بك الغزاوي وأخو سليم أغا وعبد الرحمن أغا أغات الينكجرية سابقًا، فأرسل أهل القلعة إبراهيم أغا الوالي فجلس بباب النصر، وأغلق الباب ونزل الباشا إلى باب العزب، فحضر قاسم كتخدا عزبان أمين البحرين وعبد الرحمن أغا وصحبتهم جماعة إلى باب النصر، وفتحوا الباب وطردوا الوالي، وذلك في يوم الإثنين، وملكوا باب النصر، فأرسلوا إليهم طايفة من عسكر المغاربة، فضربوا عليهم بالرصاص وحمل عليهم الآخرون فشتموهم ورجعوا إلى خلف، وقتل من المغاربة أنفار وانجرح منهم كذلك وانتشر البرانيون حوالي جهات مصر وذهب منهم طايفة إلى جهة بولاق، وفيهم محمد بك طبل فوجدوا طايفة من الكشاف والأجناد حضروا إلى بولاق لأجل العليق والتبن، فوقعت بينهم وقعة فانهزموا إلى قصر عبد الرحمن كتخدا، وأخذ أوليك العليق والتبن وطلع منهم طايفة إلى الجبل، واشتد الحال وعظمت الفتنة، فأراد الباشا إجراء الصلح فأرسل أيوب أغا ورجع بجواب عدم رضاهم بالصلح، وقالوا: «قد تخاصمنا واصطلحنا مرارًا»، ثم أرسل إليهم أحمد جاويش المجنون فذهب ولم يرجع والتف عليهم، فأرسل الباشا ولده وكتخداه سعيد بك مرارًا ثم دخل يوم الأربعا عبد الرحمن أغا من باب النصر، وشق من وسط المدينة وأمامه المنادي ينادي على الناس برفع بضايعهم من الحوانيت، فرفع الناس بواقي بضايعهم من الدكاكين، ولم

يزل سايرًا حتى وصل إلى باب زويلة ونزل بجامع المؤيد، وجلس به مقدار ساعتين ورتب عسكرًا هناك على السقايف والأسبلة، ثم ركب راجعًا وعاد صحبته إبراهيم بك الطناني، ومعهم عدة أجناد عساكر وخرجوا من باب زويلة إلى الدرب الأحمر إلى جامع المرداني، فجلسوا عنده إلى بعد الظهر ثم زحفوا إلى التبانة إلى قرب المحجر، وعملوا هناك متاريس ورتبوا بها جماعة، وكذلك ناحية سويقة العزى فنزل إليهم جماعة من القلعة وتراموا بالرصاص، وقطعوا الطرق على من بالقلعة إلى بعد العصر، فنزل إليهم خيالة مدرعين فحمل عليهم عسكر المغاربة فوقع منهم أربعة خيالة، وانجرح لاجين بك فحملوه إلى بيته في شنف، وقتل أنفار من عسكر المغاربة وولى القلعاوية إلى جهة القلعة، وبعد الغروب انفصل عنهم عسكر المغاربة، ونكسوا أعلامهم وحضروا عند أجناسهم، والتفوا عليهم ولاحت لوايح الخذلان على من بالقلعة، ودخل عليهم الليل وانكف الفريقان، وأصبح يوم الخميس فدخل الكثير من البرانيين إلى المدينة شيًّا فشيًّا وربطوا في جميع الجهات حتى انحصروا بالقلعة، وأخذوا ينقبون عليهم فلما شاهدوا الغلب فيهم نزلوا من باب الميدان، وذهبوا جهة البساتين إلى الصعيد فتخلف عنهم أحمد بك الكلارجي وأيوب بك وإبراهيم بك أوده باشه ولاجين بك مجروح، وخرج المتخلفون إلى إسماعيل بك ويوسف بك، وطلبوا منهما الآمان وانضموا إليهم، وعندما أشيع نزول إبراهيم بك ومراد بك من القلعة، هجم المرابطون بالمحجر وسوق السلاح على الرميلة، ونهبوا خيامهم وعازقهم الذي بها وبالميدان حتى جمال الباشا وخيول الدلاة، وذلك يوم الخميس قبل العصر بنصف ساعة، فدخل إسماعيل بك بعد العصر من ذلك اليوم من باب النصر وتوجهوا إلى بيوتهم، وأصبح يوم الجمعة فشق عبد الرحمن أغا ونادى بالأمان والبيع والشراء وراق الحال.

ولما كان يوم الأحد ثاني عشرين جمادى الثانية طلعوا إلى الديوان، فخلع الباشا على إسماعيل بك خلعتي سمور، واستقر إسماعيل بك شيخ البلاد ومدبر الدولة، وقلدوا حسن بك الجداوي صنجقًا كما كان، وكانت الصنجقية مرفوعة عنه من موت سيده علي بك، وكذلك رضوان بك قرابة علي بك قلدوه صنجقية وقلدوا إسماعيل أغا أخًا علي بك الغزاوي صنجقية أيضًا، وسكن بيت إبراهيم بك الكبير وقلدوا سليمان كاشف من أتباع يوسف بك، وهو الذي كان ضربه علقة مراد بك بالنبوت كما تقدم صنجقية ولقبه الناس أبا نبوت، وقلدوا أيضًا سليم كاشف من أتباع إسماعيل بك صنجقية، وقلدوا عبد الرحمن أغا أغوية مستحفظان كما كان، ومحمد كاشف والي الشرطة، وفي عشية ذلك

اليوم أنزلوا سليمان أغا مستحفظان إلى بولاق وأنزلوه في مركب منفيًّا إلى دمياط بعدما صودر في نحو أربعين ألف ريال.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه أنزلوا أيضًا سليمان كتخدا مستحفظان وعثمان كتخدا باش اختيار مستحفظان المعروف بأبي مساوق، والأمير عبد الله أغا وأنزلوهم إلى المراكب، ثم حصل عنهم العفو فردوهم إلى بيوتهم.

وفي ذلك اليوم طلعوا إلى الديوان فقلدوا ذا الفقار بك دفتردار عوضًا عن رضوان بك بلفيا، وذلك بإشارة يوسف بك لكونه كان مع مراد بك وإبراهيم بك، حتى إنه أراد أن يسلب نعمته، فمنعه عنه إسماعيل بك.

وفي يوم الأربعاء ثاني شهر رجب حضر عند يوسف بك حسن بك الجداوي وصحبته إسماعيل بك الصغير وهو أخو علي بك الغزاوي وسليم بك الإسماعيلي وعبد الرحمن بك العلوي، فجلسوا معه ساعة لطيفة بالمقعد المطل على البركة، فجلس حسن بيك أمامه وكان جالسًا على الدكة المرتفعة عن المرتبة وجلس تحت شماله على المرتبة إسماعيل بك الصغير وسليم بك، وعبد الرحمن بك استمر واقفًا حادثوه في شيء وتناجوا مع بعضهم، وتأخر عنهم الواقفون من المماليك والأجناد فسحب عبد الرحمن بك النمشاة، وضرب بها يوسف بك فأراد أن يهم قائمًا، فداس على ملوطة إسماعيل بك فوقع على ظهره، فنزلوا عليه بالسيوف وضربوا في وجوه الواقفين طلق بارود فهربوا إلى خلف، ونزل الضاربون من القيطون، وركبوا وذهبوا إلى إسماعيل بك فركب في تلك الساعة وطلع إلى القلعة، وأرسل إسماعيل كتخدا عزبان إلى الباشا وكان بقصر العيني بقصد التنزه، فركب من هناك وطلع إلى القلعة وجلس بباب العزب صحبة إسماعيل بك، فلما بلغ الأمر الذين هم خشداشين يوسف بك فركبوا وخرجوا من المدينة وذهبوا قبلي، وهم: أحمد بك الكلارجي وذو الفقار بك ورضوان بك الجرجاوي، فركب خلفهم طايفة فلم يدركوهم، وأرسلوا إلى محمد بك طبل فكرنك في بيته ونصب له مدافع وأبى من الخروج؛ لأنه صار من المذبذبين، فلما وقع منه ذلك ذهب إليه حسن بك سوق السلاح، وأخذه بالأمان إلى إسماعيل بك بعد ما نزل إلى بيته، فأمره أن يأخذه عنده فلما أصبح أستأذنه في زيارة الإمام الشافعي، فأذن له فركب إلى جهة القرافة وذهب إلى جهة الصعيد وانقضت الفتنة، ودفن يوسف بك.

وفي يوم الخميس، طلعوا إلى الديوان فخلع الباشا على إسماعيل بك الكبير فروة سمور، وأقره على مشيخة البلد وقلدوا حسن بك قصبة رضوان إمارة الحج عوضًا عن

يوسف بك، وقلدوا عبد الرحمن العلوي صنجقًا كما كان وقلدوا إبراهيم أغا خازندار إسماعيل بك الذي زوجه ابنته صنجقية، وتلقب بإبراهيم بك قشطة وسكن ببيت محمد بك وقلدوا حسين أغا خازندار إسماعيل بك سابقًا صنجقية أيضًا، وسكن ببيت أحمد بيك الكلارجي وقلدوا كاشفين أيضًا لإسماعيل بك يسمى كل واحد منهما بعثمان صنجقين، وسكن أحدهما ببيت مصطفى بك الذي كان سكن محمد بك طبل وهو على بركة الفيل، حيث جامع أزبك اليوسفي وهو الذي يسمى بعثمان بك طبل وعثمان الثاني وهو الذي لقب بقفا التور، وسكن ببيت ذي الفقار المقابل لبيت بلفيا، وقلدوا علي أغا جوخدار إسماعيل بك صنجقية أيضًا، وسكن ببيت مراد بك عند الكبش وهو بيت صالح بك الكبير، وكان يسكنه سليمان بك أبو نبوت اليوسفي، وأما بيت يوسف بك فسكن به سليم بك وقلدوا يوسف أغا من أتباع إسماعيل بك واليًا، ونفوا أيوب بك وسليمان بك إلى المنصورة.

وفي صبحها يوم الجمعة رابع شهر الفرد الموافق لرابع مسرى القبطي، نودي بوفاء النيل ونزل الباشا صبح يوم السبت، وكسر السد على العادة وجرى الماء في الخليج وعاد الباشا إلى القلعة.

وفي سابعة اتفقوا على إرسال تجريدة إلى الصعيد وسر عسكرها إسماعيل بك الصغير، وعينوا للتوجه صحبته حسن بك الجداوي وإبراهيم بك الطناني وسليم بك الطناني وسليم بك الإسماعيلى وإبراهيم بك أوده باشا وحسن بك الشرقاوي المعروف بسوق السلاح، وقاسم كتخدا عزبان وعلي أغا المعمار وكان غايبًا بالمنية فلما قبل ذهبوا للوجه القبلي، فتخلص وترك أحواله وغلاله وحضر إلى مصر وصحبته طايفة من الهوارة والعربان، فلما حضر أرادوا أن يقلدوه صنجقية فامتنع من ذلك، وشرعوا في تشهيل التجريدة وطلبوا طلبًا عظيمًا، وصرف الباشا ألف كيس من الخزينة لنفقة العسكر، وخلعوا على الهوارة ومشايخ العربان ووعدوهم بالخير.

وفيه جاءت الأخبار بأن علي بك السروجي ساق خلف محمد بك طبل، فلحقه عند مكان تجاه البدرشين واحتاط به العربان، وقتلوا مماليكه وشرد من نجا منهم، وتفرق ونهبوا ما معه وعروه وسلموه لكاشف هناك من أتباع إسماعيل بك، فوقع في عرضه وعرض مشايخ البلد فألبسوه حوايج، وهربوه وصحبته اثنان من الأجناد، فلما حضر علي بك السروجي أخبره العرب بما حصل، فأخذ ذلك الكاشف وحضر صحبته إلى إسماعيل بك فضرب الكاشف علقة ونفاه.

وفيه ورد الخبر أيضًا عن ذي الفقار بك بأن العرب عروه أيضًا، فهرب فلحقوه وأرادوا قتله فألقى نفسه في البحر بفرسه وغرق ومات.

وفي يوم الإثنين رابع عشر رجب برزت عساكر التجريدة إلى جهة البساتين وفي يوم الخميس خرج أيضًا غالب الأمراء وبرزوا خيامهم.

وفي يوم الجمعة ثامن عشر رجب سافرت التجريدة برًّا وبحرًا، وفي يوم السبت سادس عشرين رجب وصلت الأخبار بأن التجريدة تلاقت مع الأمرا القبالي، ووقع بينهم معركة قوية، فكانت الهزيمة على التجريدة، فلما وصلت هذه الأخبار اضطرب إسماعيل بك وتخبل غزله وكذلك أمراؤه، ودخل الأجناد مشتتين مهزومين وكانت الوقعة يوم الجمعة في بياضة من أعمال الشرق شرق النيل، فكبسوهم على حين غفلة وقت الفجر، فركب علي أغا المعمار وقاسم كتخدا عزبان وإبراهيم بك طنان فحاربوا جهدهم، فأصيب علي أغا وقاسم كتخدا ووقعت خيولهما، وذلك بعد أن ساق علي أغا وصحبته رضوان أغا طنان وقصد مراد بك وضربه رضوان في وجهه بالسيف، فلحقه خليل بك كوسه الإبراهيمي وضرب علي أغا بالقرابينة فأصابته في عنقه ووقع فرسه وسقط ميتًا، فلما قتل هذان الأميران ولى إبراهيم بك طنان، فانهزم بقية الأمرا؛ لأنه لم يكن فيهم أشجع من هولا الثلاثة، وباقيهم ليس له دربه في الحرب وسر عسكر مقصوب ومريض. واحتاط الأمراء القبليون بخيامهم وحملاتهم ومراكبم بما فيها، وكانت نيفًا وخمسماية مركب، وكان كبير العسكر في قنجة صغيرة، فلما عاين الكسرة أسرع في الانحدار، وكذلك بعض الأمرا انحدروا معه وباقيهم وصلوا البر على هئية شنيعة، وكان إسماعيل بك بمصر القديمة ينتظر أمرا التجريدة، فلما حصل ذلك نزل الباشا في يوم الأحد وخرج إلى الأثار، وجلس مع الصنجق ونادوا بالنفير العام، فخرج القاضي والمشايخ والتجار وأرباب الصنايع والمغاربة وأهل الحارات والعصب وغلقت الأسواق، وخرج الناس في يوم الإثنين حتى ملوا الفضا، فلما عاين ذلك إسماعيل بك وعلم أنهم يحتاجون إلى مصروف ومأكل وأكثرهم فقرا، وذلك غاية لا تدرك، فأشار على تجار المغاربة والألضاشات بالمكث، ورجع بقية العامة وأرباب الحرف ومشايخ الأشاير والفقرا من أهل الزوايا والبيوت، ووصل القبليون إلى حلوان وطمعوا في أخذ مصر بعد الكسرة قبل الاستعداد ثانيًا. وفي يوم الإثنين أرسل إسماعيل بك عدة من الأجناد وأصحبهم عسكر المغاربة ومعهم الجبخانة والمدافع، فنصبوا المتاريس ما بين التبين وحلوان تجاه الأخصام، وركب في ليلتها إسماعيل بك وأمراؤه وأجناده، وأحضر الباشا قليون رومي من دمياط وريسه يسمى حسن الغاوي

مشهور بمعرفة الحرب في البحر، يشتمل ذلك القليون على خمسة وعشرين مدافعًا فأقلع به ليلًا تجاه العسكر وارتفع حتى تجاوز مراكبهم، وضرب بالمدافع على وطاقهم في البر وعلى مراكبهم في البحر وساق جميع المراكب بما فيها، ووقع المصاف واشتد الجلاد بين الفريقين فكان بينهم وقعة قوية وقتل فيها من أوليك رضوان بك الجرجاوي وخليل بك كوسة الإبراهيمي وخازنداره وكشاف وأجناد، ووقعت على القبالي الهزيمة، ولم يظهر مراد بك في هذه المعركة بسبب جراحته، ثم هجموا على وطاقهم وخيامهم ونهبوها. ونزل محمد بك طبل بفرسه إلى البحر وغرق ومات ورجع إبراهيم بك ومراد بك وهو مجروح ومصطفى بك وأحمد بك الكلارجي وأتباعهم، وذهبوا إلى قبلي وساقوا خلفهم فلم يدركوهم ودخل إسماعيل بك والأمراء والأجناد والعسكر إلى مصر منصورين مؤيدين، وكانت هذه النصرة بخلاف المظنون، وكان رجوعهم يوم الأربعاء غرة شهر شعبان.

وفي ليلة السبت رابع شعبان حضر كاشف وصحبته جملة من المماليك، وكان هذا الكاشف مأسورًا عند القبالي فلما انهزموا أذنوا له بارجوع إلى بيته، وانضم إليه عدة مماليك ماتت أسيادهم فلما حضروا عند إسماعيل بك فرقهم على الأمرا.

وفي سابعه أحضروا رمة علي أغا المعمار إلى بيته فغسلوه وكفنوه، وصلوا عليه في مشهد حافل ودفنوه بالقرافة. وفيه تقلد حسن بك الجداوي ولاية جرجا، وجاءت الأخبار بأن القلبين استقروا بشرق أولاد يحيى.

وفي آخر شعبان سافر حسن بك الجداوي إلى جرجا وصحبته كشاف الولايات وحكام الأقاليم، فضج لنزولهم ساحل البحر بسبب أخذهم المراكب.

وفي منتصف شهر رمضان ولدت امرأة مولودًا يشبه خلقة الفيل مثل وجهه وآذانه، وله نابان خارجان من فمه، وأبوه رجل جمال وامرأته لما رأت الفيل وكانت في أشهر وحامها، فنقلت شبهه في ولدها وأخذه الناس يتفرجون عليه في البيوت والأزقة.

وفي يوم الجمعة تاسع عشرين شهر رمضان ركب أمرا إسماعيل بك وصناجقه وعساكره في آخر الليل، واحتاطوا ببيت إسماعيل بك الصغير أخي علي بك الغزاوي، فركب في مماليكه وخاصته وخرج من البيت، فوجدوا الطرق كلها مسدودة بالعسكر والأجناد، فدخل من عطفة الفرن يريد الفرار، وخرج على جهة قنطرة عمر شاه فوجد العسكر والأجناد أمامه وخلفه، فصار يقاتلهم ويتخلص منهم من عطفة إلى عطفة حتى وصل إلى عطفة البيدق، وأصيب بسيف على عاتقه وسقطت عمامته، وصار مكشوف الرأس إلى أن وصل إلى تجاه درب عبد الحق بالأزبكية، فلاقاه عثمان بك أحد صناجق

إسماعيل بك فرده وسقط فرسه، واحتاطوا به فنزل على دكان في أسوأ حال مكشوف الرأس والدم خارج من كركه، فعصبوا رأسه بعمامة رجل جمال وأخذه عثمان بك بيته، وتركه وذهب إلى سيده فأخبره فخلع عليه فروة وفرسًا مرختًا، وأرسلوا إليه الوالي فخنقه ووضعوه في تابوت وأرسلوه إلى بيته الصغير فبات به ميتًا وأخرجوه في صبحها في مشهد ودفنوه، وكان إسماعيل بك قد استوحش منه وظهر عليه في أحكامه وأوامره، وكلما أبرم شيًّا عارضه فيه وازدحم الناس على بيته وأقبلت إليه أرباب الخصومات والدعاوى وصار له عزوة كبيرة وأنضم إليه كشاف واختيارية، وحدثته نفسه بالانفراد وتخيل منه إسماعيل بك فتركه وما يفعله، وأظهر أنه مرمود في عينيه وانقطع بالحريم من أول شهر رمضان، ثم سافر في أواخره في النيل لزيارة سيدي أحمد البدوي ثم رجع وبيت مع اتباعه ومن يثق به، وقاموا عليه وقتلوه كما ذكر، ولما انقضى أمره شرع إسماعيل بك في إبعاد ونفي من كان يلوذ به وينتمي إليه، فأنزلوا إبراهيم بك بلفيا ومحمد أغا الترجمان وعلي كتخدا الفلاح وبعض كشاف إلى بولاق، وأراد قتل أخيه سليم أغا المعروف بتمرلنك فافتدى نفسه بثلاثين ألف ريال، ثم نفوه ثالث شوال، ونفي إبراهيم بك بلفيا إلى المحلة، وفي تلك الأيام قرر إسماعيل بك على كل بلد من القرى ثلثماية ريال، وهي أول سيئاته.

وفي يوم الأحد ثاني عشرين شوال عملوا موكب المحمل وأمير الحاج حسن بك رضوان، وفي يوم الخميس رابع ذي القعدة تقلد عبد الرحمن بك عثمان صنقية، وكانت مرفوعة عنه وكذلك علي بك، وفي يوم الإثنين ثامنه سافرت تجريدة لجهة الصعيد للأمراء القبالي؛ لأنهم تقووا واستواوا على البلاد، وقبضوا الخراج وملكوا من جرجا إلى فوق وحسن بك أمير الصعيد مقيم، وليس فيه قدرة على مقاومتهم، ومنعوا ورود الغلال حتى غلا سعرها، فعينوا لهم التجريدة وسر عسكرها رضوان بك وعلي بك الجوخدار وسليم بك وإبراهيم بك طنان وحسن سوق السلاح.

وفي يوم الأحد حادي عشرين القعدة خرج إسماعيل بك إلى ناحية دير الطين، وعزم على التوجه إلى قبلي بنفسه، وأرسل الباشا فرمانات لساير الأمرا والوجاقلية وأمرهم جميعًا بالسفر فخرجوا جميعًا ونصبوا وطاقاتهم عند المعادي، ونزل الباشا وجلس بقصر العيني وطلبوا طلبًا عظيمًا.

وفي يوم الجمعة عدى إسماعيل بك إلى البر الثاني وترك بمصر عبد الرحمن أغا مستحفظان كتخدا ورضوان بك بلفيا وعثمان بك طبل وإبراهيم بك قشطة صهره وحسين بك ومقادم الأبواب لحفظ البلد، فكان المقادم يدورون بالطوف العسكر في الجهات ليلًا ونهارًا مع هدو سر الناس، وسكون الحال في مدة غياب الجميع.

وفي سادس شهر الحجة وصلت مكاتبات من إسماعيل بك ومن الأمرا الذين بصحبته بأنهم وصلوا إلى المنية، فلم يجدوا بها أحد من القبليين وأنهم في أسيوط، ومعهم إسماعيل أبو علي من كبار الهوارة.

وفي سابع عشره حضر الوجاقلية الذين كانوا بالتجريدة وحضر أيضًا أيوب أغا كان عند القبالي فحضر إلى عند إسماعيل بك بأمان، وأستأذنه في التوجه إلى بيته ليرى عياله، فأذن له وأرسله صحبة الوجاقلية.

وسبب رجوع الوجاقلية لما رأى إسماعيل بك بعد الأمراء وأراد أن يذهب خلفهم، فأمرهم بالرجوع للتخفيف وانقضت هذه السنة.

ذكر من مات في هذه السنة

ومات الشريف الصالح المرشد الواصل السيد/محمد هاشم الأسيوطي، ولد بأسيوط وبيتهم يعرف ببيت فاضل، نشأ ببلده على قدم الخير والصلاح، وحضر دروس الشيخ حسن الجديري ثم ورد إلى مصر فحضر دروس كل من الشيخ محمد البليدي والشيخ محمد الشماوي والشيخ عطية الأجهوري وأخذ الطريق علي الشيخ عبد الوهاب العفيفي، وكان منقطعًا للعبادة متقشفًا متواضعًا، وكان غالب جلوسه بالأشرفية ومسجد الشيخ مطهر، وكان لا يزاحم الناس ولا يداخلهم في أحوال دنياهم، ولهم فيه اعتقاد عظيم ويذهبون لزيارته ويقتبسون من إشارته واستخارته، ويتبركون بإجازته في الأوراد والأسماء، ويسافر لزيارة سيدي أحمد البدوي ثم يعود إلى خلوته، وربما مكث عند بعض أصدقائه أيامًا بقصد البعد عن الناس وعندما يعلمون استقراره بالخلوة، ويزدحمون على زيارته، وكان نعم الرجل سمتًا وورعًا، توفي في سابع شعبان في بيته بالأزبكية، وصلوا عليه بالأزهر ودفن بالمجاورين، رحمه الله.

ومات الشيخ الإمام الأديب الفاضل أحد العلما الأعلام الشيخ محمد بن إبراهيم العوفي المالكي، لازم الشمس الحفني وأخاه الشيخ يوسف، وحضر دروس الشيخ علي العدوي والشيخ عيسى البراوي، وأفتى ودرس، وكان شافعى المذهب، فسعى فيه جماعة عند الشيخ الحفني، فأحضره وأثبت عليه بخطه ما نقل عنه فتوعده، فلحق بالشيخ علي العدوي وانتقل لمذهب مالك، وكان رحمه الله عالمًا محصلًا بحاثًا متفننًا غير عشر البديهة، شاعرًا ماجنًا خليعًا، ومع ذلك كان حلقة درسه تزيد على الثلاثماية في الأزهر، مات رحمه الله مفلوجًا، وحين أصابه المرض رجع إلى مذهب الشافعي وقرأ ابن قاسم

بمسجد قريب من منزله، ويحمله الطلبة إلى المسجد فيقرأ وهو يتعلثم لتعقد لسانه بالفالج مع ما كان فيه من الفصاحة أولًا، ثم برى يسيرًا، ولم يلبث أن عاوده المرض وتوفي إلى رحمة الله تعالى.

ومات الأديب الماهر الشيخ/رمضان بن محمد المنصوري الأحمدى الشهير بالحمامي سبط آل الباز، ولد بالمنصورة، وقرأ المتون على مشايخ بلده، وانزوى إلى شيخ الأدب محمد المنصوري الشاعر فرقاه في الشعر وهذبه وبه تخرج، وورد إلى مصر مرارًا، وسمعنا من قصايده وكلامه الكثير، وله قصايد سنية في المدايح الأحمدية تنشد في الجموع، وبينه وبين الأديب قاسم عبد القادر المدني محاورات ومداعبات، وأخبر أنه ورد الحرمين من مدة، ومدح كلًّا من الشريف والوزير وأكابر الأعيان بقصايد طنانة، كان ينشد منها جملة مستكثرة مما يدل على سعة باعه في الفصاحة، ولم يزل فقيرًا مملقًا يشكو الزمان وأهليه ويذم جنى بنيه، وبآخرة تزوج امرأة موسرة بمصر، وتوجه بها إلى مكة فأتاه الحمام وهو في ثغر جدة في سنة تاريخه، ومن آثاره تعجيز وتصدير البيتين المشهورين وهما:

إن ألطاف إلهي   عند كربي المتناهي
هي كانت نعم جاهي   وإذا ما صرت ساهي
لي قالت خل عنكما
لا تدبر لك أمرًا   تلق بعد العسر يسرا
وارقب الألطاف صبرًا   حيث قالت لك جهرا
أنا أولى بك منكا

ومن ذلك قوله مشطرًا تعجيز أحمد بن أبي بكر بن نظام تصدير بدر خوج بيتي ابن مكانس وهما:

فتنت به حلو الشمايل أهيف   تغار غصون البان منه إذا مشى
يعذبني والغير يحظى بوصله   وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

* * *

(فتنت به حلو الشمايل أهيف) مرير الجفا بالسحر عينيه قد حشا
هلال تبدى في سماء كماله له مسكن في وسط قلبي والحشا
فطلعته يسبي القلوب جمالها وناظره بالفتك فينا تحرشا
بروحي محياه الجميل إخاله كشمس الضحى نورًا لقلبي أدهشا
مليح التثني لست ألقى نظيره وهل توجود العنقاء في مصر أو بشا
قليل الوفا لم أستطع كتم حبه كثير التجني فيه حبي قد فشا
جميل وترى بالظبي لفتاته فيها خجلة الأقمار يوكسها الرشا
تغيب بدور التم منه إذا بدا (تغار غصون البان منه إذا مشى)
(ويعذبني والغير يحظى بوصله) فيا شقوتي في الحب يا سعد من وشا
فيا عصبة العذال كفوا ملاكم ففكري لغير الحب فيه تشوشا
أبيت سمير النجم أرجو خياله يعود فما أحلاه أن مر أو مشى
فما زال طرفي شيقًا لجماله وما زال قلبي للقا متعطشا
متى قاتني بالوصل يبعد حرقتى ويرشفني من ريقه العذب منعشا
فها مقلتي الرصداء ترقب قربه فللعين وصل الحب نور من العشا
فما الوصل إلا نعمة وتفضل يفوز به القاصي ويحرم من يشا
ولا عيبة في قرب هذا وبعد ذا (وذاك فضل الله يؤتيه من يشا)

(ومات) الأمير يوسف بك الكبير وهو من أمراء محمد بك أبي الدهب أمره في سنة ست وثمانين وزوجه بأخته، وشرع في بنا داره على بركة الفيل داخل درب الحمام تجاه جامع ألماس، وكان يسلك إليها من هذا الدرب من طرق الشيخ ظلام، وكان هذا الدرب كثير العطف ضيق المسالك، فأخذ بيوته بعضها شرا وبعضها غصبًا، وجعلها طريقًا واسعة وعليها بوابة عظيمة، وأراد أن يجعل أمام باب داره رحبة متسعة، فعارضه جامع خير بك حديد فعزم على هدمه ونقله إلى آخر الرحبة، فسأل المرحوم الوالد وكان يعتقد ويجنح إلى قوله فقال له: لا يجوز ذلك فامتثل وتركه على حاله، واستمر يعمر في تلك الدار نحو خمس سنوات، وأخذ بيت الداوودية الذي بجواره وهدمه جمعيه وأدخله فيها، وصرف في تلك الدار أموالًا عظيمة، فكان يبني الجهة منها حتى يتمها بعد تبليطها وترخيمها بالرخام الدقي الخردة المحكم الصنعة والسقوف والأخشاب والرواشن والخرط والأدهان، ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها إلى آخرها ويبنيها ثانيًا على وضع آخر، وهكذا كان دأبه، واتفق أنه ورد إليه من بلاده القبلية ثمانون ألف إردب غلال، فوزعها بأسرها

على الموانة في ثمن الجبس والجير والأحجار والأخشاب والحديد وغير ذلك، وكان فيه حدة زائدة وتخليط في الأمور والحركات ولا يستقر بالمجلس، بل يقوم ويقعد ويصرخ، ويروق حاله في بعض الأوقات فيظهر فيه بعض إنسانية، ثم يتغير ويتعكر من أدنى شي، ولما مات سيده محمد بك وتولى إمارة الحج أزداد عتوًّا وعسفًا وانحرافًا، خصوصًا مع طايفة الفقها والمتعممين لأمور نقمها عليهم. منها أن شيخًا يسمى الشيخ أحمد صادومة وكان رجلًا مسنًّا ذا شيبة وهيبة وأصله من سمنود واه شهرة عظيمة وباع طويل في الروحانيات وتحريك الجمادات والسيميات، ويكلم الجن ويخاطبهم مشافهة ويظهرهم للعيان، كما أخبرني عنه من شاهده، وللناس اختلاف في شأنه، وكان للشيخ حسن الكفراوي به التئام وعشرة ومحبة أكيدة واعتقاد عظيم ويخبر عنه أنه من الأوليا وأرباب الأحوال والمكاشفات، بل يقول: إنه هو الفرد الجامع، ونوه بشأنه عند الأمرا وخصوصًا محمد بك أبا الدهب فراج حال كل منهما بالآخر، فاتفق أن الأمير المذكور اختلى بمحظيته فرأى على سوتها كتابة، فسألها عن ذلك وتهددها بالقتل فأخبرته أن المرأة الفلانية ذهبت بها إلى هذا الشيخ، هو الذي كتب لها ذلك ليجبها إلى سيدها، فنزل في الحال وأرسل فقبض على الشيخ صادومة المذكور وأمر بقتله وإلقائه في البحر النيل ففعلوا به ذلك، وأرسل إلى داره فاحتاط بما فيها فأخرجوا منها أشياء كثيرة وتماثيل ومنها تمثال من قطيفة على هيئة الذكر فأحضروا له تلك الأشياء، فصار يريها للجالسين عنده والمترددين عليه من الأمرا وغيرهم، ووضع ذلك التمثال بجانبه على الوسادة فيأخذه بيده ويشير لمن يجلس معه ويتعجبون ويضحكون، ويقول: انظروا أفاعيل المشايخ، وعزل الشيخ حسن الكفراوي من إفتا الشافعية ورفع عنه وظيفة المحمدية، وأحضر الشيخ أحمد بن يوسف الخليفي وخلع عليه وألبسه فروة وقرره في ذلك عوضًا عن الشيخ الكفراوي، واتفق أيضًا أن الشيخ عبد الباقي ابن الشيخ عبد الوهاب العفيفي طلق على زوج بنت أخيه في غيابه على يد الشيخ حسن الجداوي المالكي على قاعدة مذهبه، وزوجها من آخر، وحضر زوجها من الفيوم وذهب إلى ذلك الأمير وشكا له الشيخ عبد الباقي، فطلبه فوجده غايبًا في منية عفيف فأرسل إليه أعوانًا أهانوه وقبضوا عليه ووضعوا الحديد في رقبته ورجليه، وأحضروه في صورة منكرة وحبسه في حاصل أرباب الجرايم من الفلاحين، فركب الشيخ علي الصعيدي العدوي والشيخ الجداوي وجماعة كثيرة من المتعممين، وذهبوا إليه وخاطبه الشيخ الصعيدي وقال له: ما هذه الأفعال وهذا التجاري؟ فقال له: أفعالكم يا مشايخ أقبح، فقال له: هذا قول في مذهب المالكية

معمول به، فقال: من يقول: إن المرأة تطلق زوجها إذا غاب عنها وعندها ما تنفقه وما تصرفه ووكيله يعطيها ما تطلبه، ثم يأتى من غيبته فيجدها مع غيره؟ فقالوا له: نحن أعلم بالأحكام الشرعية، فقال: لو رأيت الشيخ الذي فسخ النكاح، فقال الشيخ الجداوي: أنا الذي فسخت النكاح على قاعدة مدهبي، فقام على أقدامه وصرح وقال: والله أكسر رأسك، فصرخ عليه الشيخ علي الصعيدي وسبه، وقال له: لعنك الله ولعن اليسرجي الذي جاء بك ومن باعك ومن اشتراك ومن جعلك أميرًا، فتوسط بينهم الحاضرون من الأمرا يسكنون حدته وحدتهم، وأحضروا الشيخ عبد الباقي من الحبس فأخذوه وخرجوا وهم يسبونه وهو يسمعهم. واتفق أيضًا أن الشيخ عبد الرحمن العريشى لما توفي صهره الشيخ أحمد المعروف بالسقط، وجعله القاضي وصيًّا على أولاده وتركته وكان عليه ديون كثيرة أثبتها أربابها بالمحكمة واستوفوها، وأخذ عليهم صكوكًا بذلك، فذهبت زوجة المتوفى إلى يوسف بك بعد ذلك بنحو ست سنوات، وذكرت له أن الشيخ عبد الرحمن انتهب ميراث زوجها وتواطأ مع أرباب الديون وقاسمهم فيما أخذوه، فأحضر الشيخ عبد الرحمن وكان إذ ذاك مفتي الحنفية، وطالبه بإحضار المخلفات أو قيمتها فعرفه أنه وزعها على أرباب الديون وقسم الباقي بين الورثة وانقضى أمرها. وأبرز له الصكوك والحجج ودفتر القسام، فلم يقبل وقال: هذا كله تزوير وفاتحه في عدة مجالس وهو مصر على قوله وطلبه للتركة، ثم أحضره يومًا وحبسه عند الخازندار، فركب شيخ السادات إليه وكلمه في أمره، وطلبه من محبسه فلما علم الشيخ عبد الرحمن حضور شيخ السادات هناك رمى عمامته وفراجته، وتطور وصرخ وخرج يعدو مسرعًا وهو يقول: بيتك خراب يا يوسف بك ونزل إلى الحوش صارخًا بأعلى صوته وهو مكشوف الرأس يقول ذلك وأمثاله، فلما عاينه يوسف بك وهو يفعل ذلك احتد الآخر وكان جالسًا مع شيخ السادات في المقعد المطل على الحوش، فقام على أقدامه وصار يصرخ على خدمه ويقول: أمسكوه اقتلوه ونحو ذلك، وشيخ السادات يقول له: أي شيء هذا الفعل؟ اجلس يا مبارك، وأرسل إليه تابعه الشيخ إبراهيم السندوبي فنزل إليه وألبسه عمامته وفراجته ونزل الشيخ فركب وأخذه صحبته إلى داره، وتلافوا القضية وسكتوها، ثم حصل منه ما حصل في الدعوى المتقدمة وما ترتب عليها من الفتنة وقفل الجامع وقتل الأنفس، وثقل أمره على مراد بك وأضمر له السو، فلما سافر أميرًا بالحج في السنة الماضية قصد مراد بك اغتياله أو نفيه عند رجوعه بالحج، واتفق مع أمرائه وضايع القضية. وسافر إلى جهة الغربية والمنوفية وعسف في البلاد، ويريد أن يجعل عودته على نصف الشهر في أوان رجوع الحج، ووصل

الخبر إلى يوسف بك فاستعجل الحضور فصار يجعل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل محترسًا في سابع صفر قبل حضور مراد بك من سرحته، وعندما قرب وصول مراد بك إلى دخول مصر ركب يوسف بك في مماليكه وطوايفه وعدده، وخرج إلى خارج البلد، فسعى إبراهيم بك بينهما وصالحهما، واستمرت بينهما المنافرة القلبية من حينئذ إلى أن حصل ما حصل، وانضم إلى إسماعيل بك ثم قتله إسماعيل بك بيد حسن بيك وإسماعيل بك الصغر كما تقدم.

ومات الأمير/علي أغا المعمار وهو من مماليك مصطفى بك المعروف بالقرد وخشداش صالح بك الكبير، وكان من الأبطال المعروفين والشجعان المعدودين، فلما قتل كبيرهم صالح بك استمر في بلاد قبلي على ما يتعلق به من الالتزام ويدفع ما عليه من المال والغلال إلى أن استوحش محمد بك أبو الدهب من سيده علي بك، وخرج إلى الصعيد وقتل خشداشه أيوب بك، وتحقق الأجانب بذلك صحة العداوة فأقبلوا على محمد بك من كل جانب برجالهم وأموالهم ومنهم علي أغا المذكور، وكان ضخمًا عظيم الخلقة جهوري الصوت شهمًا يصدع بالكلام، فأنس به محمد بك وأكرمه واجتهد هو في نصرته ومنا صحته، وجمع إليه الأمراء والأجناد المنفيين والمطرودين الذين شتتهم علي بك وقتل أسيادهم، وكبار الهوار الذين قهرهم علي بك أيضًا، واستولى على بلادهم مثل أولاد همام وأولاد نصير وأولاد وافي وإسماعيل أبي على وأبي عبد الله وغيرهم، وحضر معه الجميع إلى جهة مصر كما تقدم، ولما وصلوا إلى تجاه التبين وأخرج لهم علي بك التجريدة وأميرها علي بك الطنطاوي، خرج علي أغا هذا إلى الحرب هو ومن معه وبأيديهم مساوق غلاظ قصيرة ولها جلب حديد، وفي طرفها أزيد من قبضة بها مسامير متينة محددة الروس إلى خارج، يضربون بها خوذة الفارس ضربة واحدة فتنخسف في دماغه، وكانت هذه من مبتكرات المترجم، حتى إنه تسمى بأبي الجلب، ولما خلصت إمارة مصر إلى محمد بك جعل كتخداه إسماعيل أغا علي بك الغزاوي المذكور، فنقم عليه أمورًا فأهمله وأحضر علي أغا هذا وخلع عليه وجعله كتخداه، فسار في الناس سيرًا حسنًا ويقضي حوايج الناس من غير تطلع إلى شيء، ويقول الحق ولو على مخدومه، وكان مخدومه أيضًا يحبه، ويرجع إلى رأيه في الأمور لما تحققه فيه من المناصحة وعدم الميل إلى هوى النفس وعرض الدنيا، وكان يحب أهل العلم والفضل والقرآن ويميل بكليتة إليهم مع لين الجانب والتواضع عدم الأنفة، ولما أنشأ محمد بك مدرسته المحمدية تجاه الأزهر وقرر فيها الدروس كان يحضر معنا المترجم على شيخنا الشيخ علي العدوي في صحيح البخاري مع الملازمة،

واتخذ لنفسه خلوة بالمدرسة المذكورة يستريح فيها وتأتيه أرباب الحوايج فيقضي لهم أشغالهم، وكان يلم بحضرة الشيخ محمد حفيد الأستاذ الحفني ويحبه، وأخذ عنه طريق السادة الخلوتية وحر دروسه مع المودة وحسن العشرة، ويحضر ختوم دروس المشايخ ويقرأ عشرًا من القرآن بأعلى صوته عند تمام المجلس، ومملوكه حسن أغا الذي زوجه ابنته واشتهر بعده، وحج المترجم في السنة الماضية في هيئة جليلة وآثار جميلة، وتوفي في وقعة بياضة قتيلًا كما تقدم.

(ومات) الأمير/إسماعيل بك الصغير وهو أخو علي بك الغزاوي وهم: خمسة إخوة علي بك وإسماعيل بك هذا وسليم أغا المعروف بتمرلنك وعثمان وأحمد، ولما تأمر علي بك كان إخوته الأربعة بإسلامبول مماليك عند بشير أغا القزلار وأعتقهم وتسامعوا بإمارو أخيهم، فحضر إليه إسماعيل وأحمد وسليم واستمر عثمان بإسلامبول وأقام إسماعيل وسليم وأحمد بمصر، وعمل إسماعيل كتخدا عند أخيه علي بك وعمل سليم خازندار عند إبراهيم كتخدا أيامًا، ثم قامت عليه مماليكه وعزلوه لكونه أجنبيًّا عنهم، وصار لهم إمرة وبيوت والتزام، وتزوج إسماعيل بهانم ابنة رضوان كتخدا الجلفي وهي المسماة بفاطمة هانم، وذلك أن رضوان كتخدا كان عقد لها على مملوكه علي أغا الذي قلده الصنجقية ولم يدخل بها، ولما خرج رضوان كتخدا وخرج معه المذكور فيمن خرج كما تقدم وذهب إلى بغداد أرسل لها يطلبها إليه من مصر، وأرسل مع وكليه عشرة آلاف دينار وأشيا فلم يسلموا في إرسالها، وكتبوا فتوى بفسخ النكاح على قاعدة مذهب مالك وتزوجها إسماعيل أغا هذا، وظهر ذكره بها وسكن بها في دار أبيها العظيمة بالأزبكية، وصار من أرباب الوجاهة، فلما استقل محمد بك أبو الدهب بملك مصر بعد سيده استوزره وجعله كتخداه مدة، وأراد أن يتزوج بالست سلن محظية رضوان كتخدا وكان تزوج بها أخوه علي بك ومات عنها، فصرفه مخدومه محمد بك أبو الدهب وعرفه أنها ربما امتنعت عليه مراعاة لهانم ابنة سيدها، فركب محمد بك وأتى عند علي أغا كتخدا الجويشية المجاور لسكنها بدرب السادات وأرسل إليها علي أغا فلم يمكنها الامتناع، فعقد عليها، وماتت هانم بعد ذلك، وباع بيت الأزبكية لمخدومه محمد بك، وبنى داره المجاورة لبيت الصابونجي وصرف عليها أموالًا كثيرة، وأضاف إليها البيت الذي عند باب الهواء المعروف ببيت المرحوم من الشرايبية وسكنها مدة، وزوجه محمد بك سرية من سرارية أيضًا ثم باع تلك الدار لأيوب بك الكبير وسكنها، ولما سافر محمد بك إلى الشام لمحاربة الظاهر عمر أرسل المترجم من هناك إلى إسلامبول بهدايا وأموال للدولة،

ومكاتبات بطلب ولاية مصر والشام، وأجيب إلى ذلك، وكتب له التقليد وأعطوه رقم الوزارة وتم الأمر، وأراد المسير بذلك إلى محمد بك فورد الخبر بموته فبطل ذلك، ورجع المترجم إلى مصر وأقام بها في ثروة إلى أن حصلت الوحشة بين إسماعيل بك ويوسف بك والجماعة المحمدية وكانت الغلبة عليهم، فقلده إسماعيل بك الصنجقية وقدمه في الأمور ونوه بشأنه، وأوهمه أنه يريد تفويض الأمور لما يعلمه فيه من العقل والرياسة فاغتر بذلك، وباشر قتل يوسف بك هو وحسن بك الجداوي كما تقدم، وظن أن الوقت صفا له فاندفع في الرياسة وازدحمت الروس عليه، وأخذ في النقض والإبرام، فعاجله إسماعيل بك وأحاطوا به وقتلوه كما ذكر، وكان ذا دها ومعرفة وفيه صلابة وقوة جنان وحزم مع التواضع وتهذيب الأخلاق، وكان يحب أهل العلم ويكره النصارى كراهة شديدة وتصدى لأذيتهم أيام كتخدائيته لمحمد بك، وكتب في حقهم فتاوي بنقضهم العهد وخروجهم عن طرايقهم التي أخذ عليهم بها من أيام سيدنا عمر رضي الله عنه، ونادى عليهم ومنعهم من ركوب الحمير، ولبسهم الملابس الفاخر وشراهم الجواري والعبيد واستخدامهم المسلمين وتقنع نسايهم بالبراقع البيض ونحو ذلك، وكذلك فعل معهم مثل ذلك عندما تلبس بالصنجقة، وكان له اعتقاد عظيم في الشيخ محمد الجوهري، ويسعى بكليته في قضاء أشغاله وحوايجه، وكان لا بأس به.

(ومات) الأمير/قاسم كتخدا عزبان وكان من مماليك محمد بك أبي الذهب، وتقلد كتخدائية العزب وأمين البحرين، وكان بطلًا شجاعًا موصوفًا، ومال عن خشداشينه كراهة منه لأفعالهم حتى خرج إلى محاربتهم وقتل، غفر الله له.

هنداوي